تاريخ

الشرق الأدنى القديم وحضاراته

منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر

الجزء الثالث

دول الخليج العربي - شبة الجزيرة العربية - اليمن

تأليف

د. رمضان عبده على

أستاذ علم المصريات

كلية الآداب - جامعة المنيا

دار نهضة الشرق

للطبع والنشر والتوزيع

تاريخ
الشرق الأدنى القديم وحضاراته

منذ فجر التاريخ حتى مجئ حملة الإسكندر الأكبر

الجزء الثالث

دول الخليج العربى - شبه الجزيرة العربية - اليمن

تأليف

د. رمضان عبده على

أستاذ علم المصريات

كلية الآداب - جامعة المنيا

NSP

دار نهضة الشرق

للطبع والنشر والتوزيع

الكتـــــاب : تاريخ الشرق الادنى القديم وحضاراته

المـؤلـــف : د/ رمضان عبده على

رقم الطبعـة : الطبعة الأولى

تاريخ الإصدار : ٦ يناير - ٢٠٠١ م

النـاشـــر : دار نهضة الشرق .

الإدارةوالتوزيع: ٣٢ شارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقا) تقاطع طلعــت

حرب مع عبد الخــالق ثروت - الدور الثــانى شـــقة (٨)

ت : ٠١٢٢٢٥٩٧٨٨ / ٠١٢٢٤٦٢٤١٩

المكتبـــــة : جامعة القاهرة - بجوار كلية دار العلوم .

العنوان البريدى : مكتب بريد جامعة القاهرة بالجيزة .

رقم الإيـداع : ٣٥٦٠ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى : 977- 245- 146- 8



بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على

سيدنا محمد النور وآله





تاريخ دول الخليج العربى القديم وبعض المواقع والمراكز الحضارية القديمة المنتشرة بها



تاريخ دول الخليج العربى القديم

وبعض المواقع والمراكز الحضارية القديمة المنتشرة بها

(الأطراف الشرقية والشمالية والشرقية من شبه الجزيرة العربية)

جغرافية الخليج العربى فى العصور القديمة :

مرت منطقة الخليج العربى خلال العصور الجيولوجية بتغييرات أساسية أدت فى النهاية إلى تشكيل المنطقة كما هى عليه الآن [١] . كما تتميز هذه المنطقة بوحدة العوامل التى اشتركت فى صنع تلك التضاريس ، فالمنطقة تتألف من كتلة كبيرة عظيمة المساحة من الصخور الأركية التى تتراوح بين النارية والمتحولة .

وهناك عدة عوامل أدت إلى تكوين الخليج من أهمها كتلة أرضية صلبة إلى الغرب والجنوب الغربى هى شبه الجزيرة العربية التى كانت جزءا من قارة

---

(١) كان د. عبد الحميد زايد فى كتابه : الشرق الخالد ، القاهرة ١٩٦٦ أول من تحدث عن منطقة الخليج العربى عبر التاريخ القديم . ثم ظهر كتابى د. سليمان سعدون اللذين يعتبران أول دراسة تاريخية أثرية قيمة لمنطقة الخليج العربى فى التاريخ القديم .وظهر الكتاب الأول تحت عنوان : " منطقة الخليج العربى خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد " ، الكويت ١٩٧٤ ؛ وظهر الثانى تحت عنوان : " منطقة الخليج العربى خلال الألفين الثانى والأول قبل الميلاد " ، الكويت ١٩٧٨ . وقد اعتمدنا كثيرا على هذين الكتابين فى كتابة هذا الجزء من تاريخ دول الخليج العربى القديم والمراكز الحضارية بها . كما تحدث د. بيومى مهران فى مؤلفة "دراسات فى تاريخ العرب القديم " ، الإسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٨٨ – ٩٢ ، ١٩٨ – ٢٠٩ ، عن بعض المواقع الأثرية فى منطقة الخليج العربى : فى البحرين وفى قطر وفى دولة الإمارات العربية وفى الكويت . وأخيرا ظهر مؤلف د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٢٢ ، ص ١٤١ – ١٤٧(د) .

جوندوانالاند القديمة ، وقد نشأت قارة جوندوانالاند فى العصور الجيولوجية الأولى وكانت تضم شبه الجزيرة العربية ومعظم قارة أفريقيا وأجزاء من قارة استراليا وأمريكا الجنوبية .

وهناك عامل آخر لعب دوره فى تكوين الخليج هو بحر تثيس وكان يغطى معظم بلاد النهرين وإيران ويمتد إلى أجزاء من شرق البحر المتوسط تشمل سوريا ولبنان ويمتد إلى شمال الهند . وكان قاع هذا البحر مكونا من صخور أقل صلابة من قارة جوندوانالاند ولذلك أثرت فيه الحركات الأرضية .

وربما كان لعوامل النحت والتعرية دور هام فى صنع الفتحة التى يشغلها حاليا مضيق هرمز ومن ثم اندفاع مياه المحيط الهادى إلى الثنية المقعرة التى سببتها الانكسارات وتكون بذلك الخليج .

أما عن التطورات الرئيسية خلال العور الجيولوجية فقد تمت خلال العصر الجيولوجى الثالث والعصر الحديث . فخلال العصر الأول من عصور الزمن الثالث وهو عصر الايوسين تكونت ترسبات معظمها من الحجر الجيرى والطفل .

أما فى عصر الميوسين وهو العصر الثالث من عصور الزمن الثالث ، فقد تراجع البحر وصغرت المساحة التى كان يغطيها شيئا فشيئا فى أرض بلاد النهرين وأصبحت المياه ضحلة وانعزل بعضها تماما . ولقد مرت فترة تعاقب فيها طغيان المياه وانسحابها كما مرت فترات من الجفاف نتج عنها ترسبات من أحجار الجبس وأحجار الملح والصلصال والصخور الطباشيرية والأحجار الرملية .وتعود هذه الفترات إلى عصر الميوسين الأول ويسمى عصر فارس الأعلى .

وفى عصر البيلوسين وهو العصر الرابع من عصور الزمن الثالث ، أصبحت بلاد النهرين فوق البحر وكانت تغطيها السهول الواسعة .

أما فى العصر الحديث وهو آخر العصور الجيولوجية من الزمن الرابع ، فقد تكونت ترسبات الحصى فى الأنهار والترسبات النهرية من رمل وحصى وصلصال فى السهل الجنوبى لبلاد النهرين ولا يزال هذا السهل فى دور التكوين

حيث تملأ الترسبات التى تجلبها مياه دجلة والفرات رأس الخليج العربى بمعدل ٧٢ قدما فى السنة أو ميل ونصف فى القرن الواحد .[١]

والرأى السائد هو أن الأراضى المنخفضة فى جنوب بلاد النهرين ، قد تكونت بواسطة الترسبات التى جلبتها مياه دجلة والفرات والجداول الصغيرة التى تجئ من جبال زاجروس . وربما تكون الدلتا قد تكونت من فعل نهرى كارون والكرخة ووادى الباطن . وينبع نهرا كارون والكرخة من جبال زاجروس وكان لكل منهما دلتاه المستقلة وكانا يجلبان معهما رواسب كثيرة حتى اتصلت الدلتا وان وكونتا دلتا واحدة ، أما وادى الباطن فكان يأتى من مرتفعات شبه الجزيرة العربية كبيرة من الرواسب فتكونت له دلتا كبيرة وتكون رصيف من المواد الرسوبية يربط الساحل الشرقى من الخليج بساحله الغربى ويحصر بينه وبين دلتا دجلة والفرات بحيرة داخلية صغيرة منفصلة عن مياه الخليج ، ثم أخذت هذه البحيرة تمتلئ بالرواسب تدريجيا حتى اختفت ولم يبق منها فى الوقت الحالى سوى الأهوار المنتشرة فى المنطقة والمستنقعات التى لم تملأ بعد .

ولقد توصل علماء الآثار اعتمادا على دراسات أثرية إلى أن الخليج قد تراجع إلى الجنوب الشرقى نتيجة لتكوين الدلتا وات وأن كميات الرواسب الهائلة التى تجلبها أنهار دجلة والفرات وكارون قد ملأت الخليج .[٢]

ويرى بعض العلماء أن رأس الخليج كان يمتد قبل الألف الرابعة ق.م إلى نحو ٦٠ ميلا شمال غرب بغداد. وأنه فى حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م كان الخليج يمتد إلى موقع مدينة العمارة الحالية على نهر دجلة وإلى موقع مدينة الناصرية على نهر الفرات ، معنى هذا أن الخليج العربى قد تراجع خلال الفترة ما بين ٤٠٠٠ ق.م و ٣٠٠٠ ق.م ونحو ٢٣٠ ميلا . ويعتقد البعض الآخر بوجود أراضى

---

(١) د. سليمان سعدون : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، ص ٣٥ – ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦-٣٧ .

كانت مزروعة هى الآن تحت مياه الخليج .ويرى لويد أنه فى زمن مبكر جدا كان الخليج قد اتخذ ساحلا طبيعيا مارا عبر هيت وسامراء لعدة أميال شمال بغداد وأن جنوب العراق كان بأكمله فى ذلك الوقت مطمورا تحت مياه الخليج . وقد عملت الترسبات على تغيير رأس الخليج إلى مستنقعات وبدأت الجزر فى الظهور .

وفى دراسة قام بها العالم الجيولوجى دى مورجان ونشرها فى باريس عام ١٩٠٠ حاول فيها أن يبين كيف عمل تقدم الدلتا وات لدجلة والفرات وكارون على تكويناتها الحالية واعتمد فى إعادة تخطيط الجغرافيا المبكرة لمنطقة جنوب غرب الأهواز ، على رحلة نيارخوس عام ٣٢٥ ق.م كما وصفها سترابون وحملة سنحاريب ضد بلاد عيلام عام ٦٩٦ ق.م . كما وصفت فى النصوص الآشورية .[١]

ويرى دى مورجان أن رأس الخليج فى سنة ٦٩٦ ق.م , كان يقع جنوب غرب منطقة سوس وأن دجلة والفرات كانا يصبان فيه بينهما مسافة أربعين ميلا . وفى سنة ٣٢٥ ق.م أخذ الطمى الذى يحمله نهر كارون يشكل سلسلة جزر امتدت نحو الجنوب الغربى من الأهواز إلى عبر الخليج وبذلك تكونت بحيرة منعزلة كان يصب فيها نهرا دجلة والفرات .

ولقد فند كل من " **ليس وفالكون** " رأى دى مورجان ورأيا بأن هبوطا تدريجيا وقع لمنطقة القسم الجنوبى من السهل الرسوبى وما يزال موجودا وتسبب فى عدم امتلاء هذه المنخفضات وبقائها كمناطق مستنقعات أو أهوار رغم الكميات الهائلة من الترسيبات التى يحملها دجلة والفرات بالإضافة إلى الترسيبات التى تحملها الرياح وهى كافية لملء الأهوار الجنوبية فى بضع مئات من السنين .

ولم يبق هذان العالمان مكان رأس الخليج فى عصوره القديمة واكتفيا بالقول بوجود ظاهرة مياه الخليج وتقهقرها . وورد فى دراسة " ليس وفالكون " ان النهاية الجنوبية لجزيرة بوبيان آخذه بالازدياد فى المساحة . وقد يدل هذا على تراجع مياه الخليج نحو الجنوب الشرقى وأن هذا الجزء كان مغمورا بالمياه ومعنى هذا أن رأس

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

الخليج قد غمرته الترسبات وأن شط العرب أخذ فى الاقتراب من الناحيـــة الجنوبيـة الشرقية .[١]

ويمكن القول بأن راس الخليج كان يمتد إلى الشمال الغربى ثم أخذ بـالتراجع ولا يزال .

أما بالنسبة لسواحل الخليج الشرقية والغربية وما يحيط بهما فإنه هناك علــى جانبى الخليج ووراء سواحله هضبتان أو كتلتان من الكتل الصلبة أولاهمـــا هضبــة إيران وهى كتلة من اليابسة ارتفعت إلى أعلا بفعل حركات قشرة الأرض ويحيط بـها من جميع الجهات مجموعة من السلاسل الجبلية ومنها جبال زاجروس التى تتفرع من هضبة أرمينيا ، وتمتد هذه الجبال بجوار الساحل الشرقى وتترك بينهما وبيـــن ميـاه الخليج سهلا ساحليا ضيقا .[٢]

أما الهضبة الثانية فهى هضبة شبه الجزيرة العربية فى الجانب الغربـــى ، وتبدو بجوار الخليج منبسطة عظيمة الاستواء ثم يأخذ مستواها فى الارتفاع التدريجـى كلما بعدت عن الساحل حتى بلغ أعظم ارتفاع لها على بعد ٣٠٠ ميــل فــى منطقــة التكوينات البازلتية والجرانتية فى جبال شمر وفى حافة التكوينات الجبرية فـــى جبــل طريق .

وكانت مياه الخليج تغمر الجزء الشرقى من هذه الهضبة قبل تأثرها بالحركة والألبية ثم ارتفع تحت المياه وتحول إلى أراضى يابسة وحدث بها بعض الالتـــواءات المحدبة الخفيفة . وتمتد هذه الالتواءات إلى الجانب الشرقى مـــن الخليـــج ولقـــد أدى ارتفاع الأراضى فى شبه الجزيرة العربية إلى تكوين المنخفض الذى يشـــغله الخليـــج الآن ويقع فى منطقة ضعيفة لا تقوى على مواجهة الضغوط الناشئة بفعـــل حركـــات القشرة الأرضية ، وكذلك ارتفعت بعض أجزائها إلى أعلا مكونة فاصلا جبليا يمتـــد

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

حاليا إلى الغرب من الخليج مباشرة .[١]

أما الخليج نفسه فقد تقوس إلى أسفل منفصلا عن المحيط الهندى بواسطة جبال عمان التى تعتبر امتدادا لجبال زاجروس ثم حصل انكسارا فى منطقة هرمز وانفصلت جبال عمان وتدفقت مياه المحيط الهندى عبر ما يسمى بمضيق هرمز . ولقد تقوست بعض جهات الطرف العربى إلى أعلى فى ثنيات بسيطة مثل قبة الأحمدى فى الكويت والدمام والبقيع فى السعودية وقبة البحرين وقبة قطر ، كما تقوست جهات أخرى إلى أسفل مكونة مناطق حوضية مثل الدبدبة فى الكويت والعراق والسعودية ومثل الربع الخالى فى جزئه الشرقى بين جبال عمان وقطر .

ومما سبق يمكننا القول أن عملية استقرار الإنسان الأول فى منطقة الخليج كان يرتكز على الأراضى التى انحسرت عنها مياه الخليج والتى تكونت واستقر تكوينها عبر العصور . وكان لابد لهذا الإنسان أن يستقر فى بقايا الأدوية والسهول وهى الأماكن التى نشأت بجوار سفوح الأراضى المتاخمة للشواطئ القديمة . ولهذا السبب أيضا عثر على عدة مواقع أثرية قديمة فى الأقاليم التى تطل على شواطئ الخليج مثل الوركاء واريدو واور عند راس الخليج وفيلكا والبحرين وقطر فى وسط الخليج والمواقع الأخرى مثل ثاج وتاروت وجبيل وباكون وتل ابير على السواحل الشرقية والغربية .[٢]

ويرى د. زايد أنه حوالى سنة ١٠,٠٠٠ ق.م أقام فى منطقة الخليج ثلاث جماعات من البشر : الرافيديين ومنهم جماعات الأوربيين الذين كانوا يقيمون على ساحل مجران وقد اندمجوا مع القادمين الجدد . وثانى هذه الجماعات هم جماعة الساميين الذين استقوا على الشاطئ العربى للخليج . أما الجماعة الثالثة وهى ما تسمى بالسابقين على العيلاميين فقد استقروا فى رأس الخليج .[٣]

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١١٩ .

ويمتاز الشاطئ الشمالى من الخليج بأنه أكثر ازدهارا من غيره وأوفر مياها . ويمتاز الشاطئ الغربى للخليج بكثرة رؤوسه وخلجانه وألسنته وجزره الصغيرة ، ويعتبر الخليج معبرا هاما للتجارة بين أمم العالم القديم ، ومستودعا للثروات منذ العصور القديمة .

مصادر دراسة تاريخ الخليج العربى القديم :

كانت دراسة الجزء الشرقى منش به الجزيرة العربية والخليج العربى فى مراحل عصوره التاريخية مجالا لدراسة عدد قليل من المؤرخين الذين كانوا يعتمدون على مادة تاريخية محددة مثل كتابات بعض المؤرخين والجغرافيين اليونان واللاتين الذين كتبوا عن المنطقة فى الفترة الواقعة بين ٣٠٠ ق.م و ٢٠٠ ميلادية [(١)] ومن أشهر من كتب عن منطقة الخليج العربى والساحل الشرقى لبلاد العرب من الرحالة والجغرافيين :

سترابون : الذى عاش فى نهاية القرن الأول ق.م حتى ٢٤ ميلادية ، وتحدث عن دلمون (تايلوس) وعن جزيرة المنامة وذكر أنها كانت تحتوى على معابد أو هياكل قديمة هى من بقايا معابد الفينيقيين كما جاء عنده ذكر الأسم القديم لـ " رأس الخيمة " .[(٢)]

بلينيوس (أو بلينى) : الذى عاش بين ٢٤- ٧٩ بعد الميلاد . وهو صاحب كتاب التاريخ الطبيعى ، ويتضمن كتابه سبعة وسبعين فصلا . وفى الفصل السادس منه خاصة نجد حديثه عن العرب حيث خصص لهم عدة صفحات ، كما أنه عرض لهم فى مواضع أخرى من الكتاب ، دون أسماء القبائل ومواضع لم يرد لها خبر فى المؤلفات السابقة . وأشار فى كتابه إلى المصادر التى استقى منها معلومات كل فصل

---

(١) د. سليمان سعدون : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، ص ١٣٦ .

(٢) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، ص ٢٩٥ – ٢٩٦ ، ص ٣٨٠ .

من فصول كتابه . فمعارف بلينيوس إذن هى خلاصة ما ورد فى مؤلفات قديمة أو معاصرة كتبت عن العرب ، ومضافا إليها ما أفاده هو من معلومات من أفواه البحار والبحارة الذى جاسوا بحر العرب والخليج .(١)

وما كتبه الجغرافى اليونانى **بطلميوس** عن جزيرة العرب . ولبطلميوس صيت ذائع وشهرة معروفة عند المؤرخين . وهو من رجال القرن الثانى للميلاد (توفى عام ١٤٠ ميلادية) اشتهر عند اليونان وعند الرومان وعند المسلمين . واعتبروه حجة فى علم الجغرافيا فاعتمدوا على كتبه وأوجزوها تارة وفصلوها وشرحوها مرة اخرى ، ولكنهم لم يزيدو شيئا جديدا عليها . ومن أهم ما كتبه بطلميوس كتابين المجسطى ومعناه الترتيب الكبير فى علم الفلك ، وكتاب الجغرافيا . وهما من أشهر كتب بطلميوس وكانا المرجع المهم فى الفلك والجغرافيا عند المؤرخين العرب (٢) .

ولهذا يعتبر كتاب الجغرافيا لبطلميوس من أهم الكتب لمؤرخى تاريخ العرب قبل الإسلام . وذكر بطلميوس أسماء مواضع عديدة فى الصحراء الغربية وأسماء بعض القبائل التى تسكنها .

وأخيرا " **اريانوس** " (الذى توفى عام ١٧٥ ميلادية)(٣) وهو من الكلاسيكيين الذى أشار إلى دلمون " تايلوس " وأرض العمانيين .(٤)

وقد اهتم عدد من المستشرقين ، منهم فورستر ووليم فنست وجلازر وهوفل وأمثالهم بما كتبه الكلاسيكيون عن بلاد العرب ، فأحسنوا وأجادوا فى مواضع

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٣ – ٣٥٤ .

(٣) المرجع السابق ، ٣٠١ .

(٤) عن أسماء المؤرخين اليونان الذين ذكروا العرب أو تاريخهم أما يتعلق بهم ، مرتبة حسب سنى وفاتهم ، راجع : جرجى زيدان: العرب قبل الإسلام ، ص ٢٧ .

واختلفوا وتباينوا فى أماكن ، وحاروا وعجزوا فى أمور لم يزل الباحثون فى حيرة من أمرها حتى اليوم .(١)

وعندما بدأ علماء الآثار يهتمون بالكشوف الأثرية فى عدة أماكن من دول الخليج فى الخمسينات من القرن الحالى ، بدأت تظهر بعض الآثار الهامة التى تجيب عن بعض التساؤلات حول حضارات المنطقة فى عصورها القديمة . وتمكنت البعثات الأجنبية من التنقيب فى أجزاء كبيرة من منطقة الخليج وقد أثبتت الدراسات الأولية لهذه المادة الأثرية أهمية هذا الجزء من الناحية الأثرية والتاريخية ، نتيجة للأبحاث التى قامت بها بعثة علمية دنمركية فى أجزاء مختلفة من الكويت ودولة البحرين وقطر ودولة الإمارات العربية وعمان .

المواقع والمراكز الحضارية القديمة فى منطقة الخليج العربى من أقدم العصور حتى الألف الأولى قبل الميلاد :

- وتتوزع المواقع والمراكز الحضارية فى منطقة الخليج فى أربعة أقسام :

(١) منطقة رأس **الخليج العربى أو المناطق الشمالية** من الخليج وتقتصر على منطقة جنوب بلاد النهرين أثناء الألف الرابعة ق.م . وتشمل المواقع والمراكز الحضارية **الآتية** : العبيد ، الوركاء ، جمدة نصر (وقد تحدثنا عنها سابقا فى تاريخ بلاد النهرين القديم) .

(٢) **منطقة الساحل الشرقى للخليج العربى** وتشمل المواقع الحضارية الآتية : باكون، تل ايجاب ، تل انخودى ، تل اجارح ، تل ايشوغا ، تل كاظمة ، تل مشيغى ، تل سانج سياه ، تل اريجى ، تل ابير .

(٣) **منطقة الساحل الغربى للخليج العربى** وتشمل بعض المواقع الحضارية فى : الكويت ، دولة البحرين ، شرق الجزيرة العربية بين الظهران والدمام وعلى طول الطريق من الاحساء إلى دولة قطر ، دولة الإمارات العربية .

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ – ٢٧٦ .

(٤) بعض المناطق المطلة على جنوب الخليج العربى : عمان .

أولا : - المراكز الحضارية القديمة فى منطقة رأس الخليج العربى : [١]

وهى تقتصر على منطقة جنوب بلاد النهرين وتحدثنا فى تاريخ بلاد النهرين القديم عن حضارة العبيد والوركاء وجمدة نصر وما توصل الإنسان فيهم إلى معارف حقيقية لاستخدام النحاس ويوجود أقدم أمثلة للنحت فى السطوح المستوية ونحت التماثيل . ومن أهم الموضوعات التى أثارت الجدل بين العلماء فى حضارة الوركاء هو العثور على أقدم محاولات للتوصل للكتابة فى هذه الحضارة ، التى يعطى لها العلماء تاريخا من بين ٣٢٠٠ و ٣٠٠٠ ق.م .

ثانيا : - المراكز الحضارية القديمة فى منطقة الساحل الشرقى للخليج العربى : [٢]

أثبتت الأبحاث الجيولوجية ان غيران كانت تمر أثناء العصر الجليدى فى عصر مطير كانت خلاله الوديان العالية مليئة أما السهل الأوسط فكان عبارة عن بحيرات أو بحار داخلية تصب فيها أنهار كثيرة وهى الآن صحراء ملحة . وقد عاشت المنطقة خلال مرحلة يمكن وضعها بين ١٠ آلاف و١٥ ألف عام ق.م . فيما يسمى بعصور ما قبل التاريخ.وفى هذه الفترة

---

(١) عن المراكز الحضارية فى منطقة رأس الخليج العربى والتى ترجع إلى عصور حضارات العبيد والوركاء وجمدة نصر فى بلاد النهرين ، راجع : د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ٤٩ – ٩٨ ، والذى تحدث عن الآثار المادية والبقايا الأثرية التى عثر عليها فى هذه المراكز الحضارية من أوانى فخارية وأوانى حجرية وتماثيل وأدوات وأسلحة وبقايا معمارية ومقابر تبين عاداتهم فى دفن الموتى .

(٢) عن المراكز الحضارية فى منطقة الساحل الشرقى للخليج العربى ، راجع : د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ١٦٦ – ١٨٣ ، وتحدث أيضا عن العناصر الأثرية التى عثر عليها فى هذه المنطقة .

كان يعيش على هذا الساحل الأوسط إنسان عصور ما قبل التاريخ . وكان يسكن في منازل بدائية كما كان يعيش حياة الصيد في البحث عن طعامه . وترك الإنسان مخلفات مادية وفكرية تمثلت في تربيته للماشية وتوصلت للزراعة وصناعة الأواني الفخارية والأدوات الحجرية وتنتمي هذه المخلفات إلى مرحلة العصر الحجري الحديث . واستمر ذلك الإنسان في تقدمه خلال الألف الرابعة ق.م . وقد حاول العلماء البحث عن المواقع المبكرة في هذه المنطقة وتبين أم موقع باكون يحتل مكان الصدارة بين مختلف المواقع الأخرى . ويقع على بعد ٢,٥ كم جنوب بيرسي بوليس القريبة من شيزار في سهول ميرفت داشت . أما المواقع الأخرى فهي : تل إيجاب جنوب شرق باكون ، وتل انخودى بالقرب من نهر بولفار . كما قامت البعثات اليابانية والأوربية في بحث بعض المواقع الأخرى مثل تل اجارح ، تل ايشوعا ، تل مشيغى ، تل سانح سياه ، تل اريجى ، تل ابير .

وتتمثل هذه الآثار الإنسانية فيما تركه إنسان حضارة باكون في موقع باكون والمواقع الأخرى من مخلفات مادية وأهمها الأواني الفخارية والأواني الحجرية والتماثيل والأدوات والأسلحة وغيرها .

ويضم موقع باكون[(١)] والمواقع الثانوية الأخرى العديد من الأواني الفخارية

---

(١) عثر على هذه الحضارة في أربعة مستويات ، وعثر على الفخار في أكثر من عشرين موقعا مختلفا وكان مصنوعا من الطين النقي ، وهو رقيق ومحروق حرقا ومصنوع على دولاب فخار بطئ . ومن أشكاله المتميزة الأطباق وكؤوس مخروطية الشكل ، وتشمل الرسومات تصميمات هندسية معقدة ، واسماك وثعابين وعقارب وطيور مائية ، وغزلان ، وفهود ، ونمور ، وأشكال إنسانية محورة . وقد وصل الفخار الإيراني الملون إلى الذروة في تل باكون . ويمكن تاريخ هذه الحضارة بحوالي ٤٥٠٠ – ٣٥٠٠ ق.م ، راجع د.محمد عبد القادر : إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي ، ص ١٤ – ١٦ .

التى عثر عليها فى الغرف والمخازن وهى كاملة ومتنوعة الأشكال والأحجام . ومنها الأوانى العميقة والعريضة وتتميز هذه الأوانى الفخارية التى عثر عليها فى بـــاكون بزخارفها الجميلة والمتنوعة . وتضم الزخارف أشكالا هندسية وأشـــكالا حيوانيـــة . ويرى ماكون أن هذه الزخارف عبارة عن رموز تدل على تطور فكرى معين .

أما فى المواقع الأخرى مثل إيجاب فقد عثر أوانـــى فخاريـــة ذات قواعـــد مستدير وجوانبها مصقولة . وتأخذ الزخرفة عليـــها أشـكال المثلثـات والمربعـات والمستطيلات غير أن الأشكال الحيوانية والطيور والأشكال الإنســانية نـادرة فـى البداية ، أما فى مرحلة لاحقة فقد أخذت تظهر الأشكال الحيوانية المتمثلة فى المـاعز ذات القرون الطويلة وقامت بالكشف فى هذا الموقع بعثة من جامعـــة طوكيـو فـى اليابان .

أما فى موقع تل انخودى فقد عثر على أوانى فخارية حمراء ورمادية . مـا فى موقع اريجى فتتضمن الزخرفة طيورا وأشكالا حلزونية .

أما عن الأوانى الحجرية فقد عثر على القليل منها فى تل باكون مما يـــدل على أن الإنسان استخدمها فى نطاق ضيق . وعثر على أوانى من الحجر الجـيرى الأبيض والأسود ومن حجر الالباستر وتحمل حزوزا متعرجة عند الرقبة .

أما عن التماثيل فقد على العديد منها فى باكون منها ما يمثـــل الإنســان أو الحيوان وخاصة المرأة ولم يعثر إلا على تمثال واحد يمثل رجلا . ومن بين التمـاثيل التى عثر عليها تماثيل للمعبودة الأم وبالإضافة إلى التماثيل الإنسانية شـــكل إنسـان حضارة باكون تماثيل حيوانية متنوعة من الطين وهى مطلية بطلاء أسود . وقد شكل الإنسان تماثيل للطيور . فقد عثر على نماذج تمثل الدببة والنمور والكلاب والأســود والأغنام .

أما عن الأدوات والأسلحة فقد شكل إنسان حضـــارة بـاكون أدواتـه مـن حجـر الاوبسيديان وقد عثر فى تل أنخودى على أدوات نحاسية ودبابيس تنتمى إلى أواخـر الألف الثالثة ق . م .

أما فى موقع باكون فقد عثر على أدوات تتمثل فى الأسلحة والسكاكين وهى مصنوعة من مادة النحاس . وهذا إلى جانب الأدوات التى كانت تشكل من الطين أو من حجر الاوبسيديان . أما أدوات الزينة فتعتبر نادرة حيث عثر فقط على قلادة من الفيروز . وقد استخدم إنسان حضارة باكون المغازل .وعثر كذلك على مطارق ومحكات ومواد عظيمة وأدوات حجرية مختلفة .

وقد توصل إنسان حضارة باكون التى نشأت على الساحل الشرقى من الخليج العربى إلى بداية الاستقرار وتشييد المساكن واستخدام الأختام ودفن الموتى .

فالأختام تعبر عن الملكية الخاصة وجعل منها وسيلة للتعبير عن فكرة ومعتقدات وذلك برسم النقوش المختلفة على سطوحها . وتضمنت الزخرفة على الأختام أشكالا إنسانية ونباتية . كما قام بتشييد المساكن البسيطة التى تدل على حياة مستقرة ومجتمع منظم . وكانت تلك المساكن فى بداية الأمر متباعدة ومتفرقة ثم أخذ الإنسان فى التقارب وتكوين المجتمعات القروية لذا كان موقع باكون عبارة عن موقع قرية تتألف من مجموعة من المساكن ذات الجدران الطينية . وعثر فى منطقة المساكن على بقايا آثار احتراق وعظام أسماك وكسر من الأوانى . كما عثر على موقد وأعمدة وقرنين متشابهين . ويبدو أن إنسان باكون قد اهتم بتشييد المساكن من الطين على شكل مستطيلات تتقارب من بعضها البعض طلبا للحماية والاستقرار مع بقية أفراد المجتمع . ومما يؤسف له أنه لم يعثر على المعابد التى كان يمارسها فيها ذلك الإنسان طقوسه الدينية ؟

أما بالنسبة لعدم العثور على مقابر لدفن الموتى ، فيشير جهير شمان إلى ان إنسان حضارة إيران قد دفن موتاه في وضع القرفصاء تحت أرضية المساكن .

وكما تقدم إنسان باكون فى صناعة الأوانى الفخارية وركز نشاطه الفنى فى الزخرفة التى تحملها هذه الأوانى نجد انه توصل إلى استخدام أدوات الزينة والمساحيق التى تدل على تطلعه إلى الكماليات فى مجتمع قروى صغير ، وتوصل أيضا إلى إثبات الملكية الشخصية المتمثلة فى الأختام ذات الأشكال المتنوعة . وقد وجد فى هذه الأختام مجالا للتعبير عن فكره الإنسانى فزخرف الأختام بأشكال مختلفة

وبرموز قد يكون لها مغزى لغوى أو بداية للتعبير بالرموز . كذلك تعـــرف إنســان باكون على صناعة الغزل والنسيج كما تدل على ذلــك المغــازل الطينيــة والمــواد والبوص المجدول كالحصير . وقد ظهر كذلك أن إنسان باكون كان لا يزال يمــارس صيد الحيوانات البرية والمتوحشة التى حاول أن يستأنسها بعد أن توصل إلى معرفــة الزراعة .وتبين أيضا أن إنسان باكون قد سعى إلى إقامة المجتمعات القرويــة فشـيد المساكن متقاربة وإن كانت تبدو رديئة التخطيط كما استخدم أرضيات منازلــه لدفــن موتاه .

ثالثا - المراكز الحضارية القديمة فى منطقة الساحل الغربى للخليج العربى :[1]

قبل التعرض لدراسة المراكز والمواقع الحضارية فى القسم الغربــى مــن الخليج والتى ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ تجدر الإشارة إلــى بعـض الجـهود الفردية والجماعية التى حاولت الكشف عن آثار المنطقة ودراسة تاريخها القديم .

ففى الربع الأخير من القرن التاسع عشر قام الكابتن ديوراند بفتــح إحـدى المقابر على هينة تل وهى واحدة من آلاف غيرها موجودة على أرض البحرين كذلــك قام تيودوربنت بالكشف عن بعض المقابر على مقربة من واحة عالى فى البحريــن . وفى مطلع القرن العشرين قام بريدو بفتح ٦٧ تلا من تلال البحرين .

وفى ربيع عام ١٩٢١ بدأ جيزمان رحلته حول الخليج العربى أنهاها بزيــارة طويلة لتلال البحرين وقد تمكن أثناء رحلته من اكتشاف إطلال جبــل سـلوى إلــى الجنوب من شبه جزيرة قطر . وفى أواخر عام ١٩٥٣ أرسل متحف آثار عصور مـا قبل التاريخ فى أرهوس بالدنمارك بعثة علمية إلى البحرين برئاسة جلــوب وجفـرى وبدأت بالكشف عن المواقع كما عثرت على أطلال معبد باربار والتلال الممتدة علــى مساحات واسعة [2] . وامتد نشاط هذه البعثة إلى دولة قطر حيث كشفت عـن مواقـع

---

(١) عن المراكز الحضارية فى منطقة الساحل الغربى للخليج العربــى ، راجــع د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ١٠١ – ١٦٦ .

(٢) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٨٨ – ٨٩ .

اثرية واثار تمثل حضارة العصر الحجرى .

وذهبت بعد ذلك إلى دولة الكويت حيث عثرت هناك على الات حجرية تنتمى إلى عصور ما قبل التاريخ وخاصة العصر الحجرى القديم .كما كشفت عن معابد جزيرة فيلكا وأخيرا امتد نشاط البعثة الدنمركية إلى شرق الجزيرة العربية . مما يؤسف له إن هذه البعثة العلمية لم تستكمل نشر نتائج أبحاثها إلا فى أضيق المجالات علما بأنها ظلت تعمل فى المنطقة فترة طويلة .

وهناك تلال كثيرة فى منطقة الخليج تنتظر الأيدى المخلصة التى تبحث عن اثار وحضارة إنسان تلك المنطقة .

المواقع الحضارية القديمة فى دولة الكويت :[١]

تنتشر المواقع الحضارية فى دولة الكويت فى الجزر وفى الأراضى الداخلية ولقد تبين من الكشوف الأثرية وجود آثار تنتمى إلى عور ما قبل التاريخ والعصر اليونانى . وقامت البعثة الدنمركية بأعمال التنقيب فى جزيرة فيلكا من عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٠ وقد قامت بعثة كويتيه برئاسة د. رشيد الناضروى بفحص موقع الصليبيخات فى بداية عام وتبين أنه يضم العديد من الأدوات الحجرية الظرانية المتمثلة فى الشظايا ذات الوجهين وهى تنتمى إلى حضارة العصر الحجرى القديم الأوسط . وكذلك عثر فى موقع تل كاظمة على باقيا أصداف بحرية ونباتية متحجرة كما عثر على مواقع أخرى من الفترة نفسها فى وارة والبلقان وجليعة العبيد وجزيرة أم النمل وجزيرة عكاز [٢] .ومن أهم المواقع الأثرية فى دولة الكويت جزيرة فيلكا التى تضم بعض التلال الأثرية الهامة مثل " تل سعد وتل سعيد وتل الخزنة ومنطقة

---

(١) عن المواقع الحضارية فى الكويت ، راجع د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ١٠٣ – ١١١ ؛ د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢ ،ص ١٤٤ (ب) .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٩٢ .

اثار الخضر . وقد أرخت البعثة الدنمركية فى عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ الفخار الذى عثرت عليه فى تل سعد من العصر النحاسى (أى حوالى عام ٣٥٠٠ ق.م) ، أما تل سعيد ، فقد أرخته بالعصر اليونانى .[١]

موقع فيلكا :

تقع جزيرة فيلكا إلى الشرق من مدينة الكويت بحوالى ثلاثين كيلو مترا . ويبلغ طول الجزيرة ١٢ كيلو مترا ولا يزيد أقصى عرض لها عن ستة كيلو مترات .

وكان لموقع الجزيرة الجغرافى أثره الكبير فى التبادل التجارى البحرى بين منطقة جنوب بلاد النهرين وبين المراكز الحضارية فى منطقة الخليج . ولقد توفر للإنسان القاطن فى هذه الجزيرة جميع الأسباب التى تساعد على قيام حضارة إنسانية لها طابعها المحلى . وكانت جزيرة فيلكا من أولى المحطات الحضارية التى كانت تتوقف عندها القوافل البحرية فى طريقها من أور إلى جنوب الخليج أو إلى وادى السند أو إلى شرق أفريقيا . وقامت البعثة الدنمركية بأهم اكتشافات لها فى الموقع فى عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ فى تل سعد وتل سعيد وعثرت على كسر من الفخار يرجع تاريخها إلى منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد ، كما عثرت فى موسم عام ١٩٦٠ على رأس تمثال صغير يونانى وعملات فضية ، ومن أهم ما اكتشف عنه البعثة فى هذا العام حجر يقال له حجر ايكاروس يبلغ طوله ١١٦,٥ سم وعرضه ٦٢ سم . وعليه نقوش يونانية بلغت ثلاثة وأربعين سطرا . وهى تتحدث عن ان حاكم ايكاروس (وهى فيلكا) يطلب من أهالى الجزيرة العناية بمعبد المعبودة المخلصة ربما المعبودة ارتميس ، وهى معبودة العبيد ومعبودة القمر ، كما يطلب من أهالى ايكاروس العناية بمعبد مثرا (معبود الشمس) كما يرغب من أهل الجزيرة أن يعتنوا بالجزيرة فيفلحوا أرضها حتى تكثر الغزلان فيها .[٢]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١٣٠ – ١٣١ .

الدنمارك بعثة علمية إلى البحرين برئاسة جلوب وجفرى واستمرت البعثة فى أعمالها حتى عام ١٩٧٠ ، ثم تولت وزارة التربية فى البحرين مسئولية الاستمرار والتوسع فى التنقيبات والأبحاث العلمية . ودلت الحفائر على أنه هناك طبقات فى البحرين يرجع تاريخها إلى العصور الحجرية والبرونزية . ودلت الأبحاث على ان منطقة البحرين كانت مأهولة بالسكان فى العصر الجليدى الأخير الذى عرفته أوربا . أما أهم الاكتشافات الأثرية فقد تمت على أيدى الباحثين الدنمركيين حيث عثروا على أطلال معبد باربار وتلال جنائزية متعددة تعود إلى العصر البرونزى وأوانى فخارية فى تل راس القلعة وهى المنطقة التى حوت أقدم محلة سكنية ترجع إلى الألف السادسة ق.م [1] وظلت مأهولة حتى أوائل العصر المسيحى . وقد كشفت البعثة الدنمركية عن بقايا آثار ست مدن تقع حول تل راس القلعة منها المدينة الأولى التى تؤرخ بحوالى ٢٨٠٠ ق.م .[2]

وقد لعبت البحرين دورا رئيسيا فى عصور ما قبل التاريخ ، وتتمثل آثار عصور ما قبل التاريخ فى الأوانى الفخارية والأوانى الحجرية والأدوات المختلفة والأسلحة والتماثيل الإنسانية والحيوانية . وتمتاز معظم المواقع الأثرية بالعديد من هذه المخلفات وتحدد الفترة الزمنية لهذه المخلفات بالألف الثالثة ق.م وتعرف باسم حضارة باربار نسبة إلى موقع باربار .كما عثر على أدوات من حجر الصوان ورؤوس حراب مقطوعة بمهارة ومشذبة ومطروقة وهى من طراز شائع فى المراحل الأخيرة من العصر الحجرى القديم . وتدل هذه الأدوات من حجر الصوان على أن سكان البحرين كانوا يستخدمونها فى الصيد وفى تقطيع لحوم الفرائس .كما أنها تشبه مثيلاتها فى شمال بلاد النهرين وفلسطين وشمال غرب الهند .[3]

فقد عثر على بعض الكسر الفخارية فى موقع تل رأس القلعة تتميز بالجدران الخفية وكذلك عثر فى موقع رأس القلعة على أوانى فخارية استخدمت

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

كدافن . كما عثر على كسر من أوانى فخارية ملونة تنتمى إلى الألف الثالثة ق.م .

أما فى موقع باربار فقد عثر على العديد من الكسر الفخارية المطلية الناعمة وتحمل أشكالا هندسية باللون الأسود على أرضية حمراء ، وتمتاز بأنها متجانسة .

وفى موقع ديراز عثر على ثلاثين قطعة فخارية فريدة وتمتاز بلونها الأحمر وخصوصها المتوازنة الأفقية وربما ينتمى هذا النوع من الفخار إلى الألف الثالثة ق.م.

أما موقع الحجر فهو أحدث المواقع التى تم التنقيب فيها . ولقد عثر على مجموعة كبيرة من الأوانى الفخارية التى تتميز بزخرفتها بالحزوز الأفقية ، بعضها يغطى سطح الآنية والبعض يقتصر على العنق أو الأطراف .

ومن المعتقد أن جميع الأوانى التى عثر عليها مصنوعة من الطين المحلى ، أما فى موقع سار فقد عثر على آنية واحدة ذات قاعدة مستدير ، وذلك فى سلسلة التلال المنتشرة فى الموقع .

ومما سبق يتبين أن الأوانى الفخارية التى عثر عليها فى المواقع المختلفة فى البحرين تمثل طرازا معينا من الصناعة المحلية وتتميز الأوانى بانها متسعة عند البطن أى فى الوسط وذات رقاب ضيقة ، وبعض هذه الأوانى مستدير الشكل وحمراء اللون ومغطاة أحيانا ، وتنتمى جميع الأوانى الفخارية إلى الفترة ما بين ٣٠٠٠ ، ٢٠٠٠ ق.م ، وتسمى هذه الفترة بعصر حضارة باربار .

واستخدم الإنسان حضارة باربار فى البحرين الأوانى المصنوعة من مختلف الأحجام كالرخام والاستيتايت والالباستر . ولقد ثبت أن ذلك الإنسان قد استخدم حجر الاستيتايت فى فترة تؤرخ بحوالى ٢٨٠٠ ق.م ولا يوجد حجر الاستيايت على أرض البحرين ولا شك فى أنه جلب من أماكن متعددة كمادة خام ، وتعتبر مرتفعات إيران وعمان مصدرا هاما لهذا الحجر .

على ان الدراسات العلمية لا تزال فى أطوارهــا الأولــى كمــا ان نتــائج الأبحاث والحفائر لم يستكمل نشرها . وعلى هذا يصعــب علــى البــاحثين تحديــد المراحل الحضارية والأطوار التاريخية المقارنة التى مرت بها المنطقة ، وخاصــة وان الآثار المعمارية المنتمية إلى العصور البرونزية فى فيلكا تتداخل تداخلا كبيرا .

ومن ذلك يتضح أن المواقع الحضارية ، وخاصة تلك التــى فــى فيلكــا ، متعددة وأنه من المنتظر الكشف عنها بعد استكمال إجراء التنقيبات الأثرية وبناء على ذلك يتجه الدارس إلى التركيز بصفة خاصة على موقعين رئيسيين فى جزيرة فيلكــا وذلك بعد تقسيمها إلى عدة مواقع وهما **فيلكا ٣ وفيلكا ٦** . ومن أهم المخلفات الأثرية فى المواقع ف٣ : أوانى فخارية ترجع إلى الألف الثالثة ق.م وأوانى حجرية زخارف ورسومات . كذلك عثر على العديد من الأدوات والخرز بالإضافة إلى مجموعة مــن الحراب البرونزية ، وبالإضافة إلى ذلك هناك بعض الآثار المعمارية المتعلقة بصفــة خاصة بالمساكن والمواقد المشيدة أى الفران ، فقد عثر على أفران مبنية من الطيــن والحجر داخل إحدى الغرف .

كما عثر على أختام مستديرة الشكل ، كما عثر أيضا على أختام أســطوانية محلية الصنع . تتميز أختام جزيرة فيلكا بالخطوط والحلقات والأشكال المختلفة .

ومن الملاحظ على أختام فيلكا الدائرية أنها تحمل رمزا يتكرر فى العديــد منها وهذا الرمز عبارة عن إطار فوق قــاعدة مربعــة تحمــل خطوطــا مســتقيمة ومتقاطعة ، وهناك ختم دائرى فى متحف الكويت يحمل نقوشا قد ترمز إلــى قصــة الخلق الأولى ، فعلى هذا الختم يظهر شخصان فى داخل إطار يتعبدان أمام شجرة أو ربما يحاولان قطف ثمار الشجرة . كذلك عثر على أختام دائرية تحمل شكلا لســفينة وشكلا يمثل بناء معبد . وعثر على أختام مناظر صراع الإنســان مــع الحيوانــات والزواحف . وقامت اديث بورادا بدراسة أختام جزيرة فيلكا والبحرين ومقارنة هــذه الأختام بأختام بلاد الرافدين وسوريا وخرجت بنتيجة التشابه الكامل بين هذه الأختــام من ناحية التعبير والرسومات الغريبة .

أما عن المخلفات الأثرية في الموقع ف٦ ، فتتمثل هذه الآثار في الأواني الفخارية والأواني الحجرية والأدوات والأسلحة ولقد اتضح من دراسة هذه الآثار وأنها تنتمي إلى الألف الثالثة ق.م . وقد عثر في موقع ف٦ على مخازن للأواني الفخارية . وعثر أيضا على العديد من الجرار المختلفة الأحجام والأشكال ، منها جرة بيضاوية الشكل يبلغ ارتفاعها نحو ٨٥ سم وتنتمي إلى النصف الأول من الألف الثالثة ق.م .[١]

وفي مجال العمارة تم الكشف عن آثار سكنية يرجح أنها من آثار قرية كانت موجودة في هذا الموقع خلال الألف الثالثة ق.م ويتعبر موقع ف٦ أغنى من ف٣ ، فهو يضم العديد من المباني السكانية . كما عثر على العديد من الأختام الدائرية كما عثر على القليل من الأختام الإسطوانية . وتتميز الأختام الدائرية بأشكالها الخاصة ، فبعضها يحمل أشكالا إنسانية وأشكالا حيوانية ونباتية . ويبين وجه أحد الأختام ، رسم السماء وما فيها من نجوم وكواكب . ومن المحتمل أن هذا المنظر يمثل الأبراج السماوية التي تعرف عليها إنسان منطقة الخليج . وتجدر الإشارة هنا إلى وجود نوع من الاتصال الحضاري بين منطقة فيلكا وإنسان حضارة جمدة نصر . كما عثر على أختام إسطوانية خاصة بنمط بلاد النهرين وأختام تنتمي إلى حضارة وادي السند .[٢]

المواقع الحضارية القديمة في دولة البحرين :[٣]

في أواخر عام ١٩٥٣ أرسل متحف آثار ما قبل التاريخ في ارهوس في

---

(١) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) د. سليمان سعدون : منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد ، ص ٣٠ .

(٣) د. سليمان سعدون : منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، ص ١١٢ – ١٣٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٣ (أ) .

ومن بين الأوانى الحجرية التى عثر عليها فى موقع الحجر آنية من الرخام ذات قاعدة مستديرة ومجموعة من الأوانى المصنوعة من حجر الاستيتايت بعضها مزخرف بخطوط عمودية وبعضها بمثلثات ودوائر بها عدة نقط .

أما فى موقع باربار فقد عثر على العديد من الكسر التى تمثل أوانى مختلفة كما عثر على أوانى من حجر الاستيتايت . وتؤرخ هذه الأوانى من منتصف الألف الثالثة ق.م .

عبر إنسان حضارة باربار فى البحرين عن مفاهيم وأفكار إنسانية وذلك بصنع ونحت التماثيل . وفى موقع ديراز عثر على تمثالين من الحجر الجيرى يمثلان حيوانين . ويدل هذان التمثالان على صناعة متفوقة فى فن النحت . أما فى موقع باربار فقد عثر فى أحد المعابد على تمثال من النحاس يمثل رجلا يقف على قاعدة منحوتة ويبلغ ارتفاع هذا التمثال ١١ سم ويشبه هذا التماثيل النحاسية التى عثر عليها فى سوس فى غيران وهى تؤرخ بمنتصف الألف الثالثة ق.م . وكذلك عثر فى موقع باربار على تمثال لطائر من النحاس . وعثر على تمثال آخر يمثل ثورا من مادة التركوتا من مادة البرونز ويمثل رأس ثور وبالإضافة إلى هذه التماثيل فقد عثر فى الموقع نفسه على طراز فريد من النحت يتمثل فى مقبض مرآة على هيئة إنسان . ويؤرخ هذا المقبض من النصف الثانى من الألف الثالثة ق.م . وفى موقع رأس القلعة عثر على تمثال لامرأة واقفة .

أما عن الأسلحة والحلى والأدوات ، فقد عثر فى موقع الحجر على بعض الرقائق الذهبية ذات الأشكال المختلفة وهى مثقوبة من الطرفين مما يدل على أنها كانت متصلة بقطع أخرى لتكون حلية . وعثر كذلك على مجموعة من الخرز من ضمنها أصناف من العقيق وحجر اللازورد وعلى أدوات مصنوعة من البرونز منها خناجر . أما فى موقع باربار فقد عثر على العديد من القطع الصغيرة من النحاس والبرونز . كما عثر في موقع القلعة على كسر من الخرز ومساحيق للتجميل وكتل من المواد المطلية باللون الأحمر .

أهتم الإنسان فى البحرين بفن العمارة ، وتضم المواقع الأثرية فى البحرين العديد من بقايا المعابد والمساكن . ولكن أعمال الحفائر تركزت فى موقعى راس القلعة وباربار ، ففى أطراف البحرين يوجد العاصمة القديمة التى ترجع إلى منتصف الألف الثالثة ق.م . والمعاصرة لأقدم حضارات فى وادى السند . وعثر فى تل باربار على أقدم المعابد المعروفة فى البحرين . ويضم تل باربار ثلاث مراحل حضارية فى عملية بناء المعابد .

وتتركز الحفائر فى موقع راس القلعة حول مواقع الاستقرار الأولى للإنسان ومناطق سكناه وهى الموقع التى تمثل عصور ما قبل التاريخ فى البحرين .

وهكذا يتمثل الفن المعمارى فى منطقة البحرين فى تشييد المدن الخاصة بسكنى الأحياء وتشييد المعابد التى تقام فيها الطقوس الدينية المختلفة ، ولقد استخدم إنسان منطقة البحرين الأحجار المحلية فى تشييد معابده ومدنه غير أنه مما يلفت النظر انه عرف استخدام حجر الديوريت .

وتتميز البحرين بتواجد العديد من التلال الجنائزية المنتشرة فى جميع أنحاء الجزيرة . ويضم التل الجنائزى حجرة او اكثر مشيدة من الحجارة ، وتمثل كل حجرة مقبرة لشخص واحد على ما يبدو .وقد عثر على نحو مائة من هذه المقابر ولم يعثر فى أى من هذه المقابر على ما يدل على ترتيبها واستخدامها ووضع المتوفى فيها . غير انه عثر فى مقبرتين على هياكل عظيمة لم تتعرض لنهب أو التخريب . وتبين من دراسة هذين القبرين أن جسم المتوفى كان يوضع على جانبه الأيمن ورأسه متجه إلى الشرق وساقيه فى وضع ممد وهذا الوضع شبيه بوضع المتوفى فى بلاد ما بين النهرين فى الألف الثالثة ق.م .

كما عثر فى موقع رأس القلعة ومعابد باربار على أختام من الأحجار عليها نقوش تمثل أشكال بشرية وطيور .

المواقع الحضارية القديمة فى شرق الجزيرة العربية :(١)

كان الجزء الشرقى من بلاد العرب والخليج العربى فى مراحل عصور ما قبل التاريخ مجالا للبحث والدراسة من جانب عدد قليل من الباحثين . ومن أهم هذه المواقع :

- ثاج :

تقع ثاج على بعد ١٥٠ ميلا من الظهران . وقامت بعثة دنمركية بالبحث فى موقع ثاج فعثرت على مجموعة كبيرة من كسر الفخار المتناثرة على السطح كما عثرت على كسر التماثيل الطينية . كما عثرت على كسر أوانى من حجر الاستيتايت وحجر الألباستر . ومن أهم الاكتشافات كسرة من آنية كبيرة من حجر الألباستر يبلغ ارتفاعها نحو ١٤ سم .

وقد لعبت دورا حضاريا عندما كانت ملتقى طريق القوافل بين شرقى الجزيرة العربية وغربها وشمالها وجنوبها ، وأسفرت نتائج المسح الأثرى الذى قامت به البعثة الدنمركية فى مطلع سنة ١٩٦٨ عن أهمية هذا الموقع . وأهم من زارها من الباحثين الأوربيين والرحالة وليم شكسبير سنة ١٩١١ وعثر على نقشين بالمسند الحسائى ، والكولونيل ديكسون عام ١٩٤٢ ومندفيل عام ١٩٥٨ وعثر فيها على تسعة نقوش ، وبول لاب سنة ١٩٦٣ .(٢)

- تاروت :

بالقرب من القطيف وعثرت البعثة الدنمركية فى هذا الموقع على فخار ينتمى إلى عصر حضارة العبيد . ولقد أدى اكتشاف فخار العبيد فى موقع تاروت إلى

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ١٣٦ – ١٤٢ .

(٢) أحمد شرف الدين : المدن والأماكن الأثرية فى شمال وجنوب الجزيرة العربية ، ص ٥٣ – ٥٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٦ – ١٤٧ (جـ) .

المزيد من الحفائر والتنقيبات . وتم تسجيل ١٥ موقعا تضم العديد من الكسر الفخارية الملونة . وعثر فى تاروت على عدة نقوش بالخط المسند السبئى الحسائى ويوجد العديد منها فى المتحف الوطنى بالرياض ، ويرجع بعضها إلى القرن الخامس قبل الميلاد .

وقام البرت جام بدراسة عدد من هذه النقوش عام ١٩٦٨ وهو الذى أطلق عليها اسم السبئية الحسائية ، وأجرى الأثرى الشهير بيبى تنقيبا أثريا فى تاروت وأصدر كتابا عن نتائج هذه الحفائر عام ١٩٧١ . ومن هذه النقوش أيضا النقش الذى نشره الأستاذ حمد الجاسر فى الجزء الأول من المعجم الجغرافى للمنطقة الشرقية من المملكة ويحتوى النص على المعنى الآتى :

" هذا ضريح أو سهن التّ بن سواد بن لسنت من أسرة يدع اب زعيم شونب " .[1]

- جرهاء :

تقع على بعد ١٥ ميلا شمال شرق ميناء العقير . وعثرت فيها البعثة الدنمركية على رأس سهم من حجر الصوان وراسى سهمين من البرونز على شكل أوراق الشجر يبلغ طولهما نحو ٥ سم والعديد من الخرز المصنوع من مادة العقيق كما عثروا على خرز من العظم والعديد من الكسر الفخارية.

- الظهران :

تعتبر الظهران من اهم المواقع فى هذه المنطقة . وعثر فيها على مدافن من العصر البرونزى وتحيط بهذه المدافن دائرة من الاستحكامات الترابية . وهى أشبه بمدينة للموتى . ويرى كورنوول أن أصحاب هذه المدافن هم الدلمونيون الذين كانوا يحكمون الأحساء والبحرين .

- جبيل :

تقع على بعد ٦٠ ميلا عن الظهران شمالا . وقد قامت البعثة الدنمركية

---

(١) أحمد شرف الدين : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

بدراسة هذا الموقع حيث عثرت على طبقة سطحية تغطيها الرمال كما عثرت علــى كتل كبيرة من الأحجار ونقوش لحيوانات ومصائد اسماك وأشكال هندســية تغطــى المنحدرات العلوية .

المواقع الحضارية القديمة فى دولة قطر :[١]

تعتبر دولة قطر من أهم مناطق الخليــج العربــى مــن الناحيــة الأثريــة والتاريخية حيث تتمثل فيها أقدم الحضارات البشرية التى تم الكشف عنها فى المنطقــة حتى الآن [٢] . ولقد أهتم الباحثون الأجانب بالمواقع الحضارية فى قطر وقامت بعثــة دنمركية فى البحث عن آثار المنطقة من عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٠ وتــم تحديــد حوالى ٢٠٠ موقع أثرى تنتمى إلى مراحله عصور ما قبل التاريخ منها حوالــى ١٣١ موقعا ترجع إلى العصر الحجرى .[٣]

وتتمثل هذه الآثار فى الأداوت الحجرية ، ولقد عثر عند الســاحل الغربــى قرب راس عوينات على شظايا مصقولة تنتمى إلى عصور ما قبل التاريخ، وكذلــك عثر على أعداد من الأحجار قرب الطرف الجنوبى من جبل الجساسية وقرب عقلــة المناصير والهملة . وقرب الساحل ورؤوس السهام ذات النصال الصغيرة مع بــروز أحد جوانبها الأمامية .

وقامت البعثة الدنمركية من تسجيل اثنى عشر موقعا حول الوسيل . ولقــد اختارت البعثة حوالى ٦٨ موقعا خاصا بحضارات العصر الحجرى .

وقد قسمت هذه المواقع إلى أربع مجموعات حضارية :

(١) المجموعة الأولى (حضارة أ) : وهى تمثل حضارة العصر الحجرى القديم .

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ١٤٣ – ١٥٤ ؛ د. عبد العزيــز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٥ (جـ) .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٠

وتضم مواقع الهضاب الصخرية أو على طول سفوح قمم تلك الجبال وعثر في هذه المناطق على أدوات وشظايا صوانية وفؤوس يدوية وأزاميل خشنة ونماذج على شكل سكاكين .

(٢) المجموعة الثانية (حضارة ب) : وهى تمثل حضارة العصر الحجرى الأوسط.

وتضم مواقع الصخور المنخفضة الملاصقة للشريط الساحلي ويدخل ضمن هذه المواقع موقع يعرف باسم أم طاقة . وعثر في هذه المواقع على رؤوس للسهام ذات الألسن الحادة . وكذلك على عدد كبير من الأدوات الظرانية .

(٣) المجموعة الثالثة (حضارة جـ) : وهى تمثل حضارة العصر الحجرى الأوسط أيضا .

وتضم مواقع رأس عوينات على ودخان وجليلة والجبيب ونخش وتعرف هذه الحضارة بأنها حضارة مقاشط أو محكات ، ولقد استخدم الإنسان الظران في أشكال متفاوتة كما صنع العديد من الأدوات الحجرية كالمخارز والكتل الحجرية الصغيرة التي تسمى الكرات الصوانية . ومن المحتمل أن هذه الكرات قد استخدمت كالات قذف أو أسلحة رمي .

(٤) المجموعة الرابعة (حضارة د) : وهى تمثل العصر الحجرى الحديث .(أواخر الألف السادسة ق.م) .

وتضم مواقع هذه الحضارة المساحات الرملية المنبسطة قرب الساحل ومن هذه المواقع دخان . وتتميز هذه الحضارة بالشظايا المضغوطة .وهى تتميز أيضا بصناعة الرقائق أو الشظايا ذات الأشكال العجيبة وفيها يظهر لأول مرة الفأس اليدوى وتختفي المقاشط أو المحكات . كما تتميز الأدوات المنتمية إلى هذه المجموعة بمظهرها الجميل وصناعتها الجيدة أما رؤوس السهام فمتنوعة الأشكال والأحجام . كما عثر على العديد من الأدوات الخاصة كالسكاكين والأزاميل .

وتدل هذه الآثار على ان العصر الحجرى لابد وأنه قد امتد لفترة طويلة في المنطقة وأن إنسان حضارات قطر القديمة قد استغل البيئة الصحراوية واستخرج

المواد الخام اللازمة منها لصناعة الأدوات الحجرية . ففى هـــذه المنطقـــة يتواجـــد الصوان وأحيانا الكوارتز وأحيانا الأحجار الخضراء الجميلة .

وتختلف المادة الخام فى جودتها فهناك الأحجار الأسفنجية الخشنة والقصـيرة وهناك أحجار ممتازة ذات حبيبات جميلة متجانسة تصنـــع منـــها الأسـلحة ورؤوس السهام الدقيقة أو المخارز على أن البعثة الدنمركيـــة قـــامت بفحـــص بقايـــا الأدوات الحجرية والشظايا ، بطريقة كربون ١٤ ، ووجدت أن تاريخ هذه العينات إنما يرجـــع إلى حوالى عام ٥٠٢٠ + ١٣٠ ق.م .[١]

مواقع وأماكن نقوش أخرى :

تم العثور على نحو خمسين تلا فى الشمال الغربى من شبه الجزيرة . وثبت من البحث أن بعض هذه التلال كانت أماكن تحاط المدافن الحجرية التى تتجـــه مـــن الشمال إلى الجنوب ويبلغ قطر المدافن الخمسين نحو عشرة أمتار وترتفع نحو مـــتر واحد .

وقامت البعثة الدنمركية بالكشف عن مقابر أخرى فى قطر وفـــى أم المـــاء وفى الشمال وفى أم صلال بالقرب من راس اباروك شمالى شرقى دخان . ولقد عـثر على قبر يضم هيكلين وعددا من رؤوس السهام الحديدية .

أما بالنسبة إلى النقوش التى قام الإنسان القطرى بنقشـــها علـــى الصخـــور فتتمثل فى الاكتشافات التى تمت على أيدى الباحثين الدنمركيين . فلقـــد عـــثر علـــى نقوش فوق منحدرات الصخور فى أقصى الشمال الشرقى من شبه الجزيرة . وكذلـــك عثر على صفوف وكتل متجمعة اصطلح على تسميتها " علامات أوانى " كما عـــــثر على عدد كبير من النقوش على الصخر فى المنطقة نفسها عند الجساسية ومن هــــذه النقوش ما يمثل سفنا مختلفة الأشكال وتوجد بعض النقوش ذات الشكل البيضاوى .

وقد عثرت البعثة الدنمركية على هذه الآثار عام ١٩٥٦ ، ولم يبدأ تســـجيل

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٩١ .

هذه النقوش بانتظام إلا فى عام ١٩٧٤ .

ونجد مثل هذه النقوش فى مواقع أخرى من منطقة الجميلية وسميسمة وفريجة والوكره وفويرط . وقام العديد من العلماء بتسجيل هذه النقوش الوكرة (جلوب عام ١٩٥٩) فويرط (دى كاردى عام ١٩٧٨) الفريجة (جلوب عام ١٩٧٥ ودى كاردى عام ١٩٧٨؛ ودنيس هوكنز عام ١٩٨٤) الجميلية (عفيفى ١٩٨١) .

وفى جميع الحالات كان الإنسان القطرى القديم يقوم بنقش هذه الأشكال صفوف زوجية أو متجمعة على شكل أزهار حول منخفض أكبر . وهنا تظهر ما سمى باسم " علامات الأوانى " Cup marks . ويرى بعض الباحثين ان هذا الإنسان كان يعبر فى نقوشه هذه عن فكرة دينية كان يفكر فيها .

مما سبق يتبين أن دولة قطر تمثل حضارات العصر الحجرى القديم والأوسط والحديث وأن هذه المنطقة لازالت بحاجة إلى المزيد من التنقيبات والحفريات الأثرية التى لاشك فى أنها ستلقى الضوء على حضارات وتاريخ المنطقة فى عصورها القديمة . وتجدر الإشارة هنا إلى أن قلة المصادر المتعلقة بموضوع حضارة المنطقة وتاريخها لا تمكن الباحث فى الوقت الحالى من توضيح هذا التراث الإنسانى الخاص بالمنطقة .

المواقع الحضارية القديمة فى دولة الإمارات العربية :(١)

تركزت أعمال البعثة الدنمركية فى إمارة أبو ظبى ورأس الخيمة ووادى الباطنة أما جزيرة أم النار ، فتعتبر من أهم المواقع التى أعطيت نتائج علمية غاية فى الأهمية وذلك أنها كانت تضم العديد من المدافن الغنية بأثاثها الجنائزى المتضمن للأوانى الفخارية والأوانى الحجرية والأسلحة البرونزية وأدوات الزينة .

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ١٥٥ – ١٦٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٥ (د) .

ويعتبر فخار موقع أم النار من أجود أنواع الفخار لأنه صنع بواسطة عجلة الفخار وكانت مادته من الطين الناعم . ويتراوح ارتفاع الآنية الصغيرة من ١٠ – ١٢ سم وتأخذ الأوانى الفخارية شكلا كرويا او شكل زهرة بجسم مخروطي . وكان لهذه الأوانى قواعد عريضة .

وتقتصر الزخارف على الجزء العلوى من الآنية . وأحيانا تغطى الآنية كلها . وتتألف هذه الزخارف من خطوط تطلى بلون أسود على أرضية رمادية اللون وأحيانا تطلى بلون غامق على أرضية حمراء ، وتأخذ الخطوط أشكالا منها المائل أو شبه الدائرى أو المثلث او قد تكون فى صفوف .

أما بالنسبة للمرحلة الزمنية التى ينتمى إليها هذا الفخار فهى الألف الثالثة ق.م ، وذلك لتشابه هذا النوع من الفخار مع فخار حضارة كولى فى جنوب بلوخستان فى وادى السند ، خاصة فيما يتعلق بالشكل والزخرفة .

وفى المناطق الداخلية فى دولة الإمارات توجد بعض المواقع الهامة التى تم التنقيب فيها . ومن هذه المواقع واحة البريمى ومنطقة العين . وقامت البعثة الدنمركية بالبحث فى بناء دائرى على بعد ميل شرقى قريى هيلى التى تقع شمال البريمى [١] ولقد تبين من البحث والدراسة أن هذا البناء هو مدفن شبيه بمدافن موقع أم النار ، وقد عثر فى هذا الموقع على العديد من الكسر الفخارية التى يحمل معظمها اللون الأحمر بزخارف هندسية على أرضية سوداء . ويتشابه فى الشكل مع فخار أم النار . ويتميز فخار هيلى بأنه من النوع الخفيف وهو مطلى باللون الأسود . ولقد عثر أيضا فى موقع هيلى على أسلحة برونزية من المحتمل لأنها كانت تدفن مع المتوفى . وإلى جنوب غرب هيلى عثر على تل يضم كسرا فخارية من النوع نفسه الذى عثر عليه فى موقع دبا . وفى المنطقة الشمالية من راس الخيمة ، قرب رأس شعم عثر على منطقة سكنية على سفوح التلال غير أنه لم يعثر على أوانى فخارية ولكن عثر على

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

نقوش صخرية فى الوادى . وفى وادى حجيل عثر على آنيـــة فخاريـــة ذات قـــاعدة مستديرة . أما فى موقع دبا فقد عثر على كمية كبيرة من الكسر الفخارية وكسر مـــن أوانى من الاستيتاتي . ويتميز الفخار بأنه مطلى ومزخرف بأنماط هندســـية ســـوداء على أرضية حمراء . وعثر أيضا على رؤوس سهام برونزية ذات شكل يشبه ورقـــة الشجر .

أما بالنسبة **للمساكن** فقد عثر فى أم النار على تـــل يضـــم بقايـــا منـــاطق للاستقرار وعثر على بقايا عظام حيوانية معظمها لحيوان بقر البحر وبعضها عظـــام سلاحف بحريه وعظام حوت . وفى منطقة المساكن بعض الأبنيـــة كـــانت تســـتخدم كمدافن .

أما بالنسبة **للنقوش** فقد عثر على العديد منها وذلك على الصخـــور وفـــى مداخل الوديان . ففى موقع أم النار عثر على كتلتين من الحجـــر تحمـــلان أشـــكالا حيوانية فى شكل بارز فالأولى تمثل رسم ثور أما الأخرى فتمثل حيـــوان او يمكـــن تمييزه بصعوبة بأنه غزال .

ومن المواقع الأثرية **جبل حفيت** ، يبعد نحو ٢ كم عن مدينة العين ، وقـــد عثر على العديد من المدافن ، يوسد المتوفى فيها على جنب واحـــد وتثنـــى الســـاقان ويوجه الرأس نحو الشرق .ومن أهم المكتشفات فى هذا الموقع ختم نصـــف كـــروى مصنوع من حجر الرخام ويحمل الختم شكلا إنسانيا مرتديا ملابس قصيره .(١)

ومن المواقع الأثرية أيضا موقع **بديع بنت مسعود** على بعد ١٢ كم شـــمال هيلى . وعثر فى هذا الموقع على مدافن ينتمى بعضـــها إلـــى الألـــف الثالثـــة ق.م والبعض الآخر إلى الألف الأولى ق.م . وعثر فى هذا الموقع على هيـــاكل بشـــرية وأوانى فخارية وأدوات حجرية ورؤوس حراب برونزية . وتجدر الإشارة هنا إلـــى موقع **المليحة** الذى يبعد نحو ٧٠ كم جنوب شرق الشارقة وهو غنى بآثاره المنتميـــة

---

(١) د. سليمان سعدون : منطقة الخليج العربى الألفين الثانى والأول قبل الميلاد، ص ٣٨ .

إلى العصر اليونانى . وكشفت بعثة مديرية الآثار العامة فى العراق عن موقع الدور فى ام القيوين وموقع الدر بحانة فى رأس الخيمة . وكذلك تجدر الإشارة إلى موقع القصيص شمال شرقى دبى ومن آثاره الوانى الفخارية وأوانى من حجر الاستيتايت تحمل نقوشا هندسية . وتنمى آثار موقع القصيص إلى نهاية الألف الثانية ق.م .[١]

رابعا : المراكز الحضارية القديمة فى جنوب الخليج العربى :

عمان :

عثرت بعثة مديرية الآثار العامة فى العراق فى موقع مصفوت فى عمان على بعض النقوش لأشخاص ربما تمثل هذه النقوش بعض المراسيم الدينية ، كما عثر على نقوش لصيادين وكلها تنتمى إلى الألف الثالثة ق.م كما كشف أيضا عن موقع دبا على خليج عمان ويضم كمية كبيرة من الكسر الفخارية التى تميزت بطلائها وزخارفها الهندسية ذات اللون الأسود على أرضية حمراء .

ويذكر بعض المؤرخين ان دلمون كانت تضم جزءا من عمان حيث يوجد النحاس فى الجبل الأخضر .[٢]

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن المراكز الحضارية فى منطقة الخليج العربى إنما قد تأثرت فى عصور ما قبيل الكتابة بحضارات جنوبى بلاد النهرين ووادى السند وبلاد فارس ووادى النيل . وذلك لأن المراحل الأخيرة فى عصور ما قبل التاريخ إنما قد تأثرت إلى حد كبير بظاهرة الاتصالات الخارجية . فهناك ما يشير إلى تشابه فى أشكال الأدوات الفخارية التى تنتمى إلى عصر حضارة العبيد ، وتلك التى فى موقع أم النار فى أبو ظبى بدولة الإمارات العربية أو موقع باكون فى بلاد فارس .

وهذا وقد قامت منطقة الخليج العربى بدور فعال فى الاتصال بين حضارات

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

جنوب وادى النهرين ووادى السند ، وذلك بسبب العثور فى أم النار وهيلى على أوانى فخارية تحمل زخارف تشبه تلك التى عثر عليها فى وادى السند .[١]

من المواقع السابقة يتضح أن آثار منطقة الخليج العربى كان عليها أن تسير فى خطها التاريخى من العصر الحجرى القديم إلى أن وصلت إلى المرحلة التى تمثل صميم العصر التاريخى أثناء الألف الثالثة ق.م ، وهو العصر البرونزى الأول والذى يتمثل فى حضارة فيلكا فى الكويت . أما فى البحرين فإن النتاج الأثرى يبدأ أيضا بالعصر الحجرى القديم ثم يصعب تتبع سير التطور الحضارى إلى أن تدخل المنطقة عصر حضارة جمدة نصر (فى بلاد النهرين) حيث تعرف هذه الفترة بحضارة باربار وتصبح المنطقة غنية بتراثها الأثرى . أما بالنسبة لمنطقة شرق الجزيرة العربية فإن أقدم المخلفات الأثرية تتمثل فى مواقع فخار حضارة العبيد ، ويرى بعض العلماء أن هذه المواقع تنتمى إلى الألف الخامسة ق.م . أما بالنسبة لدولة قطر فإن المواقع الأثرية تمثل حضارة العصر الحجرى الذى يعرف بعصور حضارة (أ) وحضارة (ب) وحضارة (جـ) وحضارة (د) . وهى تؤرخ بأواخر الألف السادسة ق.م .

ثم بعد ذلك لا يمكن تتبع سير التطور الحضارى حيث لم يتم متابعة عملية التنقيب فى بقية المناطق ، فالمنطقة لازالت بكرا لم تجرى فيها أى حفائر .

أما فى منطقة دولة الإمارات العربية فإنه لم يعثر على آثار العصر الحجرى القديم ولهذا تمثل المواقع فيها العصور التاريخية . وعثر على موقعين فى عمان . أما بالنسبة للساحل الشرقى من الخليج فغن أقدم الحضارات تتمثل فى موقع باكون حيث تعرف الحضارة هذا باسم حضارى باكون .

خامسا : - ذكر دلمون وماجان وملوخا وطبيعة علاقاتها ببلاد النهرين طبقا للوثائق الأثرية منذ منتصف الألف الثالثة حتى الألف الأولى ق.م وصلة هذه المواقع بمنطقة الخليج العربى :

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

(أ) طبيعة العلاقات بين ملوك بلاد النهرين ومنطقة الخليج العربى طبقا لوثائق منتصف الألف الثالثة ق.م .(١)

ظهرت هذه الأسماء الثلاثة ابتداء من منتصف الألف الثالثة ق.م ، واستمرت فى الظهور فى العصور التالية حتى منتصف الألف الأولى ق.م . وقد ذكرت هذه الأسماء فى وثائق بلاد النهرين . ويتضح من دراسة هذه الوثائق أن منطقة الخليج العربى لم تكن دائمة الازدهار ، فقد تعرضت فى أواخر الألف الثالثة ق.م إلى نشاط حربى من قبل ملوك بلاد النهرين ، ولكن حين بدأت المنطقة بتشكيل وحدتها الحضارية والسياسية فى الألف الثانية ق.م . أخذت صلات بلاد النهرين بالمنطقة طابعا اقتصاديا قام على أساس تبادل المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة ، ثم تعرضت المنطقة مرة أخرى للنشاط الحربى بعد قيام الإمبراطورية الآشورية وفرض السيطرة الآشورية على منطقة الشرق الأدنى القديم . ثم خضعت منطقة الخليج للإمبراطورية البابلية الكلدانية ومن بعدها للإمبراطورية الفارسية الأخمينية حتى أواخر الألف الأولى ق.م .

ورد ذكر دلمون فى وثائق بلاد النهرين منذ منتصف الألف الثالثة ق.م واستمر هذا الاسم فى الظهور فى نصوص ووثائق ملوك آخرين أما بمفرده أو مرتبطا بأسمى ماجان وملوخا ونذكر هنا الوثائق التى جان عليها ذكر هذه المناطق :

(١) فقد جاء فى نصوص الملك اورنانشى حاكم لجش (بداية العصر السومرى) ذكر ، ان مراكبه ومراكب دلمون نقلت الأخشاب الضرورية لبناء المعابد على

---

(١) بالنسبة لوثائق منتصف الألف الثالثة ق.م ، راجع : د. سليمان سعدون : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الثانى والأول قبل الميلاد ، الكويت ١٩٧٨ ، ص ٥١ – ٦٣ ؛ د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١٢٢ – ١٢٤ ؛ محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربى ، الجزء الخامس ، صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ١٩٥٩ ، ص ١٢٧ .

بمفرده أو مرتبطا بأسمى ماجان وملوخا .

(٢) سرجون الأول (أو سرجون الأكدى) (٢٣٣٤ - ٢٢٧٩ ق.م) :
وجاء على لوحة كبيرة له ذكر : " وجعل فى ميناء أكد سفنا ترسو ، سفنا من ملوخا وسفنا من ماجان وسفنا من دلمون " .

(٣) أسطورة سرجون الأول :

تتعلق هذه الأسطورة بولادة سرجون ونشأته وكيفية وصوله إلى الحكم فى أكد كما تتعرض إلى أحدث حكمه وحروبه وحملاته ، ومع أن الأخبار التى وردت فى هذا النص أسطورية فى طبيعتها إلا أنها تلقى ضوءا على بعض الجوانب التاريخية مما جعل بالإمكان اعتبارها نصا تاريخيا . والأسطورة مسجلة على لوحة طينية توجد حاليا بالمتحف البريطانى تحت رقم K.162، ويقول سرجون عليها :

" طوقت أراضى البحر ثلاث مرات ، قبضت يداى على دلمون ، .. وأى ملك يأتى من بعدى دعه يحكم الشعب ذا الرؤوس السواء ، { دعه يقبض على دلمون بيديه) " .

(٤) ومن عصر نرام – سين (٢٢٥٤ – ٢٢١٨ ق.م) ذكرت هذه الأسماء على أكثر من أثر :

أ – سجلت لوحة من عهد سرجون الأول نشاط ابنه نرام سين العسكرى على الوجه الآتى :

" وهو (أيضا) الذى سار ضد بلاد ماجان والقى القبض شخصيا على مانو دانوا ، ملك ماجان ... "

ب – لوحة نرام – سين بمتحف اللوفر وتذكر نصوصها :

" خرب (نرام سين) ماجان وسجن حاكمها مارى – دان ، وحمل من جبال ماجان حجرا وصنع منه تمثالا له "

- " ... اثنان وثلاثون ملكا تمتد ممالكهم من (الأناضول) فى أقصى الشمال (الغربى) إلى ماجان (على سواحل الخليج) فى الجنوب (الشرقى) " .

- " نرام – سين ملك اركان العالم الربعة .... جلب الأحجار من ماجان " .

جـ – وتذكر قصيدة مؤرخة من الف الثانية ق.م أن نرام – سين واجه فى بداية حكمه ثورات فى مدن كيش ونفر وأوما ، كما واجه ثورات فى ماجان وعيلام .

(٥) ومن عصر جوديا حاكم لجش (منذ عام ٢١٢٥ ق.م) :

أ – جاء فى نقش لأحد العمدة : " ... من عيلام جاء العيلاميون ، ومن سوس جاء السوسيون . ماجان وملوخا جمعتا خشبا من جبالها ، ومن اجل بناء معبد نين جيرسو ، احضر جوديا (هذه المواد) مع بعضها فى مدينة جيرسو ... "

ب– وجاء فى نقوش أحد تماثيله : " ... انه استورد خشب ايسى من جبال ملوخا ... ومن جبال ملوخا استورد ذهبا على شكل تراب ... "

جـ– وجاء ضمن وثائق الملك جوديا أيضا انه احضر من جبال ملوخا حجر الديوريت كما أحضر من ملوخا حجر العقيق الأحمر .

(٦) ومن عصر اورنمو (٢١١٢ – ٢٠٩٥ ق.م) :

أ– جاء على إحدى لوحاته التى تتحدث عن حروبه : " استعاد (اورنمو) قارب ماجان (الخاص) بانانا إلى الحدود " .

ب– وعلى قالب طينى جاء ما يأتى : " واسترجع (اورنمو) سفن ماجان إلى يديه (إلى انانا) ".

(٧) ومن عصر أبى سين (٢٠٢٨ – ٢٠٠٤ ق.م) :

عثر على العديد من النصوص التى تدل على تبادل تجـارى بيـن منطقـة الخليج وبعض مدن بلاد النهرين . ومن هذه النصوص ما تقول :

أ - " أحضرت موادا من (مخزن) معبد انانا من أجل تجارة النحاس مـن ماجان " .

ب- "..... بحر ماجان ..... "

جـ- نصوص تتحدث عن الحصول على نحاس ماجان .

د - نصوص أخرى تتحدث عن بصل ماجان وبـوص ماجـان ونحـاس ملوخا.

(٨) وثائق من أور ، من أسرة أور الثالثة ومؤرخة من عهد الملك أبى سين أيضا :

أ- النص رقم ٢٦٠ ويشير إلى " ستة من بوص ماجان "

ب- النص رقم ١٥٠٧ يشير هذا النص إلى بحار اسـتلم صوفـا وأثوابـا ليشحنها على قارب يبحر إلى دلمون.

جـ- النص رقم ١٥١١ ويشير إلى اسم التاجر لو - انليل - لا استلم صوفا وأثوابا ، وزيتا (معطرا) ونوعا معينا من الجلود ، .. وذلك من أجل شراء النحاس ، وقد شحنت هذه المواد على قارب متجه إلى ماجان .

د- النص رقم ١٦٨٩ ويشير إلى اسم التاجر (المذكر أعلاه) والذى استلم كميات كبيرة من الأثواب والصوف من مخزن معبد المعبـودة ننجـال لمقايضتها بالنحاس فى ماجان .

(٩) نص رقم ٢٣٨ بمتحف نيس من العصر الكدى ، ويشير إلى بحارة مـن سـفينة ملوخا ، حيث يقول : " رجل (ربما يكون بحارا) من سفينة ملوخا " .

(١٠) نص جغرافى من العصر الأكدى أعيد نسخه فى العصر الأشورى ، ويشير إلى المسافة من حوض الفرات إلى حدود أرض ملوخا حيث يذكر النص :

" ١٢٠ بيرو (ساعة مضاعفة) هى (المدة لقطع المسافة) من حوض الفرات حتى حدود ملوخا ومارى " .

وتبين هذه الوثائق الأسس التى قامت عليها العلاقات بين بلاد لنهرين وهذه المناطق الثلاث فى منتصف الألف الثالثة ق.م . فهى إما علاقات تجارية وظهرت منذ بداية العصر السومرى حيث استعان الملك أورناشى بأسطول دلمون لنقل الأخشاب اللازمة لبناء معبده (الوثيقة ١) ، واتسعت هذه العلاقات فى عهد سرجون الأكدى وكانت سفن دلمون وماجان وملوخا ترسو فى ميناء اكد (الوثيقة ٢) ولكن هذه العلاقات التجارية مع سرجون لم تستمر طويلا وتوترت العلاقات بينه وبين هذه البلاد فى عهده وعهد ابنه الذى جلب الأحجار من ماجان (الوثيقة ٤ب) .

وعادت هذه العلاقات التجارية فى عهد جوديا واستورد من ماجان وملوخا الأخشاب (٥أ) والأحجار من ملوخا (٥جـ) والذهب من ملوخا (٥ب) واسترد أبى – سين النحاس من ماجان (٧أ – جـ) ، (٨د) ، والنحاس أيضا من ملوخا (٧د) ، والبوص من ماجان (٧د) ، (٨أ) والبصل من ماجان (٧د) واستمرت المراكب التجارية فى رحلاتها إلى دلمون وماجان (٨ب – جـ) .

وأحيانا اتخذت هذه العلاقات الطابع العسكرى والغزو من جانب بعض ملوك بلاد النهرين لمنطقتى دلمون وماجان . فنجد أن الملك سرجون الأكدى قد استولى على دلمون وأحكم قبضته عليها (الوثيقة ٣) ، قام ابنه نرام – سين بحملة ضد ماجان (الوثيقة ٤أ) وقام بتخريبها (٤ب) وكان قد واجه ثورات فى بداية حكمه فى ماجان (٤جـ) ، وفرض اورنمو سيطرته على موانئ ماجان (٦أ – ب) .

(٢) طبيعة العلاقات بين ملوك بلاد النهرين وبعض مناطق الخليج العربى طبقا لوثائق الألف الثانية ق.م :[١]

هناك وثائق ملكية تشير إلى العلاقات الأقتصادية التى كانت قائمة فى

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ٦٤ – ٨٩ .

الألف الثانية ق.م . بين ملوك بلاد النهرين ومناطق دلمون وماجان وملوخا . وهنـاك أيضا نصوص العقود والمراسلات التجارية وكتابات المعابد وقوائم حساباتها . وهناك كذلك النصوص الأدبية كالأساطير والقصائد والقصص .وتوجـد أيضـا المصـادر الأثرية .

المصدر الأول : الوثائق الملكية :

(١) وثائق الملك جونجو نوم من أسرة لارسا (١٩٣٢ – ١٩٠٦ ق.م) :

التى تتحدث عن إرساله بعثة تجارية إلى دلمون التى جلبـت لـه الذهـب والفضة والنحاس والعقيق الأحمر والعاج .

(٢) وثائق الملك واراد سين (١٨٢٤ – ١٨٢٣ ق.م) :

من أسرة لارسا أيضا وقام بتشييد معبد للمعبودة انيـن فـى مدينـة أور ، وأطلق على هذا الاسم " معبد دلمون " .

(٣) ريم سين (١٨٢٢ – ١٧٦٣ ق.م) :

تذكر إحدى الرسائل التى كتبها موظف تابع للملك ريم – سين مـن أسـرة لارسا أيضا إلى أحد التجار البحرين ، أن القصر (أى الملك) له اهتماماته بتجارة دلمون وأنه يعمل على توطيد العلاقات التجارية الهامة .

(٤) سومو – ايلوم (١٨٨٠ – ١٨٤٥ ق.م) :

تبين وثائق الملك سومو – ايلوم ، ملك بابل ، أن بابل كانت تستورد مختلف المواد التجارية من دلمون كالأخشاب والذهب والنحاس واللؤلؤ واللازورد والتمـاثيل المرصعة بالعاج وغيرها .

(٥) سامسو – أيلونا (١٧٤٩ – ١٧١٢ ق.م) :

تبين وثائق الملك البابلى ، سامسو – ايلونا ، أنواع المواد التجارية التى كان يقدمها تجار دلمون إلى معبد المعبودة ننجال ، وكذلك كعشر من أرباحهم من التجـارة

كما يشير النص إلى الدلمونيين مما يدل على تواجدهم فى عهد الدولة البابلية القديمة بعد عهد حمورابى .

(٦) لوحة سامسو – أيلونا

فى متحف ولكوم بلندن ، تذكر " ١٢ مانا من النحاس من الأشياء [١] ، ومن دلمون " .

(٧) كونز – ناخونتى الأول (١٧٣٠ – ١٧٠٠ ق.م) :

يشير نص من سوس يؤرخ بعهد أمير سوس ، كونز – ناخونتى ، إلى أن الدلمونيين قد جلبوا ١٧,٥ مانا من الفضة .

(٨) وثائق أرشيف القصر الملكى فى مارى :

من بين هذه الوثائق رسالتين يذكر فيهما اسم دلمون :

أ – رسالة الملك يشمخ اداد (١٧٩٦ – ١٨٧٠ ق.م) ملك مارى أرسلها إلى حمورابى ملك بابل (١٧٩٢، – ١٧٥٠ ق.م) يخبره فيها بأن قافلة تجارية قد أرسلها إلى دلمون ولكن القافلة تعرضت للتأخير بعد ان أعاق مواصلة سيرها شخص يدعى " ايل أبوخ " .

ب- الرسالة الثانية من شمش ادادا إلى ابنه يشمخ اداد يذكر فيها أن رسولا قادما من دلمون قد احتجز فى مارى وهو فى طريقه إلى الملك على آثر حادث وقع فى بيت أحد التجار .

(٩) وثيقة ملكية آشورية من عهد الملك توكولتى – نينورتا الأول ١٢٤٣ – ١٢١٠ ق.م) : كان يتخذ فيها الألقاب الآتية :

"ملك آشور ، ملك سومر وأكد ، ملك سبار وبابل ، ملك دلمون وملوخا ،

---

(١) هو اسم لجزيرة قبرص ، وكان هذا الاسم معروفا أيضا فى النصوص المصرية القديمة .

ملك البحر العلوى والبحر السفلى " .

المصدر الثانى : العقود المراسلات التجارية :

(١٠) نص عقد زواج من حكم الملك البابلى سامسو – أيلونا ، ويمثل هذا النص عقد زواج ويشير إلى أصناف الهدايا التى يجب أن تقدم خلال الزواج ، ومن هذه الأصناف : " (عدد) واحد مسند رأسى من خشب السيسو من ماجان " .

(١١) إحدى رسائل العصر الكاسى (١٣٧٥ – ١٣٤٧ ق.م)

أ- من عهد الملك بورنا بورياشى الثانى ، وتشير إلى أن دلمون أمدت بابل بأنواع معينة من التمر .

ب- تشير الرسالة رقم ٩٥ من هذه الرسائل إلى استلام أحد التجار كمية من الصوف وذلك من أجل مقايضته بالنحاس مع دلمون .

(١٢) وثائق من أرشيف معبد المعبودة ننجال :

يعود تاريخها إلى حوالى عام ١٩٠٠ ق.م ما كان يقدمه التجار إلى معبد المعبودة ننجال كعشر أرباحهم . ومن أنواع المواد التى كانت تقدم : (عدد) لوحة حسابات (؟) من بوص ماجان من رحلة إلى دلمون " .

(١٣) وثائق أور والتى تعود إلى عصر الدولة البابلية الأولى :

أ- النص رقم ٧١ وهو عبارة عن رسالة موجهة إلى تاجر من دلمون .

ب- النص رقم ٨١ يذكر " (وأنى أتساءل) هل هناك بين التجار الذين يتاجرون مع دلمون من أقدم على معاملتى بهذه الطريقة " .

جـ-النص رقم ٢٨٠ يشير إلى المواد الثمينة التى كانت ترد إلى بلاد النهرين ، كما تشير أيضا إلى العشر الذى كان يقدمه التجار إلى المعبودة ننجال عرفانا بالعناية المقدسة التى كان يحتاج إليها تاجر دلمون البحرى .

د- النص رقم ٢٩٢ يذكر " من رحلة إلى دلمون وماجان بواسطة قارب ".

ز - النص رقم ٣٦٧ يتحدث عن " ٢٠٠٠ مانا من الفضة (كثمن) من أجل (شراء)خمس جزر من الزيت ، وثلاثين ثوبا (وذلك) من أجل رحلة إلى دلمون لشراء النحاس (من هناك) .

س - النص رقم ٤٢٨ يذكر "قد رحلة إلى دلمون،اقتراض (أ) من (ب) .

ش - النص رقم ٥٢٦ يشير إلى عشر الأرباح للمعبودات ننجال من رحلة إلى دلمون ومن أفراد ذهبوا إلى (هناك) على حسابهم " .

ص - النصبين رقمى ٧١٦،٥٤٨ يشيران إلى " مواطنين من جزيرة دلمون " .

ض - النص رقم ٧٩٦ يذكر كميات كبيرة من النحاس تزيد على ١٣٠٠٠ مانا وقفا لوزن دلمون وغالبا ما يكون على شكل سبائك .

ط - النص رقم ٨٤٨ يبين هذا النص أن التاجر ايا ناصر قد تسلم ثلاثين ثوبا من أجل السفر إلى دلمون ومقايضته هذه الأثواب بالنحاس .

المصدر الثالث : النصوص الأدبية :

ترك الأدب السومرى تراثا ضخما من الكتابات التى عبر فيها عن أحاسيسه ومشاعره عن طريق القصص والأساطير ومجموعات من الأمثال والحكم والخرافات والرسائل والمقالات أشار فيها إلى المناطق الثلاث .

(١٤) أسطورة أنكى وننمرساج (أو أسطورة الفردوس) :

مسجلة على لوحة طينية موجودة الآن فى متحف جامعة بنسلفانيا فى فيلادلفيا ، ويؤرخ هذا النص بمنتصف الألف الثانية ق.م . ويبدو أنه كان نسخة من نص قديم لا يمكن تحديد تاريخه . وجاء فى هذه الأسطورة وصف لأرض دلمون ، فهى المكان الطاهر ، المكان النظيف المشرق الذى لا يعرف المرض ولا يعرف الموت . وفى هذه الأسطورة أيضا حاكم مقدس يحكم فى دلمون وحاكم مقدس آخر يحكم فى ماجان .

" (المكان) (نظيف) ، (الأرض) دلمون طاهرة ، (الأرض دلمـــون) تكون طاهرة ، الأرض دلمون طاهرة ، الرض طـــاهرة ، أرض دلمـــون نظيفـــة ، الأرض دلمون نظيفة ، الأرض دلمون مشرقا تماما ...

فى دلمون لا ينعق الغراب الأسود ، ولا يصبـــح طـــير " اللاتـــدور " ولا يصرخ ، ولا يفترس الأسد " الإنسان " والذئب لا يفترس الحمل ، الكلب المتوحـــش غير معروف وهو الذى يلتهم الجدى ، وغير معروف .... الذى يلتهم الغلة ....

وعجوز دلمون لا تقول : أنا امرأة عجوز

وشيخ دلمون لا يقول : أنا شيخ عجوز

ولا تستحم العذراء ، ولا تراق المياه فى المدينة

والذى يعبر النهر لا يتفوه ....

الكهنة النائحون لا يحرمون حوله

المغنى لا يتفوه بنواح ....

وتستمر الأسطورة فى ذكر حديث انكى وطلبه من المعبود اوتـــو (معبـــود الشمس) ومن المعبود نانا (معبود القمر) بأن يغمرا دلمون بالميـــاه العذبـــة مـــن أراضيها حتى تشرب دلمون ويشرب سكانها من هذه المياه العذبة ، ولتصبح دلمـــون فردوسا للأرض ، أى أرض سومر . ثم تشري الأسطورة إلى مرض المعبود انكـــى (معبود المساء) وهو فى أرض دلمون وتأتى إليه المعبود ننخر ســـاج (المعبـــود الأم) بشفائه ، وتقوم بخلق ثمانية من المعبودات من بينها ننتولا والمعبود انشـــاج ، فأما الأول فيعين حاكما على ماجان وأما الثانى فأصبح حاكما على دلمون [1] .

(١٥) أسطورة جلجامش وأرض الأحياء :

وهى إحدى الأساطير السومرية التى تكتب على اربعة عشر لوحا طينيـــا .

---

(١) راجع أيضا د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١١٨

وفى هذه الأسطورة يأتى ذكر مركب ماجان ، فالسطور من ١١١ – ١١٤ من هذه الأسطورة تذكر : " بعد أن غرقت ، بعد أن غرقت ، مركب ماجان ، بعد ان غرقت ... " .

(١٦) أسطورة أنكى ونظام الكون :

وتبدأ بدعوات موجهة إلى المعبود انكى ، معبود الكون ، ومعبود خصوبة الحقول والمزارع . وفى هذه السطور ترد ثلاثة أسماء هى ماجان ودلمون وملوخا . وقد أرسلت هذه البلدان مراكبها محملة بالهدايا الثمينة إلى مدينة نفر مركز عبادة المعبودة انليل ، وهذه الهدايا تتضمن الذهب والفضة والنحاس والقصدير والبرونز ، وهى ثورات أنعم بها المعبود انكى على هذه البلدان حيث تذكر هذه الأسطورة أن انكى كان مبحرا فى قاربه يبارك سومر وسكانها وحيواناتها ومعابدها ، ثم اتجه إلى أور ومنها إلى ملوخا حيث باركها وسبغ عليها النعم الكثيرة كالأشجار والبوص والأبقار والطيور والذهب والقصدير والبرونز ، ثم اتجه إلى دلمون ليسبغ عليها مثل هذه النعم وكذلك ماجان . " أرض ماجان ودلمون ، تطلعتا إلى انكى ، أوثق مركب دلمون بالأرض ، حمل مركب ماجان عاليا إلى السماء ن سفينة ماجيلوم من ملوخا تنقل الذهب والفضة وتأتى بهما إلى نفر لانليل (ملك) البلدان كلها . وتقدم هو (انكى) إلى أرض ملوخا ، انكى ، ملك الكون (أصدر) حكمه ، أرض سوداء ، فلتكن أشجارك كثيرة . ليكن الأبطال فى موقع المعركة (يتقنوا استعمال) أسلحتهم ، لتكن فضتك ذهبا ، ليكن نحاسك قصديرا وبرونزا ، أيتها الأرض ، ليكن كل شئ لديك (فى ازدياد) . وليتكاثر شعبك ، (ثم) نظف هو (انكى) وظهر (أرض) دلمون . ووهب ... كما ... وأكل سمكها ووهب ... كما أعد محصول ... وأكل تمورها " .

(١٧) أسطورة الطوفان :

مسجلة على لوح من الطين موجود الآن فى متحف جامعة بنسلفانيا فى فلادلفيا وهى تتضمن وصفا لخلق الإنسان واصل الملكية ونشأة المعبودات وأسماء المدن الرئيسية قبل الطوفان . ثم اتخاذ قرار تدمير البشرية فى مجمع المعبودات بعد

أن أزعجتهم طغيان بنى الإنسان ، ثم تصف الأسطورة كيفية اختيار أحد المعبـــودات رجلا طيبا وصالحا لينجو من الطوفان حتى يستمر النسل البشرى ويقع الاختيار على شخصية تدعى زيوسيدرا لتستمر الحياة عن طريقه ، وتنعم عليه المعبودات بـــالخلود فى أرض دلمون زيوسيدرا ، الملك الحافظ لاسم النبت ، الحافظ لبذرة البشرية ، فـى أرض العبور ، فى أرض دلمون ، المكان الذى تشـــرق منـــه الشـــمس ، واســـكنوه هناك " .

(١٨) ترنيمة اينانا التمجيدية وقدرتها على كل شئ :

وهى طقوس تعبدية تتضمن اسماء المعابد والمعبودات وتشير إلى ارتبـــاط المعبودة اينانا بدلمون ضمن أماكن أخرى كمعبد اينانا فى الوركاء ومعبد جيجونا فـى زبالوم ومعبد دور انكى فى نفر (نيبور) ويقول النص :

" فى أور ، أى دلمون ملكى "

(١٩) نصوص الأضاحى اليومية المقدمة إلى المعبودات فى الوركاء :

وهى نصوص تضم تعليمات عن طيفية تقديم القرابين اليومية فـــى معبـد مدينة الوركاء ، وهى القرابين التى تقدم بين يدى المعبودات وتشير هذه التعليمات إلى اسم دلمون حيث تقول بعض نصوصها :

" ..... كل يوم من أيام السنة ، ومن أجل الواجبات (اليوميـــة) الأربـع (يوضع) مقدار ١٤٨ سات من التمر العادى ومن تمر أرض دلمون ... " .

(٢٠) قصيدة رثاء سومر واور :

وهى تصور التفاصيل الدرامية لمصير سومر وشعبها ، وذلك المصير الذى قررته معبودات سومر : آن وانليل وانكى وننحر ساج . وتصور القصيدة الخـــراب المادى الذى لحق ببلاد سومر وعلى الأخص مدينة اور وما تعرض له اقتصادها من تلف وتتضمن القصيدة ذكر بوص أو قصب ماجان .

السطر ٤٢٥ : " ودمر (تماما) بوص ماجان الذى أنبته النهرالمقدس " .

(٢١) قصيدة " لعنة مدينة أكد " :

مؤرخة من حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م . ويبدأ الشاعر قصيدته بمقدمة يصف فيها أكد وما كانت تتمتع به من قوة ومجد عظيمين . ثم يتناول الشاعر وصف المأساة التى تعرضت لها أكد بعد أن غضبت المعبودات من تصرف نرام سين تجاه معبد المعبود انليل حين أهمله وخرب أبنيته ودنس الأوعية المقدسة فيه . ولهذا انزلت المعبودات انتقاما وحكمت بالخراب والدمار على أكد ، فتعرضت أكد للغزو البربرى المدمر من قبل الجوتيين القبائل الجبلية التى تقطن فى الشمال .

وجاء فى السطرين ٤٨ – ٤٩ : " الملوخيون (شعب ملوخا) ، قوم الأرض السوداء ، احضروا إليها (إلى أكد) الأوانى الجيدة من الأرض الأجنبية " .

(٢٢) نص حكمة على لوحة طينية :

مؤرخ بحوالى ١٨٠٠ ق. م. وتتضمن نصوصه مجموعة من الحكم والأقوال المأثورة ، وجاء فيها : " قطة ملوخا ...... " .

المصدر الرابع : المخلفات الأثرية المادية :

(٢٣) أختام بلاد النهرين :

تتميز بلاد النهرين بصناعة الأختام الأسطوانية التى بدأت فى الظهور خلال النصف الثانى من مرحلة عصر الوركاء واستمرت عبر العصور التالية ، وتكمن أهمية هذه الأختام فى أنها تحمل صورا حية عن نشاط الإنسان فى حياته اليومية والاقتصادية والدينية والسياسية . ويبدو أن الفنان فى بلاد النهرين كان يتأثر أحيانا بالنقوش التى حفرت على أختام الخليج ووادى السند مما يشير إلى وجود صلات بين بلاد النهرين وهاتين المنطقتين . ومما يدعم هذا الرأى عثور المنقبين على أختام أسطوانية فى أور ولوما وغيرهما من مدن جنوب العراق عليها نقوش ورسوم من النماذج المعروفة فى أختام الخليج ووادى السند ، وتشبه أختام الخليج أختام وادى السند المربعة والدائرية . وأكثر ما تتميز به أختام الخليج هو رسم نخلة ذات فرعين تتدلى منهما أسباط التمور ورسم عقرب ورسم قدم .

وقد تأثرت المناطق المجاورة بأختام الخليج ووصلت إلى المدن التجارية الرئيسية مثل أور ، التى عثر فيها على ختم من أختام الخليج مؤرخ بالسنة العاشرة من حكم ملك لارسا جونجو نوم ، أى حوالى ١٩٢٣ ق. م. كما عثر على أختام الخليج فى سوس وتيه يحيى ولوثال .

(٢٤) أختام منطقة الخليج العربى :

كشفت الأبحاث الأثرية فى مناطق الخليج المختلفة كجزيرة فيلكا والبحرين وتاج على أختام من بلاد النهرين يعود تاريخها إلى الألف الثانية ق. م. وتعبر أختام بلاد النهرين عن مواضيع مختلفة ، أى أن أختام الخليج تختلف عن أختام بلاد النهرين فى الشكل والمضمون .

(٢٥) أختام وادى السند :

تتميز أختام وادى السند بشكلها المربع كما توجد أيضا على شكل دائرى ، كما تتميز بسطحها الأبيض اللامع . وتحمل هذه الأختام أشكالا حيوانية وأشكالا إنسانية ورموز كتابية ومن أبرز الأشكال الحيوانية حيوان وحيد القرن الذى يقف أمام شخص ربما يكون حاملا لبخور . وقد وصلت أختام وادى السند إلى بلاد النهرين ومناطق الخليج العربى . فقد عثر على هذه الأختام فى أور واشنونا وتل اسمر . فعلى أحد الأختام من وادى السند والتى عثر عليها فى أور نجد شكلا ربما يكون رسم قدم ، وهذا الرسم من خصائص أختام الخليج غير أن صناعة هذا الختم تعتبر دون مستوى صناعة أختام وادى السند ، ولذا فربما يكون الختم قد صنع خارج مدن وادى السند ، وربما فى أحد المواقع فى الخليج العربى أو بما يمثل تقليد يجمع بين خصائص أختام بلاد النهرين وأختام وادى السند .

(٢٦) الأوانى الفخارية والأوانى الحجرية :

عثر فى أور على آنيتين صغيرتين من الحجر تحملان نقوشا شائعة فى مواقع جنوب بلاد النهرين وماري وسوس وترتبط هذه النقوش بنقوش الفخار فى

بلوخستان والأوانى الحجرية من موقع أم النار فى دولة الإمارات، التى تؤرخ بأواخر الألف الثالثة وأوائل الألف الثانية ق. م .

(٢٧) مواد أثرية متنوعة :

عثر فى أور أيضا على أدوات مطعمة بالصدف من حجر العقيق الأحمر وتعتبر هذه المواد من مميزات الصناعة فى وادى السند . وعثر فى البحرين وفيلكا على أوزان حجرية من وادى السند وعلى لوحة لعب من حجر اللازورد فى موقع باربار فى البحرين . وعثر فى أور وتل اسمر على أعداد صغيرة من زهر النرد المكعب ، وهذا الزهر من مميزات حضارة وادى السند . وأظهرت التنقيبات الأثرية فى مدن وادى السند تواجد بعض التماثيل الإنسانية التى تشبه تماثيل بلاد النهرين وخاصة تلك التماثيل التى عثر عليها فى أور . كما عثر فى موقع شاهرى سوختا على تماثيل طينية إنسانية وحيوانية وتماثيل من البرونز تشبه تماثيل بلاد النهرين .[١]

أما بالنسبة للتأثيرات الدينية فقد شيد الملك واراد – سين معبدا فى أور أطلق عليه اسم " معبد " يدل على وجود معابد فى دلمون ، كان يشيد على طرازها معابد فى أور (٢) أو معابد أور هى نفسها معابد دلمون مما يدل على الارتباط الفكرى بين دلمون ومنطقة جنوب بلاد النهرين (وثيقة ١٨) .

ومن الأساطير الدينية يتبين أن دلمون وماجان وملوخا هى أماكن مألوفة أسماؤها فى فكر الأدباء والرواة فى بلاد النهرين . ويستدل منها على عدة معلومات أنها أرض تفتقر إلى المياه العذبة . وهى أرض أمن وسلام فى الحياة الدنيا وحتى بعد الموت . فالمتوفى الذى يعبر النهر لا يحزن عليه ولا أحد يرفع صوته بالنواح ولا أحد ينعيه أو يرثيه بالغناء (وثيقة ١٤) .

وهى أرض مباركة اختارتها المعبودات لتستمر الحياة على أرضها ويخرج منها النسل البشرى الصالح الذى ترضى عنه المعبودات فهى الأرض الطاهرة والمشرقة (وثيقة ١٧) .

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ٨٧ – ٨٩ .

ومن هذه الأساطير يتضح أن الوصول إلى دلمون وماجان وملوخا كان يتم عن طريق المراكب (وثيقة ١٥ ، ١٦) كما أن منتجات هذه المناطق كانت ترد إلى بلاد النهرين محملة فى مراكب كبيرة كانت ترسو فى موانئ جنوب بلاد النهرين (وثيقة ١٦) ، فأحيانا كانت محملة بالتمر الذى يستخدم فى الطقوس اليومية فى المعابد (وثيقة ١٩) . كما أن أدباء أو كتبة الأساطير السومرية كانوا على معرفة بما كان ينمو فى ماجان بكثرة مثل البوص الذى كان يجلب من ماجان من أجل تشييد المعابد ، وربما كان هذا البوص من النوع المتين الجيد (وثيقة ٢٠) ومن ملوخا كانت ترد إلى بلاد النهرين الأوانى الجيدة الصنع (وثيقة ٢١) وأن قطة ملوخا التى يشير إليها نص الحكمة ، ما هو إلا تمثال من العاج من ملوخا (وثيقة ٢٢) كان يوضع فى أحد المعابد .

أما بالنسبة للطابع العسكرى فيمكن القول بأنه ربما خضعت دلمون وملوخا لسيطرة الملك توكولتى نينورتا الأول فى العصر الاشورى (٩) .[١]

يتبين من العرض السابق لنصوص ووثائق الألف الثانية ق. م. أن صلات بلاد النهرين من المناطق الثلاث قامت على أسس تجارية ومصالح متبادلة وتركزت هذه الصلات بين بابل وبين كل من دلمون وماجان وملوخا . وكذلك يتبين من هذه النصوص وجود بعض العلاقات السياسية وبعض الصلات الفكرية والدينية .

أما بالنسبة للصلات التجارية : فيتضح من وثائق جونجو نوم ملك لارسا أنه كان يستورد الذهب والفضة والنحاس والعقيق الأحمر والعاج من دلمون (الوثيقة ١) وأن الملك سومو - ايلوم كان يستورد أيضا الأخشاب والذهب والنحاس واللؤلؤ واللازورد والتماثيل المرصعة بالعاج من دلمون (وثيقة ٢) .

وكذلك الملك سامسو - ايلونا كان يستورد النحاس من دلمون (٦) .

وأن حاكم سوس كونز ناخونتى كان يستورد الفضة من دلمون (٧) .

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٧ .

كما تشير العقود والمراسلات التجارية إلى التعامل بالمقايضة لجلب النحاس من دلمون (١١بـ) ، (١٣ هـ ، ف - ق) .

وأمدت دلمون بابل بالتمر (١١ أ) ، كما تشير النصوص إلى مواد أخرى كالأخشاب من ماجان (١٠) والبوص من ماجان (١٢) .

ويمكن القول أيضا أن الاتصال التجارى بين بلاد النهرين وبين المناطق الثلاثة كان يتم عن طريق تجار وسطاء حيث أصبح هناك أساس فى نظام التبادل التجارى (١١ ب ، ١٣ أ - ب ، ١٣ هـ ، ق) .

وكانت المواد التجارية يقدر ثمنها بالمكيال أو الوزن ، فكانت " المانا " هى الأساس الثابت لتقدير قيمة المواد (٧ ، ١٣ هـ) ، أما المكيال فهو وحدة السات (١٩) .

وكانت بعض الرحلات التجارية عرضة للتأخر بسبب طمع الطامعين (٨ أ - ب) . أو يمكن لأحد التجار أن يقترض من الآخر أثناء رحلته إلى دلمون (١٣ و) وبالطبع كانت المراكب هى الوسيلة الأفضل للرحلات التجارية إلى دلمون وماجان (١٣ د) .

أما بالنسبة للتأثيرات الفكرية التى يمكن أن تنمو كنتيجة للاتصال التجارى فتعكس فى وثائق أرشيف معبد ننجال حيث تشير هذه الوثائق إلى ما كان يقدمه تجار دلمون من مواد تجارية تمثل عشر دخولهم وذلك فى سبيل إظهار شكرهم وامتنانهم على عودتهم سالمين إلى البلاد .[1] ولا شك فى أن هذا التأثير الفكرى كان له أثر كبير فى توطيد صلات دلمون ببلاد النهرين (راجع وثيقة ٥، ١٢ ، ١٣ ج ، ع) .

---

(١) هذا يذكرنا بما جاء على لوحة نقراطيس عندما خصص الملك نختنبو الأول ضريبة العشر على كل المنتجات المحلية والصادرات والواردات والمواد الخام التى تصل إلى منطقة نقراطيس الجمركية لصالح معبد المعبودة نيت ، راجع : د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، ص ٤٦٤ .

أما التأثير والتأثير الفنى بين مناطق بلاد النهرين والخليج العربـــى ووادى السند ، فتدل عليه ما عثر عليه الباحثون الأثريون فى كل من هذه المناطق الثـــلاث من آثار كالأختام (٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) والأوانى والتماثيل والزخارف (٢٦ ، ٢٧) .

(٣) طبيعة العلاقات بين ملوك بلاد النهرين وبعض مناطق الخليج العربى طبقا لوثائق الألف الأولى ق.م : [١]

تدل وثائق ونصوص الألف الأولى ق. م. على وجود علاقـــات اقتصاديـــة وسياسية بين بلاد النهرين دلمون وماجان وملوخا .

١- وثائق توكولتى - نينورتا الثانى (٨٩٠ - ٨٤٤ ق. م)

يذكر هذا الملك الآشورى ضمن ألقابه بأنه : " ملك دلمون وملوخا :

٢- شالما نصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٣ ق. م)

قام هذا الملك الآشورى بتسجيل انتصاراته فـــى الجنـــوب علـــى بوابـــات برونزية ، وجاء فيها :

" ملك العالم ، وملك آشور ، المنتصر من البحر العلوى إلى البحر الســفلى ذهبت جنوبا إلى كلدة (كلدان) واستلمت الجزية من جميع ملوك كلدة " .

المقصود بالبحر العلوى هو البحر الأبيض المتوسط ، والبحر السفلى هـــو الخليج العربى .[٢]

٣- حوليات سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق. م)

أ - يذكر فيها اسم دلمون أوبيرى ، ويقول :

---

(١) بالنسبة لوثائق الألف الأولى ق. م ، راجع : د. ســليمان ســعدون : المرجـــع السابق ، ص ٩٣ - ١٠٦ .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٩٠ .

" (أوبيرى) ملك دلمون ، الذى يعيش كسمكة (على بعد) ٣٠ بيرو[1] فى وسط البحر الذى تشرق منه الشمس ."[2]

ب- كما تذكر نصوص هذه الحوليات أن سرجون قد أخضع بيت باقين على ساحل البحر المر حتى حدود دلمون .

ج- كذلك تنص الحوليات على ما يأتى :

" يامانى (ملك) أشدود ، كان خائفا من سلاحى (قواتى) فترك زوجته وأولاده وفر هاربا إلى حدود مصر والمنتمية إلى ملوخا ، ... وأدخلت عظمة (المعبود) آشور ، سيدى ، الرعب (فى قلب) ملك ملوخا فرماه مكبل لليدين والرجلين وأرسله إلىّ فى آشور " .

٤- سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) :

أ - يشير نص من نصوص هذا الملك إلى بعض الأدوات الخاصة بجماعة من عمال جاءوا من دلمون إلى بابل ومعهم جواريف برونزية وحراب برونزية وأدوات من منتجات بلادهم .

ب- كما يذكر نص آخر نوعين من الخشب هما :

" خشب السند ، وخشب ميس (من) ماجان " .

ج- وجاء فى حوليات الملك :

" أثناء حملتى طوقت ودحرت بيت داجون ويافا (ومدن أخرى) من مدن صدقيا الذى لم ينحنى خضوعا على قدمى بسرعة ...... ودخل فى قلوبهم الرعب واستعانوا بملوك مصر وبرماة السهام والعربات

---

(١) البيرو ساعة بابلية تعادل ساعتين حاليا ، راجع : د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١١٧ . أى أن المسافة اسفل الفرات ودلمون ٣٠٠ ميل .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

والخيول التابعة لملك ملوخا ، جموع لا عـــدد لـــها ، وجـــاءت هـــذه لنصرتهم ... لقد حاربتهم والحقت الهزيمة بهم ، واعتقلت قادة مركبات مصر وملوخا " .

٥ - اسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م) :

جاء فى وثائقه وحولياته ما يأتى :

أ - " فرضت على كانايا ملك دلمون ، جزية له (بصفتى) سيدا له " .

ب- " ملك ملوك دلمون وماجان وملوخا " .

ج - جاء فى حولياته أنه هزم بلاد مصر وكوش كما يذكر أنه تقدم مـــن صور إلى مصر ومنها إلى ملوخا .

د - جاء ضمن أخبار الحملة العاشرة التى سجلتها حوليات اسرحدون اسم ماجان " وخلال فترة عشرين يوما ولمسافة سبعة (ساعات مضاعفـة) فى مدينة ..... على حدود ماجان (فى ....) أمضيت الليلة " .

٦ - آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) :

أ - تتضمن وثائق الملك الأشورى آشور بانيبـــال العديـــد مـــن الرســـائل المتبادلة بينه وبين قائده نيل - إينى ، وبينه وبين ملك دلمون خونـــدارو ضمن ما كتبه آشور بانيبال إلى قائده بيل - إينى رسالة يذكر فيـــها أن مبعوث ملك دلمون قد أحضر هدايا ضمت ١٦ زنــــة مـــن الـــبرونز والكثير من النحاس والمواد البرونزية والأخشاب الثمينة والعصى .

ومن مجموعة وثائق أخرى يتضح أن آشور بانيبال قد فرض سـيطرته على ماجان وملوخا .

ب- اسطوانة رسام ، يذكر النص أنه أثناء حملته الأولى علـــى مصـــر وسوريا وفلسطين " سرت ضد ماجان وملوخا " .

ج- وفى نص آخر يذكر :" ماجان وملوخا منطقة نائية ... حيث اتجـــه إليها (اسرحدون) ملك آشور ، والدى ، وخلالها (أى أثناء الحملـــة) سار هازما طهرقا ملك كوس أى كوش .

د - وعلى أسطوانة الوركاء نقرأ :

" آشور بانيبال الملك العظيم ، الملك الشرعى ، ملك العالم ، ملـــك آشور ، ملك كل الأطراف الأربعة ، ملك الملوك ، أمير دون منافس ، هو الذى يحكم ويحكم من البحر العلوى إلى البحر الســـفلى ، والـــذى جعل جميع الحكام الآخرين يخرون سجدا أمام قدميه وسلط نير سلطان حكمه عليهم من صور التى (هى جزيرة) فى وسط البحـــر العلـــوى حتى حدود دلمون التى (هى جزيرة) فى وسط البحر السفلى " .

٧ - نابوخذ نصر الثانى (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) :

تشير حوليات هذا الملك إلى حملته ضد سوريا ، وجاء ما يأتى :

" (ومن) البحر العلوى (إلى) البحر السفلى .....التى استودعنى (إياها) ماردوك ، سيدى ...... وقد جعلت مدينة بابل فى مقدمة كل البلدان ..... " .

٨ - نابونيد (٥٥٠ - ٥٣٩ ق.م) :

يشير نص من نصوص الملك الكلدانى نابونيد ومؤرخ بالسنة الحادية عشـــر من حكمه إلى " حاكم دلمون " .

يتضح من فحص كل هذه الوثائق الخاصة بالصلات السياسية مـــع منطقـــة الخليج الطابع المميز لهذه العلاقات ، فهى اتخذت فى الألف الأولـــى ق.م . طابعـــا اقتصاديا أم سياسيا أو حربيا مع ملوك بلاد النهرين .

أما بالنسبة للطابع السياسى فنجد أن الملك الآشورى توكولتى نينورتا الثانى يذكر ضمن ألقابه لقب " ملك دلمون وملوخا " وهو لقب فخرى يعتز به ملوك آشـــور (وثيقة ١) واسرحدون تلقب بلقب " ملك ملوك دلمون وماجان وملوخا " (وثيقة ٥) .

أو اتخذت طابع **الود والصداقة** ، فيشير نص من نصوص سنحاريب إلـــى بعض الأدوات الخاصة بجماعة من العمل جاءوا من دلمون إلى بابل ومعهم معداتـــهم وأدوات من منتجات بلادهم لكى يساهموا فى مشروع من مشروعات الملك (وثيقة ٤ أ) أو اتخذت طابع التبادل التجارى ، فهناك خشب ميس الذى أحضر إلى بابل مـــن ماجان (وثيقة ٤ ب) .

أو أن هذه العلاقات اتخذت **الطابع العسكرى** ، فكـــان لشـــالمانصر الثـــالث السيطرة على منطقة الخليج (وثيقة ٢) وتذكر حوليات سرجون الثانى اســـم ملـــك دلمون أو بيرى بأنه " يعيش مثل السمكة ٣٠ بيرو من وسط البحر الذى تشرق منـــه الشمس " وتعبير " وسط " تعبير آشورى يعنى جزيرة " ، أما " " البحر الذى تشـــرق منه الشمس " فهو أحد أسماء الخليج (وثيقة ٣ أ) وتتحدث حوليات نفس الملك عـــن حدود دلمون على البحر المر وهو أيضا أحد الأسماء الآشورية التى أطلقـــت علـــى الخليج (وثيقة ٣ ب) ، وتتحدث نصوص آشور بانيبال عن حـــدود دلمـــون التـــى (هى جزيرة) فى وسط البحر السفلى ، وهذه تسمية ثالثة أطلقت على الخليـــج (٦ د) .

وتتحدث نصوص آشور نانيبال عن حملة أبيه أسرحدون ضد ماجان وملوخا (وثيقة ٦ ب) وتصف أنهما يقعان فى منطقة نائية (وثيقة ٦ ج) وقام ملك دلمـــون بدفع الجزية إلى أسرحدون (وثيقة ٥ أ) وإلى آشور بانيبال (وثيقة ٦ أ) .

سادسا : محاولة تحديد مواقع دلمون وماجان وملوخا وصلتها بمنطقة الخليج العربى فى ضوء الوثائق التاريخية السابقة : [١]

دلمون :

تتفق أغلبية آراء الباحثين على أن دلمون القديمة تقع بالبحرين الحاليـــة .[٢]

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ١٠٧ - ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٩ - ١٢٣؛ وأيضا د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٩٩ حاشية (١) .

وأن جزيرة البحرين كانت المركز الرئيسى أو العاصمة لمنطقة تمتد على طول الساحل الشرقى للجزيرة العربية من الكويت حتى مدخل الخليج عند مضيق هرمز ، وتعرف هذه المنطقة كلها باسم دلمون . كما كان لها مواقع أساسية أخرى فى البحر مثل فيلكا وأم النار وتاروت وهى مواقع لعبت دورا هاما فى النشاط الاقتصادى والتجارى مع كل من بلاد النهرين ووداى السند .

ويمكن القول بأن هناك أسماء مواضع ربما تنتسب إلى دلمون جاء ذكرها فى نص الملك الأشورى آشور بانيبال المسجل على معبد عشتار فى نينوى .

ومن هذه الأسماء جوبى وجوبين وكوبى وجزيرة خارمانى (وهى جزيرة بالقرب من دلمون) ويرى البعض أن جوبين ربما تكون عند مدخل الخليج . ولم نستدل على جوبى وكوبى ، ولكن ربما يكون الاسمان اسما لمكان واحد ، وهما اشتقاق لاسم جوبين التى ربما تكون " بيرين " الحالية داخل الجزيرة العربية على بعد ٤٠٠ كيلو متر جنوب ثاج ، أما جزيرة " خارمانى " فربما تكون جزيرة " تاروت " التى كانت قريبة من البحرين .

كما أن النصوص والأساطير التى تصف دلمون هى صفات تنطبق على البحرين خاصة من ناحية تواجد الماء الوفير وجلب مختلف المواد من مناطق مجاورة .

ويذكر اريان اليونانى عن تايلوس (الاسم اليونانى للبحرين) :

" يقال أنها تبعد عن فم الفرات بحوالى يوم وليلة بسفينة تجرى مع النسيم " .

ويرى بعض العلماء أنه من المحتمل أن يكون اسم تايلوس فى علم الاشتقاق اللغوى قد تطور من اسم تلمون أو دلمون .

وعثرفى البحرين فى عام ١٨٧٩ ، على لوحة حجرية من البازلت الأسود كتب عليها بالخط المسمارى ، وترجع إلى العهد البابلى القديم أى النصف الثانى من الألف الثانية ق. م. ونقش عليها رمز فرع نخلة ، وتشير نصوصها إلى :

" قصر ريوم ، خادم (المعبود) انزاك ، رجل (قبيلة) اجاروم " .

ويطلق اسم انزاك على المعبود البابلى نابو الذى عبد فى دلمون .

أما اسم قبيلة أجروم فربما تشير إلى اسم قبيلة عربية قديمة كانت تقطن فى الشمال الشرقى من جزيرة العرب واستمر تواجد هذه القبيلة تحت اسم (هجر) الذى يدل فى العصور الوسطى على منطقة الاحساء ، ولا يزال هذا الاسم يطلق على قبيلة " بنو هاجر " وهى قبيلة تقطن شرق الجزيرة العربية فى مواجهة البحرين .

أما رمز فرع النخلة المنقوش على اللوحة فربما يرمز إلى ما كانت تشتهر به دلمون من إنتاج للتمور الجيدة . وهذا ما أكدته النصوص التى ذكرناها ولا شك أن هذه التمور كانت ترد من الواحات المعروفة الآن باسم القطيف والهفوف والتى اكتسبت شهرة واسعة فى إنتاج التمور .

أما بالنسبة لمعدن النحاس والبرونز سواء كمادة خام أو مادة مصنعة ، فإن النحاس يتوافر محليا فى دلمون أو عن طريق الاستيراد من ماجان أو ملوخا ويمكن الاستدلال على توفر النحاس والبرونز من الكثرة الملحوظة لمواد نحاسية وبرونزية عثر عليها فى البحرين وفى الكويت ودولة الإمارات . وربما كانت دلمون تستمد نحاسها من الجبل الأخضر فى عمان وهو نوع من النحاس يختلف عن نحاس ماجان . واشتهرت دلمون كذلك باللآلئ والأصداف ، وقد ظلت منطقة الخليج العربى تشتهر باللؤلؤ حتى الوقت الحالى ، وكانت تجارة اللؤلؤ حتى وقت قريب ، تمثل العصب الرئيسى للحياة الاقتصادية فى البحرين والكويت وغيرها من دول الخليج .

كذلك اشتهرت دلمون بالبصل فالنصوص تشير إلى بصل دلمون ، ويمكن القول بأن هذا البصل كان يستورد من ماجان ولكنه نسب إلى دلمون لكونها المركز الرئيسى لإعادة تصديره إلى بلاد النهرين .

أما بالنسبة للأدلة الأثرية والمتعلقة بوحدة مملكة دلمون واتساع نظامها فيؤكده ما عثر من آثار مادية فى مختلف المواقع الأثرية فى منطقة الخليج وخاصة الأختام الدائرية والأوانى الفخارية والفخارية ، كما تكمن أيضا فى العثور على تلال جنائزية متناثرة على الساحل الغربى للخليج ، وهى من نفس نوع التلال الجنائزية المعروفة فى البحرين .

مما سبق يتضح أن دلمون كانت مملكة ذات وحدة حضارية تضم الجزء الغربى من الخليج وتشتمل على عدد من الجزر مثل فيلكا والبحرين وتاروت وأم النار وربما كانت البحرين عاصمة لهذه المملكة . وربما امتد نفوذ هذه المملكة إلى الداخل فوصل إلى ثاج وبيرين وذلك من أجل السيطرة والتحكم فى طرق التجارة التى تتبعها القوافل التجارية .

وما زالت آراء العلماء مختلفة فى اصل سكان دلمون . إذ يرى البعض أنهم جاءوا من الجزء الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية ، ويرى البعض الآخر أن السومريين القدماء قد جاءوا أصلا من دلمون .

ماجان وملوخا :

اختلفت الآراء فى تحديد موقعى ماجان وملوخا على الرغم من أن المصادر الأدبية كانت تشير إلى ماجان مترادفتين مع دلمون مما يدل على انها كانت تشير إلى أماكن مألوفة ومتقاربة سواء فى الألف الثالثة ق. م . أو ما بعده من مراحل تاريخية .

وإن كانت بعض نصوص الألف الأولى قد ربطت بين مصر وملوخا (وثيقة ٤ ج) ، (٥ ج) فليس هناك ما يدل على ارتباط ملوخا بمصر أو أثيوبيا وخاصة وأن اسم كوش (أثيوبيا) معروفا جيدا فى النصوص المصرية .

وتتفق آراء العلماء على أن ماجان تقع فى الشمال الشرقى من الخليج وتمتد على طول الساحل الشرقى لتشتمل جزءا من غربى مكران . أما ملوخا فهى تقع فى وادى السند وتشمل بلوخستان وشرقى مكران .[١]

---

(١) وفى دراسة حديثة قام بها د. أحمد صابون تحمل عنوان : " دراسة تاريخية لمشكلة تحديد موقعى ماجان وملوخا ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، سلسلة رقم ١٦٧ ، القاهرة ١٩٩٤ ، ص ٥ - ٦٧ ، يرى أن ماجان هى منطقة عمان الحالية ، وأن ملوخا هى المنطقة ما بين عمان ومقابل البحرين ، على الساحل الشرقى لشبه الجزيرة العربية (راجع ص ٦٧) .

ومما يدعم هذا الرأى ما ورد فى بعض النصوص من إشارات إلى نحاس ماجان حيث ثبت أن هذا المعدن يتوافر فى الشمال الغربى من مكران فى منطقتى " فرياب وسنداق " حيث عثر فى المكان الأخير على مادة خام النحاس . كما عثر فى شمال مكران الإيرانية فى جبال سرحاد على آثار مناجم للنحاس . كما يمكن الاستناد على علم الاشتقاق اللغوى فى ربط ماجان بمكران حيث اشارت المصادر البابلية إلى اسم بهستان باسم : ما – آك وهو يقابل ماكا باللغة الفارسية القديمة ويقابل ميكوى فى اليونانية ويمثل الاسم الأخير جزءا من مقاطعة كانت تحت حكم الملك دارا الأول . كما ورد فى النصوص الفارسية الوسطى لفظ ماكوران الذى عرفه مؤرخو العصر الإسلامى باسم مكران .

أما فيما يتعلق بملوخا فيمكن الاستدلال على طبيعتها الجبلية من النصوص التى ذكرت أن الذهب وخشب الأوشو كانا يجلبا من ملوخا . كما تشير النصوص إلى المواد التجارية الأخرى مثل العقيق الأحمر والعاج والنحاس واللازورد والنخيل وخشب الميس .[١]

وتجدر الإشارة إلى أنه عثر على آثار مناجم النحاس فى مناطق رأسى – كوه وبات – كوه فى بلوخستان الباكستان كما يوجد الآن أكوام منه قرب أوثال شمال بلعوم قرب شرق مكران فى بلوخستان .

أما بالنسبة للأخشاب فقد ذكر أريانوس اليونانى أن الإسكندر الأكبر جلب شجرة هامة من الهند حين كان يتقدم غربا . وهذه الشجرة وصفها آريان وصفا دقيقا قائلا : " تغسلها مياه البحر وتترك عالية وجافة يتراجع البحر ، لونها بنفسجى أبيض وارتفاعها يصل إلى ثلاثين ذراعا " وينطبق هذا الوصف على شجرة المنغروف أو المنجروف الذى ينمو فى الأماكن الضحلة على طول ساحل وادى السند والساحل الشرقى لبلوخستان الباكستانية .

---

(١) د. سليمان سعدون : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الثانى والأول قبل الميلاد ، ص ١١٩ – ١٢٣ .

كما تشير النصوص إلى مادة العاج التى كانت ترد من ملوخا وقد شكلت منه تماثيل طيور وحيوانات .

سابعا : دور منطقة الخليج العربى فى تاريخ وحضارات الشرق الأدنى القديم :[(١)]

موقع الخليج العربى له أهمية كبيرة منذ القدم ، إذ كان حلقة الوصل بين الحضارات القديمة فى وادى السند وبلاد فارس وبلاد النهرين ، وسوريا ومصر وجنوب الجزيرة العربية ويعتبر الخليج العربى معبرا لبعض الهجرات التى خرجت من شبه الجزيرة العربية واستقرت فى بلاد النهرين وسوريا وفلسطين .

ولهذا فإن منطقة الخليج العربى ذات تاريخ قديم ولعبت دورا هاما وأصيلا فى تاريخ وحضارات الشرق الأدنى القديم منذ بداية مرحلة الاستقرار .

قامت منطقة الخليج العربى بدورها فى تاريخ وحضارات الشرق الأدنى القديم منذ الألف الرابعة حتى الألف الأولى ق. م ، فارتبطت منطقة رأس الخليج فى الشمال بحضارات ما قبل التاريخ فى بلاد النهرين ، كما شاهدت شواطئه الشرقية والغربية وبعض المناطق الجنوبية منه قيام مراكز حضارية من عصور ما قبل التاريخ . وارتبطت شعوب الحضارات القديمة كالسومريين والأكديين والعيلاميين والكلدانيين والفرس والعرب ارتباطا تاريخيا وثيقا بهذا الخليج .[(٢)]

كشفت التنقيبات الأثرية فى عدة مناطق من الخليج العربى عن وجود مراكز حضارية خلفت وراءها مجموعة من العناصر الحضارية . فبداية الاستقرار ظهرت فى فيلكا فى الكويت فى أواخر الألف الرابعة ق. م . كما أظهرت الحفائر المتعددة وجود مواقع استقرار منذ أوائل العصر التاريخى أى أوائل الألف الثالثة ق. م ، فى مواقع قلعة البحرين ومعابد باربار وجزيرة أم النار وجزيرة فيلكا ، وفى قطر أقدم من هذا التاريخ كما تميزت المواقع الحضارية فى قطر بمخلفات العصر الحجرى القديم .

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ١١٩ – ١٢٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٧ – ١٣٤ .

ويرى بعض العلماء وجود حضارة محلية ذات طابع خاص بها ممثلة في العثور على أعداد كبيرة من الأختام الدائرية والتى عرفت باسم " **أختام الخليج العربى** " وهى تتميز بصناعتها من حجر الاستيتايت ومن العقيق كما تتميز باستدارتها الكاملة . وكانت مزينة بمناظر تمثل السماء والنجوم والشمس ، وأشكال إنسانية إلى جانب الطيور والزواحف ، وهذا إلى جانب تواجد بعض الرسوم كالزخارف الهندسية . وتؤرخ هذه الأختام بالألف الثالثة ق. م . وينتمى بعضها إلى الألف الثانية ق. م . وقد عثر على أماكن خاصة بصناعة هذه الأختام في **فيلكا** والبحرين . وتختلف أختام الخليج العربى عن أختام وادى السند المربعة والدائرية في شكل الحدوة المستديرة .(١)

وكان من نتائج الصلات التجارية بين المراكز الحضارية فى الخليج وبين بلاد النهرين ووادى السند وانتشار أختام هذه المناطق الثلاث فى كل منطقة . وقد عثر على أختام الخليج فى كل من مدن بلاد النهرين ومواقع وادى السند الأثرية . كما اكتشفت أختام هاتين المنطقتين فى مراكز مختلفة من الخليج .(٢)

كان الخليج العربى هو الممر الرئيسى للسفن المحملة بالبضائع المختلفة مثل الذهب والنحاس والأحجار ، كما كانت منتجات ماجان وملوخا تصل إلى بلاد النهرين عبر هذا الطريق حيث كان التجار البحريون يسلكون طريق الخليج وسواحله وسواحل مكران وبلوخستان . لهذا كان الخليج يمثل شريانا حيويا بالنسبة لتجار بلاد النهرين طوال العصور التاريخية مما حدا بملوك بلاد النهرين إلى العمل على المحافظة على هذا الطريق الحيوى . لذلك كانت سياسة الملوك **منذ الألف الثالثة إلى الألف الأولى ق. م . تتجه نحو المحافظة على أمن الخليج العربى ليظل مفتوحا أمام السفن التجارية .**

---

(١) د. سليمان سعدون : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، الكويت ١٩٧٤ ، ص ١٩١ – ١٩٣ ؛ المؤلف نفسه : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الثانى والأول قبل الميلاد ، الكويت ١٩٧٨ ، ص ١٢٧ – ١٣٤ .

(٢) د. سليمان سعدون : المؤلف السابق ، ص ١٢٧ .

وكانت هذه السياسة تتخذ أحيانا طابع التقرب نحو مواطن الخليج بــالطرق الدبلوماسية السليمة بينما كانت فى ظروف أخرى تصل إلى درجة شـــن الحمــلات العسكرية . كما يستدل على ذلك من الوثائق التى تنتمى إلى أواخر الألـــف الثالثــة ق. م . فنجد الملك لوجال زاجيزى يدعى السيطرة على المنطقة بالقوة كما يدعى بأنه أخضع لحكمه جميع الملوك من البحر السفلى إلى البحر العلوى ، ونجد أيضا الملــك سرجون الأكدى يقول بأنه عبر البحر إلى الشرق وهزم الأقطار الغربية وحمل الغنائم من الشرق والغرب ، وفرض سيطرته على الأقطار الممتدة من البحر العلوى إلـــى البحر السفلى ، واستولى على دلمون . أما مانشتوسو ، حفيد سرجون ، فقــد عــبر البحر السفلى ، وواجه تجمعا عسكريا لعدد من الملوك حيث دارت المعـــارك التــى انتهت بانتصاره عليهم . كما تشير نصوص نرام سين إلى محاربة ملك ماجان وإيقاع الهزيمة به والقبض عليه كما حارب عدة ممالك تقع بين البحر المتوســـط والخليــج العربى .[1]

وجاء ضمن ألقاب الملك الاشورى ، توكولتى نينو رتا أنـــه ملــك دلمـــون وملوخا ويبدو أنه كان لقب فخرى يضاف إلى اسم الملك ضمن الألقاب التـــى كـــان يحملها ملوك بلاد النهرين ويتوارثونها عبر العصور .

أصبح الخليج منطقة نفوذ آشورى فـــى الألــف الأولـــى ق. م . وتشـــير النصوص إلى تغليب سياسة القوة العسكرية على الطابع السياسى القائم على الـــود . من ذلك نص الملك الآشورى شالما نصر الثالث الذى يشير إلى حرب هذا الملك ضد الكلدانيين وأخذه الجزية من اياكين ، كما تذكر نصوص ســـنحاريب بعــض المـــواد كخشب وادى السند وخشب ماجان وحراب بورنزية من دلمون . كما هزم ســـرجون الآشورى " بيت أياكين " على " ساحل البحر المر حتى حـــدود دلمـــون " . وهـــزم سنحاريب " قادة مركبات مصر وملوخا " وفرض اسرحدون الجزية على كانايا ، ملك دلمون . وسار آشور بانيبال ضد ماجان وملوخا وأصبح حاكما على المنطقة الممتــدة

----

(١) د. سليمان سعدون : المؤلف السابق ، ص ١٢٧ .

من البحر العلوى إلى البحر السفلى .

وتشير الوثائق الآشورية إلى أن دلمون هى جزيرة فى وسط الخليج وأنها تبعد بنحو ٣٢٠ كم مما يدعم الرأى القائل بتحديد دلمون بالبحرين والساحل الشرقى لجزيرة العرب .

أما السياسة السليمة فنجدها واضحة فى كتابات ونقوش جوديا ، واورنمو، ابى سين وفى وثائق أسرة أور الثالثة .

منذ قام جوديا بانتهاج سياسة خارجية تقوم على أساس تبادل المصالح المشتركة بين بلاد النهرين وبين كل من منطقة الخليج ووادى السند حيث جلب من تجار ماجان وملوخا العديد من المواد الأولية . كالنحاس والأخشاب والفضة والذهب . ويستدل من وثائق الملك اورنمو على الصلات التجارية كانت تتأثر بالأوضاع الداخلية فى بلاد النهرين فهو يذكر أنه استعاد مركب ماجان بعد أن قضى منافسه حاكم لجش وأصبحت السيادة لمدينة أور .

أما فى عهد الملك ابى – سين فكانت الصلات التجارية تقوم على أساس دبلوماسية وعلاقات ودية وتأخذ طابعا تجاريا بحتا وظلت كذلك طوال الألف الثانية ق. م . مع كل من دلمون وماجان وملوخا .

وتؤكد نقوش الألف الثانية ق. م . صلات ودية وعلاقات طيبة ساهم فى تدعيمها ملوك بلاد النهرين ، فقد قام الملك واراد – سين بتشييد معبد فى مدينة أور أطلق عليه اسم " معبد دلمون " مما يدل على اعتزازه بمعبودات دلمون كما قام التجار الدلمونيون بتقديم عشر دخولهم من التجارة إلى المعبودة ننجال عرفنا منهم بفضلها فى حياتهم .

كما تشير بعض النصوص إلى تمر من أرض دلمون كان يقدم فى المعابد فى بلاد النهرين .

كما عمل الملك ريم – سين على توطيد العلاقات التجارية بين بلاده وبين دلمون كما يتضح من إحدى رسائله التى أرسلها إلى أحد التجار البحريين . وامتد نشاط دلمون التجارى إلى مارى عبر أراضى بلاد النهرين وإلى سوس عاصمة عيلام كما يتضح من وثائق أرشيف القصر الملكى فى مارى ووثيقة أمير سوس كوتر ناخونتى .

واستمرت هذه الصلات التجارية أثناء العصر الكاسى حيث تذكر نصوص هذا العصر أن دلمون أمدت بلاد النهرين بأنواع معينة من التمور ، وهو محصول رئيسى فى دلمون ، وكان يوجد بكميات وفيرة فى واحة الاحساء فى شرق الجزيرة العربية وكان التبادل التجارى يشمل الأقمشة والحبوب والذهب والفضة والنحاس والأخشاب واللؤلؤ والعاج والأحجار المختلفة وكانت هذه المواد التجارية تصدر إلى بلاد النهرين ووادى السند من منطقة الخليج . أو كانت سفن منطقة الخليج حلقة الوصل لتصدير تلك المواد إلى بلاد النهرين ووادى السند وربما إلى أبعد من هذا ونشأت تبعا لذلك مراكز تجارية امتدت من جنوب بلاد النهرين حتى وادى السند لتقوم باستقبال ونقل المواد التجارية المختلفة وعمل ملوك بلاد النهرين على تحسين المراكز التجارية فى بلادهم .

وظهرت فى مواد قانون حمورابى بعض المصطلحات التجارية مثل كلمة إليك – دلمون بمعنى تاجر دلمون ، وتشير بعض الأساطير إلى مراكب دلمون وماجان .[١]

وهناك رسالة الملك الآشورى آشور بانيبال إلى قائده بيل – ابنى يذكر أنه استقبل – ايدرو ، سفير الملك خوندارو ، ملك دلمون .

وجاء فى نصوص بداية العصر السومرى اسم ملك أو حاكم لماجان كان معاصرا لنرام – سين (٢٢٥٤ – ٢٢١٨ ق. م) وهو :

---

(١) د. سليمان سعدون : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

مانو – دانو أو مارى – دان (وثيقة ٤ أ – ب)

وجاء فى النصوص الآشورية أسماء ثلاثة من ملوك دلمون وهم :[(١)]

(١) **خوندارو** الذى كان معاصرا للملك شالما نصر الثالث (٨٥٩ – ٨٢٣ ق. م) .

(٢) **أوبيرى** الذى كان معاصرا للملك سرجون الثانى (٧٢٢ – ٧٠٥ ق. م) .

(٣) **كاتايا** الذى كان معاصرا للملك أسرحدون (٦٨٠ – ٦٦٩ ق. م) .

وتظل منطقة الخليج العربى تتعرض للنشاط الحربى لملوك بلاد النهرين أثناء العصر الكلدانى حتى أصبحت جزءا من الإمبراطورية الكلدانية كما يستدل على ذلك من نص للملك نابونيد الذى يشير إلى " محافظ " دلمون .

وكان الآشوريون يطلقون على الخليج أسماء :

" بحر الشروق الكبير " ، وأيضا " البحر أى البحر السفل " فى مقابل البحر الأعلى وهو " البحر المتوسط " ، و " البحر المر أى الملح "[(٢)] ولم يرد اسمه فى الكتابات الفارسية القديمة ، لذلك لا نعرف ماذا كان يسمى عندهم .

عند قيام الإمبراطورية الفارسية الأخشيدية تحول الخليج العربى تبعا لذلك إلى منطقة نفوذ فارسى ، وأدى ذلك إلى اعتبار الخليج العربى مجرد " بحيرة " داخلية ضمن إمبراطورية شاسعة الأطراف . وظلت المنطقة تحت النفوذ الفارسى الأخمينى حتى ظهور الإسكندر المقدونى الذى أدخل الخليج تحت نفوذه ونفوذ خلفائه من السلوقيين .

---

(١) د. سليمان سعدون : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الثانى والأول قبل الميلاد ، ص ١٣٣ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١١٧ ؛ د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٩٠ .

ثامنا : ذكر مناطق الخليج العربى فى الوثائق اليونانية وعند الكتاب الكلاسيكيين :

ذكر هيرودوت فى القرن الخامس ق. م . (BK VII, ch. 89)

" أن أهل المعرفة من الفرس ذكروا أن الفينيقيين .. قد جاءوا إلى بحارنـــا من البحر الذى يطلق عليه الأحمر ، وأنهم أقاموا فى المنطقة التى لا زالوا يشـغلونها وبدأوا فى الحال يقومون برحلات طويلة " .[١]

ربما تأثر بعض الباحثين بما ذكره هيرودوت ، ورأى أنهم جاءوا أصلا من مكان ما فى شبه الجزيرة العربية يطل على البحر حيث اكتسبوا هذه المـــهارة مثـل سواحل البحر الأحمر أو الخليج العربى قبل أن يفدوا إلى الساحل السورى .[٢]

ويذكر أيضا (الجزء الثانى : الفصل ٤٤) " أن كهنة صور قد أكدوا لـــه حينما قام بزيارة البلاد حوالى عام ٤٥٠ ق. م . أن معبد ملقارت[٣] قد بنى عند بنــاء المدينة نفسها منذ عام ٢٢٠٠ ق. م . " أى أنه شيد حوالى عام ١٧٥٠ ق. م .[٤]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١١٧ ؛ د. لطفـــى عبـد الوهـــاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٩٠ ؛ د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ قـــدم العصور التاريخية ، ص ٨٣ ؛ محمد عزة دروزة : تاريخ الجنـــس العربـــى ، الجزء الخامس ، ص ١٢٧ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ؛ د. أبو المحاسن عصفـور : المدن الفينيقية ، ص ١٤ حاشية (٣) .

(٣) هو بعل صور واسمه (ملقارت) بمعنى معبود المدينة . وكان هـــذا المعبـود أصلا معبودا قبليا وشبه اليونان بالمعبود هرقليس . وأقيم فى صور عيد سـنوى للمعبود ملقارت وكانت له صفات بحرية تربطه بالشمس ، راجـــع : د. عبـد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢١٩ ؛ د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منـــذ أقدم العصور التاريخية ، ص ١٦٣ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٢٥ – ١٢٨ .

جاء فى أخبار المؤرخين اليونانيين القدماء أنه حينما عاد الإسكندر الأكبر من الهند مر بالخليج ، وقد أمر أحد قواده أن يستطلع مياه هذا الخليج وفى نفس الوقت أوفد الإسكندر بعثات استطلاعية لكشف الساحل العربى للخليج وقد كان على رأس أحد تلك البعثات اركاياس الذى وصل حتى تايلوس والتى يحتمل أن تكون البحرين ، ومن البعثات الاستطلاعية التى أوفدها الإسكندر أيضا ، بعثة اندروستين وكان مواطنا من ثاوسوس (إحدى جزر بحر ايجه) وقد تقدما هذان المكتشفان فى تلك الأراضى ، وجاء من بعدهما هيرون من سولى ولم يستطع هذا الأخير أن يصل إلى نتيجة حاسمة .

وبالرغم من عدم نجاح هذه البعثات فإن الإسكندر كما هو عادته لم ييأس من مواصلة جهوده لمعرفة الشاطئ العربى لهذا الخليج ، فأصدر أوامره إلى نيازك بإعداد أسطول لتحقيق أهدافه .[1] فرحل نيازك من نهر الهندوس عام ٣٢٤ ق. م . على ظهر إحدى السفن وظل مائة وثلاثين يوما قبل أن يصل إلى الخليج . وبعد هذه الرحلة الطويلة وصل الأسطول إلى مصب الفرات عند قرية تسمى دير ديريدونيس وقد استمر أسطول نيازك فى التقدم فى مجرى نهر كارون الذى يجرى فى بلاد

---

(١) وأقيمت فى بداية شهر يونيو عام ٣٢٣ وليمة ملكية لتكريم نيازك ورفاقه من البحارة قبل البدء فى رحلة المحيط الهندى . وبينما كان الإسكندر عائدا إلى غرفته فى ساعة متأخرة ، دعاه صديقه مديوس لتمضية بقية الليل لتناول بعض الشراب ، وفى اليوم التالى انتابته حمى شديدة ، وعلى الرغم من ذلك حث نيازك على إعداد الحملة البحرية والتى حدد تاريخها من الآن بعد أربعة أيام . وقد حمل إلى النهر فى ليلة من الليالى . ونقل الإسكندر المريض إلى الضفة الأخرى وأقام فى منزل هناك . وقد ظل فى هذا المنزل ستة أيام ولا زالت الحمى لا تفارقه واشتد عليه المرض وكان يرغب دائما فى أن يصاحب الحملة ولكنه أجبر على إرجائها يوما بعد يوم حتى توفى فى اليوم الثالث عشر من يونيه عام ٣٢٣ ق. م ، راجع : د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٧٠٢ – ٧٠٣ .

فارس حتى وصل إلى مدينة سوس .[١] وبذلك افتتح أول طريق إلى الهند عبر الخليج . ومن ذلك نرى أن الإسكندر قد فطن إلى أهمية الخليج كطريق رئيسى للتجارة بين الهند والبحر المتوسط عن طريق الفرات .

ومن ذلك يتبين لنا أن نيازك لم يقبل على هذا العمل إلا بأمر من الإسكندر الذى لم يتوقف طموحه عند هذا الحد من اكتشاف الشاطئ الفارسى للخليج بل كان واسع الأفق فامتد بصره نحو الجزيرة العربية . من أجل ذلك يمم وجهه نحو شط العرب ، وعمل جاهدا على اكتشاف تلك الأرض المجهولة على الشاطئ العربى وذلك للسيطرة التامة على الشاطئين العربى والفارسى للخليج .

ويذكر لنا نيازك أنه زار مدينة تسمى صيدا تقع على الشاطئ الشرقى للجزيرة العربية .[٢]

ويرجع إلى فترة الإسكندر أيضا ثيوفر استوس ، وكان أخصائيا فى التاريخ الطبيعى وأحد تلاميذ أرسطو وخليفة هذا المفكر فى رئاسة معهد اللوقيون . ويذكر أنه كان يزرع فى تايلوس زراعات كبيرة من شجرة القطن ، وأن مساحات كبيرة من الجزيرة [٣] . كانت تثبت فيها ، بالإضافة إلى ذلك ، يتحدث ثيوفراستوس قائلا :

---

(١) لقد فكر الإسكندر فى أن يجعل موانئ الخليج العربى مثل موانئ فينيقيا وكان يأمل فى إنشاء طريق للتجارة منظم من الهند إلى دجلة والفرات ، وبعد ذلك تمر التجارة فى قنوات تصل النيل بالبحر الأحمر . وأراد الإسكندر أن تكون بابل عاصمة إمبراطوريته ، وأن تكون محطة بحرية ومركزا تجاريا بحريا ، وشرع فعلا فى حفر ميناء عظيم يتسع لألف سفينة ، راجع د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٧٠٠ – ٧٠١ ؛ د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٨٣ .

(٢) وهى جزيرة المنامة الحالية ، راجع : د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، ص ٢٩٦ ، حاشية ١٤٢ .

(٣) د عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

" كان يوجد فى هذه الجزيرة نوع من الخشب يصلح لبناء السفن ، يعيش فى الماء ولا يتلف ، ويبقى أكثر من مائتى سنة وأنه يتلف بسرعة خارج الماء " .

ويبدو أن هذا الخشب كان يستورد من الهند ويصل إلى تايلوس ، لأنـــه لا يمكن إنباته فى هذه الجزيرة .(١)

ومن أهم الكتاب الكلاســـيكيين الذيــن تحدثـوا عــن منطقــة الخليــج : **اراتوسثينيس** (الذى عاش من عام ٢٧٦ إلى عام ١٩٤ ق. م) وتـــرك معلومـــات كثيرة عن الشاطئ العربى للمنطقة .(٢)

اجاثار شيدس ، وهو يونانى سكندرى ، صاحب كتاب " الطـــواف حـــول البحر الأرتيرى " والذى ظهر في الثلث الأخير من القرن الثانى ق. م . ويصف فيــه الكتاب الساحل الغربى لشبه الجزيرة العربية ضمن وصفه لسواحل البحر ، فتحـــدث عن عمانا أى عمان .(٣)

ارتميدوروس (الذى اشتهر بين عام ١٠٤ و ١٠١ ق. م) الذى اشار إلـــى أن الجرهائيين (أهل جرهاء على شاطئ الخليج) والســـبئيين أصبحـــوا ، بســـبب تجارتهم أغنى الجميع . فلديهم قدر كبـــير مـــن الأدوات المصنوعـــة مـــن الذهـــب والفضة .(٤)

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(٢) د. جواد على : تاريخ العرب قبـــل الإســـلام ، الجـــزء الثـــالث ، ص ٣٠٠ ؛ د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

(٣) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع الســـابق ، ص ٣٠٩ – ٣١٠ ، ٣٧٥ ويـــرى المؤلف أن جرهاء هذه هى مدينة من المرجح أنها كانت تقع على مقربـــة مـــن ميناء العقير الحالية (شمال شرقى الهفوف) فى وسط ساحل شـــبه الجزيـــرة المطل على الخليج ، المرجع السابق ، ص ٣١٧ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

وهناك نصان للرحالة والمؤرخ الجغرافى اليونانى سترابون الذى كتب فى أواخر القرن الأول ق. م . وأوائل القرن الأول الميلادى (٦٤ أو ٦٥ ق. م – ٢١ م) يتحدث فيهما عن منطقة الخليج :

- ففى الأول (الفقرة XVII, 11) يعود بنا إلى أيام الإسكندر فيقول :

" ان الإسكندر فكر فى أن يجعل نفسه سيدا على البلاد (الجزيرة العربية) ، وقد أعد فعلا أسطولا ومواقع للالتقاء فيها ، وبنى سفنا فى فينيقيا وقبرص ، وبعضها كان مفككا إلى قطع ، وبعضها كان مكونا من أجزاء كبيرة وقد ربط بمسامير ، وبعد أن سلمت هذه إلى ثابساكيس بعد سبع مسافات من مسيرة نقلت إلى النهر عند بابل ، وكذلك بنى سفنا أخرى فى بابل من شجر السرو الذى ينمو فى الغابات الصغيرة والحدائق ، لأن هناك ندرة واضحة فى الخشب فى بابل " .[1]

– وفى الثانى (الفقرة XVI, 111, 3-4) يتحدث عن الخليج الذى تطل عليه منطقة البحرين ويذكر اسما جزيرتين فى منطقة الخليج اسم أحدهما تيروس (أى صور) والأخرى ارادوس (أى ارواد) فيها هياكل تشبه الهياكل الفينيقية . ويضيف قائلا أن أهل الجزيرتين يعتبرون المدينتين الفينيقيتين المسميتين صور وارواد مستعمرتين من مستعمراتهم ، وهذا هو الأرجح .[2]

ويبدو أن الفينيقيين فى توسعاتهم التجارية وصلوا إلى منطقة الخليج . ومن هنا وفى ضوء النص الذى أورده سترابون تبرز أهمية منطقة الخليج للفينيقيين وخاصة وأنه فى إحدى جزر البحرين الكبير عدد كبير من المقابر التى تشبه المقابر الفينيقية .[3]

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٦٣- ٦٤ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) ويرى د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٢٤ أن احتمال أصل أجداد الفينيقيين من الخليج أمر قبوله يحتاج إلى براهين قوية وإلى حقائق أقوى . ==

والمقصود بالمعابد هنا هى المقابر ، لأن الحجرات الجانبية على طول الممر والتى كانت مخصصة للدفن لا نظير لها ، حيث أنه يوجد أمثلة من مقابر ذا طابقين فى جبانة (عمرى) بفينيقية ، وفى جزيرة سردينيا وقرطاجة .[١]

كما تحدث سترابون عن مصبات دجلة والفرات فى الخليج العربى ، ويتبين مما قاله أن هذه الأنهار كانت فى أيامها يصب كل منهما على حدة فى الخليج .[٢]

ويضيف بلينيوس (V1, 32) الذى عاش بين عام ٢٣ أو ٥٤ – ٧٩ ميلادية الساحل نفسه بما يأتى :

" سوف نقوم الآن بوصف الساحل (أى الساحل الغربى للخليج) بعد أن نغادر شاراكس أو شاراكس سباسينو (التى أنشأها الإسكندر ، وهى تقع بين مصبى دجلة والفرات ، ومن الجائز أنها تقع عند مدينة المحمرة الحالية) ..... واستمر بلينيوس يذكر اسماء الجزر والخلجان الموجودة على هذا الساحل إلى أن ذكر جزيرة تايلوس (وهى البحرين والتى جاء ذكرها عند سترابون تحت اسم تيروس) وشهرتها اللؤلؤ أو تيلوس وارادوس (وهى اسماء للجزر التى أعطاها سترابون وبلينيوس) الموجودة فى الخليج ، وبين صور وارواد على الساحل الفينيقى كل ذلك يستحق الاعتبار[٣] ويحتاج إلى بحث طويل وعدة مقالات .

وذكر بلينيوس أيضا أرض عمان وهى مدينة على حد قوله[٤]، كما ذكر

= وأن أمر ارتيادهم البحار الشرقية لا زال قبوله يحتاج إلى كثير من الوثائق ، راجع د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ ؛ د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٨٣ .

(١) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

أيضا ما يشير إلى استمرار زراعة القطن فى تايلوس أو أرادوس حتى أيامه[١]، وأنه كان يوجد فى الجزيرة مساحات كبيرة لإثباته . كما وصف منطقة الخليج بما فيها من مصبات دجلة والفرات بشئ من التفصيل وكذلك عيلام .[٢]

وذكر اريانوس وهو من الكلاسيكيين الذى توفى عام ١٧٥ ميلادية ، أن الإسكندر أرسل بعثة إلى الخليج تمهيدا للاستيلاء على المنطقة ، واستطرد قائلا أن هذه البعثة قد عادت بعد أن نزلت فى جزيرتين ، أحدهما كانت مساحتها كبيرة وسماها تايلوس[٣]، والأخرى كانت صغيرة ، وذكر أن المواطنين فى هذا الوقت كانوا يعبدون ارتميس معبودة القمر وقد جاء فيما كتبه اريانوس أن الإسكندر أصدر أمرا بتسمية الجزيرة الصغيرة (ايكاروس) (أى فيلكا) وذلك تشبها بجزيرة يونانية من جزر بحر ايجه والتى كانت تقدس المعبودة ارتميس لأن اليونانيين كلما نزلوا بأرض خلعوا عليها اسما من الأسماء الموجودة عندهم ، وقد وجدنا ذلك فى مصر وفى سوريا وفى آسيا الصغرى .[٤]

ويذكر اريانوس أن الإسكندر أنشأ مدينة فى النهاية القصوى من شمال الخليج العربى وسماها وشيد حولها سورًا لحمايتها .[٥]

وتحدث الجغرافى اليونانى بطلميوس الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى ، عن الجزيرة العربية . واشتهر عند المسلمين كما اشتهر عند اليونان والرومان (كتب بين ١٢١ ، ١٥١ م) وتحدث بالتفصيل عن أهم الأماكن فيها . ورسم بطلميوس جبال وسلاسل جبلية فى خريطة لجزيرة العرب ، وتحدث عن

---

(١) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث، ١٩٥٣ ، ص ٣٠٠ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٢٧ – ١٢٩ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٣) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٢٩٥ – ٢٩٦ ، ٣٨٥ .

(٤) محمد عزه دروزه : تاريخ الجنس العربى ، الجزء الخامس ، ص ٤٠١ .

(٥) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١٣١ .

قبائلها ، وتحدث أيضا عن شمال وجنوب وشرق وغرب الجزيرة وأشار إلى جزيرة " فليجة " (فيلكا)[١] وقد ورد اسم قطر فى خريطة بطلميوس وذلك كاسم لمدينة وهى " قاطارى – Cattarrei "[٢] كما ذكر بطلميوس اسم عمانى الذى خمنه الأثريون منطقة عمان .[٣]

وكان اليونان هم أول من أطلق تسمية الخليج الفارسى على الخليج العربى وعرف عند الكتبة الرومان باسم " البحر الفارسى " .[٤]

تاسعا : بعض الآثار اليونانية التى عثر عليها فى منطقة الخليج العربى :

عندما جاء اليونانيون إلى الخليج امتد نفوذهم الحضارى إلى عدة مناطق وتأثر أهل الخليج فى تلك الفترة بالحضارة اليونانية .

فعندما قامت البعثة الدنمركية بالحفر فى فيلكا وعثرت فى عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ فى الناحية الشرقية من تل سعد وتل سعيد على بقايا أحجار عليها نقوش يونانية وفى أحد مواسم البعثة الدنمركية عثرت على قوالب من الآجر ، منها قالب عليه وجه الإسكندر ، وقوالب أخرى صبت فيها مادة طرية فخرج تمثال يونانى يمثل معبود النصر اليونانى . ولما عادت البعثة للعمل فى هذا المكان عام ١٩٦٠ ، فواصلت الحفر عثرت على معبد ، يقع أمامه مذبح ، وقد ظهر أن هذا المعبد قد بنى على الطراز الهلينى ومكون من قسمين : قسم داخلى وقسم خارجى وعثرت البعثة على أحجار كبيرة من عناصر معمارية لهذا المعبد منها تاج آيونى . كما عثرت البعثة على بعض الأحجار التى تحمل كتابة يونانية كشف عن رأس تمثال يونانى

---

(١) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، ص ٣٨٣ – ٣٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٨ حاشية (١٦١) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٠٠ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٣٠ – ١٣١ .

صغير الحجم .[١]

وأما أهم ما عثرت عليه البعثة فى موسم عام ١٩٦٠ هو حجر ايكاروس و ١٣ عملة فضية . وأما عن حجر ايكاروس والذى يعد من أهم ما كشفت عنه البعثة فى هذا الموسم ، فكما ذكرنا من قبل ، أن هذا الحجر يبلغ طوله ١٦,٥ سم وعرضه ٦٢ سم ، وعليه نقوش يونانية كتبت فى ثلاثة وأربعين سطرا .[٢] جاء فيها ما يشير إلى أن الملك (وغالبا ما يكون الإسكندر أو أحد الذين جاءوا من بعده) أصدر أمرا إلى حاكم جزيرة ايكاروس (وهى فيلكا) يطلب فيه من أهالى الجزيرة العناية بمعبد (المخلصة) ، وكان يقصد من وراء ذلك للمعبود ارتميس اليونانية ، وهى معبودة الصيد ومعبودة القمر ، كما طلب من أهالى ايكاروس العناية بمعبد المعبود مثرا (وهو المعبود مثراس معبود الشمس) ، كما يرغب من أهالى الجزيرة أن يعتنوا بالجزيرة فيفلحوا أرضها حتى تكثر الغزلان فيها .[٣]

ويبدو أن فيلكا كانت آهلة بالسكان ، وأنها كانت مستقرا يلجأ إليه الحكام للراحة والهدوء فى بعض فصول السنة .

ولما جاء اليونانيون إلى الخليج امتد نفوذهم إلى قطر ، وتأثر القطريون بهم ، فاستخدموا العملة اليونانية ، والخزف اليونانى ، ويثبت ذلك الآثار التى وجدت فى قطر والمعروضة بمتحف قطر الوطنى .

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ حاشية (١٦١) .
وجاء فى كتابات الرحالة والكتاب الكلاسيكيين وغيرهم ذكر حوالى ٣٨ اسما لشعوب وقبائل وجزر ومدن وقرى وموانى تقع على الساحلين الشرقى والغربى للخليج العربى . وأمكن التعرف على أغلب هذه الأسماء وتقريبها إلى الأسماء الحالية ، راجع : محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربى ، الجزء الخامس ، صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٥٩ ، ص ١٢٦ – ١٣١ .

(٢) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٣٠٠ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٣٠ – ١٣٢ .

أرسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى عرب الخليج الصحابى الجليل أبا العلاء الحضرمى يحمل كتابا إلى المنذر بن ساوى التميمى على الساحل الغربى للخليج العربى يدعوه ، فأسلم المنذر ولبى عرب الخليج دعوة الإسلام ، كذلك أرسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) عمرو بن العاص إلى قبائل الأزد فى عمان فأسلم عرب عمان .

وبإسلام عرب الخليج اصبح الساحل الغربى للخليج العربى جزءا من الدولة الإسلامية فخرج أهل الخليج يقاتلون فى صفوف الجيش الإسلامى . والذى تصدى لأكبر إمبراطوريتين فى ذلك الوقت وهما إمبراطوريتا الفرس والرومان .

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم
وبعض مظاهرها الحضارية

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم
وبعض مظاهرها الحضارية القديمة
(الأجزاء الوسطى وما حولها من شبه الجزيرة والأماكن في الأطراف الشمالية الغربية)

طبيعة شبه الجزيرة العربية الجغرافية :

تقع شبه الجزيرة العربية فى القسم الجنوبى من القارة الآسيوية وتحدها مياه البحار من الشرق الخليج العربى وخليج عمان والغرب والبحر الأحمر وفى الشمال الغربى البحر المتوسط وفى الشمال الشرقى نهر الفرات وفى الجنوب بحر العرب ، وكان ذلك من الأسباب التى جعل المؤرخون العرب يسمونها (جزيرة العرب) بشكل تجاوزى على أنها جزيرة ، ويحدها من الشرق الخليج العربى . أما الحدود الشمالية والشمالية الشرقية لشبه الجزيرة فهى المنطقة الصحراوية التى تمتد بين وادى النهرين والمنطقة السورية ، والتى تقع إلى جنوبى امتداد الهلال الخصيب والقسم الشرقى من هذه المنطقة وهو القسم المتاخم لوادى النهرين يعرف باسم بادية السماوة بينما يعرف القسم الغربى المتاخم لسوريا باسم بادية الشام .

وفى حدود هذا الإطار الجغرافى نجد أن العمود الفقرى لشبه الجزيرة العربية هو سلسلة من الجبال تمتد من جنوبى سوريا فى الشمال إلى اليمن فى الجنوب موازية لساحل البحر الأحمر وقريبة منه ، وهى جبال السراة . وهى سلسلة يصل ارتفاعها ٩٠٠٠ قدما فى منطقة مدين فى القسم الشمالى الغربى لشبه الجزيرة ، وفى الوسط (الحجاز الحالية) إلى ١٠٠٠ قدما وإلى أكثر من ١٢,٠٠٠ قدما فى اليمن ، وهذه السلسلة الجبلية تنحدر انحدارا شديدا نحو الغرب حيث المنخفض الساحلى الذى تغسله مياه البحر الأحمر ، وفى وسط هذا الامتداد المتدرج الكبير تقع هضبة نجد التى يبلغ متوسط ارتفاعها ٢٥٠٠ قدما كما توجد بها سلسلة من الجبال

هى جبال شمر ، تصل إحدى قممها ، وهى جبل اجا ، إلى ٥٥٥٠ قدما فوق مستوى البحر .

أما عن بقية شبه الجزيرة فنحن نجد شريطا من الأرض المنخفضة على طول السواحل الجنوبية والشرقية تليها نحو الداخل سلاسل جبلية تصل ارتفاعاتها متفاوتة ، ومن بين هذه المرتفعات يصل الجبل الأخضر فى عمان إلى ٩٠٠٠ قدما مشكلا بذلك استثناء واضحا للاتجاه الشرقى المتدرج لسطح شبه الجزيرة .

وفيما عدا السلاسل الجبلية والمناطق المرتفعة ، وأهمها نجد الهضبة الوسطى الشمالية ، فإن بقية الأرض تتكون من امتدادات مقفرة أو مناطق معشبة وهذه الأخيرة تسمى الوارات (أى المناطق السهلية) .

أما المناطق الصحراوية المقفرة فيمكن تقسيمها من حيث تكوينها ، إلى ثلاثة أقسام : وأحد هذه الأقسام هو منطقة النفوذ .[١]

والمنطقة تشكل امتداد صحراويا واسعا يقع بشكل مستعرض فى القسم الشمالى من شبه الجزيرة ويبلغ طوله نحو ٤٥٠ كيلو مترا وعرضه نحو ٢٥٠ كيلو مترا .

أما القسم الثانى فيعرف باسم الدهناء أى الأرض الحمراء وهو سطح شاسع من الرمال يبتدئ من النفود فى الشمال ويمتد فى شكل قوس كبير عبر مسافة تزيد عن ٦٠٠ ميلا نحو الجنوب الشرقى وطولا فى المنطقة المعروفة باسم الربع الخالى والجزء الغربى من الدهناء يعرف أحيانا باسم الأحقاف (أى الكثبان الرملية) .

ويبدو أن المنطقة كانت أقل إقفارا فى مجال الحياة ومجال السكان لفترة طويلة أو قصيرة قبل الإسلام لسببين إحداهما أنها كانت أكثر مطرا ومن ثم كانت

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٨٩ - ٩٣ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٩٣ - ١٣٦ ؛ السيد أحمد أبو الفضل : مكة فى عصر ما قبل الإسلام ، ص ١٥ - ٣٠ .

كما يشير النص إلى الدلمونيين مما يدل على تواجدهم فى عهد الدولة البابلية القديمة بعد عهد حمورابى .

(٦) لوحة سامسو – أيلونا

فى متحف ولكوم بلندن ، تذكر " ١٢ مانا من النحاس من الأشياء [١] ، ومن دلمون " .

(٧) كونز – ناخونتى الأول (١٧٣٠ – ١٧٠٠ ق.م) :

يشير نص من سوس يؤرخ بعهد أمير سوس ، كونز – ناخونتى ، إلى أن الدلمونيين قد جلبوا ١٧,٥ مانا من الفضة .

(٨) وثائق أرشيف القصر الملكى فى مارى :

من بين هذه الوثائق رسالتين يذكر فيهما اسم دلمون :

أ – رسالة الملك **يشمخ اداد** (١٧٩٦ – ١٨٧٠ ق.م) ملك مارى أرسلها إلى حمورابى ملك بابل (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م) يخبره فيها بأن قافلة تجارية قد أرسلها إلى **دلمون** ولكن القافلة تعرضت للتأخير بعد ان أعاق مواصلة سيرها شخص يدعى " ايل أبوخ " .

ب– الرسالة الثانية من **شمش** اددا إلى ابنه يشمخ اداد يذكر فيها أن رسولا قادما من دلمون قد احتجز فى مارى وهو فى طريقه إلى الملك على آثر حادث وقع فى بيت أحد التجار .

(٩) وثيقة ملكية آشورية من عهد الملك توكولتى – نينورتا الأول ١٢٤٣ – ١٢١٠ ق.م) : كان يتخذ فيها الألقاب الآتية :

"ملك آشور ، ملك سومر وأكد ، ملك سبار وبابل ، ملك دلمون وملوخا ،

---

(١) هو اسم لجزيرة قبرص ، وكان هذا الاسم معروفا أيضا فى النصوص المصرية القديمة .

أكثر خصبا ، وثانيهما أنها كانت تمر بها بعض الطرق التى تسلكها الخصوص التجارية من جنوبى شبه الجزيرة إلى شواطئ الخليج . وقد أشار القرآن الكريم إلى منطقة الأحقاف كموطن لقوم عاد .(١)

أما القسم الثالث فهو يعرف باسم الحرار أو الحرات (جمع حرة) وهى الأرض التى تغطيها حجارة بركانية سوداء . وتوجد الحرار فى شبه الجزيرة العربية على امتداد المنطقة الغربية من الجنوب قرب باب المندب حتى تلتقى بالمنطقة التى توجد فيها الحرار فى سوريا فى منطقة حوران ، كما توجد فى بعض المناطق الوسطى فى شبه الجزيرة مثل المنطقة الشرقية الجنوبية من هضبة نجد ، وقد عد أحد علماء العرب ٢٩ من هذه الحرار منها حرة تبوك وحرة النار قرب خيبر (وكلاهما فى شمال غربى شبه الجزيرة) وحرة واقم التى تقع إلى شرقى المدينة وحرة دبرة غربى المدينة وحرة ضروان فى اليمن .(٢)

وفى نطاق هذه الملامح العامة لحدود شبه الجزيرة العربية وحدودها تعرفت دول وشعوب العالم القديم على شبه الجزيرة وحاولوا تصورها فى أقسام تتفق بشكل أو بآخر مع اهتماماتهم السياسية أو الاقتصادية أو مع معلوماتهم الجغرافية . **ففى الفترة الممتدة من أواسط القرن التاسع ق. م . والنصف الثانى من القرن السادس** ق. م ، كانت الدول والشعوب المجاورة **تعنى بالقسم الشمالى** فحسب من بلاد العرب .

ففى المصادر الآشورية والبابلية الكلدانية ، نجد أنها ذكرت فى نصوص شالما نصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٣ ق. م) على أنها القسم الشمالى لشبه الجزيرة . وهو القسم الذى يشكله المعبر بين وادى النهرين وسوريا . وفى آخر عهد الدولة البابلية الكلدانية نجد أن هذا التصور يتسع بعض الشيء إذ نجد الملك نابونيد ٥٥٠ - ٥٣٩ ق. م . يذكر مدينة التيماء التى توجد جنوبى هذا المعبر كما وصل بحملاته إلى

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٥ - ٩٦ .

يثرب (المدينة فيما بعد) .[١]

وفى أواخر القرن السادس وأواسط القرن الخامس ق. م . نجد أن تصور الفرس لبلاد العرب يتراجع ، على ما يبدو ، إلى تصور الآشوريين أى إلى المعبر الصحراوى بين وادى النهرين وسوريا .

وفى أواسط القرن الخامس ق . م . نجد أن مفهوم الجزيرة العربية عند الكتاب الكلاسيكيين (اليونان والرومان) سواء كانوا مؤرخون أو رحالة أو جغرافيون أو كتاب موسوعيون أصبح أكثر شمولا . وقدموا تحديدا عاما لشبه الجزيرة العربية مع تقسيمها إلى مناطق طبيعية ، وكان على رأسهم هيرودوت الذى كان أول من دفع بحدود بلاد العرب لكى تشمل كل شبه الجزيرة العربية .

وقد أخذ بنفس المفهوم بطلميوس كلاوديوس فى القرن الثانى الميلادى ولم يقتصر الكتاب الكلاسيكيون على تقديم التحديد العام لشبه الجزيرة العربية ، وإنما تعدوا ذلك إلى تقسيمها إلى مناطق طبيعية ، أقسام تضم الأماكن الزراعية أو الرعوية أو التى يعيش أهلها على التجارة . كما وصفوا تضاريسها وشواطئها ومناخها وسكانها ونباتها وحيوانها . وكان مفهوم الجزيرة العربية عند الكتاب الكلاسيكيين يضم ثلاث مناطق :

المنطقة الأولى أطلقوا عليها اسم (العربية الصحراوية) وهى القسم الأكبر من الناحية الشرقية الذى يتوسط وادى الفرات وسوريا غربا . والمنطقة الثانية هى (العربية الصخرية) وتضم الجزء الغربى من هذا الامتداد وتقع فى وسطها مدينة البتراء المنحوتة فى الصخر قرب وادى موسى (فى الأردن حاليا والتى اتخذها الأنباط عاصمة لهم فى القرن الأول ق. م . أما القسم الثالث من هذه المناطق الطبيعية فسموه (العربية الميمونة أو المباركة) وهو القسم الذى يقع إلى الجنوب من خط وهمى يمتد من الطرف الشمالى للخليج العربى (أو الفارسى حسب التسمية

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٩٦ - ٩٧ .

الألف الثانية ق.م . بين ملوك بلاد النهرين ومناطق دلمون وماجان وملوخا . وهنـالك أيضا نصوص العقود والمراسلات التجارية وكتابات المعابد وقوائم حساباتها . وهناك كذلك النصوص الأدبية كالأساطير والقصائد والقصص .وتوجـد أيضـا المصـادر الأثرية .

المصدر الأول : الوثائق الملكية :

(١) وثائق الملك **جونجو نوم** من أسرة لارسا (١٩٣٢ – ١٩٠٦ ق.م) :

التى تتحدث عن إرساله بعثة تجارية إلى **دلمون** التى جلبـت لـه الذهـب والفضة والنحاس والعقيق الأحمر والعاج .

(٢) وثائق الملك واراد سين (١٨٢٤ – ١٨٢٣ ق.م) :

من أسرة لارسا أيضا وقام بتشييد معبد للمعبودة انيـن فـى مدينـة أور ، وأطلق على هذا الاسم " **معبد دلمون** " .

(٣) ريم سين (١٨٢٢ – ١٧٦٣ ق.م) :

تذكر إحدى الرسائل التى كتبها موظف تابع للملك ريم – سين مـن أسـرة لارسا أيضا إلى أحد التجار البحرين ، أن القصر (أى الملك) له اهتماماته بتجارة دلمون وأنه يعمل على توطيد العلاقات التجارية الهامة .

(٤) سومو – ايلوم (١٨٨٠ – ١٨٤٥ ق.م) :

تبين وثائق الملك سومو – ايلوم ، ملك بابل ، أن بابل كانت تستورد مختلف المواد التجارية من دلمون كالأخشاب والذهب والنحاس واللؤلؤ واللازورد والتمـاثيل المرصعة بالعاج وغيرها .

(٥) سامسو – أيلونا (١٧٤٩ – ١٧١٢ ق.م) :

تبين وثائق الملك البابلى ، سامسو – ايلونا ، أنواع المواد التجارية التى كان يقدمها تجار دلمون إلى معبد المعبودة ننجال ، وكذلك كعشر من أرباحهم من التجـارة

كما يشير النص إلى الدلمونيين مما يدل على تواجدهم فى عهد الدولة البابلية القديمة بعد عهد حمورابى .

(٦) لوحة سامسو – أيلونا

فى متحف ولكوم بلندن ، تذكر " ١٢ مانا من النحاس من الأشياء [١] ، ومن دلمون " .

(٧) كونز – ناخونتى الأول (١٧٣٠ – ١٧٠٠ ق.م) :

يشير نص من سوس يؤرخ بعهد أمير سوس ، كونز – ناخونتى ، إلى أن الدلمونيين قد جلبوا ١٧,٥ مانا من الفضة .

(٨) وثائق أرشيف القصر الملكى فى مارى :

من بين هذه الوثائق رسالتين يذكر فيهما اسم دلمون :

أ – رسالة الملك يشمخ اداد (١٧٩٦ – ١٨٧٠ ق.م) ملك مارى أرسلها إلى حمورابى ملك بابل (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م) يخبره فيها بأن قافلة تجارية قد أرسلها إلى دلمون ولكن القافلة تعرضت للتأخير بعد ان أعاق مواصلة سيرها شخص يدعى " ايل أبوخ " .

ب– الرسالة الثانية من شمش ادادا إلى ابنه يشمخ اداد يذكر فيها أن رسولا قادما من دلمون قد احتجز فى مارى وهو فى طريقه إلى الملك على أثر حادث وقع فى بيت أحد التجار .

(٩) وثيقة ملكية آشورية من عهد الملك توكولتى – نينورتا الأول ١٢٤٣ – ١٢١٠ ق.م) : كان يتخذ فيها الألقاب الآتية :

"ملك آشور ، ملك سومر وأكد ، ملك سبار وبابل ، ملك دلمون وملوخا ،

---

(١) هو اسم لجزيرة قبرص ، وكان هذا الاسم معروفا أيضا فى النصوص المصرية القديمة .

الكلاسيكية آنذاك) فى الشرق ، إلى رأس خليج العقبة (خليج ايلـــة فـى الكتابـات القديمة) وقد سماها الكتاب الكلاسيكيون بهذا الاسم لوفرة مواردها ، ســواء كـانت زراعية أو تجارية .[١]

وقسم الجغرافيون العرب القسم الثالث أى (العربية الميمونة أو المباركـة) إلى خمس مناطق :

أول : هذه المناطق هى منطقة الحجاز ، وأطلقها الجغرافيون العرب علـى المنطقة التى تمتد فيها سلسلة جبال السراة التى تخترق شبه الجزيرة من الشمال إلـى الجنوب . وسبب تسميتها بالحجاز عند العرب هو أنها تحجز بين المنطقـة الضيقـة التى توجد إلى غربيها نحو ساحل البحر الأحمر ، والمنطقة الفسيحة التى تمتد شـرقى هذه الجبال حتى الخليج . وكان بها عدد غير قليل من الأدوية .[٢]

الثانية : هى منطقة تهامة وهى المنطقة الضيقة المنخفضة التى تقـع بيـن جبال الحجاز والبحر الأحمر . وكانت كلمـة تهامـة عنـد العـرب تعنـى الأرض المنخفضة .

الثالثة : هى اليمن وتقع فى الركن الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة العربيـة وتخترق جبال السراة اليمن حتى البحر عند حدودها الجنوبية .

ويتخلل المنطقة سواء فى المناطق السهلية أو فى الهضبة المطلة على عـدن عدد من الوديان الجافة تتساب فيها المياه فى الموسم المطير . وربما كانت هذه بقايـا أنهار قديمة ولكنها جفت على مر القرون .

الرابعة : هى منطقة العروض . وهى تغطى الامتـداد الـذى يبـدأ مـن

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٩٨ - ١٠٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٠ ؛ د. بيومى مهران : المرجع الســابق ، ص ٩٥ - ٩٨ .

الأطراف الشرقية لليمن ثم يستمر فى اتجاه شرقى وشمالى شرقى حتى يصل إلى اليمامة وشواطىء البحرين . وتتكون المنطقة من صحارى وسهول ساحلية ، وفيها عدد قليل من الواحات التى نجمت عن سقوط القليل من المطر أو عدد عن وجود بعض العيون التى تبلغ نحو ٤٠ عينا وبين مدنها " هجر " التى عرفها الكتاب الكلاسيكيون باسم اجرا ، والعقير ولعلها كانت المدينة التجارية الهامة التى عرفها هؤلاء الكتاب باسم جرهاء .[١]

الخامسة : هى منطقة نجد التى تشكلها الهضبة الوسطى فى شبه الجزيرة ويقسمها علماء العرب إلى قسمين : نجد العالية ، أى ما يأتى بعد الحجاز وتهامة ، ونجد المنخفضة أى ما يأتى فى اتجاه العراق .

ويتكون سطح الهضبة من عدد من التلال التى يبلغ ارتفاعها بضع مئات من الأقدام ، كما يوجد بها عدد من الأودية أهمها وادى الرمة ذو الأرض الطباشيرية فى ناحيته الشمالية والأرض الرملية فى ناحيته الشمالية والأرض الرملية فى ناحيته الجنوبية . ويبدو أن منطقة نجد كانت أكثر خصوبة فى الماضى منها فى الحاضر ، إذ يرى بعض الباحثين المحدثين أنه كانت تُوجد فى بعض أجزائها أشجار وغابات ولا سيما فى " الشربة " جنوبى وادى الرمة وفى منطقة الوجرة .[٢]

وهناك ثلاثة عوامل أدت إلى الجفاف الذى أصبح السمة المناخية الغالبة لشبه الجزيرة ، وأول هذه العوامل الطبيعية هما الخليج فى الشرق والبحر الأحمر فى الغرب اللذان لا يشكلان إلا سطحين ضيقين ومن هنا فإن أثرهما من حيث الرطوبة غير كاف لكسر حدة الامتداد الصحراوى الجاف . وثانيهما هو أن رياح السموم الحارقة (وتسمى أحيانا بالهفوف) تستوعب أغلب كثافة البخر الناتج من مياه المحيط الهندى وتحول دون تحوله إلى أمطار ومن ثم تقضى على أثره . وثالثهما هو وجود المناطق المرتفعة بمحاذاة السواحل وعلى مقربة منها ، بحيث تصد القدر الأكبر من

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

الألف الثانية ق.م . بين ملوك بلاد النهرين ومناطق دلمون وماجان وملوخا . وهنالك أيضا نصوص العقود والمراسلات التجارية وكتابات المعابد وقوائم حساباتها . وهناك كذلك النصوص الأدبية كالأساطير والقصائد والقصص .وتوجد أيضا المصادر الأثرية .

المصدر الأول : الوثائق الملكية :

(١) وثائق الملك جونجو نوم من أسرة لارسا (١٩٣٢ – ١٩٠٦ ق.م) :

التى تتحدث عن إرساله بعثة تجارية إلى دلمون التى جلبت لـه الذهب والفضة والنحاس والعقيق الأحمر والعاج .

(٢) وثائق الملك واراد سين (١٨٢٤ – ١٨٢٣ ق.م) :

من أسرة لارسا أيضا وقام بتشييد معبد للمعبودة انيـن فـى مدينـة أور ، وأطلق على هذا الاسم " **معبد دلمون** " .

(٣) ريم سين (١٨٢٢ – ١٧٦٣ ق.م) :

تذكر إحدى الرسائل التى كتبها موظف تابع للملك ريم – سين من أسرة لارسا أيضا إلى أحد التجار البحرين ، أن القصر (أى الملك) له اهتماماته بتجارة دلمون وأنه يعمل على توطيد العلاقات التجارية الهامة .

(٤) سومو – ايلوم (١٨٨٠ – ١٨٤٥ ق.م) :

تبين وثائق الملك سومو – ايلوم ، ملك بابل ، أن بابل كانت تستورد مختلف المواد التجارية من دلمون كالأخشاب والذهب والنحاس واللؤلؤ واللازورد والتماثيل المرصعة بالعاج وغيرها .

(٥) سامسو – أيلونا (١٧٤٩ – ١٧١٢ ق.م) :

تبين وثائق الملك البابلى ، سامسو – ايلونا ، أنواع المواد التجارية التى كان يقدمها تجار دلمون إلى معبد المعبودة ننجال ، وكذلك كعشر من أرباحهم من التجارة

الرياح المحملة بالسحاب ، ومن ثم تفرغ حمولتها من الأمطار فى أماكن قليلة .

وقد أدت هذه العوامل الثلاثة إلى الجفاف وإلى أن يصبح مسطح الأرض الذى تمتد عليه شبه الجزيرة العربية أصبح بادية صحراوية قد لا يصيبها المطر لفترات طويلة كما هو الحال فى منطقة الحجاز . بينما قسم بسيط من هذا المسطح هو وحده الذى ينعم بالمطر بدرجات متفاوتة . وإذ كان هذا المطر ينهمر غزيرا فى بعض الأحيان . إلا أن هذه الغزارة ليست لها صفة الاستمرار وأدت هذه الأمطار إلى وجود شبكة من الوديان التى تنحتها هذه المناسبات العارضة من المطر الغزير ثم ينحسر المطر فتجف الوديان وتشكل بمرور الزمن ، شبكة الطرق الطبيعية التى عرفها سكان شبه الجزيرة فى تنقلهم وراء الكلأ أو فى هجراتهم أو اتخذوا منها خطوطا لقوافلهم التجارية [١]. وليس بغريب ، نتيجة لهذا الجفاف العام فى شبه الجزيرة العربية ، أن تكون إحدى تسميات المطر عند العرب هى " الغيث " التى توحى بمفهوم الإغاثة من الإقفار الناتج عن الجفاف .

على أن هذه الأمطار ، على الرغم من وفرتها أو انتظامها فى كل المناطق بنسب متساوية ، قد تهطل فى بعض الأحيان بغزارة غير معتادة فتتحول إلى سيول كما كان يحدث فى بعض الأحيان فى مكة والمدينة . ولهذا أقيمت السدود وقد عثر الرحالة على آثار سدود قديمة فى بعض المواقع فى الحجاز ونجد واليمن وأشهرها سد مأرب .

عرف سكان بعض مناطق شبه الجزيرة زراعة القمح فى اليمن وفى بعض الواحات ، كما عرفوا زراعة الأرز فى عمان والحسا ، وفى مناطق متفرقة عرفوا زراعة الذرة والشعير . وقد ورد ذكر بعض الفواكه فى آيات القرآن الكريم مثل التين والزيتون والأعناب والرمان . أما عن الأشجار ، فكانت الشجرة الأولى فى شبه الجزيرة العربية هى النخلة التى انتفع بها السكان فى كل منطقة . وفى هذا المقام نجد الكتاب العرب يعدون مائة نوع من التمر فى المدينة وحدها وما حولها .[٢]

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ١٠٤ - ١٠٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

ومن الأشجار التى كانت على جانب على جانب كبير من الأهمية فى بعض أجزاء شبه الجزيرة العربية **أشجار البخور واللبان** التى كانت تنمو على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة . وقد اكتسبت هذه الأشجار أهمية خاصة نظرا لاستخدامها فى إعداد الطيوب التى كانت تستخدم فى الشعائر الدينية فى كل أنحاء العالم القديم وخاصة فى مصر وكانت هذه الأشجار هى السلعة الأساسية التى تحملها القوافل التجارية من جنوبى شبه الجزيرة إلى أسواق مصر والشام ومن موانئ الشام إلى بلاد اليونان والرومان .

أما بالنسبة للحيوانات التى عرفها العرب فى شبه الجزيرة قبل الإسلام ، يأتى الجمل الذى يبدو أن الساميين قد عرفوه فى القرن الثانى عشر ق. م . واقترن باسم العرب منذ أن بدأ اسم العرب يظهر فى نصوص ملوك آشور فى أواسط القرن التاسع ق. م ، فكان الجمل من ضمن الغنائم التى حصل عليها ملوك الآشوريين من العرب اثناء حملاتهم عليهم . وفى أوائل القرن الخامس ق. م . نجد أنه أثناء قيام الملك الفارسى (اكسركسيس) بحملته على بلاد اليونان (فى ٤٨٠ ق. م) كان جنود الفصائل العربية فى جيشه يركبون الجمال .[٢]

وكان **الجمل** هو وسيلتهم الأساسية للمواصلات ووسيلتهم الوحيدة للمواصلات البعيدة ، وكان الجمل عاملا أساسيا فى تسهيل مهمة العرب فى نقل منتجاتهم من البخور واللبان والطيوب إلى خارج المنطقة لتعود بسلع أخرى يحتاجها أهل البلاد وفى تسهيل مهمة العرب فى أثناء الفتوحات وظهور الدعوة الإسلامية ولهذا كانت ثروة العربى تقدر بعدد ما يملكه من جمال .

ويأتى **الحصان** بعد الجمل من حيث قدم التعرف عليه من جانب عرب شبه الجزيرة وكذلك **البغال والحمير** كما جاء فى آيات القرآن . أما عن بقية الحيوانات المستأنسة التى عرفتها شبه جزيرة العرب فى الجاهلية فهى الأغنام والماعز والكلاب

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٢ - ١١٧ .

والقطط . وغير هذه كانت توجد الحيوانات البرية مثل الأسد الذى كان موجودا فى الجاهلية وكانت له عدة أسماء عند العرب ولكنه انقرض الآن . والفهد وبعض الزواحف والهوام مثل الثعابين والحيات التى يبدو أنها كانت منتشرة بشكل ظاهر فى شبه الجزيرة وكذلك الضبع والقرده التى لا تزال موجودة فى المناطق الجبلية باليمن .[١] ، وبعض الطيور الجارحة مثل العقاب والباز والنسر والصقر والبومة وعدد من الطيور مثل الغراب والهدهد والعندليب .[٢]

مصادر دراسة تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم :

ينقسم تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم إلى فترتين كبيرتين :

(١) الأولى : منذ أقدم العصور حتى نهاية القرن الأول ق . م .

(٢) الثانية : من بداية القرن الأول الميلادى حتى القرن السابع الميلادى .

وتشمل هذه الفترة فترة قبل ظهور الإسلام وقبل ميلاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى القرن السادس الميلادى (فى ٢٠ أبريل ٥٧١ م) وقبل قيام الدولة العربية الإسلامية فى القرن السابع (فى ١ - ١٣٢ هـ - ٦٢٢ - ٧٤٩ م) .

- أما عن مصادر تاريخ الجزيرة العربية القديم خلال هاتين الفترتين الكبيرتين فهى تنقسم إلى سبعة مصادر هامة هى :

أولا : كل ما خلفه إنسان الجزيرة العربية القديم من أدوات حجرية متواضعة ، وما خطه من رسوم بدائية متفرقة . وما عثر عليه من آثار معمارية كبقايا مساكن ومقابر وأسوار وحصون وما خلفه من أدوات كان يستخدمها فى حياته

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) عن موقع الجزيرة العربية وأقسامها الطبيعية والمناخ والنبات والحيوان ، راجع : د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة (مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام) الإسكندرية ١٩٨٦ ، ص ٨٩ - ١١٨ .

اليومية وأدوات للزينة وبقايا أثرية منقوشة ومنحوتة تعبر عن فنون النحت فى مناطق عدة من أنحاء شبه الجزيرة العربية[١]، وكلها تخص أقوام الممالك التى كانت فى شبه الجزيرة ، كما نعتمد أيضا على ما تخرجه لنا الجهود الأثرية من آثار منقوشة وغيرها .

ثانيا : النصوص العربية القديمة التى عثر عليها داخل شبه الجزيرة وخارجها ، سواء كتب بخطوط المسند ومشتقاته ، أم بالخطوط الأرامية - لا سيما النبطية التدميرية ، أم بالخطوط العربية الخالصة . وهى تصور عادات أهلها وعقائدهم وأوضاعهم السياسية والاجتماعية وعلاقاتهم الخارجية وعلاقاتهم الخارجية .[٢]

ثالثا : النصوص المسمارية التى تحدثنا عن نوعية العلاقات بين بعض القصائل والدويلات فى شبه الجزيرة العربية ودول العراق القديمة منذ القرن التاسع ق . م .[٣] وتشير إلى انتصار الآشوريين والبابليين على العرب والأعراب . وفى هذه المصادر نجد أول ذكر لكلمة " العرب " وسجلت أربى وأريبى وأريبو منذ أواسط القرن التاسع ق . م .[٤]

رابعا : مصادر التوراة التى سجلت فى عبارات مختصرة من سفر التكوين وسفر حزقيال وسفر المزامير وسفر عاموس وسفر دانيال ، ومن التلمود ، نوعية العلاقات التى كانت قائمة بين العبرانيين وبعض القبائل والدويلات فى شبه الجزيرة العربية وبعضها مقبول وبعضها الآخر مفتعل . ولهذا يجب أن تؤخذ معلومات هذه المصادر بنوع من الحرص الشديد .[٥]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٢ ، ص ٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٩ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٠ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١١ .

<u>خامسا</u> : ما جاء فى كتابات الرحالة اليونان الذين زاروا أطراف وسواحل شبه الجزيرة العربية أو أنهم جمعوا الأخبار عنها ممن زاروها من قبلهم ، فسجلوا أسماء دولها وموانيها وقبائلها ومصادر ثرواتها وطرق تجارتها وإن كانت معلوماتهم لا تخلو من أخطاء أحيانا نظرا لأنهم اعتمدوا على ما زودهم المحاربون اليونان والرومان والتجار من أخبار ومعلومات .(١)

وتبدو الكتابات الكلاسيكية عن أحوال شبه الجزيرة العربية بشكل أساسى فى أواسط القرن الخامس ق. م . وإن كانت هناك إشارات عن العرب فيما تركه لنا اليونان الأوائل قبل هذا التاريخ . على أن هذه الإشارات كانت ضئيلة ولا تتعدى فى الواقع خمس إشارات : اثنتان منها فى **ملحمة الأوديسية لهوميروس** .(٢) وواحدة فى أشعار هزيودوس(٣)، واثنان فى مسرحيتين للشاعر المسرحى ايسخولوس (٥٢٥ -

---

(١) عن أسماء هؤلاء الكتاب ، راجع : د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ ؛ المؤلف نفسه : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ؛ جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ٢٧ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٣٢ - ٣٦ .

(٢)الذى يعتمد فى أشعاره على تراث يونانى ينتهى عند أواسط القرن التاسع ق. م. الإشارة الأولى فى الأوديسية (17, 84) ووردت فيها لفظة Eremboi " ارمبوى " لتصف قوما وهى تشير إلى العرب ، الإشارة الثانية فى الوديسية (X7, 426) ووردت فيها لفظة Arbas بمعنى " عربى " كاسم علم لرجل كان والدا لامرأة فينيقية من صيدا ، راجع : د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة، ص ١٩٦ - ١٩٧ حاشية (١)- عن تاريخ أشعار هوميروس : المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ حاشية (١) (من بداية القرن الثانى عشر إلى أواسط القرن التاسع ق. م) .

(٣) وهى أشعار ترجع إلى ما بعد فترة أواسط القرن التاسع ق. م . بما يقرب من قرن من الزمان . وعنده ترد لفظة Arabaios " عربايوس " فى مجال أسطورى غير محدد ، راجع : د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ١٩٧ حاشية (١) .

٥٤٦ ق. م) والحديث عن شبه الجزيرة،في هذه الكتابات أحاديث شبه غامضة أو شبه أسطورية . على أن أول ذكر مفصل ومطول عن العرب وشبه الجزيرة العربية نجده عند المؤرخ اليوناني هيرودوت (٤٨٠ - ٤٢٥ ق. م)[١]، الذى تحدث عن أبعاد شبه الجزيرة وأحوال سكانها وموقع البلاد وتربتها وعن عادات العرب وتقاليدهم وعقائدهم الدينية وملابسهم وسلاحهم وطرقهم فى الحرب . كذلك يقدم لنا مقتطفات من تاريخهم وعلاقاتهم الخارجية مع الأشوريين والفرس ، كما يتحدث عن منتجات شبه الجزيرة من اللبان والمر والقصيعة والقرفة والمستكة .

كما أرسل الإسكندر عدد من قادته وأعوانه للتعرف على المبدئى على جغرافية شبه الجزيرة فيما يخص مساحتها وسواحلها وبعض الجوانب الأخرى التى تتصل بها . وقد سجل المعلومات التى حصل عليها هؤلاء القواد اثنان من الكتاب الكلاسيكيين (من القرن الرابع ق. م) أحدهما متخصص فى الأمور العسكرية وهو بطلميوس بن لاجوس ، أحد رفاق الإسكندر وقواده البارزين ، والثانى ، وهو ارستوبوليس ، رجل عسكرى آخر من ثقات الإسكندر ، ولكنه متخصص فى الكتابة عن الظواهر الجغرافية والقضايا المتعلقة بالتاريخ الطبيعى . وقد وصلتنا دراسات هذين الكاتبين عن طريق كاتب كلاسيكى لاحق هو اريانوس ، كما وصلت أجزاء

---

(١) الإشارة الأولى وهى Arabos " عربوس " وردت كاسم علم لرجل فى مسرحية Persae فى السطر ٣١٨ (مثلت فى عام ٤٧٢ ق. م) وهى تدور حول مهاجمة الفرس لليونان فى موقعة سلاميس عام ٤٨٠ ق. م . أما الإشارة الثانية فهى Arabia " عربيا " فقد وردت فى نص مسرحية Promethees السطر ٤٢٠ وقد وردت فى عبارة " أن زهرة شباب عربيا " يحمون بأسلحتهم الحصن المنيع على حدود القوقاز . أى أن هؤلاء الشباب العربى كانوا يشكلون وحدة فى الجيش الفارسى كانت تحتل موقعا على حدود القوقاز ، ربما لأن الشاعر لم يعرف بالتحديد أين تقع بلاد العرب، راجع: د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ١٩٧ - ١٩٨ حاشية (١) .

منها عن طريق كاتب كلاسيكى آخر هو سترابون .[١] وقد سجل هذان الكاتبان أول تفاصيل عن مساحة شبه الجزيرة وسواحلها . وظهر فى الفترة ذاتها كاتب ثالث كان متخصصا فى التاريخ الطبيعى وهو ثيوفراستوس (٣٧١ - ٢٨٧ ق. م) وكان أول من ذكر السبئيين وتحدث بشكل تفصيلى عن اللبان والمر الذى تستنتجه منطقتهم . كما أعطانا معلومات عن تجارتهم وسفنهم . وجاء بعد ذلك اراتوسثينيس (اراتسطين عند العرب) (٢٧٦ - ١٩٤ ق. م) الذى كان أحد أمناء مكتبة الإسكندرية ، ونجد لأول مرة فى كتاباته عن الجزيرة العربية تقسيما لشبه الجزيرة بشكل دقيق . فالكاتب يحدد طول المسافة بين السواحل الجنوبية وساحل البحر الأحمر . وكذلك يقسم الكاتب المنطقة من الشمال إلى الجنوب حسب طبيعة الحياة الاقتصادية التى يمارسها السكان مبتدئا بالفلاحين ثم البدو أو سكان الخيام ومنتهيا بالزراعة المكثفة التى تتم مرتين فى العام فى الجنوب حيث توجد أنهار (ربما يقصد الوديان التى كانت تملؤها سيول الأمطار) .

وينهى الكاتب حديثه بذكر الأقوام الأربعة الرئيسية التى كانت توجد فى جنوب شبه الجزيرة وهم : المعينيون والسبئيون والقتبانيون والحضارمة . محددا المكان الذى يشغل كل قوم منهم وعواصمها والحياة السياسية التى يعيشونها . كذلك تحدث بالتفصيل عن مواردهم الاقتصادية . ويعطينا للمرة الأولى هيكلا عاما للخطوط التجارية البرية والبحرية التى تصل المنطقة بميناء (أيلة) على خليج العقبة شمالا وتصلها بالخليج فى الشمال الشرقى .[٢]

والكاتب الآخر الذى تطرق لشئون شبه الجزيرة والذى ظهر فى الثلث الأخير من القرن الثانى ق. م . هو اجاثار شيدس الذى عرف باسم " الطواف " حول البحر الاريترى " والذى يصف الساحل الغربى لشبه الجزيرة العربية . والجديد الذى يقدمه الكاتب هو وصفه لمناطق الطيوب والتوابل وبخاصة منطقة سبأ التى يسهب فى

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

وصف مواردها وثروتها وحياة البذخ التي كان يمارسها سكانها .[١]

ويجئ بعد ذلك ارتميدوروس (الذى اشتهر بين ١٠٤ و ١٠١ ق. م) الذى أقام بعض الوقت فى الإسكندرية وحرر فيها عددا من الكتابات تتاول في بعضها شئون شبه الجزيرة العربية ونقل كثير عن اجاثار شيدس واتبع طريقه في تفصيل المعلومات عن أقسام شبه الجزيرة ، كما اهتم **بحوالى ١٣ موقعا** ، كما تحدث عن ثمانية أقوام عربية كبيرة فى المنطقة وتحدث عن الطرق التجارية البرية التى كانت تتبعها القوافل بين سبأ من جهة وكل من وادى النهرين وأرض الأنباط من جهة أخرى . ويفصل الحديث عن طريقة الحكم فى بلاد سبأ ، كما يبدى عددا من الملاحظات عن العلاقات بين عدد من أقوام شبه الجزيرة ، وهى الأقوام المجاورة لشواطئ البحر الأحمر .[٢]

واستمر اهتمام الكتاب الكلاسيكيين بشئون الجزيرة فى العصر الإمبراطورى الرومانى (الذى بدأ فى ٢٧ ق. م) . وأول هؤلاء الكتاب الجغرافى سترابون فنجد أنه يتحدث عن التغيير الذى عاصره فى مسار الخطوط التجارية البحرية والبرية من موانئ وطرق الجانب الشرقى للبحر الأحمر إلى موانئ وطرق الجانب الغربى لهذا البحر محددا الخطوط ونهاياتها والمواقع التى تمر بها قبل التغيير وبعده . وهو يتعرض لنظام الحكم الذى كان يسود بعض المناطق العربية على أن أهم ما قدمه سترابون هو وصفه للحملة الرومانية على الجزيرة العربية . وهى الحملة التى قادها اليوس جاليوس ، أول والى رومانى على مصر . ويحدثنا عن الأسباب التى دفعت أغسطس (أول إمبراطور رومانى) إلى التفكير فيها ، ثم يتحدث عن الاستعدادات التى سبقتها والطرق التى سلكتها ، كما يعطى تصوره عن الأخطاء التى وقع فيها قائدها اليوس جاليوس .[٣]

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(٣) المرجع السابق ، ٢٠٧ - ٢٠٨ .

ويجئ بعده جايوس بلينيوس المعروف باسم بلينيوس الكبير (٢٤ - ٧٩ ميلادية) وقد تناول شئون الجزيرة بتفصيل كبير فى قسمين من دراسته المستفيضة " التاريخ الطبيعى " . وفى أحد هذين القسمين يتحدث بلينيوس بشكل موسوعى عن كافة الأمور المتعلقة بشبه الجزيرة فيما يخص مساحتها وثرواتها وما فيها من المدن والمواقع والرؤوس والخلجان والجبال والقبائل والأقوام وأسمائها والطرق المتعددة لنطق هذه الأسماء والأوضاع الاقتصادية لهذه القبائل والأقوام والمناطق التى تقطنها وبعض الأحداث التاريخية التى مرت بها وطرق التجارة فى شبه الجزيرة والمسافات بين بعض المراكز التجارية .

وفى القسم الثانى يقدم بلينيوس تحقيقا عمليا عن طيوب شبه الجزيرة وتوابلها لا نجده عند من سبقه من الكتاب . فاللبان مثلا لا يوجد فى غير الجزيرة وهو لا ينتج إلا فى حضرموت بالذات . والمر والمستكة وصمغ اللادن وعدد آخر من الأخشاب العطرية تشترك شبه الجزيرة فى إنتاجها مع عدد من البلاد الأخرى التى يحددها الكاتب . أما القرفة والقصيعة فهى لا تنتج فى شبه الجزيرة ولكن يحصل عليها التجار العرب من بلاد أخرى ويعيدون تصديرها . ويحدثنا بالتفصيل عن أشجار كل من هذه الطيوب والتوابل ومواسم المحصول وطريقة استخراجه وجمعه . والأماكن التى تشتهر بكل نوع وطرق التمييز بين النقى منه والمغشوش ووسائل غشه ثم طرق نقله إلى شواطئ البحر المتوسط .[1]

والنوع الثالث من الكتابات التى ظهرت فى العصر الرومانى عن شبه الجزيرة هى استمرار كتب الرحالة أو كتب الطواف ولكن فى تفاصيل أكثرها ، منها كتب من هذا النوع لكاتب غير معروف الاسم ولكن يبدو أنه كان تاجرا يونانيا من مصر . وقد وصل الكتاب إلينا تحت الاسم أو العنوان الشائع (**الطواف حول البحر الاريترى**) وفيه يصف الكاتب الطرق التجارية بين مصر والهند ، مرورا بشواطئ شبه الجزيرة ، وتحدث عن البلاد على السواحل العربية أو على مقربة منها .[2]

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

أما النوع الرابع من الكتابات العلمية التى ظهرت فى العصر الرومانى ، فيشمل هذا النوع فى الدراسة الجغرافية التى قام بها بطلميوس كلاوديوس الذى عرفه العرب تحت اسم **بطلميوس القلوذى أو بطلميوس الجغرافى** ، وهو يونانى ولد فى مدينة بطلمية فى صعيد مصر . قام بأبحاثه خلال النص الأول من القرن الثانى الميلادى (١٢١ - ١٥١ ميلادية) والدراسة التى قدمها تحت اسم (الدليل الجغرافى) . كما تعتبر الخريطة التى أرفقها بها أدق خريطة وضعت فى العصر القديم . وحاول فى دراسته عن شبه الجزيرة أن يضبط الحدود والتقسيمات والأماكن عن طريق خطوط الطول والعرض . وقسم شبه الجزيرة إلى ثلاثة أقسام : **العربية الصحراوية والعربية الصخرية والحجرية ، والعربية الميمونة** .[١]

وظهر بعد ذلك المؤرخ اليهودى **يوسيفوس فلافيوس** (ولد ٣٨ ميلادية وتوفى فى نهاية القرن الأول الميلادى) . وهو لم يكتب عن العرب مباشرة وإنما جاءت كتاباته عنهم بشكل غير مباشر أثناء حديثه عن تاريخ اليهود . ويرد حديثه عن العرب فى اثنين من كتبه **هما** : (تاريخ حرب اليهود ضد الرومان) الذى ظهر بين ٧٥ و ٧٩ ميلادية وهو يقع فى سبعة أبواب تتضمن مقدمة عن تاريخ اليهود منذ استيلاء انتيوخوس ابيفانوس على القدس فى ١٧٠ ق. م . وتنتهى بسقوطها مرة ثانية فى عام ٧٠ م على يد الرومان فى عهد تيتوس ، أما الكتاب الثانى فهو (أخبار اليهود القديمة) الذى ظهر فى ٩٣ - ٩٤ م وفيه يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم منذ بدء الخليقة حتى عام ٦٦ ميلادية . وهو يقتضى أخبار العرب وبخاصة على علاقاتهم باليهود .[٢]

وفى العصر الإمبراطورى الرومانى المتأخر ظهر **ثلاثة كتاب** هم :

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٣ - ٢١٦ .

- يوسيبيوس[١]، الذى نشأ فى قيصرية فى فلسطين وأصبح أسقفا لهذه المدينة فى عام ٣١١ م . وقد ألف كتابا عن أحداث تاريخ اليونان والرومان تحت اسم الحوليات جاءت فيه إشارات عابرة إلى العرب فى بعض المواضع . لكن وضع كتاب آخر بعنوان " التاريخ الكنسى " وهو يحتوى على إشارات متفرقة إلى العرب وبلاد العرب التى كان يعنى بها دائما المنطقة المجاورة لسوريا . والإشارات تدور كلها حول انتشار العقيدة المسيحية أو ما يتصل بها من أشخاص ومواقف وأحداث .

- واميانوس ماركلينوس الذى ولد فى إنطاكية من أصل سورى فى عام ٣٣٦ م . وعاش فى القرن الرابع ميلادية وكتب كتابا باللاتينية أسماه التواريخ يغطى الفترة ما بين ٩٦ و ٣٧٨م . وهو يحدثنا عن موقف حدث فى عام ٣٧٨ م، ففى ذلك العام قامت قوة كبيرة من البرابرة مكونة من مجموعات من القوط والالان والهون بالزحف على القسطنطينية بعد أن هزموا الرومان فى ادريانوبوليس وقد سقط فى المعركة عدد من القواد الرومان والإمبراطور نفسه وأصبح الموقف حرجا وفى هذا الوقت تقدمت الفصائل العربية التى كانت تحارب ضمن القوات الرومانية لمهاجمة البرابرة الغربيين وهزمت هؤلاء البرابرة . وفى موضع آخر يصف بعض عادات العرب (يقصد أهل البادية منهم) ، ويتحدث عن الزراعة والتجارة والمجتمع العربى الحضرى .[٢]

- وثالث المؤرخين الكلاسيكيين الذين ظهروا فى المرحلة المتأخرة من العصر الإمبراطورى الرومانى والذين تعرضوا فى كتاباتهم للعرب أو لشبه الجزيرة العربية هو المؤرخ بروكوبيوس الذى ولد فى فلسطين ، وكان أحد رجال الحاشية فى عهد جاستنيان الأول وأصبح أمينا للقائد البيزنطى بليزاريوس فى عام ٥٢٧ م . وفى صحبته زار إيطاليا وولاية أفريقية (تونس وجزء من الجزائر الحالية) وآسيا الصغرى . ومن بين ما كتب كتاب عن " المبانى " أشار فى مواضع قليلة منه إلى

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٩ - ٢٢٤ .

العرب والكتاب يقع فى ثمانية أجزاء خصص الجزئين الأولين منه للحروب بين البيزنطيين والفرس ويتحدث عن إمارتى الغساسنة واللخميين ، والأحداث بين الغساسنة والمناذرة ووضعها بين الإمبراطوريتين الكبيرتين . كما يحدثنا عن أحوال العرب وأماكن سكناهم فى المناطق المزروعة بالنخيل أو فى فلسطين وعن أحد أعيادهم الدينية وعن اشتراكهم كجنود سواء مع القوات الفارسية أو الرومانية (البيزنطية) .[١]

ثم جاءت بعد ذلك مجموعة من المؤرخين والرحالة المسيحيين والبيزنطيين الذين اتصلوا بالحبشة وأمارتى الحيرة وغسان ، ومنهم روفينوس بترانيوس ، وشمعون مؤلف رسائل الشهداء الحميريين فى نجران .[٢]

<u>سادسا</u> : ما جاء من إشارات متفرقة فى آيات القرآن الكريم عن أقوام سيدنا شعيب وهود وصالح وغيرهم ، مدين وعاد وإرم وثمود وأصحاب الرس وأصحاب الفيل وأصحاب الأخدود (أهل نجران الذين أبادهم ذو نواس الحميرى) وسبأ ، وإشارات إلى مسالك أهلها مع الرسل والأنبياء لاسيما فيما يخص سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ومكة والبيت الحرام .[٣] وما جاءت به الأحاديث الشريفة وما أشارت إليه من نظم دينية وفكرية وسياسية واجتماعية كانت قائمة قبل الإسلام . وما جاء فى كتب المفسرين ومن أشهرهم : الطبرى[٤] (٣١٠هـ) ،

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ - ٢٢٨ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١ .

(٤) أبو جعفر الطبرى : تفسير الطبرى : جامع البيان عن تأويل آيات القرآن ، حققه وخرج أحاديثه محمود شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨ .

الأصفهانى[١] (٥٠٣هـ) ، الزمخشرى[٢] (٥٣٨ هـ) ، الرازى[٣] (٦٠٦هـ)، القرطبى[٤] (٦٧١هـ) ، أبو حيان[٥] (٧٥٤هـ) ، ابن كثير[٦] (٧٧٤هـ) ، أبو السعود[٧] (٩٥١ هـ) ، الألوسى[٨] (١٢٧٠هـ) وما جاء فى كتب السير والمغازى ومن أهم كتابها : عبد الله بن هشام وعروة بن الزبير ، وابان بن عثمان ابن عفان وسرجبيل بن سعد .

سابعا : ما جاء فى كتب أخبار الجاهلية والمؤرخين المسلمين الذين جمعوا بعض أخبارها من القصص العربية وأشعار الجاهلية وسلاسل الأنساب المروية ،

---

(١) راغب الأصفهانى : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق نديم مرعشلى ، دار الكاتب العربى ، بيروت ١٩٧٢ .

(٢) أبو القاسم الزمخشرى : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، حقق الرواية محمد قمحاوى ، مكتبة ومطبعة الحلبى ، القاهرة .

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ، الجزء السابع عشر ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، طهران .

(٤) أبو عبد الله القرطبى : مختصر تفسير القرطبى ، دراسة وتعليق محمد راجح الجزء الثانى ، دار الكتاب العربى .

(٥) أبو حيان الأندلسى : من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط، الجزء الخامس، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض .

(٦) إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثانى ، عبارة عن عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية ، صححها نخبة من العلماء ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٦٩ .

(٧) أبو السعود العمارى : تفسير أبى السعود ، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، الجزء الثالث ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

(٨) أبو الفضل الألوسى : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، الجزء الحادى عشر ، قام بنشره وتصحيحه والتعليق عليه السيد الألوسى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

وجمعوا بعضا آخر من أخبارها من الإسرائيليات المحرفة والقصص السريانية والفارسية ، فضلا على مشاهداتهم الشخصية لما بقى من آثار المدن والمعابد حتى العهود التى عاشوا فيها .(١)

ومن هؤلاء المؤرخين :

- عبيد بن شريه الجرهمى اليمنى (عاش فى القرن الهجرى الأول) ونسب إليه " كتاب الملوك وأخبار الماضين "

- وهب بن منبه (توفى ١١٠ هـ) ونسب إليه " كتاب الملوك المتوجه من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم " .

- هشام بن محمد بن سائب الكلبى (توفى ٢٠٤ هـ) وكتب العديد من المؤلفات منها " جمهرة النسب " أو " الجمهرة فى الأنساب " ، " كتاب الأصنام " ، " كتاب الحيرة " ، " كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين " ، " كتاب ملوك كندة " ، " كتاب الكلاب الأول " ، " الكلاب الثانى " .

- محمد بن هشام بن أيوب الحميرى (تُوفى ٢١٣ هـ) وكتب " كتاب التيجان وملوك حمير " .

- وألف الحسن الغدة الأصفهانى مؤلفه عن " بلاد العرب " وألف " نشوان الحميرى " مؤلفه " القصيدة الحميرية " .(٢)

وما جاء فى الشعر الجاهلى(٣) : ومن أشهر الشعراء امرؤ القيس وعبيد ابن الأبرص وطرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم والنابغة الذبيانى وعنترة بن شداد

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٣) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ - ٢٨٥ الذى تحدث عن قيمة الشعر كمصدر أساسى من مصادر التاريخ العربى ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٩ .

وما جاء فى الأمثال العربية ومن أهمها كتاب مجمع الأمثال للميدانى وأخيرا ما دونه المؤرخون العرب .[١]

ولم يعرف العرب القديم فى الفترة الثانية لسببين : الأول : عدم تحقق الوحدة السياسية بينهم ، فقد كانت أغلبيتهم بدوا رحلا ، متفرقين فى مختلف البقاع . الثانى : عدم معرفتهم الكتابة إذ كان أكثرهم أميين ، ولذلك لم يدونوا حوادثهم إلا فى أواخر العصر الأموى . أما قبل ذلك فكان اعتمادهم على نقل الأخبار شفهيا .

أصل القبائل العربية القديمة وأنسابها وأسماؤها وتفرعاتها :

اختلف العلماء والمؤرخون حول موضوع : من هم الساميون ؟ وأين يقع موطنهم الأصلى ، وهل هم من شبه الجزيرة العربية أم رحلوا إليها من أفريقيا أم رحلوا إليها من آسيا أو من بلاد النهرين ؟ وهل لهذه التسمية جذور تاريخية سليمة ؟ وخلال أى عصر ظهروا فى بلاد النهرين أو فى سوريا ؟ وما علاقة العبرانيين والعرب التاريخية بالساميين ؟ وهل كانوا حقا من الساميين ؟ وما صلة اللغة العربية بما يسمى باللغات السامية ؟

ناقش هذه التساؤلات مجموعة من الباحثين والمؤرخين واختلف الأمر بينهم : فيرى د. بيومى مهران (دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٢١٠ - ٢١٢) أن الموطن الأصلى للساميين هو الجزيرة العربية ، وأنها تدفقت فى هجرات ضخمة فى موجات متتابعة تشق طريقها إلى الأراضى الخصبة . ومن أشهر هذه الموجات موجة الأموريين ، ثم الكنعانيين أو الفينيقيين وأما ثالث الموجات فقد كانت الموجة الأرامية . وتشير الآثار المستخرجة من الأراضى فيما بين دجلة والفرات ، على أن أولى الهجرات السامية إنما بدأت حوالى عام ٥٠٠٠ ق. م .

---

(١) عن هذه المصادر العربية ، راجع : د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٣٧ - ٥٩ .

- أما د. لطفى عبد الوهاب (**العرب فى العصور القديمة** ، ص ٤٠ – ٨٨) فيناقش هذا الموضوع باستفاضة كبيرة وبدأ تساؤله عن هوية هؤلاء الساميين وهل هم جنس أو عنصر ؟ وهل كان الموطن الأصلى لهذه الشعوب السامية أفريقيا أم آسيا ؟ وإذا كان آسيويا فهل هو من خارج شبه الجزيرة العربية أم من داخل شبه الجزيرة العربية نفسها . وإذا كان من داخل الجزيرة فمن أى جزء من أجزائها أو من أى منطقة كانت بداية التوزيعات الأولى لهذه الشعوب وكيفية انتشارها ؟ والسبب فى كل هذه التساؤلات حول موضوع الساميين هو أن عدد من الباحثين فى اللغات الخاصة بشعوب الشرق الأدنى القديم لاحظوا تقاربا واضحا بين عدد من هذه اللغات من بينها الأكدية (البابلية والآشورية) والكنعانية والفينيقية والآرامية والنبطية والحبشية والعبرية والعربية . ورأوا أن الشعوب التى تتحدث بهذه اللغات إنما تنحدر من أصل واحد وذلك اعتمادا على ما جاء فى الإصحاح العاشر من سفر التكوين ، أول أسفار التوراة .

فقد جاء أن سام بن نوح هو الجد الأول لهذه الشعوب جميعا ، ومن ثم سماها بالشعوب السامية (راجع : د. لطفى عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٤٢ – ١٤٤ ؛ ونفس الآراء نجدها عند د. عبد الحميد زايد : **الشرق الخالد** ، ص ٢٣٦ ؛ وخالد العك : **تاريخ القدس العربى القديم** ، ص ٥٠ – ٥٢) . ولكن الحديث عن الشعوب السامية كمجموعة بشرية تنتمى إلى جنس أو عضو بشرى واحد له ملامحه وخصائصه الجسمية الخاصة به والمميزة له حديث لا يستند إلى أساس علمى أو تاريخى :

- فهناك اختلاف فى الخصائص الجسمانية لهذه الشعوب ، وعلى هذا فإن الحديث عن عنصر سامى يصلح للتسمية السامية هو أمر مستبعد .

- اتخاذ اللغة أساسا لوحدة الجنس أو العنصر ، أساس ضعيف لأن كل لغة لها قواعدها وتصريفات ألفاظها .

وافترض البعض أن شمال أفريقيا وغربها هو الموطن الأصلى للساميين ومنها انحدروا إلى شبه الجزيرة العربية ، أو أن شرق أفريقيا تمثل الأصل المشترك بين الساميين والحاميين . وأن مجموعات من هذا الموطن الأصلى قد عبرت إلى شبه الجزيرة العربية عن طريق شبه جزيرة سيناء ومنها هبطوا إلى العربية الصخرية أى فى شمال غربى الجزيرة (راجع : د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٤٥ – ٥٠) . وهذا الافتراض الأفريقى للمواطن الأصلى للساميين تعترضه بعض الصعوبات والدلائل أو الشواهد التاريخية والأثرية .

وأفترض فريق ثالث أن منطقة أرمينيا هى أصل الساميين . وأعتمد أصحابه على قصة الطوفان كم جاءت فى التوراة . فتذكر أن نوحا قد أخذ أسرته (بما فيها أبناؤه) فى الفللك فتكون من صلب هؤلاء الأبناء للشعوب السامية والشعوب الأرية . وأن أصلهم بدأ فى أرمينيا (راجع : د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٥٤) . ولكن قصة الطوفان وردت أيضا فى أدب السومريين والبابليين فى بلاد النهرين ، ويذكر العلماء أن الجبل الذى وصلت إليه سفينة سيدنا نوح هو جبل نيسير ، وهو جبل " بير عمر كودرون " جنوبى نهرب الزاب الصغير (أحد روافد نهر دجلة) فى سلسلة جبال زاجروس التى تمتد بطول المنطقة الشرقية لوادى النهرين من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى .ويرى البعض الآخر أن المكان الذى وصلت إليه سفينة سيدنا نوح هو جبال ارارات بتركيا (راجع : د. رمضان عبده : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ، الجزء الأول ، ص ١٩٨ حاشية (٢)) .

ومن غير المنطقى أن تحدث هجرات بشرية من المناطق الخصبة فى جنوبى وادى النهرين إلى مناطق مقفرة مثل شبه جزيرة العرب أو شبه صحراوية مثل المنطقة السورية (د.لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٥٦ – ٥٧) .

أما حول أصل الساميين والجزيرة العربية ، فيرى أصحابه أن شبه جزيرة العرب لم تكن منطقة صحراوية جافة فى كل عصورها القديمة ، فقد تعرضت لهطول أمطار غزيرة طوال عصر البلايستوسين (آخر العصور الجيولوجية) ، وأن

هذا العصر انتهى بأمطار حوالى ١٠,٠٠٠ ق.م . وبدأ الجفاف يزحف على المنطقة لتحل محل هذه المناطق الخضراء المأهولة بالسكان امتدادات صحراوية جافة مجدبة . وأن موارد الغذاء من النبات والحيوان بدأت تتضاءل بالتدريج بحيث اضطر سكان المنطقة إلى أن ينزحوا منها بالتدريج كلما زحف الجفاف والجدب على هذه الموارد . الأمر الذى أدت إلى موجات متتالية منن الهجرات البشرية من شبه الجزيرة العربية إلى المناطق الخصبة ، وهى هجرات امتدت لعدة آلاف من السنين كانت أخرها حسبما رأى بعض هؤلاء الباحثين ، هى الهجرة العربية التى تمت فى أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية فى القرن السابع الميلادى (راجع د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٥٧ - ٥٨) . وقد استقرت هذه الهجرات فى المناطق التى وصلت إليها بعد أن حملت معها لغتها . وكانت النتيجة هو هذه الشعوب السامية المتعددة التى تتقارب لغاتها إلى حد كبير سواء فى ألفاظها أو فى طريقة تركيب هذه الألفاظ أو تصريفها .

وصوروا هذه الهجرات السامية على النحو الآتى :

(أ)- **الأكديون** (وقد استقروا فى وادى النهرين فى الألف الرابعة ق.م) .

(ب)- **الكنعانيون** (بما فيهم الفينيقيون ، والآموريون) (وقد استقروا فى المناطق السورية ووادى النهرين خلال الألفين الثالثة والثانية ق.م) .

(جـ)- **الآراميون والعبرانيون** (الذين استقروا فى المناطق السورية فى النصف الثانى من الألف الثانية ق.م) .

(د) - **الأنباط** وبعض القبائل العربية الجاهلية (وقد استقروا فى منطقة الهلال الخصيب بين القرن الثانى ق.م والقرن السادس الميلادى) .

(هـ)- **العرب المسلمون** (وقد استقروا فى منطقة الهلال الخصيب ومصر وبقية شمال أفريقيا منذ القرن السابع الميلادى (راجع : د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٦٠) . وقد انقسم أصحاب هذا الرأى حول تحديد المكان ، الذى انطلقت منه هذه الهجرات من شبه الجزيرة العربية فقال بعضهم

أنه وسط شبه الجزيرة وبخاصة منطقة نجد ، وهــى الموطــن الأول الــذى انطلقت منه الهجرات السامية إلى حيث استقرت فى العصور التاريخية .

غير أن هذا الرأى الأخير لا يمكن قبوله لسببين :

أولهما أن منطقة نجد تفتقر كثيرا إلى أسباب الحياة التى تؤدى إلــى تكــاثر السكان وتضخم عددهم بالصورة التى تجعلها خزانا بشريا لا يلبث أن يفيض بما فيــه من هؤلاء السكان ، فالمنطقة لا يوجد فيها إلا عدد قليل من الواحات المتناثرة وســط مساحات كبيرة مقفرة .

ثانيهما أن قيام هجرات من المنطقة إلى أطراف شبه الجزيرة فى الشــمال والجنوب والغرب تلزمه دابة نقل مثل الجمل الذى يستطيع ان يقطع مسافات طويلــة فى الأرض الرملية وفى الجو الحار الجاف ، وبهذا الصدد فإن الجمل لــم يظــهر إلا فى القرن الثانى عشر ق.م . أما دابة النقل التى عرفتها المنطقة قبل ذلك فهى الحمار الذى لا يصلح إلا لنقل أحمال محدودة (راجع د. لطفى عبــد الوهــاب : المرجــع السابق ، ص ٦١ – ٦٢) .

وأخيرا ، ففى مجال افتراض شبه الجزيرة العربية كموطــن اول لــهجرات سامية استقرت فى كافة المناطق التى يتكلم سكانها اللغات السامية الآن ، فــهو رأى يقتصر على الحافة الشمالية لشبه الجزيرة العربية كمطلق لهذه الهجرات . والرأى فى حد ذاته منطقى من حيث انه لا يصطدم بصعوبات جغرافية فى وصول هذه الهجرات إلى منطقة وادى النهرين أو المنطقة السورية على سبيل المثال .

وفى الحقيقة أن أفتراض هجرة آمورية إلى وادى النهرين وهجرة آرمية إلى سوريا ثبت صحته ، لا يفسر إلا هجرتين اثنتين يمثلان شعبين اثنين مــن الشــعوب المتحدثة باللغات السامية وتبقى الحالات المتصلة ببقية هذه الشعوب دون تفسير مقنــع (راجع د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٦٥ – ٦٦) .

ويبدى د.لطفى ثلاث ملاحظات هامة حول فكرة الموطن الأصلى للساميين:

(١) أن افتراض موطن أصلى انطلقت منه هجرات كبير ، كونت الشعوب التى تتحدث اللغات السامية ليس أمرا ضروريا أو لازما لتفسير التشابه أو التقارب بين هذه اللغات . فاللغات أداة تعامل وتداول تنتقل وتؤثر بالحركة والاختلاط والتجاور والتبادل ، والهجرات جزء من هذا كله وتتأثر به .

(٢) أن الارتباط بين الهجرات الدورية أو الكبيرة وبين الجفاف والإقفار الذى حل بالمناطق التى انطلقت منها هذه الهجرات أمرا وارد ولكنه لا يشكل مع ذلك حكما عاما أو قاعدة ثابتة .

(٣) ليس هناك من سبب يدعو إلى الافتراض أن كل الشعوب المتحدثة باللغات السامية قد هاجرها بالضرورة من موطن صحراوى أو أن هذه الشعوب قضت فى أطوارها الأولى حياة بدوية (د.لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٧١ – ٧٤) (وهذا ملخص لكل ما جاء فى مؤلف د. لطفى) .

– كما عرض د. **توفيق سليمان** (فى كتابه : **دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة** ، ص ٧٨ – ٨٨) عدة آراء بخصوص هذا الموضوع .

وخلاصة رأيه ان القبائل والشعوب ، التى اعتدنا أن نسميها " سامية " كانت تستوطن مناطق عديدة من البقاع التى تشكل اليوم " أرض الوطن العربى " وتحركت داخله فى شكل هجرات محلية بحثا عن الأراضى الخصبة والمياه الوفيرة . ولم تقتصر هذه الهجرات على سكان البوادى فحسب ، بل شملت أيضا سكان الأراضى الخصبة نفسها ، عندما يضطرون لهجرة مواطنهم تحت شدة ضغط قبائل جديدة قادمة إليها سواء من البوادى او من مناطق حضر أخرى . ويشير إلى صحة هذا لاعتقاد كثرة المحلات وأماكن استقرار انسان عصور ما قبل التاريخ فى بلاد النهرين والشام ومصر وبعض مناطق شمال أفرقيا وشرقها . وبزوغ فجر التاريخ بأختراع الإنسان مبادئ الكتابة التصويرية التى تلتها الكتابة المقطعية المسمارية التى اخترعها السومريون والأكديون فى بلاد النهرين . ثم اعقبها فى الظهور الكتابة الأبجدية على يد الكنعانيين – الفينيقيين والآراميين وغيرهم من شعوب وقبائل بلاد الشام أو سوريا ونخطئ إذا اعتقدنا أن هذه الشعوب والقبائل قد عرفت الكتابات المذكورة بشكلها

المتطور قبل أن تستقر فى المناطق الخصبة وتؤسس فيها أماكن للاستقرار والسكن . إذ لابد ان آلافا من السنين كانت قد انقضت قبل أن تصل هذه الشعوب والقبائل إلى المستوى المتطور ، الذى أهلها لتحقيق هذا الإنجاز الحضارى (راجع : د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٨١ - ٨٢) .

ويفهم من هذا الكلام أنه لم يكن هناك وطن محدد واحد للساميين ، بل مواطن كثيرة انتشرت فى كافة ربوع شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وبلاد النهرين وبعض مناطق شمال أفريقيا وشرقها ويجوز لنا أن نعتبر هذه المواطن بمثابة " بؤر بشرية " نشأت على مر الزمن خلال عصور ما قبل التاريخ ، وكونت كل " بؤرة " منها مجتمعا بشريا خاصا ضمن نطاق جغرافى معين حدد بدوره بؤر بشرية فى شكل قبائل وشعوب ومنها ما أصبحنا نعرفهم بالآكديين والآموريين والفينيقيين والآراميين والعرب . بوحكم هذا الجوار المبكر اختلطت لغات هذه المجتمعات بعضها بعض ، وفقدت بذلك هذه اللغة أو تلك جانبا من ثروتها اللفظية أمام تعرب مفردات بديلة لها من اللغة أو اللغات الأخرى . وظلت هذه التأثيرات المتبادلة قائمة بين اللغات حتى ظهرت الكتابة التى اخذ الناس يحظون بها تراثهم اللغوى للأحفاد بدلا من اكتفائهم بتنقله شفويا فيما بينهم .

ولذلك فإن ما ورد فى التوراة وأصبح يعرف فيما بعد بـ " **نظرية الأصل** " يتناقص مع التطور الفكرى والمادى للإنسان . وبناء على ذلك يصعب علينا أن نتصور أن " لغة أما " واحدة قد شكلت أصل ما اصبح يعرف بـ " اللغات السامية " نسبة إلى سام بن نوح (راجع : د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٧٦ - ٨٧) .

والملاحظ أيضا أن الاختلاط لم يود إلى انتشار الأضعف من بين اللغات فحسب ، بل أيضا إلى احتفاظ اللغة الأقوى بعدد كبير من مفردات اللغة المندثرة . ونلاحظ هذه الظاهرة فى اللغتين الأكدية والكنعانية عندما اختلطتا بغيرهما من لغات البؤر البشرية الخرى كالبؤرة السومرية . ولذلك فقدت اللغة الأكدية بعض الخصائص

الأساسية التى جمعت بينها وبين لغات البؤر الأخرى ، التى كـان الأكديـون علـى اتصال وثيق بها قبل معرفتهم بالسومريين واتصالهم بهم فى بلاد النهرين .

أما اللغة التى أصبحت تعرف بالعربية فقد نشأت من لغات بؤر بشرية كثيرة العدد وواسعة الانتشار داخل نطاق جغرافى متـرامى الأطـراف . ولكـن حـدوده الطبيعية ذات المسالك الصعبة حالت دون اتصال لغات هذه البؤر بنظيرها الذى كـان قائما خلف هذه الحدود .

ونتيجة لذلك فإن اعتمدنا أية لغة من اللغات السامية على أنها اللغة الأقدم أو الأقرب من غيرها إلى " لغة الأم " التى تتحدث عنها التوراة ، ضرب من الخيـال ، لأنه لا يستند إلى أية أسس مادية أثرية مكتشفة فى مناطق غرب آسيا أو شمال أفريقيا أو فى شرقها . ولهذا فإن تأكيدا بعض الباحثين على اعتبار اللغة العبرية لغة مقارنـة وحدية فى إطار ما يسمى بعلم الدراسات السامية ، لا يمكن أن ننظر إليه إلا على أنـه محاولة من قبل هؤلاء المستشرقين للتأكيد على نشوء القومية العبرية قبل القوميـات الأخرى فى مناطق غرب آسيا (د.توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٨٨) .

وفى كتاب آخر للمؤلف نفسه (**أسطورة النظرية السامية ، الجـزء الأول دلالاتها وتطويرها – حقيقتها فى التوراة – أسباب وضعها** ، بيروت ، دار دمشـق ١٩٨٢ ، ص ٥٧ – ٨١ ، ٩٥ – ١١٣ ، ١١٩ – ١٣٣) ناقش المؤلف نشأة النظرية السامية وتطورها خلال القرن التاسـع عشـر الميـلادى وأشـار إلـى عـدة آراء للمستشرقين ، وأبرز التناقضات فى نصوص التكويـن ، وخرافـة مقولـة الأصـل المشترك الواحد . وكيف اصطبغت هذه المقولة بلون سياسى خاص بها .

- أما د. **شعبان خليفة** (فى مؤلفه القيم الذى ظهر حديثا ١٩٨٩ : **الكتابـة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء** ، ص ١٠٢ – ١٠٣) فيرى أن العرب هم مجرد فرع من الساميين ، وأن الساميين نشأوا أول ما نشأو فى حوض البحـر المتوسـط عندما لم يكن هذا البحر موجودا ، وإنما كان مجرد سهل منخفض يشمل جنوب القارة الأوروبية وشمال القارة الأفريقية وغرب القارة الأسيوية ، وعندما انـهار الحـاجز الجبلى الرابط بين أفريقيا وأوربا من جهة المحيط الأطلنطى فيما عرف بعـد ذلـك

بمضيق جبل طارق وغمرت مياه المحيط السهل ونشأ من جرائه البحر المتوسط الذى نعرفه الآن ، وعندما حدث ذلك ، حدث هجرات سامية من هذا السهل إلى الشمال وإلى الجنوب وإلى الشرق ، أى إلى جنوب أوربا الحالية وشمال أفريقيا الحالية والجزيرة العربية والشام بالجدب الذى هو عليه الآن مما سهل على هؤلاء الساميين الاندفاع إلى الجزيرة العربية والاستقرار بها أى أن سكان الجزيرة العربية ليسوا إلا جزءا من الساميين . أما عن أصل التسمية بالعرب ، فهى تسمية أطلقت على جزء من مكان الجزيرة العربية على يد سيدنا إبراهيم ثم عممت بمرور الوقت على السكان جميعا . والرأى الآخر أن التسمية جاءت من الكلمة أ - رى - بى التى معناها سكان البادية أو الصحراء وهى كلمة ترجع إلى اللغة الآرامية وتشير إلى سكان شبه الجزيرة العربية .ويؤكد هذا الرأى أن الأشوريين كانوا يطلقون على شمال الجزيرة العربية اسم " عريبى " وهى تسمية لا تبعد عن التسمية الآرامية كم تعرض د. شعبان لأصل اشتقاق الخط العربى وعرض ثلاثة رسوم تعبر عن راى الذين يقولون باشتقاق الخط العربى من المسند أو باشتقاق الكوفى من السريانى واشتقاق النسخى من النبطى او باشتقاق الخط العربى من مصدر واحد هو الخط النبطى .

وأن الأصل فى هذه الاشتقاقات الثلاث هو الخط الهيروغليفى ففى الرسم الثانى أورد د. شعبان أن الأصل هو:

الخط الهيروغليفي ومنه جاء الخط السينائي ومن السينائى جاء المسند والفينيقي . ومن الخط المسند جاء الحميرى واللحيانى والثمودى والصفوى . ومن الخط الفينيقي جاء الآرامي ومن الآرامى جاء السريانى والتدمرى والعبرى - المربع) والمنداعى والنبطى . ومن السرياني جاء الاسطر نجيلى والكوفى ومن النبطي جاء الحجازى والنسخى (راجع : د. شعبان خليفة : المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٣) .

أما عن العرب وفكرة الأصل السامى فيقول د. لطفى أن كتاب الأخبار الأول فى صدر الإسلام ومنهم عبيد بن شريه الجرهمى وهو يمنى ووهب بن منبه وهو

يمنى كذلك عندما تحدثوا فى تفاصيل الأنساب اتفقوا بشكل عام إلى تقسيم العرب إلى طبقتين أساسيتين هما : العرب البائدة والعرب الباقية .

وذكر عبيد بن شريه ، أثناء حديثه عن أبناء نوح عليه السلام ، من أن أحد أبنائه وهو " سام " كان له ابنان ، أحدهما إرم وإليه وإلى بنيه ينتسب العرب .

وما ذكره عدد من الكتاب الآخرين ، مثل البلاذرى والمسعودى ، من أن العرب العاربة ينتسبون إلى قحطان بن عام بن شالخ بن ارفحشذ بن سام بن نوح .

ولعل ما يمكن أن نصل إليه فى هذا الموضوع هو أن بوادر هذه الشخصية العربية بدأت تظهر ابتداء من أواسط القرن التاسع ق.م .

فقد جاء فى النقوش الآشورية التى ترجع إلى القرن التاسع ثم الثامن ثم السابع قبل الميلاد أسماء ملوك أو حكام أو ملكات وقبائل يطلقون عليها اسمى " اريبى - عريبى أو " من أرض اريبى - عريبى " وكانت هذه القبائل وحكامها تتحرك بين شمال الجزيرة العربية ومشارف بلاد الشام وكانت تشترك فى الأحداث السياسية والحربية التى تقع على مسرح بلاد الشام والعراق وكانت دائمة الاحتكاك بملوك آشور وتقف ضد توسعهم نحو الغرب .

وجاء فى نقش للملك الآشورى شالما نصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٣ ق.م) أنه استولى على حلب وحماه ودمشق وحوران ونهر الأورنت (العاص) وحارب الايبو او العريبو فى شمال الجزيرة العربية وكان على راسهم ملكهم جنديبو (جندب) الذى قام بتقديم ألف جمل هدية بعد هزيمته .

وفى نقش للملك تيجلات بلاصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٨ ق.م) جاء اسم الملكة سابيى الذى سره الباحثون بزبيبة أو جبيبة ، ووصفت على أنها ملكة أراضى اريبى وأنها تمردت على الحكم الآشورى واضطرت إلى إعلان ولاءها وتقديم الجزية للملك الآشورى بعد أن انتصر عليها .

وفى نقش آخر للملك نفسه جاء ذكر اسم الملكة سامسى ملكة اريبى الذى فسره الباحثون بـ (شمسة) وذلك أثناء حملة قام بها هذا الملك على بلاد الشام عام

٧٢٣ ق.م . وكانت الملكة قد أعلنت عصيانها وتمردت على حكم آشور فسير عليها حملة استولت على مدينتين من مدنها وأرسلت الجزية إلى الملك الآشورى وعين الملك مندوبا عنه ليقيم عندها للإشراف على سياستها ويرسل التقارير عنها . وقد ذكرت النقوش الخسائر الجسيمة التى منيت بها الملكة وهى مئة ألف رجل وثلاثون ألف جمل وعشرون ألف رأس من الماشية. وقد نقش على الحجر الذى وجد عليه هذا النقش منظر فارسين آشوريين وهما يتعقبان بدويا راكبا جملا وأمامهما جثث البدو الذين خروا على الأرض صعى وشعرهم طويل معقود إلى الوراء ولحاهم كثة وأجسادهم عارية إلا من مئزر شد الحزام . وصورت الملكة حافية ناشرة شعرها تحمل جرة وقد أضناها الجوع والتعب .

ومما ذكرته نقوش هذا الملك أيضا قبائل مسا وحطى وسبأ (جالية سبئية فى شمال الجزيرة العربية) وحجابا وبطنة وأدب أيل وذكرت أنها خضعت للملك ودفعت له الجزية من الذهب والفضة والأبل والطيوب .

وفى نقش للملك **سرجون الثانى** (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) ذكر اسم الملكة **سامسى** ملكة اريبى ولا يمكن الجزم ان كانت هذه الملكة هى نفس الملكة السابقة التى عادت وتمردت على آشور أم خليفة لها سميت باسمها .

وذكر مع اسم أسماء برعو ملك موسرى (أى فرعون ملك مصر) ويثع أمر السبئى وذكر النقش انهما قاما بدفع الجزية للملك الآشورى ، هذا بالإضافة إلى أسماء مناطق أخرى مثل ددان وثمود ومرسمان .

وفى نقش للملك **سنحاريب** (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) ورد اسم يأتى ملكة اريبى الذى فسره الباحثون بطبيعة والذى يمكن أن يكون عاطية ، كما جاء اسم بصقانو أخيها وقائد جيشها . وقد جاء فى النقش أن هذه الملكة أرسلت جيشا لمساعدة مودوخ بلادن ملك بابل الذى اشتد نضاله وحركاته ضد سنحاريب ولكن الجيش الآشورى انتصر عليه وانتصر على قوات الملكة التى ارسلتها .

وفى نقش آخر للملك نفسه جاء اسم **تلخونو** ملكة اريبى فى سياق خبر حملة أخرى سيرها هذا الملك عام ٦٨٨ ق.م . وجاء فى النقش أن الجيش الآشورى انتصر

على جيش الملكة وغنم كثيرا من أبلها وأن الملكة فرت إلى آدماتوا التى فسرها الباحثون بدومة الجندل ومعها حزائيل ملك قيدار حيث يدل على أنها كانت متحالفة مع هذا الملك . وأن حزائيل ملك قيدار قام بدفع جزية كبيرة .

وفى نقش لاسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) جاء ما يفيد انها استولى على معقل اريبى وأسر ملكتها التى كانت كاهنة للمعبود ذى البات (ولعل الاسم يعنى ذى البأس) وحمل تماثيلها معه واسر كذلك أميرة اسمها تابا الذى يمكن ان يكون اسم طابعه . وكانت صغيرة السن فرباها فى بلاطه ثم عينها ملكة على مملكة اريبى .

ولقد جاء فى نقش لاسرحدون انه غزا فيما غزاة من البادية أرض بازواوحازو وحارب فيها جيوش جبهة متحدة من ملوك وأمراء العرب وانتصر عليهم وقتل قيس ملك هالدى التى يمكن أن تكون خالدية واكبرو ملك النبط ومعن ساق ملك مجلاتى وجبعة زهرانى وقبيصة ملك وتخرو ملك جعفان وبطة ملكة اهلية وخبانمرو ملك بدع وأسر مجموعة من اتباعهم ونفاهم إلى أرض آشور وأخذ تماثيل معبوداتهم معه . وان يالى ملك يادى تمكن من الإفلات ولكنه ذهب إلى نينوى بعد عودة الملك إليها وطلب العفو والصفح فعفا عنه الملك وأعاد أصنام قومه وعينه ملكا على أرض حازو .

ولم تعد النقوش الاشورية بعد سنحاريب واسرحدون تذكر اريبى ولكنها صار تذكر قيدار . وما كان يقع بين ملوكها وبين خلفاء اسرحدون من نزاعات ، ففى نقش لآشور بانيبال (٦٨٨ ق م) جاء ذكر هويثع الذى حل محل حزائيل ملكا على قيدار .[١]

وعثر على صور جدارية من قصر آشور ناصر بال (٨٨٣ ق.م) فى نينوى تمثل الاعراب ، وهى عبارة عن رسم لأربعة أشخاص الأول صورته

---

(١) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثانى ، ص ٢٩٩ - ٣٠١ ؛ محمد عزه دروزه : تاريخ الجنس العربى ، الجزء الخامس ، صيدا - بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٥٩ ، ص ٣١٨ - ٣٢١ ، ٣٣٤ - ٣٣٥ .

محطمة ، أما الثلاثة الأخرون فقد صوروا بصدر عار ونقبة طويلة وشعور طويلـــة ولحية طويلة يمسك كل واحد منهم بقوس وخنجر طويل المصـــل ، أمـــا الشـخص الأوسط فلا يمسك فى يده سوى الخنجر الطويل . وبجوار الثلاثـــة اعـــراب جمليـــن باركين [١] . ويعتبر هذا المنظر من المناظر الهامة التى تمثل اقدم ظهور لشــــعوب عربية على الآثار .

ويظهر من فحوى هذه النقوش ان مملكة اريبى قامت فى القرن العاشر قبـل الميلاد على الأقل وأن سلطانها اتسع حتى شمال معظم جنوب الشام وكـــانت تـــأبى الخضوع والاستسلام لآشور وتتحالف مع ملوك بلاد الشام ضدها تشترك فـــى كـل حركة تمردية ضد آشور . ويبدو من الأسماء التى وردت فى نقـــش اســرحدون ان هؤلاء الملوك كانوا فى حقيقة الأمر زعماء قبائل عربية منتشرة فى مشارف الشـــام ووادى الرحان وأطراف حوران . ولمحة العروبة الصريحـــة باديـــة بقـــوة علـــى أسمائهم .

ونجد هذه الصفة " العربية سواء بالنسبة للسكان أو بالنسبة للبـــلاد تظـــهر بشكل محدد فى كتاب المؤرخ اليونانى هيرودوت فى أواسط القرن الخـــامس ق.م وكما ذكرنا من قبل هناك إشارات عن العرب فيما تركه لنا اليونانيون الأوائـــل قبـــل هذا التاريخ . وهى خمس إشارات : اثنتان منـــها وردتـــا فـــى ملحمـــة الأوديســـية لهرميروس وواحدة فى أشعار هزيودوس ، اثنتان فى مسرحيتين للشاعر المســـرحى ايسخيلوس . وتستمر بعد ذلك الإشارة عن العرب عند بعـــض الكتـــاب اليونـــانيين الآخرين أو الرومان او البيزنطيين حتى ظهور الإسلام .

وقد بحث نولدكه لفظ " عرب " فقال : يظهر أن المعنى الحقيقى للفظ عـــرب هو صحراء ، كما يظهر ان معنى " عربيا " يشمل صحراء الجزيرة وسوريا وشـــبه جزيرة سيناء. ولهيرودوت معروفة تامة بالعرب ، وبالجزء الـــذى يقـــع بين فلسطين

---

(١) د. عفيف البهنسى : الآثار السورية (مجموعة أبحاث أثرية تاريخيـــة) ، ص ١٦٨ .

ومصر . وقد درس زينوفون تلميذ سقراط ، لفـظ " عـرب " وقـال أنـه يطلـق علىصحراء الجزيرة العربية بوجه خاص كما يطلق على البدو من زمن بعيد لفـظ " أعراب " .(١)

وأخذت هذه الشخصية العربية فى التبلور بشكل تدريجى فى الفترة السـابقة على الإسلام ، وعند ظهور الإسلام فى القرن السادس الميلادى وما بعده بدأ العرب يشعرون بشكل محدد بأنهم قوم لهم صفة عربية محددة سواء كمجموعة بشرية لـهـا صفات عامة تجمعها وتميزها عن غيرها ، أو كأصحاب لغة عامة موحدة تجمع بينهم رغم اختلاف لهجاتهم . فهناك إشارة إلى الصفة العربية فى آيات القرآن الكريـم ، وإشارة أخرى إلى اللسان العربى . وأن لديهم انطباعا عاما يعتقدون من خلاله انـهم ينحدرون من سلالة أخرى إلى اللسان العربى . وأن لديهم انطباعا عاما يعتقدون مـن خلاله انهم ينحدرون من سلالة سيدنا إبراهيم عليه السلام . وقد اكدت آيات القـرآن الكريم هاتين الفكرتين .(٢)

وإرجاع هذا السبب إلى سام بن نوح فإنما يمثل عنصر الإسرائيليات التـى كانت قد تسربت إلى الكتابات العربية وبخاصة إذا عرفنا أن عددا من الكتاب كـانوا إما من أصل يهودى او متأثرين بالكتابات والأخبار اليهودية ، مثل عبيد بـن شـرية الجرهمى ووهب بن منبه وأبى عبيدة معمر بن المثنى التميمى .(٣)

---

(١) د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام : السياسى والدينى والثقـافى والاجتمـاعى ، الجزء الأول ، ص ١ ؛ د. توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، ص ٤٩ . وعـن لفظة العرب ومدلولها وتطورها التاريخى ، راجع : د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ١٣٧ - ١٥٣ ؛ محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربى ، الجزء الأول ، ص ١١٠ ، الجزء الخامس ، ص ١٠ - ١٤ ، ٣١٨ - ٣٢١ .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٨٧ وحاشية ٤٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٦ .

وفى الواقع انه لا يوجد من بين ما تركه سكان شبه الجزيرة العربيـــة قبـــل الإسلام ، سواء فى مجال الآثار أو المخلفات المادية ، او مجال النقـــوش والكتابـــات المتعددة ، ما يدل على نسبهم إلى سام بن نوح ، كما أن تبنى هذا النسب أو الأخذ بـــه بواسطة أغلب كتاب ومؤرخى العصر الإسلامى قد أوقعهم فى قـــدر مـــن الحـــرج والتناقص . والآراء التى أثيرت حول الموطن المفترض للشعوب التى أصبحت تسمى بالشعوب السامية على امتداد القرنين الماضيين ، آراء لا تزال بعيدة عن وجـــود مـــا يؤكدها ويجعلنا نسلم بها [١] او نتقبلها منطقيا .

الزيارات والدراسات التى قام بها بعض العلماء الأجانب لأماكن النقوش القديمة فى الجزيرة العربية :

اهتم بعض العلماء الأوربيين بآثار البتراء وجنوب فلســطين ، لأن تحريـــم زيارة المدينتين المقدستين ، مكة والمدينة ، على غير المسلمين ، أدى إلى وفود عـــدد كبير من الرحالة الأوربيين إلى وسط الجزيرة العربية وشمالها . ومن هنا رأينا كثيرا من الأوربيين ياتون إلى زيارة الحرمين الشريفين متخفيـــن . حتـــى جـــاء الرحالـــة السويسرى **بوكهارت** الذى قام برحلته إلى الحجاز تحت اسم الشيخ إبراهيم بن عبـــد الله ، فزار الحرمين الشريفين ، وقدم وصفا دقيقا لموسم الحج ، وكتـــب عـــن مكـــة والمدينة كتابات علمية ، وفى عام ١٨١٢ م ، اكتشف مدينة البتراء ثم أصـــدر عـــدة كتب عن رحلاته فى سوريا وفلسطين وشمال بلاد العرب .

وفى عام ١٨١٥ ، زار نجد المستشرق **جورج فالين** للقيام ببعض الدراسات اللغوية . وفى عام ١٨٥٣ ، زار **ريتشارد بيرتون** الحريمن الشريفين ، متنكرا فـــى زى مسلم يسمى الحاج عبد الله ، ثم كتب وصفا لرحلته هذه .

وفى عام ١٨٦٢ ، قام **وليم بليجريف** برحلته إلى وسط الجزيرة ، ونشـــر فى عام ١٨٦٥ كتابا عن رحلته هذه ، سرعان ما ترجم إلى الفرنسية ثم الألمانية بعـــد ذلك ، كواحد من أفضل الكتب عن بلاد العرب ، ويزعم بليجريف أنه وصـــل إلـــى

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٧١ ، ٨٤ – ٨٥ .

مناطق فى قلب بلاد العرب لم يصلها أحد قبله .

وفى عام ١٨٧٦ و ١٨٨٤ قام كل من هوبر واويتنج برحلة شاقة ، وقد بلغا حايل فى شمال بلاد العرب ، وحصلا على كثير من النقوش فـــى شـمال الجزيــرة العربية . وفى عام ١٨٨٩ قام تيودوربنت وزوجته ، برحلة إلى البحريـــن ومســقط وعمان ، حيث زار كثيرا من المناطق الأثرية ، وكتبا عنها كتابهما المعــروف عــن جنوب الجزيرة .

ومع بداية القرن العشرين ، بدأت الأبحاث العلمية تظهر بنشاط ، وأصبـــح بين أيدينا مؤلفات هامة ، لعل من أهمها ما كتبه اليوس موسل ، الذى زار العربيـــة الحجرية ، وكتب عدة مؤلفات فى وصف شمال الحجاز وتدمر ونجـــد . كمـــا قـــام جوسين وسافينياك بإصدار مؤلفاتهما الشهيرة عن آثار الحجاز ، وبخاصـــة مدائـــن صالح والعلا . وكان أكثر الرحالة نشاطا فى نجد وأواسط بلاد العرب " هارى فيلبــى H. Philby " والذى سمى نفسه الحاج عبد الله وقد اتيح له ما لم يتيح لغـــيره مــن الأوربيين إذا كان من المقربين إلى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ملك المملكــة العربية السعودية ، ومن ثم فقد قام برحلات كثيرة ، وكتب عدة كتب . وكانت آخــر رحلاته تلك التى قام بها فى صحبة البلجيكى ركمانز فـــى فـــامى ١٩٥١ - ١٩٥٢ ، وكانت فى المثلث الواقع بين جدة ونجران والرياض ، وعام ومعـــه ١٢٠٠ نقشـــا ، منها تسعة آلاف نقش ثمودى ، وبقيتها نقوش لحيانية وسينية ، بعد أن زارت البعثـــة كل ما وجدته من بقايا مدن قديمة .

وفى عام ١٩٦٢ ، قامت بعثة أمريكية بزيارة مناطق مختلفة من الجزيـــرة العربية ، فزارت سكاكا والجوف وتيماء ومدائن صالح والعلا وتبوك ، وعثرت علـــى نماذج من فخار قديم ، ونقلت صورا لكتابات ثمودية ونبطية ، أهمها ما وجدته فـــى قمة جبل غنيم ، على بعد ثلاثة أميال إلى الجنوب من تيماء ، وتعد من اقدم ما عـــثر عليه فى شمال الجزيرة العربية .

وقام العديد من المستشرقين والمؤرخين بإعداد أبحاث جادة ومؤلفات عـــن

تاريخ ومظاهر الحضارة العربية قبل الإسلام .(١)

---

(١) عن أهم الرحالة إلى شمال الجزيرة العربية ، راجع :

ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم (ترجمة د. فؤاد حسنين على ود. زكى محمد حسن) ص ، ٣٧ - ٥٠ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٧٧ - ٨٨ ؛ وعن أهم المستشرقين والمؤرخين الذين قدموا أبحاثا جادة عن تاريخ وحضارة العرب قبل الإسلام ، راجع : المرجع السابق ، ص ٨٦ - ٨٨ . كما قام أحمد شرف الدين فى مؤلفه : المدن والأماكن الأثرية فى شمال وجنوب الجزيرة العربية، ص ١٥ - ٦٨ بالحديث عن الأماكن الأثرية فى شمال الجزيرة وعرض ما بها من نقوش ومن قام بدراستها ونسخها وترجمتها والتى عثر عليها فى : العلا ، وهى بلدة بشمال الجزيرة العربية ، وهى من أقدم الأماكن التاريخية فى شمال الجزيرة العربية ، وأهم مواقعها الأثرية (الخريبة) وكان اسمها (ددان) وعثر فيها على ما يربو على مائتى نقش من النقوش الآرامية والسبئية والمعينية والددانية واللحيانية . وزارها هوبر واويتنج (١٨٨٤) ودوتى (١٨٧٦) ، وجلازر (١٨٩٥)وجوسن وسافيناك (١٩٠٩) ، وموسل (١٩١٠) وريكماتر (١٩٦٧) وبعثة جامعة ترنتو الأثرية (١٩٦٩) وبعثة جامعة لندن (١٩٦٨) راجع : أحمد شرف الدين : المرجع السابق ، ص ١٥ - ١٧) .

<u>الحجر</u> (مدائن صالح) شمال غرب الجزيرة العربية ، وجاء ذكرها فى القرآن الكريم فى سورة الحجر (الآيات ٨٠ - ٨٣) وأصحاب الحجر هم قوم ثمود . وقد تكلم عن الحجر المفسرون والجغرافيون العرب وغيرهم ، وفى مقدمتهم الطبرى والمسعودى والقزوينى والبلاذرى والأدريسى والمقدسى والاصطخرى ، ومن قبلهم بلينى وسترابون واجاثا رشيدس ، كما تحدث عنها أصحاب السير كابن هشام ، وأهل المعاجم وأول من تكلم عنها من المستشرقين دوتى الذى زارها سنة ١٨٧٦ كما زارها الرحالة الفرنسى تشارلز هوبر سنة ١٨٨٠ ، وفى مطلع القرن العشرين زارها الباحثان الأثريان الفرنسيان جوسن وسافيناك فى نطاق --

كما أن إدارة الآثار بوزارة المعارف بالمملكة العربيـــة السـعودية والتـى أنشئت فى عام ١٩٧١ تقوم الآن بعمل مسح أثرى لكل المناطق الأثريـــة بالمملكـــة،

-- رحلتهما العلمية كمبعوثين من قبل الأكاديمية الفرنسية لجمع النقوش ،وقد اخـذت الحجر ركنا هاما من كتابيهما الضخم والمنشور فى باريس عـــام ١٩٠٩ . وزار المنطقة بعد ذلك فيلبى وتحدث عنها فى كتابه الذى نشر فى لندن ١٩٥٩ . وقـــد اكتشف فى الحجر عدة نقوش عربية قديمة وثمودية ولحيانية وآرامية وافريقيـــة ورومانية ونبطية ، كما اكتشف فيها مقابر منحوتة فى الصخر هى طبق الأصـل من المقابر النبطية الموجودة فى البتراء (راجع أحمد شرف الديـــن : المرجـــع السابق ، ص ١٨ - ٢١) .

تيماء : تقع شمال الجزيرة ، زارها هوبر سنة ١٨٨٤ وعثر فيها علـــى حجـــر تيماء ويحمل نقش آرامى يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد . وجاء ذكرها فـــى النقوش الآشورية والبابلية. ومن مواقعها الثرية : جبل غنيم ، وخبرا ، وخوبـو ، وغار الحمام ، وفاء الطليمة ، وتلال براق الرباع . وقامت إدارة الآثار العامـــة والمتاحف بالمملكة بالتنقيب فى هذا الموقع وعثر فيه على نقش آرامى (راجـــع أحمد شرف الدين : المرجع السابق ، ص ٢٢ - ٢٥) .

مدين : التى تصل الجزيرة العربية بشبه جزيرة ســـيناء ، وإلـــى أهـــل مديـــن وأصحاب الأيكة أرسل الله نبيه شعيبا عليه السلام ، وبهذا المكان نزل نبـــى الله سيدنا موسى بعد غرق المسئول فرعون ومن معه ثم التقى بسيدنا شعيب وزوجه إحدى ابنتيه . وأول من زارها الرحالة الإنجليزي روبل عام ١٩٥٠ وكـــان أول من لفت انظار الباحثين من المستشرقين ، فزارها عدد منهم وكتبوا عنها ، ومـــن أهمهم بورتن ودوتى وموسل وفيلبى وبعثة جامعة لندن التـــى حققـت المكـــان وكتبت عنه تقريرا علميا نشرته سنة ١٩٧٠ ضمن ما كتبته عن منطقـــة شـــمال غرب الجزيرة العربية . (راجع احمد شرف الدين : المرجع الســـابق ، ص ٢٦ - ٢٧) .

للقيام بحفائر أثرية على نطاق واسع ، وبطريقة علمية ، كما أنشأت جامعة الرياض تخصصا فى الآثار بقسم التاريخ منذ عام ١٩٧٤ ، كما قامت جامعة الإمام محمد

-- **روافة** : من المواقع الأثرية الهامة الواقعة على طريق القوافل التجارية التى تصل الجزيرة العربية بشبه جزيرة سيناء . ومن أهم آثارها المعبد الرومانى النبطى الذى يرجع إلى القرن الثانى للميلاد . ومن أهم من زار الموقع دوتى (١٨٨٣) وموسل ١٩١٠ وبعثة جامعة لندن (١٩٦٨) . (راجع : أحمد شرف الدين : المرجع السابق ، ص ٢٨) .

القرية : تقع فى منطقة بين المحتطب وحسمة ، وفى وسط الطريق بين تبوك والمدورة . وكان دوتى اول من زارها ، ثم تبعه والن مورتز وموسل وجوسن وسافيناك و فيلبى ، وكل هؤلاء نسخوا نقوشها الثمودية والنبطية والكوفية وعددها لا يزيد على عشرة ، وبعثة جامعة لندن (١٩٦٨) (راجع أحمد شرف الدين : المرجع السابق ، ص ٢٩) .

دومة الجندل (الجوف) : وقد سميت المنطقة بالجوف لوقوعها فى مكان منخفض عند نهاية وادى السرحان الذى يبتدئ من حوران بالشام وينتهى بالنفود الكبير . وفى كتاب رحلته إلى الجزيرة العربية وصف جورج والين (١٨٦٢) مدينة الجوف وصفا دقيقا تناول أسوارها . وفى سنة ١٨٦٤ زارها وليم باليجريف والذى نشر فى لندن سنة ١٨٦٥ فصولا شيقة عن الجوف بصورة خاصة . وزارها من المؤرخين والجغرافين أبو الفداء والأصطخرى . وقد جاء ذكر الجوف أو دومة الجندل فى النصوص الآشورية والبابلية . واستدل وينت ، رئيس بعثة جامعة تورنتو التى قامت بالمسح الأثرى فى المنطقة الشمالية من المملكة عام ١٩٦٨ من وجود بعض النقوش المعينية والسبئية فى ارباض الجوف على أنه كان لمعينيين وللسبئيين صلات بواحات الجوف ، واستنادا إلى النقوش النبطية التى عثرت عليها البعثة فى الجوف وسكاكا وجبل الجيزان استدل أيضا على ان المنطقة كانت خلال القرون الولى

ابن سعود الإسلامية فى عام ١٩٧٥ بإدخال مادة الآثار ضمن برامج الدراسة فى قسم التاريخ بها ، والأمل كبير فى أن تثمر هذه الدراسات الأثرية عن إعطاء صورة أوضح عن تاريخ الجزيرة القديم ومظاهر حضارتها .

-- للميلاد تحت نفوذ الأنباط . (راجع أحمد شرف الدين : المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣٤) .

وادى السرحان : من المسالك التجارية القديمة الهامة التى كانت تصل نجد ببلاد الشام ، وعثر فيلبى ووينت على نقوش ثمودية وبعض الرسوم البارزة وآثار لمعبد نبطى فى هذا الوادى ، مما يدل على الاتصال الثقافى بين شمال الجزيرة العربية والأردن. (راجع أحمد شرف الدين: المرجع السابق ، ص ٣٥- ٣٦) .

حائل : إحدى المدن الشمالية الهامة ، كانت همزة وصل تجارية بين أواسط نجد والجرهاء والجوف والعراق . ومن أشهر اماكنها الأثرية ياطب وسميراء وغار حنين والسرة والشملى . وممن زارها وكتب عنها موسل . كما زارها قبله هوبر الرحالة الفرنسى واوتينج رفيقه الألمانى سنة ١٨٨٤ ونسخ عددا من النقوش الثمودية فى القصير، والشملى، والسرة ، والبويب ، وهانية ، والجلدية . وكان من بين مازارها وحقق آثارها ونقوشها وينت رئيس جامعة تورنتو الكندية عام ١٩٨٦ . (راجع أحمد شرف الدين : المرجع السابق ، ص ٤٠ - ٤١) .

جبة : تبعد عن حائل مسافة ٧٥ كيلو مترا . وعلى جبال ام سلمان الشامخة المطلة على جبة والممتدة من الشمال إلى الجنوب مسافة خمسة كيلو مترات تقريبا آلاف النقوش والمخربشات ، ويكثر فى هذه النقوش رسم صورة ثور ضخم ذى قرون هلالية ترمز للقمر المعبود القديم . وتعتبر هذه الصور من اقدم الآثار الفنية فى الجزيرة العربية . أما النقوش الكتابية فهى بالخط المسند ، فمنها ما يرجع إلى بداية الألف الأولى قبل الميلاد . ومعظمها يتضمن اسم رضو ونهى . ولم يتوصل أحد من الباحثين إلى ما هو المقصود بهذين الاسمين اللذين تضمنتهما غالبية النقوش النجدية ، وكلهم يذهبون إلى أنها أسماء وثنية وأن تلك الكتابات ثمودية .

- الأقوام والدول والممالك التي قامت في الأجزاء الوسطى وما حولها من شبه الجزيرة العربية :

-- ويرى أ. أحمد حسين أن نقوش جبة ، ولاسيما الموجودة على جبال الثابيب وأم شداد والحنكية وكذا نقوش ياطب وغار جنين والجلدية بمنطقة حائل ، بما تشير إليه من رضو ونهى ما هما إلا اسمان من أسماء الله تعالى ومعناهما الراضي والناهي بدليل وجود اسم آخر لإله أكبر مكتوب باسم " إله " . وجاءت كلمة إله في عدة نقوش وإله تعني الله . ويؤكد ذلك أن الحنيفية ديانة سيدنا ابراهيم عليه السلام كانت معروفة في الجزيرة العربية وبقيت عند بعض القبائل الذين سموا بالحنفاء . (راجع أحمد شرف الدين : المرجع السابق ، ص ٤٢- ٤٧) .

الفاو وبيرحماء ، الفاو من أهم الأماكن الأثرية في الجزيرة العربية لوقوعها على الخط التجاري القديم كنقطة استراحة بين اليمن ونجد . وتبعد عن نجران إلى الشمال الشرقي مسافة ١٢٠ كم ، وتشتمل المنطقة على موقعين : **الأول خشم الواد** ، **والثاني خشم البكرة فبالنسبة للأول** قام عدد من المهتمين بدراسات تاريخ شبه الجزيرة العربية ، وهم : فيلبي ، ولتر وركماتز في بداية الخمسينيات من القرن الحالي باستطلاع عابر لمنطقة الفاو على بعد ٧٠٠ كم جنوب الرياض ضمن استطلاع عام لمنطقة أوسع . ثم قام قسم التاريخ بجامعة الرياض تحت إشراف د. الأنصاري في مطلع السبعينات بعمليات تنقيب متعددة في التل الكبير بالمنطقة ، وكشفت الحفريات عن أن الموقع سوق للقرية ويحتوي على عدد من المحال التجارية في صفين متقابلين من الجنوب والشمال تفصل بينهما ساحة تتوسطها إلى الشرق بئر واسعة . كما عثر خلف المحال التجارية على غرف لخزن البضائع ولإقامة أصحاب القوافل . فقد وجدت نقوش على جدران بعض الغرف تكررت فيها كلمة " كهل " في أشكال مختلفة يدل على أن هذا يعبر عن اسم معبود كان يعبد في القرية، وفي حقيقة يدعمها ورود اسم " كهل " في مقبرة لعجل بن ربيعة الذي كان يحمل لقب ملك قحطان ومذحج وكانت الفاو تقع على الطريق التجاري الهام الذي كان يربط جنوب الجزيرة العربية ===

كانت تعيش قبل ظهور الإسلام ، عدة قبائل وثنية ، والتى تركت من ورائها

-- وشمالها الشرقى . لقد كانت القوافل القادمة من سبأ ومعين وقتبان وحضرموت وحمير تمر منها متجهة إلى بلاد الشام وبلاد النهرين ومنطقة الخليج . فهى بذلك تعتبر مركزا تجاريا واقتصاديا هاما فى وسط الجزيرة العربية . وجاءت أهمية الفاو من كونها عاصمة لدولة كان لها دور هام فى تاريخ الجزيرة العربية لمدة تزيد على خمسة قرون . كما نجحت البعثة فى تصوير ونقل حوالى ٢٥٠ نقشا منتشرة على سفوح أولها خشم قرية ، من الشمال حتى الجنوب ، فضلا عن مجموعة كبيرة من شواهد القبور والأوانى الحجرية والفخارية والخزفية ، إلى جانب قطع حجرية تحتوى على نصوص وكتابات هامة بالخط المسند ، وقد أرخت هذه القطع وكذلك المواقع الأثرية الهامة بالفترة ما بين القرن الثانى ق. م ، والقرن الثانى الميلادى .

والثانى : خشم البكرة ، قام باستنساخ نقوشه الأمريكى البرت جام عام ١٩٨٥ ، كما قام بتصوير ونسخ نقوش منطقة بئر حماء، الإمارة المجاورة للفاو، والتى تبعد عن نجران التابعة لها شمالا مسافة مائة كم، ومن مواقعها الجبلية المتباعدة:النظيم ، الواقيع ، صمعر ، سناح ، وجمع ما يقرب من ٥٥٠٠ نقش معظمها سبئ وأهم تلك النقوش نقش الملك الحميرى ذو نواس وقد عثر عليه بجبل حماطة ، وهو مؤرخ بسنة ٦٣٣ بتوقيت الحميرى الموافق سنة ٥١٨ ميلادية . وقام بترجمة هذا النقش ريكمانز ، ويفهم منه أن الملك الحميرى ذو نواس قام بحرب ضد نصارى نجران ؛ لأنه كان يعتنق اليهودية ، ويذكر انتصاره على أعدائه أهل نجران وفرسان ومن شايعهم من الأحباش ، إذ تمكن من هدم كنيستهم بنجران وظفر بقتل ١٥٠٠ رجل وسبى ١١٠٠٠ ، وحصل على غنائم تبلغ مائة ألف رأس من الإبل والبقر والغنم . [أحمد شرف الدين : المرجع السابق ، ص ٤٨ – ٥٢ ، وراجع أيضا د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ١٣٢ حاشية (٣) ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٧٦ حاشية (١)] . ---

آثارا هامة فى الحجر (مدائن صالح) . كما تركت نقوشا فى جميع الدروب ، فـــى نجد والحجاز . وقد اختلف العلماء فى تحديد ظهور تلك القبائل وغيرها ، ممن كـــانوا يعيشون فى أجزاء من شمال الجزيرة العربية . فمنهم من يقترح أنــهم عاشــوا قبــل ظهور المسيحية بعد قرون ومنهم من يقترح أنهم عاشوا قبل ظهور المســـيحية بعــد قرون ومنهم من يقترح أنهم عاشوا قبل ذلك بكثير .

ويقسم مؤرخو العرب هذه القبائل إلى قسمين كبيرين :

== **الهفوف** : سميت بهذا الاسم لتهافت الناس عليها ورغباتهم فى سكناها وكـــانت عاصمة للإحساء، أى أن مدينة الهفوف قد بنيت لتخلف مدينة الإحساء التاريخية. وقد جرت عدة محاولات لدراسة المنطقة تاريخيا وأثريا ، من أهمها محـــاولات الكاتب البريطانى وليم شكسبير فى رحلاته المتكـــررة بيــن ١٩٠٩ - ١٩١٤ ، وكرنول ١٩٤٦ . (راجع أحمد شرف الدين : **المرجع السابق**، ص ٥٥- ٦٣) .
ماسل الجمح : وهو واد بمنطقة أواسط نجد ، وأهم ما يلفت نظر الداخــل إلــى الوادى نقشان مرتفعان على واجهة الجبل الأيسر وقد سبق أن نشرهما ريكمـــانز عام ١٩٥٢ و ١٩٥٣ وأحد هذين النقشين كتب بمناسبة مرور أسعد أبو كـــرب الملك الحميرى المشهور من وادى ماسل الجمح فى حربه مع مودم ولعلها قبيلــة معد (راجع أحمد شرف الدين : **المرجع السابق** ، ص ٦٤ - ٦٥) .
نجران : من أشهر مدن المنطقة الجنوبية ، وجاء اسم نجران فـــى عــدد مــن النقوش السبئية وفيها الأخدود الذى وقعت فيها حادثة هامة قبل الإسلام وذكرهـــا القرآن الكريم فى سورة البروج (آية ٤) . ونجران من أغنى المناطق بالآثار ، وقامت بعثة معهد سميثوينان الأمريكية بالمسح الأثرى فـــى منطقـــة الأخـــدود برئاسة الباحث الأمريكى فان بيك سنة ١٩٦٢ ووضعت تقريرا مفصلا مـــا زال يعد المرجع الوحيد للتعرف على آثار هذه المنطقة (أحمد شرف الدين : المرجع السابق ، ص ٦٦ - ٦٧) .

أولا : عرب البائدة :

وهم الذين بادوا واندثرت آثارهم وانقطعت أخبارهم ولا نعرف عنهم شـيئا إلا ما ورد عنهم فى الكتب السماوية وخاصة آيات القرآن الكريم والشعر العربـى . ومن أشهر قبائلهم : عاد ، وثمود ، وأصحاب الأيكة ، وطسم ، وجديس ، وجرهـم الأولى[١] وتحدثنا آيات القرآن الكريم عن أربع من هذه القبائل بالإضافة إلـى أقـوام وشعوب أخرى جاءتهم الرسل بالبيانات .

الأقوام القديمة ذات الصلة برسالات الأنبياء :

قوم عاد :

وهم من العرب البائدة ، سكنوا منطقة الأحقاف شمال حضرموت وجنـوب الربع الخالى . وقد عرفوا بضخامة أجسامهم وقوتهم ، وانشغلوا بالزراعـة وتربيـة الحيوان والتجارة فحققوا من وراء ذلك الربح الكثير . وبنو المدن العامرة وأشـهرها ارم[٢] . التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم " ألم تر كيف فعل ربـك بعـاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد " [سورة الفجر : الآيـات ٦ ـ ٨][٣]، اختلـف المؤرخون فى أمر إرم فقد اعتبرها ياقوت جبلا عظيما فى ديار جذام قـرب العقبـة تنمو فيها أشجار الكروم وأشجار تشبه أشجار الصنوبر . وذكر القزوينى أن قوم عـاد عاشوا على هذا الجبل الذى وجدت عنده بقايا تماثيل كثيرة ومنازل عديـدة .[٤] وأدت الكشوف الأثرية إلى الكشف عن بقايا أثرية حول جبل ارم شرقى العقبة ، ومنها معبد

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٩ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربيـة فـى عصورهـا القديمـة (محاضرات مطبوعة) مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢ ، ص ١٥٢ ـ ١٥٤ .

(٣) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العـرب القديـم ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ؛ محمد عزه دروزه : تاريخ الجنس العربى ، الجزء الأول ، ص ٧٦ ـ ٧٧ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

أقيم فوق الجبل ترجع بعض نصوصه إلى القرنين الأول والثانى الميلاديين .[١] ولكنهم مع ذلك لم يكونوا من الشاكرين لهذه النعم ، فاتخذوا معبودات وأصناما يعبدونها من دون الله .

أرسل الله إلى قوم عاد سيدنا هود عليه السلام - الذى عرف بالأخلاق الكريمة والعقل الراجح - فدعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان والأصنام وقال تعالى : " وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون " (سورة الأعراف : الآية ٦٥) . لكن القوم واصلوا كفرهم ، وكذبوا نبيهم ، ولم يستجيبوا لنصيحته قال الله تعالى : " كذبت عاد المرسلين " (سورة الشعراء : الآية ١٢٣) . واستمروا يعبدون مخلوقات لا تضر ولا تنفع ، متذرعين بأنهم وجدوا آبائهم وأجدادهم يعبدونها ، رغم أن نبى الله هودا بين لهم خطأ آبائهم حين اعتقدوا بعبادة تلك الأوثان والأصنام وأبلغهم أنهم سوف يموتون ثم يبعثون يوم القيامة ليجرى حسابهم على ما اقترفوه من ذنوب . ولكن القوم واصلوا جحودهم وكفرهم ، وتعجبوا كيف يبعث الإنسان من جديد بعد موته ، وشككوا فى دعوة سيدنا هود عليه السلام .

وقد ذكر الله موقفهم هذا من سيدنا هود قال تعالى :

" أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما إنكم مخرجون ، هيهات هيهات لما توعدون ، إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين " (سورة المؤمنون : الآيات ٣٥ - ٣٧) .

وتعرض سيدنا هود عليه السلام لأذى قومه ، فاتهموه بالجنون والسحر لأنه خالف آلهتهم ويقول الله تعالى : " قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء " (سورة هود : الآيات ٥٣ - ٥٤) .

ويرد عليهم سيدنا هود عليه السلام قائلا :

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

" قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون ، من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ، إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم " (سورة هود : الآيات ٥٤ - ٥٦) .

لقد صم قوم عاد آذانهم وقلوبهم عن الاستماع إلى كلمة الحق ، فحق عليهم عذاب الله سبحانه وتعالى ، وكانوا يستعجلونه ولا يتوقعونه ، فأصيبت أراضيهم بالجفاف بعد أن حبس الله عنهم المطر ، وارتفعت حرارة الجو ، ومع ذلك استمروا فى استكبارهم ، فأرسل الله عليهم الريح العقيم التى استمرت سبع ليال وثمانية أيام ، فأهلكتهم وأبادتهم فكانوا عبرة لغيرهم من الأقوام والشعوب الأخرى . قال الله تعالى :

" وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية " (سورة الحاقة : الآيات ٦ - ٨) . وأيضا :

" فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون " (سورة فصلت : الآية ١٦) .

" وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم " (سورة الذرايات : الآية ٤١) .

" إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر " (سورة القمر : الآية ١٩) .

أما سيدنا هود عليه السلام والذين آمنوا بدعوته ، ووقفوا إلى جانبه فقد أنجاهم الله وحماهم من ذلك العذاب الشديد ، الذى حل بقومهم[1] مصدقا لقوله تعالى :

---

(١) تشير آيات القرآن الكريم إلى عاد الأولى (" وأنه أهلك عادا الأولى " سورة النجم : الآية ٥٠) فعاد الأولى التى أرسل الله عز وجل إليها سيدنا هود عليه السلام وكانت موجودة فى جنوب شبه الجزيرة العربية حسبما نستنتج من ارتباطها بمنطقة الأحقاف وهى منطقة صحراوية تقع فى جنوب الجزيرة . --

" ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ " (سورة هود : الآية ٥٨) .

قوم ثمود :

عاش قوم ثمود فى الحجر فى المنطقة الممتدة ما بين الحجاز والشام والمعروفة بمدائن صالح شمال الجزيرة العربية .(١)

ولسنا على علم بالعهود التى تزايد فيها أهل ثمود فى شمال الحجاز أو

== أما عن عاد الثانية فيرى البعض أنها كانت من القسم الشمالى الغربى لشبه الجزيرة العربية حيث كانت تقيم هناك . وإذن فنحن أمام وجودين لقوم عاد فى مكانين مختلفين أحدهما فى الجنوب عند الأحقاف والآخر فى الشمال الغربى . وفى زمانين مختلفين أحدهما لا نعرفه على وجه التحديد والآخر فى وقت غير بعيد قبل نزول آيات القرآن الكريم فى أوائل القرن السابع الميلادى ، وان عاد الأولى قد اختفت من جنوبى الجزيرة ابتداء من النصف الأول من القرن الثانى ق. م . على الأقل . وأن عاد الثانية تواجدت عقب هذا التاريخ مباشرة (راجع : د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة " مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام " ، ص ١٦٢ - ١٦٤) . ويرى د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ١٦٥ أن عادا الأولى إنما هم عاد إرم الذين كانوا يسكنون الأعمدة التى تحمل الخيام وأن عاد الثانية إنما هم سكان اليمن من قحطان وسبأ وتلك الفروع ، وربما كانوا هم قوم عاد .

وهناك من يرى فى الموقع النبطى " ارم " الذى اكتشف إلى الشرق من العقبة إنما هو " ارم " المذكور فى آيات القرآن الكريم ، راجع : د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٩١ .

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

الفترة الذى بعث إليهم فيها سيدنا صالح عليه السلام .[١]

عرف عن قوم ثمود أنهم عمروا المنطقة التى سكنوها فبنوا فيها البيوت وشيدوا القصور واستفادوا من عيون الماء الكثيرة مما ساعد على إقامة الحدائق والبساتين الجميلة ، فعاشوا فى رغد من العيش ومتعة ، مصداقا لقوله تعالى :

" أ تتركون فى ما ها هنا آمنين ، فى جنات وعيون ، وزروع ونخل طلعها هضيم ، وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ، فاتقوا الله واطيعون ، ولا تطيعوا أمر المسرفين " (سورة الشعراء : الآيات ١٤٦ - ١٥١) .

ولكنهم ضلوا عن طريق الهداية فلم يعبدوا الله ولم يوحدوه بل اشركوا وارتكبوا المعاصى شأنهم فى ذلك شأن قوم عاد .

وأرسل الله إليهم سيدنا صالح ليهديهم إلى الحق ويحضهم على عبادة الله وتوحيده وترك عبادة الأصنام ولكنهم رفضوا الدعوة وعارضوها وشككوا فيها قائلين :

" قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب " (سورة هود : الآية ٦٢) .

أخذ سيدنا صالح يؤكد لقومه صحة نبوته، أنه رسول من الله رب العالمين ،

---

(١) يرى د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٨٣ - ٨٤ ، ١٩٨ أن الثموديين قد اندثروا قبل عهد سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم أو أن اندثارهم تم قبل ذلك بفترة طويلة ، فقد كانت بقايا مساكنهم ، حسبما يذكر القرآن الكريم لا تزال قائمة حتى يستطيع أن يستشهد بها سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى صدد محاجته للجاهلين وإقناعهم بالدعوة الوليدة ، راجع أيضا د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٦٥ - ١٦٧ ؛ وأيضا د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢ ، ص ١٥٥ - ١٥٧ .

ولكنهم رفضوا وطالبوه بمعجزة واضحة ملموسة تثبت أنه رسول من عند الله ، حتى يؤمنوا به ويصدقونه فدعا سيدنا صالح ربه ، فاستجاب له وحقق معجزته وهى ناقة كبيرة ، كانت ترد الماء يوما ، وتترك اليوم الآخر للناس وإنعامهم ليشربوا :

" ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب " (سورة هود : الآية ٦٤) .

وعلى الرغم من هذه المعجزة ، فقد مضى القوم فى طريق الكفر والشرك باستثناء فريق آمن بدعوة صالح ، مما جعلهم يتعرضون للأذى والعدواة من القوم الكافرين . وتحرك الشر فى رؤوس قوم ثمود ، وتآمروا فيما بينهم على قتل الناقة للخلاص منها وعهدوا بتنفيذ هذه المهمة إلى مجموعة من الأشرار ونفذ المتآمرون جريمتهم فقتلوا الناقة وعصوا أمر نبى الله سيدنا صالح وقال الله تعالى :

" فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين " (سورة الأعراف : الآية ٧٧) .

هكذا بلغ الكفر ذروته عند القوم فاستحقوا عقاب الله الذى طالما شككوا فيه وعلم سيدنا صالح بالجريمة وتحدى القوم فأبلغهم أن العذاب سيأتيهم بعد ثلاثة أيام ومضت الأيام الثلاثة ، والقوم يستهزئون بسيدنا صالح ودعوته حتى جاء اليوم الرابع فأرسل الله عليهم صيحة أو صاعقة أو رجفة أهلكتهم مصدقا لقوله تعالى :

" فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين " (سورة الأعراف : الآية ٧٨) .

" وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين " (سورة هود : الآية ٦٧) .

" وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون " (سورة فصلت : الآية ١٧) .

" وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ، فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون " (سورة الذاريات : الآيات ٤٣ - ٤٤) .

" انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة.فكانوا كهشيم المحتظر " (سورة القمر : الآية ٣١) .

" كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية " (سورة الحاقة : الآيات ٤ - ٥) .

وهكذا أهلك الله القوم الكافرين بسبب موقفهم من نبى الله ودعوته أما سيدنا صالح والذين آمنوا معه فقد نجو مما حاق بقومهم من العذاب " فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ " (سورة هود : الآية ٦٦) ، " ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون " (سورة فصلت : الآية ١٨) .

وترك لنا أهل ثمود نقوشا قصيرة مما يدل على معرفتهم بالتجارة . وقد وجدت نماذجها خارج ولدى القرى فى تبوك والطائف وفى قلب نجد وشمالها ، وفى شبه جزيرة سيناء وفى مناطق متفرقة من شرق الأردن ، وفى شرق دمشق ، وفى أطراف اليمن أيضا . وكل ذلك يدل على سعة انتشار قوافلهم وكثرة اتصالاتهم التجارية .[١]

قوم لوط :

سكنوا منطقة سهل الأردن وشمال الجزيرة العربية وكانوا يعملون السيئات ويأتون الرجال شهوة من دون النساء فأرسل الله إليهم سيدنا لوط لكى يهديهم :

" وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون منى ضيفى أليس منكم رجل رشيد " (سورة هود : الآية ٧٨) .

" قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد " (الآية : ٧٩) .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

" قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فاسر بأهلك بقطع من الليـل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبـــح بقريب " (الآية ٨١) .

وفى النهاية نزلت عليهم لعنة الله :

" وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كـــان عاقبـة المجرميـن " (سـورة الأعراف : الآية ٨٤) .

" فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجــارة مــن سـجيل منضود " (سورة هود : الآية ٨٢) ، " فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجــارة من سجيل " (سورة الحجر : الآية ٧٤) .

" وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين " (سورة النمل : الآية ٥٨) .

" وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين " (ســورة الشـعراء : الآيـة ١٧٣) .

" إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كـــانوا يفسـقون " (سورة العنكبوت : الآية ٣٤) .

" ونجيناه (أى سيدنا إبراهيم) ولوطا إلـــى الأرض التـى باركنــا فيـها للعالمين " (سورة الأنبياء : الآية ٧١) ، " إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت مـــن الغابرين " (سورة العنكبوت : الآية ٣٣) ، " كذبت قوم لوط بالنذر ، إنـــا أرسـلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر ، نعمة من عندنا كذلك نجزى مـــن شـكر " (سورة القمر : الآيات ٣٣ ـ ٣٥) .

قوم مدين أو أصحاب الأيكة :

ربطت التوراة وآيات القرآن الكريم اسم مدين بالنبيين سيدنا موسى وسـيدنا شعيب عليهما السلام ، فقد لجأ إليها سيدنا موسى هربا من أرض مصر ، وصــاهر

فى مدين رجلا صالحا ذكرته التوراة باسم " رعوئيل " أما سيدنا شعيب فقد دعى قومه من أهل مدين إلى عبادة الله وحده والالتزام بالأمانة فى الكيل والميزان .[١]

سكن قوم مدين أو أصحاب الأيكة جنوب بلاد الشام بالقرب من خليج العقبة فى منطقة إقليم حسمى وما يمتد منه إلى الشرق والجنوب الشرقى من خليج العقبة فى منطقة غنية بأشجارها وثمارها التى اعتمدوا عليها فى غذائهم . ومع هذا فقد جحدوا نعمة الله ، ومارسوا الغش ، وتلاعبوا بالكيل والميزان فى تعاملهم وعاثوا فى الأرض فسادا ، وعبدوا من دون الله شجرة كبيرة تعرف بالأيكة ، فكفروا وأشركوا . وأرسل الله إليهم نبيه شعيبا عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله وإقامة العدل ونشر الأمن فى البلاد . وقال الله تعالى :

" كذب أصحاب ليئكة المرسلين ، إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما اسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين " (سورة الشعراء : الأيات ١٧٦ - ١٨٠) .

ولكن القوم عصوا أمره ، واستمروا فى طريق الضلالة والكفر ، واتهموا شعيبا بالكذب والسحر ، فوصف القرآن موقفهم هذا وقال الله تعالى :

" قالوا إنما أنت من المسحرين ، وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين ، فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين " (سورة الشعراء : الأيات ١٨٥ - ١٨٧) .

لقد رفض القوم دعوة الحق وكذبوا نبى الله ، واستعجلوا العذاب الذى حق عليهم بسبب إصرارهم وضلالة موقفهم .[٢]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، ١٤٩ - ١٥١ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٩ - ١٥١ .

أمر الله شعيبا ومن معه من المؤمنين بالخروج من بلدتهم ، ثم ظهرت سحابة كبيرة ، اعتقدها القوم سحابة خير ورحمة ، فسارعوا نحوها للاستفادة من ظلها ، فلما اكتمل تجمعهم تحتها ، نزلت عليهم الصواعق المحرقة فقضت على عصابة الكفر ، وكانت نهايتهم .

قال الله تعالى مشيرا إلى هذا الموقف :

" فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم " (سورة الشعراء : الآية ١٨٩) .

أما شعيب ومن آمن معه فقد نجاهم الله تعالى :

" فأخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين " (سورة الأعراف : الآية ٩١) .

" فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين " (سورة العنكبوت : الآية ٣٧) .

" ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين " (سورة هود : الآية ٩٤) .

ويرى د. مهران أن لوطا وقومه كانوا معاصرين لأبى الأنبياء سيدنا إبراهيم (١٩٤٠ - ١٧٦٥ ق. م)[١] وان شعيبا وقومه كانوا يعيشون بعد القرن الثامن عشر قبل الميلاد[٢]، وهو تاريخ لا يتفق عليه المؤرخون .

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٢) قبل قيام الدعوة الإسلامية قام عدد من الأنبياء فى عدد من مناطق شبه الجزيرة العربية بدعوات دينية تدعو إلى الوحدانية ، مثل دعوة سيدنا هود عليه السلام فى قومه عاد الأولى وفى جنوب الجزيرة العربية، ودعوة سيدنا صالح عليه --

العرب الباقية :

وهم الذين عاشوا فى الجزيرة العربية فيما بعد ، وإليهم ينتسب العرب اليوم وهؤلاء ينقسمون بدورهم إلى فرعين هما :

القحطانيون : نسبة إلى قحطان عرب الجنوب ، وأطلق عليهم عرب العاربة أو عرب الجنوب . فنعرف أن أهل اليمن أخذوا بأسباب الحضارة وقامت لهم ممالك فى جنوب شبه الجزيرة العربية أشهرها : معين وقتبان وسبأ وحمير وغيرها . ولما أخذت بلاد اليمن فى الضعف ، وعجز أهلها عن إصلاح سد مأرب الذى أقامه اسلافهم لحفظ المياه ، وانكسر السد وغرقت بلادهم وتفرقوا فى شتى أنحاء الجزيرة العربية فى وسطها وشمالها . (وسوف نتحدث عن هذه الممالك فى هذا الجزء عند الحديث عن تاريخ اليمن القديم) ونعرف من عرب الجنوب **عدة قبائل أشهرهم :**

- **جرهم** التى سارت نحو الكعبة وسكنت حولها وتزوج منها سيدنا إسماعيل عليه السلام .

- **خزاعة** وهى قبيلة حارثة بن عمرو ، وساروا نحو الحرم المكى وأجلوا عليه سكانه من جرهم الثانية .

- **يعرب** ، ومنهم تشعبت القبائل والبطون من فرعين كبيرين هما : حمير وكهلان .

-- السلام فى قومه ثمود ودعوة سيدنا شعيب فى أهل مدين . ودعوة دينية أخرى فى سبأ الجنوبية لا يذكر لنا القرآن الكريم اسم صاحبها . وان كان يذكر رفض السبئيين لها ، ودعوة أخرى لعاد الثانية لم يذكر صاحبها أو نبيها . ثم تذكر آيات القرآن الكريم كيف لقيت هذه الدعوات تصديا عنيفا من جانب الأقوام بحيث لم يكتب لها النجاح أو الانتشار وآمن بها نفر قليل، راجع: د. لطفى عبد الوهاب: المرجع السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ؛ وعن سيدنا شعيب ، راجع : د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٩٢ - ١٩٤ .

- **وأشهر بطون حمير** : قضاعة ، ومن فروع قضاعة : بلى ، وجهينة ، وكلب ، وبهراء ، وبنو نهد ، وجرم .

- **وأشهر بطون كهلان** : الأد (ومنهم الأوس ، والخزرج واستقتا فى يثرب ، وأولاد جفنة ، وهم الغساسنة الذين ملكوا الشام) ، وطيئ (ومنهم جديلة ، ونبهان ، وبحتر وزبيدة ، وثعلبة) ، ومذحج (خولان وسعد العشيرة قبيلة المتنبى ، والنخع وعنس ، وإليهم ينسب الأسود العنسى الكذاب ، وهمدان ، وكندة ، ومراد ، وانمار ، وجذام ، ولخم) .[١]

واستقرت بعض هذه القبائل فى المدينة ، ومنهم من سار نحو عمان فنزلوها واستوطنوها ومنهم من سار إلى الشام ، ومنهم من استقر فى شمال نجد . ومن بطون كهلان قبيلة ثعلبة بن عمرو التى سارت نحو الحجاز ، واتجهوا إلى المدينة فتغلبوا على من كان بها ، وأكثرهم من اليهود .[٢]

وسارت قبيلة عمران بن عمرو نحو عمان فنزلوها واستوطنوها ، وهم ازد عمان ، وسارت قبيلة جفنة بن عمرو إلى الشام ونزلوا بماء يقال له غسان فنسبوا إليه ، ومنهم ملوك الغساسنة . وسارت قبيلة لخم بن عدى إلى الحيرة وسكنوها ، ومنهم نصر بن ربيعة أبو الملوك المناذرة . وسارت قبيلة طيئ بعد مسيرة الأزد إلى الشمال ، ونزلوا بالجبلين أجا وسلمى ، لما رأوه هناك من الخصب . وهذان الجبلان فى الشمال الشرقى من المدينة .

وسارت قبيلة كلب بن وبرة من قضاعة إلى بادية السماوة ، طرف شمال نجد ، وأقاموا بها . ومنهم من وصل إلى أطراف العراق . ومنهم ميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد بن معاوية ، والكلبى المؤرخ النسابة المشهور .

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٩ - ٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١ .

العدنانيون :

ويقال لهم العرب المستعربة أو العرب المتعربة أيضا ، فيذكر بعض المؤرخين أن سيدنا إسماعيل كان يتكلم العبرانية أو السريانية (؟)[١]، فلم نزلت جرهم من القحطانية بمكة وأقاموا مع سيدنا إسماعيل وأمه كانت لغتهم هي اللغة العربية التى تختلف عن اللغة العربية المعروفة الآن بعض الاختلاف ، فتعلمها منهم ، ثم صاهرهم ، وولد له اثنى عشر ولدا تفرعت منهم بطون كثيرة ، فسموا بذلك **العرب المستعربة** ، وانتشروا فى بلاد الحجاز وفى المناطق الأخرى من شمال الجزيرة العربية إلى بادية الشام حيث خالطهم أيضا عرب اليمن بعد انكسار سد العرم . ولهذا عرفوا أيضا **بعرب الشمال** [٢]، وفى رأينا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان **يتحدث بأكثر من لهجة** ، فعندما كان يدعو قومه إلى التوحيد فى بلاد النهرين كان يتحدث بلغة قومه ، وعندما سار هو وزوجته سارة إلى مصر كان يتحدث بلغة يفهمها أهل مصر . وعندما جاء إلى بلاد الحجاز وترك زوجته هاجر وابنها سيدنا إسماعيل بمكة كان يتحدث بلغة يفهمها أهل الحجاز أيضا . وعندما كبر سيدنا إسماعيل فى رحاب الكعبة لم يكن يتحدث العبرانية أو السريانية كما يذكر البعض ، بل كان يتكلم العربية تصديقا لقوله تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " (سورة إبراهيم : الآية ٤) .

ومن نسل حفيد سيدنا إسماعيل ، عدنان تسلسلت فروع القبائل العدنانية التى سكنت **شمال الجزيرة العربية فى الحجاز ونجد وتهامة .**

ومن **أولاد عدنان : معد** ، ومنه تناسل عقب عدنان كلهم . وكان لمعد أربعة أولاد : **اياد ، ونزار ، وقنص ، وانمار** . ومن هذه الفروع تفرعت خمسة قبائل مشهورة وهى :

- **قضاعة** (سكنت جدة ثم انتشرت فروعها فى نجد والبحرين وأطراف الشام وفلسطين) .

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢ حاشية (٢)؛ ص ١٣ حاشية (١)؛ ص ١٤ – ٢١ .

- **مضر** (انتشر بنو مضر فى الحجاز وكثروا كثرة عظيمة ، ثم غلبوا على كثير من المواضع فى نجد وغيرها وانتهت إليهم رياسة الحرم بمكة) وتفرعت منها قبائل أهمها : **هوازن** وسكنت الطائف وامتدت إلى عسير ، **وهذيل** وسكنت أودية وسعاب جبال السروات ، **والنضر** واستقرت حول مكة ومن أحفاد النضر **فهد (قريش) وقصى بن كلاب** .

- **ربيعة** (ونزلت مهبط الجبل من عمر ذى كندة ، وبطن ذى عرق وما صاحبها من بلاد نجد إلى الغور من تهامة . ثم انتشرت فروعها فى وسط الجزيرة العربية وشرقها) .

- **اياد وانمار** (واستقرتا جنوب جبال السروات حتى نجران ، ثم هاجرت قبائل من اياد إلى جنوب غرب العراق) .

كان **لقنص** الإمارة بعد أبيه على العرب فى مكة . وقد أراد إخراج أخيه نزار من الحرم ، فأخرجه أهل مكة ، وقدموا عليه نزار ، الذى تشعب منه هذان البطنان العظيمان وهما : ربيعة ومضر .

قام النزاع بين اياد بن معد ، وكانت تقيم مع أخوانهم بتهامة حتى قامت بينهم حرب . فتظاهرت مضر وربيعة على اياد وأوقعوا بها الهزيمة وارغموها على الخروج من تهامة ، فنزلوا بناحية سواد الكوفة . ثم اجتازوا نهر الفرات وانتشروا بأرض الجزيرة ، ثم نزل بعضهم تكريت والموميل ، وسار بعضهم إلى حمص وأطراف الشام . ودان بعضهم لغسان وتنصروا ، ثم لحق أكثرهم ببلاد الروم مع جبلة بن الأيهم . وكان من دخل مع جبلة من اياد وقضاعة وغسان ولخم وجذام نحو أربعين ألف ، ولم يزالوا بها على الإسلام . ولم يبق من ولد عدنان بعد خروج اياد من تهامة ، إلا ربيعة ومضر ومن كان معهم أو دخيلا فيهم أو مجاورا لهم .[1]

---

(١) د.حسن ابراهيم : المرجع السابق ، ص ١٣ .

وقد تشعبت مضر شعبتين :

قيس عيلان بن مضر ، واياس بن مضر .

(١) **ومن قبائل قيس عيلان بن مضر** حفصة وسعنو عمرو . ومن أولاد **خصفة** : عكرمة ، ومحارب ومن أعقاب عكرمة القبيلتان المشهورتان : هوزان وسليم . ومن أعقاب هوزان : معاوية بن بكر بن هوزان ، وسعد بن بكر ، وإليه ينسب كل سعدى . ومنهم حليمة بنت دؤيب السعدية التى ارضعت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسى ، وهو ثقيف ، واسمه منبه بن بكر . وإليه ينسب الثقفيون . وقد أقام ثقيف بالطائف فى نفر من أصهاره عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان . وقد تمرد ثقيف على قومه وفتك بمن جاوره فنابذوه العداء فانحاز عنهم .[1]

ومن قبائل قيس عيلان أيضا عامر بن صعصعة التى نزلت ناحية من الطائف وبنو غطفان ، ومن بطونها بنو عيس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، ومنهم زهير بن قيس صاحب حرب داحس والغبراء ، وعنترة العبسى البطل المشهور .ومن عطفان بنو ذبيان بن ريث بن غطفان ، ومن النابغة الذبيانى الشاعر ، ومن ذبيان : فزارة ، وكانت تقيم بنجد ووادى القرى .[2]

(٢) **وكان لإلياس بن مضر ثلاثة أولاد** : قمعة ، وطابخة ومدركة ، وقد تفرعت منهم بطون كثيرة : فمن قمعة : اسلم ، وفزاعة ، ومن طابخة : ضبة والرباب ومزينة وتميم . ومن بطون تميم : بنو العنبر بن عمرو بن تميم ، وإليهم ينسب جديلة بن عبد الله الصحابى ، ومن بطون تميم أيضا : بنو حنظلة بن ملك بن زيد مناة بن تميم .

ومن أولاد مدركة : خزيمة ، ومن خزيمة : الهون ، واسد ، وكنانة ، ومن كنانة : النضر ، ومن النضر : مالك بن النضر ، ومن مالك ، وهو قريشى وتقيم بطون كنانة بن خزيمة أخوة بنى أسد بجهات مكة .

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦ .

وانقسمت قريش إلى قبائل شتى . ومن أولاد مدركة أيضا : بنـــو هذيـــل ، ومن هذيل بنو لحيان ، وسعد .[١]

وكانت ديار بنى هذيل بن مدركة على مقربة من الطائف ، ولهم أراضـــى أخرى فى نجد وتهامة بين مكة والمدينة . أما بنو أسد بن خزيمة بن مدركة فكـــانت ديارهم مما يلى الكرخ من أرض نجد ، وكانت طيئ تقيم بجوارهم .

ولما تنافس أولاد مدركة وطابخة بن الياس بن مضر فى أرضـــهم وقعـت بينهم حرب انتهت بانتصار مدركة ، فرحلت طابخة من تهامة إلـــى ظواهـــر نجـد والحجاز وانحازت مزينة بن أد بن طابخة وضبة بن أد طابخة وعكل بن أد إلى بـــلاد نجد وصحاريهم ، ثم نزلوا فى الأراضى الواقعة بين اليمامة وهجر .

وقامت قبائل مدركة بن إلياس بن مضر بتهامة وما والاها من البلاد ، وأقام والد النضر بن خزيمة بن مدركة حول مكة وما والاها .

وأقام أبناء فهر بن مدركة حول مكة ، وظلوا على ذلك حتى أنزلهم قصـــى بن كلاب الحزم . ومن ولد فهر : قريش البطاح ،وهم الذين دخلوا مع قصى الأبطـــح من مكة ، وقريش الظواهر من ولد فهر : تيم الأدرم بن غالب بن فهر ، ومعيص بن عامر بن لؤى ، ومحارب والحارث ابنا فهر .[٢]

وانقسمت قريش إلى بطون شتى . ومن أشهرها جمع وسهم ابنا هصيـــص ين كعب ، وعدى بن كعب وتيم بن مرة ، وزهرة بن قصى بن كلاب ، وقصى بـــن كلاب بن مرة ، ويتفرع من قبيلتان :

بنو عبد الدار بن قصى ، وبنو عبد العزى بن قصى ، ومن بنى العزى بنـــو أسد . ومن أولاد قصى : عبد مناف بن قصى ، ومن أولاد نوفل ، وعبد شمس جـــد الخلفاء الأمويين . المطلب ، وهاشم . ومن بيت هاشم النبى صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩ .

والعباسيون أولادالعباس بن عبد المطلب ، والعلويون أولاد على بن أبى طالب .

ولما تكراثرت العدنانية ، ورأو أن البلاد التى كانوا يقيمون فيها قد ضاقت بهم ، تفرقوا حيث الماء والزرع . وممن هاجر منهم عبد القيس بن ربيعة ، وبطون بكر بن وائل وبطون من تيم بن مرة ، وقد هاجروا إلى جهة البحرين ، وكان المنذر بن سارة بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم أمير هذه الجهة من قبل الفرس عند ظهور الإسلام .

وقامن بنو سليم فى الراضى الممتدة بين وادى القربى وخيبر إلى شرقى المدينة المنورة (ومنهم الخنساء وابنها العباس بن مرداس) . كما سكنت ثقيف بالطائف وهوزان شرقى مكة بنواحى اوطاس على الطريق بين مكة والبصرة ، وسكنت بنو أسد شرقى تيماء ، وسكنت ذبيان بالقرب من تيماء إلى حوران ، أقامت قريش بمكة وضواحيها ، إلا أنهم ظلوا متفرقين حتى جاء قصى بن كلاب ، فكون لهم وحدة وغلبت خزاعة على أمر الكعبة ، ومن ثم ظهر أمرهم بين القبائل الأخرى .[١]

وعندما حل الإسلام تحددت مواضع القبائل العربية المضرية التى نزلت الحجاز ونجدا . فقد نزل الحجاز من العرب :

أسد ن وعبس ، وغطفان ، وفزارة ، ومزينة ، وفهم ، وعدوان ، وهذيل ، وخثىم ، سلول ، وهلال ، وكلاب بن ربيعة ، وطيئ ، واسد وطيئ حليفان وجهينة نزلوا جبال الحجاز . أما الأشعر والأجرد ، وقدسا ، ورآه ، ورضرى فنزلوا إلى سهول بطن أضم . ونزلت قبائل من بلى شغبا وبدا ، بين تيماء والمدينة ، ونزلت ثقيف وبجيلة حضرة الطائف ، ودار خثعم و من هؤلاء : تربة وبيشة ، وظهر تبالة ، على محجلة اليمن ، ومن مكة إليها ، وهم مخالطون لهلال بن عمرو ، وبطن تبالة لبنى مازن ، وادر سلول فى عمل المدينة ، ومنازل أزد شنوءة السراه ، وهى أودية مستقبلة مطالع الشمس بتثليث وترة وبيشة ، وأوساط هذه الأودية لخثعم واحياء

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩ .

مذحج . وهذه الأودية تدفع فى أراضى بن عامر بن عصعصة ، ومن بقى بأرض الحجاز من أعجاز جشم ونصر بن معاوية . ومن ولد خصفة بن قيس : فهم بالحرة ، حرة بنى سليم وحرة بن هلال وحضرة الربذة ، إلى قرن تربة ، وهم مخالطون لكلاب بن ربيعة ، هؤلاء كلهم من ساكنى الحجاز .[١]

نزل نجدا من العرب :

بنو كعب بن ربيعة بن عامر ، ودارهم الفلج وما أحاط به من البادية ونزل نمير بن عامر ، وباهلة بن يعصر ، وتميم كلها بأسرها ، باليمامة وبها دارهم ، إلا أن حاضرتها كانت لربيعة بن نزار وأخواتهم .

ومن **أشهر قبائل ربيعة** : أسد ، وكانت تسكن شمال زادى الرمة بنجد ، وعبد القيس ، ووائل ، وتنقسم إلى بكر وتغلب ، ومن تغلب بن وائل ، كليب بن مالك بن وائل الذى قتله جساس .

ولما قامت الحرب بين بنى ربيعة ، تفرقوا ، فرحلت عبد القيس إلى البحرين وهجر زاحموا اياد والأزد ، وكانوا قد رحلوا إلى هذه البلاد قبل ذلك الوقت وأجلوهم عنها ، فرحلوا إلى بلاد العراق . واقتسمت قبائل قيس البحرين بينهم .

ودخلت قبائل من بنى ربيعة ، من بكر ، غفيلة ، وعنترة ، وضبيعة ظواهر بلاد نجد والحجاز وأطراف تهامة وما والاها وانتشروا فيها ، حتى وقعت الحرب بينهم وقتل جساس بن مرة بن ذهب بن شيبان ، كليب بن ربيعة وقامت بسبب ذلك الحرب المعروفة باسم حرب البسوس التى دامت أربعين سنة .

ولم زل الحروب والوقائع تنقلهم من بلد إلى بلد ، وتنفيهم من أرض إلى أرض ، وتغلب فى كل ذلك ظاهرة على بكر ، حتى التقو يوم قضة ، وكانت الغلبة لبنى تغلب على بكر بتفرقوا على ذلك اليوم ، وتبددوا فى البلاد وأطراف العراق .

وعلى بكر بن وائل ينسب طرفة بن العبد البكرى ، وإلى تغلب ينسب عمرو

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

بن كلثوم والأخطل ، وثلاثتهم من كبار شعراء العربية .[١]

وهكذا نرى أن فروعا من قبائل القحطانية قد هاجروا إلى المناطق المتاخمة لشمال الجزيرة العربية إلى الشام والعراق . فاللخميون (المناذرة) سكنوا جنوب غرب العراق جفنة (الغساسنة) استوطنوا الشام ، واستقرت كندة فى نجد . وكذلك حدث لفروع من القبائل العدنانية أن هاجرت إلى المناطق نفسها أو اتجهت إلى نجد وشرقى شبه الجزيرة العربية .

ومن القبائل القحطانية والعدانية انحدرت قبائل عربية متعددة استقر نسلها فى أرجاء الوطن العربى حتى اليوم .

ثالثا - مملكة ددان ولحيان :

شعب عربى آخر لا نعرف من أمره فى الزمن الحاضر كثيرا ، سكن فى منطقة العلا ، وذكر اسم لحيان فى بعض الكتابات . لذلك دعاها بعض المستشوقين " الكتابات اللحيانية " تميزا لها عن بقية الكتابات . أما قلم الكتابات اللحيانية ، فهو قريب من المسند والشئ المؤكد هو أن اللحيانيين قوم عاشوا قبل الإسلام .

ويذكر د. صالح أن هذه الدويلة قامت فى واحة العلا قرب وادى القرى إلى الشمال الغربى من المدينة المنورة بنحو ٣٢٨ كم . واتسعت بعدها حتى وصلت إلى القرب من تيماء . واعتمدت مصادر الدولة على الزراعة لوفرة المياه الباطنية فى واحة العلا وخصوبة أراضيها . واعتمدت أيضا على التجارة نظرا لموقعها على طريق القوافل التجارية الممتد فى غرب شبه الجزيرة العربية بين معين فى الجنوب وبين أطراف بلاد الشام فى الشمال .[٢]

وأطلق على هذه الدويلة فى بداية المر اسم ددان . وظهر الاسم فى قصص

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، ص ١٥٩ .

التوراة بين القرنين التاسع والسادس ق.م . ثم تبدل هذا الاسم في القرن الخامسةعرفت الدويلة باسم لحيان . واتسعت علاقاتها بجيرانها في الشام عن طريق البر وفي مصر عن طريق البر والبحر .[١]

وقد عثرت في منطقة الخريبة المجاورة للعلا على بعض التماثيل التي تأثرت بأسلوب فن النحت المصري . ويرجع تاريخها إلى ما بعد القرن الخامس ق.م ويرى د. صالح أن حكام لحيان استعانوا بفنانين مصريين قاموا ينحتها من الصخر المحلي في منطقة الخريبة . وزادت العلاقات التجارية بين حكام لحيان ومصر في عصر البطالمة في أوائل القرن الثالث ق.م . وكانت البضائع تخرج من لحيان برا وبحرا إلى إحدى الموانئ المصرية على الساحل الغربي للبحر الأحمر.[٢]

وقد عثر على أكثر الكتابات اللحيانية في موضع يسمى اليوم " خربة " او " الخريبة " إلى الشمال من العلا . وقد تمكن المستشرقون من استخراج اسماء عدد من رؤساء ومشايخ " لحيان " من هؤلاء " هانئ اس بن سحر " ، " هانئ بن سحر " ، " هانئ آش " و" ملتقس" وغيرهم . والحق أننا لا نعرف اليوم تأريخ حكم هؤلاء الرؤساء معرفة صحيحة ، وهناك بعض الباحثين من يرجع تاريخ مملكة لحيان إلى ما قبل الميلاد ، وأن منهم من يرجعه إلى ما بعد الميلاد . ويرى البعض الآخر أن تاريخ مملكة لحيان استمر من ١٥٠ إلى سنو ٤٧٥ ميلادية .

وللحيانيين آباء وأجداد ونسب في نظر أهل الأخبار والأنساب ، هم في نظرهم أبناء لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ن سكنوا في الجاهلية في شمال شرقي مكة ، وخرج منهم جماعة من الشعراء . وظهر منهم في الإسلام اللحياني العالم اللغوي المتوفى سنة ٢٢٢ أو ٢٢٣ بعد الهجرة . غير أنهم لم يكن لهم شان خطير على ما يظهر من الأخبار في الجاهلية القريبة من الإسلام ، أو في الإسلام . والظاهر أنه بعد ضعف مملكتهم اضطروا إلى الانتقال من مواطنهم

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

الأصلية والاتجاه نحو الجنوب .[١]

رابعا - مملكة كندة فى نجد وما حولها :

كندة قبيلة قحطانية ، وأول من ذكر كندة من الكلاسيكيين هو نونوسوس ، دعاها باسم " كندة " وذكر أنها قبيلة يحكمها رجل واحد اسمه قيس . وذكرها الأخباريون وفى مقدمة هؤلاء " ابن الكلبى " الأخبارى المعروف وصاحب " كتاب ملوك كندة " وأبو عبيدة والأصمعى وعمرو بن شيبة ، وغيرهم.

ويذكر الأخباريون أن مواطن كندة الأصلية كانت بجبال اليمن . ولم يتحدث الأخباريون عن مواطن كندة قبل استقرارهم فى غمر ذى كندة وكيف وصلوا إلى هذا الموضع ، ولا عن كيفية انتقالهم إلى حضرموت قبل الإسلام . وتحدث اليعقوبى عن حرب وقعت بيم كندة وحضرموت طال أمدها وهلك فيها جمع من الرؤساء منهم : سعد بن عمرو بن النعمان بن وهب ، وعمرو بن زيد ، وبنى الحارث بن معاوية ، وشرحبيل بن الحارث والسكون ، وهؤلاء من كندة ، ومسعر بن مستعر وسلامة بن حجر وشراحيل بن مرة وهؤلاء من حضرموت . ومن أهم ملوك هذه الدولة :

حجر بن عمرو الكندى (٤٦٠ - ٤٨٠ م) والمعروف باسم " اكل المرار " .[٢]

أول ملوك كندة ، وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليها بغير ملك ، فأكل القوى الضعيف ، فلما تولى حجر نظم أمورها وساسها أحسن سياسة وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض " بكر بن وائل ".

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٤٢٧ - ٤٢٩ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٥٢٥ - ٥٣٢ .

(٢) المرار : عشب مر إذا أكلته الأبل قلصت عنها ماشافرها فبدت أسنانها ، راجع : د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، ص ٢١٩ حاشية ٢٣ .

فهو بذلك أول زعيم من زعماء كندة تمكن من توحيد صفوفها ومن تغليبها على قبائل أخرى . ومن توسيع رقعة أراضيها حتى بلغت حدود مملكة لخم وعمل على استقرار الأمور فى مملكته ، مما جعل شعبه يخضع له باحترام وتقدير ولا نعرف متى توفى حجر . ونسب الاخباريون لحجر ثلاث زوجات ، هى : هند ، وام اناس والثالثة من حمير .

عمرو بن حجر (٤٨٠ – ٤٩٥ م) المعروف بالمقصور :

وقيل له المقصور لأنه قصر على ملك أبيه . وكان لعمرو كما يقول الاخباريون أخ اسمه " معاوية " ويعرف بالجوف ، كان نصيبيه اليمامة وورد فى رواية أن عمرو زار الشام ومعه ربيعة ، فلقيه الحارث بن أبى شمر الغسانى فقتله .

ولم يكن عمرو قويا صاحب عزم وإرادة ، ولم يسع إلى توسيع ملك أبيه وأن حكمه على ما يبدو لم يكن طويلا ، وكان يعمل لصالح حسانم بن تبع ، تبع حمير . ويبدو أن الأسود بن المنذر ، ملك الحيرة كان قد تزوج ابنه لعمرو بن حجر ، فولدت له النعمان بن الأسود الذى حكم فى زمن قباذ أربع سنين . وكانت صلات عمرو بن حجر باللخميين حسنة ، على عكس صلاته بالغساسنة . ولعل هذا التوتر الذى كان بين عمرو والغساسنة هو الذى قرب بينه وبين آل لخم للعداء الذى كان بين الغساسنة وآل لخم .

الحارث بن عمرو (٤٩٥ – ٥٢٨ م) المعروف باسم العامل :

تولى الملك بع وفاة أبيه ، وأنه وسع ملكه بعد ذلك وقد يكون بمساعدة تبع ، فصار ملكا على كندة وبكر وعلى قبائل أخرى ، وأنه تمكن من رفع شان قبيلته وهو أشهر رجل نعرفه من آل آكل المرار . وامتد نفوذه حتى الحيرة ، ووقعت معركة بينه وبين ملك الحيرة النعمان بن المنذر . وأسفرت المعركة عن مقتل النعمان وفرار المنذر ابنه ، واستولى الحارث على كل ما كان يملكه النعمان . ويستنتج من الروايات أن الحارث بن عمرو الكندى اغتصب عرش الحيرة عمدا ، اغتصبه من ملك من ملوكها هو النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة أو المنذر الأكبر بن ماء

السماء أو النعمان الأكبر أبو المنذر الأكبرَ ذو ملك الفرس ، وهو قباذ الأول الذى حكم ثلاثا وأربعين سنة من سنو ٤٨٨ حتى سنة ٥٣١ م.

وهناك روايات أخرى تقص أن قباذ طرد المنذر من مملكته ، وأحل الحارث بن عمرو محله ، ومنها ما زعمت أن المنذر استرضى الحارث بعد راى عجزه عن التصدى له ، ومنها ما ذكرت أن الحارث قتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة . ونستخلص من كل هذا أن الحارث بن عمرو استبد بملك آل لخم فى أيام قباذ . وكان الوضع فى العراق سيئا بين سنة ٥٠٣ وسنة ٥٠٦ م ، ففى هذه الفترة وقعت حروب بين الروم والفرس ، اربكت الوضع ، وشغلت بال عرب الحيرة عن التفكير فى حماية نفسها من الأعراب الذين كانوا يترقبون أمثال هذه الفرصة المناسبة . فأغار الحارث على ما يبدو على الحيرة بعد أن غادرها صاحبها ليحارب مع الفرس ، واستولى على ما كان تابعا لها ، وأضافه إليها ، وربما كانت الحيرة نفسها فى جملة ما استولى عليه . فلما انتزعت من آل آكل المرار ما استولوا عليه من ملك .

ويرى بعض العلماء أن حكم كندة للحيرة لم يكن طويلا ، وأنه كان بين سنة ٥٢٥ وسنة ٥٢٨ م ، وذلك فى أثناء ظهور فتنة المزدكية فى إيران . ولم تكن العلاقات حسنة بين قباذ والمنذر ملك الحيرة ، ولسبب غير واضح لدينا ، قد يكون بسبب المزدكية ، وقد يكون بسبب تقرب الحارث من الفرس واقطاعهم إياه أرضا وتودده الزائد إلى قباذ . وأدى هذا الوضع إلى تكوين علاقات طيبة بن الروم والمنذر وأرسل القيصر إلى بلاط الحيرة وفدا . وطلب قيصر من المنذر أن يلتزم الحياد وعدم اشتراكه مع الفرس فى محاربة ومنحه مالية سنوية لحياده هذا .

توفى الحارث فى سنة ٥٢٨م وكانت العلاقات مع الروم قد تحسنت فى أواخر أيامه فقد توفى قباذ وتولى انوشروان الحكم وكان لهذا الملك سياسة تختلف عن سياسة أبيه وهى سياسة أدت إلى إرجاع المنذر إلى عرشه القديم ، فلما حدث ذلك ، لم يكن أمام الحارث إلا التقرب إلى خصوم الفرس ، وهم البيزنطيون ، فانقلب الفرس على الحارث ، وقتل عام ٥٢٨م ، وكان مقتله على أيدى المنذر وجماعته .

ولا نكاد نعرف شيئا يذكر عن أعمال الحارث فى أثناء توليه الحكم ، سوى نه وزع أولاده على حكم قبائل معد ، وجعلهم ملوكا على تلك القبائل . وكذلك لا نعرف شيئا يذكر عن أعماله وهو ملك الحيرة . ويفهم من بيت فى ديوان امرئ لقيس أن ملك الحارث كان قد امتد من العراق إلى عمان .وكان للحارث زوجات ثلاث .

وانقلبت القبائل التى خضعت له ولأولاده بعد وفاته ، ومن أولاد الحارث نعرف منهم حجر وشرحبيل ومعد يكرب وعبد الله وسلمة ومحرق ومالك وعمرو .

وتذكر الروايات انه وزع أبنائه على القبائل فملك ابنه حجرا على بنى أسد وكنانة ، وملك ابنه شرحبيل على بكر بن وائل بأسرها وبنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بنى درام بن تميم والرباب . وملك ابنه معد يكرب على بنى تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بنهى درام بن حنظلة والصنائع . وملك ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملك ابنه سلمة على قيس ، وملك ابنه محرق على بنى تميم وضبة ولا نعرف ماذا تملك مالك وعمرو فالروايات فيها بعض الاختلاف .

خلفاء الحارث بن عمرو :

(١) حجر بن الحارث:

كان حجر أكثر هؤلاء الأبناء ذكرا عند الأخباريين ، وهو والد الشاعر الجاهلى المعروف امرئ القيس . وقد يعود الفضل إلى هذا الشاعر فى ذيوع شهرة والده وانتشار أخباره ، وهو أكبر أولاد الحارث وإليه انتقلت زعامة كندة بعد وفاة أبيه . وكان يتولى زعامة أسد وكنانة وهما قبيلتان من قبائل مضر ويذكر الأخباريون أن حجرا لم يكن راضيا عن ابنه امرئ القيس الشاعر ، فطرده من عنده . ومنعه من أن يقيم معه بسبب قوله الشعر . وقد تنقل هذا الشاعر فى مواضع متعددة من الجزيرة العربية ووصل إلى القسطنطينية عاصمة الروم .

وروى المؤرخ ثيوفانس ان رومانوس حاكم فلسطين فى أيام انسطاسيوس هزم فى سنة ٤٩٠ للميلاد شيخين ، هما جبلة ، والد الحارث بن جبلة الغسانة وحجو بن الحارث بن عمرو الكندى الذى وقاع أسيرا فى قبضة رومانوس .

وكان شقيق حجر معد يكرب بن الحارث قد حاول التحرش بالروم على حدود سوريا فى عام ٥٠١ م . وكان من نتائج هذه الغارات أن عقد القيصر انسطاسيوس صلحا مع الحارث والد الأخوين المذكورين فعم الأمن بذلك على فلسطين والجزيرة العربية وفينيقيا ، ويبدو أن هاتين الروايتين كانتا فى حياة أبيهما الحارث .

وظل حجر فى بنى أسد أمدا طويلا بعد وفاة أبيه . وكانت نهايته بأيدى بنى أسد ، ويظهر أنهم قبلوه ملكا عليهم مرهين . فلما حانت الفرصة ، قاموا عليه وقتلوه ، ويبدو أن صلته ببنى أسد لم تكن على ما يرام بسبب فرضه أتاوة عليهم فى كل سنة ، وكان امرؤ القيس فى دمون حينما جاء إليه نبا مقتل أبيه ودمون هى قرية حضرموت .

وخرج امرؤ القيس على الفور بعد إقناع بكر بن وائل وتغلب من اتباع بنى أسد واستنصر بازد شنوءة فأبوا أن ينصروه ، فنزل على " مرثد الخير بن ذى جدن الحميرى " ، وكانت بينهما قرابة فاستنصره وأمده بخمسمائة رجل من حمير ومات مرثد قبل رحيل امرؤ القيس عنهم ، وقام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له : " قرمل بن الحميم " وأمده بالجيش المطلوب ، فأنصرف واستأجر من قبائل العرب رجالا ، وسار بهم إلى بنى أسد . وانتصر عليهم .

وينفى ابن خلدون خبر انتقام امرئ القيس من بنى أسد . أما عن أخبار امرئ القيس مع الغساسنة وهو طريقه إلى قيصر ، فلا نعلم عنها أى شئ ، وليس فى شعره ما يشير إلى أنه ذهب إليهم . كذلك لم تشر المصادر إلى سفره هذا ونعرف أنه سلك طريق الشام وأنه مر بحوران وبعلبك وحمص وحماة وشيزر . متجها بعد ذلك حتى عاصمة الروم ، فلا نعرف منه شيئا .ويقول الرواة أن قيصر قبل امرأ القيس وأكرمه وصارت له منزلة عنده ، ويذكرون أن القيصر انجد امرأ القيس وأمده بالجند ،

ويذكر ايضا أن امرء القيس كان مصابا بمرض قديم ، قد عاوده فى ديار الروم ، وهو عائد إلى دياره ، فلما وصل إلى انقره اشتد عليه المرض ، فمات هناك أو أن السم فتك به فتوفى بهذه المدينة ، وكان الوشاة قد أوقعوا بين قيصر وامرئ القيس وقالوا له أنه يراسل ابنتك ، فبعث إليه قيصر بحلة مغطاة بالسم منسوجة من الذهب .

(٢) سرجبيل :

كان أبوه قد ملكه على بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبنى اسيد والرباب ، وكان نصيبيه القسم الشرقى من مملكة كندة ما عدا البحرين .

هذه هى قصة كندة كما ذكرت بايجاز ، وهذه حكاية شاعرها امرئ القيس الذى يعود إليه الفضل فى حفظ الأخبار لتأريخ كندة .

أما عن شعر أمرئ القيس وديوانه وصحيحة ، فقد تحدث العلماء عنه وارتبطت بحياة أمرئ القيس قصة حياة السموال وهو يهودى ثرى ، شاعر ، مقره الأبلق بتيماء .[١]

خامسا - الوضاع فى مدن الحجاز وأهم الأحداث التى وقعت بها :

حافظ الحجاز على استقلاله منذ أقدم العصور ، فلم يعبث بحريته الملوك الفاتحون ، فى الوقت الذى عبث فيه قورش وقمبيز وغيرهما من ملوك الفرس باستقلال كثير من الأمم ، كذلك ظل محافظا على استقلاله أيام الإسكندر المقدونى الذى صده العرب حين أغار على دارا ملك الفرس . وكان من أثر تمتع أهل الحجاز

---

(١) عن مملكة كندة بوجه عام ، راجع :

د. جواد على : المرجع السابق . ص ٢١٥ - ٢٧٣ ؛ جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ٢٤٤ - ٢٧٤ ؛ د. توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، ص ١٥٢ - ١٦٣ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٥٩٩ - ٦٢٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ومحاضرات مطبوعة ، مكتبة الأنجلو ١٩٩٢ ، ص ١٨٣ - ١٩٢

بالاستقلال طول حياتهم ، أن ظهرت فيهمْ طبائع خاصة بهم ، من حيث عراقة أصلهم وشرف آبائهم وشهامتهم التى كانت - ولا تزال - مضرب الأمثال ولغتهم التى حافظت على نقائها وصفاتها .

مكة المكرمة :

كان لبلاد الحجاز مركز واحد هو مكة التى تقع فى واد يحيط بها الجبال والشعاب من كل جانب وتطلق آيات القرآن الكريم على مكة عدة أسماء : [(١)]

مكة : " وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعده أن أظفركم عليهم " (سورة الفتح : الآية ٢٤) .

بكة : " أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين " (سورة آل العمران : الآية ٩٦) .

البيت العتيق : " وليطوفوا بالبيت العتيق " (الحج : الآية ٢٩) .

البيت : " وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وامنا " (سورة البقرة : الآية ١٢٥). " فمن حج البيت " (الآية ١٥٨) ،" وإذ بوأنما لإبراهيم مكان البيت " (سورة الحج الآية ٢٦) ، " فليعبودا رب هذا البيت " (قريش الآية ٣) .

بلدا آمنا أو البلد الأمين : " وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا " (البقرة : ١٢٦) ، " والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين " (سورة التين: الآيات ١-٢) .

البلد : " لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد " (سورة البلد: الآية ١-٢) .

---

(١) بين د. أحمد صابون فى دراسة قام بها تحمل عنوان : " مكة المكرمة : أسماؤها وتأريخها ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٥ ، ص ٣٥ - ٥٧ أنه كان يطلق على مكة المكرمة ٣٩ اسما فى الأدب والتاريخ والآثار .

أم القرى : " وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها " (الأنعام : الآية ٩٢) ، " وكذلك أوحينا إليك قرءانا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها " (الشورى : الآية ٧) .

واختلف المؤرخون فى اشتقاق كلمة مكة ، فذهب فريق إلى أنها إنما سميت كذلك لأنها تمك الجبارين ، أى تذهب نخوتهم وتخضعهم ، وذهب فريق ثان إلى أن الاسم مشتق من " أمتك " أى أمتص أو جذب ، ولما كانت مكة مكانا مقدسا للعبادة فقد امتكت الناس ، اى جذبتهم من جميع الأطراف وجميع أنحاء البقاع . ويرى فريق ثالث أن الاسم اخذ من لغة الجنوب من كلمة يمينه مكونة من " مك " بمعنى بيت ، ورب بمعنى رب أو إله ومن هذه الكلمة المركبة أخذت مكة أى " بيت الرب " .

ويرى فريق رابع أن مكة أو بكة كلمة بابلية أطلقها العماليق ومعناها " البيت " ويرى فريق خامس ان مكة بالميم يقصد بها الحرم كله ، وبكة بالباء يقصد بها المسجد خاصة . ويرى فريق سادس أن مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت .[١]

وأول من سكن حول مكة هم العماليق من العرب البائدة ، ثم خلفتهم قبيلة جرهم الثانية واستقروا حول زمزم ، واستأذن القوم السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل فى الإقامة ، فأذنت لهم ونزلوا بجوارها ، وترعرع إسماعيل بعد وفاة أمه فى جوار جرهم ، ثم تزوج منهم .

ولما جاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل وكان قد بلغ الثلاثين من عمره أمره الله أن يبنى الكعبة ، وساعده ابنه فى البناء ، وكان سيدنا إبراهيم يبنى ، وسيدنا إسماعيل يرفع له الحجارة ، حتى أتماها. " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنتْ السميع العليم " (سورة البقرة : ١٢٧) .

وبعد الانتهاء من البناء أمر سيدنا إبراهيم أن يدعو الناس للحج إليها قال

---

(١) د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام والدينى والثقافي والاجتماعى ، الجزء الأول ، ص ٤٥ - ٤٧ ؛ د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ص ١٩٦ - ٢٠٦ .

تعالى : " وآذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " (سورة الحج : الآية ٢٧) ، بنيت الكعبة فى مكة ، وهى بيت صغير مربع يحيط به فضاء غير مسقوف . وقد أطلق عليها الكعبة لأنها تشبه المكعب . وكانت قبائل العرب تحج إليها ، ولكل قبيلة منها صنما فى جوف الكعبة ، وفيها صور لسيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى . وفيها الحجر الأسود الذى يقال أنه سقط من السماء ، وتمثال الهبل صنم قريش وهو من العقيق . وكان أكثر احتراما وتقديسا من الأصنام الأخرى .

أى يرجع تاريخ مكة إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وعندما جاء إليها سيدنا ابراهيم مع إسماعيل وزوجته هاجر من فلسطين ، وأسكنهما هناك فى هذه البقعة المباركة ، طبقا لصريح القرآن الكريم ، فإذا ما تذكرنا أن الخليل عليه السلام ، كان يعيش فى الفترو ١٩٤٠-١٧٦٥ ق.م (؟) كما يرى البعض[١] ، فأنه قد رزق بولده إسماعيل ، وهو فى السادسة والثمانين من عمره ، أى أن سيدنا إسماعيل يكون قد ولد حوالى عام ١٨٥٤ ق.م (؟) ، ومعنى انه عاش ١٣٧ عاما ، أنه شارك أباه فى بناء الكعبة ، وهو فى الثلاثين من عمره ، أى أن بناء الكعبة حينئذ يكون فى حوالى عام ١٨٢٤ ق.م (؟) وأنها عمرت منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ق.م . ولقد أشار ديودور الصقلى الذى عاش فى القرن الأول قبل الميلاد إلى الكعبة فى سياق كلامه عن الأنباط حينما قال " ووراء أرض الأنباط فيها هيكل يحترمه العرب كافة احتراما كبيرا " مما يدل على وجود الكعبة قبل الزمن الذى عاش فيه منذ فتره طويلة :[٢]

وذكر أحد الكتاب اليونانيين اسم Macoraba أى ماقورابا التى خمنها بعض الباحثين أنه اسم مكة. وقال أن الاسم العربى يحتمل أن يكون مكربة او مقربة بمعنى المكان الذى يقترب فيه إلى الله ، وكلمة مكرب فى جنوب الجزيرة العربية كانت تدل على معنى الزعامة الدينية. وقد استخدمت كلمة مكرب فى عهد المملكة

---

(١) محمد عزه دروزه : تاريخ الجنس البشرى العربى ، الجزء الأول ، ص ١١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٥ .

السبئية الأولى الذى يرجع إلى الألف الأولى قبل الميلاد ، وهذا ما يؤيد قدم مكة ، وهو قدم سحيق لا يكاد يعرف أوله .[١]

ومما يدل على الوجود العتيق للكعبة ما جاء فى سورة الحج :

" وإذا أبونا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر ربيتى للطائفين والقائمين والركع السجود " (سورة الحج : الآية ٢٦) .

وعلى أى حال ، فلقط عاش سيدنا إسماعيل بجوار بيت الله الحرام ، وتزوج من مرة يمنية وأنجب منها أولاده الأثنى عشر . وظل سيدنا إسماعيل بعد انتقال سيدنا إبراهيم يدعو الناس إلى عباده الله فى مكة ومجاوراتها ، حتى إذا ما انتقل إلى جوار ربه الكريم ، قام بنوه من بعده على السلطة المدنية فى مكة ، وعلى خدمة البيت الحرام ، وخاصة ابنه الأكبر ثابت . غير أن جرهم سرعان ما تولت أمر البيت واستمرت ولاياتهم إلى سنة ٢٠ ميلادية . ولم يلبث أبناء سيدنا إسماعيل أن انتشروا فى أنحاء شبه الجزيرة العربية . وخاصة فى شمالها .

وظلت ولاية البيت فى جرهم حتى اتسع سلطانهم وعظمت شوكتهم فعاثوا فى الأرض واستحلوا أموال الكعبة . ولما قدمت خزاعة من اليمن بعد تعرض سبأ للغرق على أثر سيل العرم ، انتزعت السيادة من جرهم . واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحوا من ثلاثمائة سنة نشروا فيها كثيرا من الأوهام الفاسدة ولاسيما عبادة هبل . استمرت خزاعة على ولاية البيت حتى قويت قريش . وتغلبت على خزاعة فى القرن الخامس الميلادى ، فأستولى قصى بن كلاب على أمر مكة والبيت الحرام سنة ٤٤٠ م من يد خزاعة وأجلاهم عنها [٢]. وقد أجمع المؤرخون على أن قريشا الذين منهم قصى بن كلاب، الجد الرابع لسيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام

---

(١) محمد عزه دروزه : المرجع السابق ، ص ١١٦ - ١١٨ . وفى هذا الصدد يقول د. عبد الشافى عبد اللطيف فى مقال نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٠ ، تحت عنوان " اليهود حول الأقصى وهيكل سليمان " : ذهب المؤرخون إلى أن البيت الحرام أول من بناه الملائكة ثم جدده آدم ثم أبناؤه ثم هدمه الطوفان فى عصر نوح عليه السلام وظل مكانه مجهولا حتى رفعه إبراهيم عليه السلام بناء على أمر الله تعالى : " وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت " أى أرشدناه إلى مكانه " وطال عمر سيدنا إبراهيم بعد ذلك أكثر من أربعين عاما حتى وضع أساس المسجد الأقصى .

(٢) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

وهم من ولد كنانة ، الذى يرجع نسبه إلى عدنان وينتهى إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام .

وتاريخ بنى إسماعيل من هذه الفترة ، وحتى عهد قصى ، غامض غموضا شديدا ولعل أهم ما يميز عهد قصى ، أنه العهد الذى تبدأ به السيادة القرشية على مكة بقيادة رجلها العظيم " قصى بن كلاب " الجد الرابع لسيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، الذى جمع أمر مكة فى يديه ، ثم ورثه لأبنائه من بعده .[١]

وكان من أهم أعمال قصى بن كلاب :

جمع بطون قريش ، وأسكنها حول الكعبة ووحد كلمتها بعد أن هزم خزاعة وأجلاها عن مكة ولذلك سمى بالمجمع . وبنى دار الندوة التى كانت مقرا لاجتماعات قريش ، يتشاورون فيها فى أمور حياتهم وجعل لنفسه سدانة الكعبة (أى خدمتها وكانت معه مفاتيحها ، فكان الزعيم الدينى . ونظم السقاية والرفادة ، وذلك لضمان توفير الماء والطعام للحجاج وأخيرا وزع الوظائف بين القبائل . وتعتبر تنظيمات قصى بن كلاب فى مكة أول عمل سياسى منظم فى شمال الجزيرة العربية ، ومما جعل مكة أكبر مركز تجارى فى الجزيرة العربية ، هو وقوعها على الطرق التجارية بين الشام واليمن ، وانعقاد الأسواق بالقرب منها سوق عكاظ وذو المجاز ودومة الجندل . وانشغل أهلها بالتجارة وجعلها ترتبط بعلاقات خارجية مع الدول المجاورة لها .

واستقرت قريش حول الكعبة ، واتخذت جزءا من الأرض المجاورة للكعبة واعتبرته مقدسا وحرمت فيه القتال وأخذت على عاتقها حمايته . وكان لمكة مركز خاص لوجود الكعبة بها . كما أصبحت قبيلة قريش محترمة فى نظر القبائل العربية

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم، ص ٣٩١ - ٤٠٠ ؛ وعن تاريخ نشأة مكة قبل ظهور الإسلام ، راجع : السيد أحمد أبو الفضل : مكة فى عصر ما قبل الإسلام ، ص ٣٣ - ٦٥ ؛ وعن تاريخ الكعبة ، المرجع نفسه ، ص ١١٢ - ١١٦ .

وإلى قريش يرجع الفضل فى توثيق الروابط التى تربط من يؤمون البيت الحرام كل عام من مختلف القبائل ، إذ أصبحت مكة المكان الذى تفد إليه القبائل من كافة أرجاء بلاد العرب حيث يجتمعون للحج والتجارة .

وكانت أشهر الحج عندهم أشهرا حرما يقيمون فيها أسواقهم حول الحرم ولم يجرؤ أحد على الإخلال بحرمة البيت . ولما قامت الحرب بين قريش وكنانة اضطرت قريش إلى خوضها اضطرارا وسمتها العرب بحرب الفجار ، لما فيها من انتهاك حرمة الحرم . ومما ساعد على سيادة قريش وزيادة مكانتها عند جميع العرب حلف الفضول ، فقد أخذت فيه قريش على نفسها ألا تجد مظلوما فى مكة إلا نصرته ولا غريبا إلا آوته .

ازدهرت تجارة قريش بعد سقوط دولة حمير فى اليمن على يد الأحباش عام ٥٢٥٢ م . حيث أصبحت مكة مركزا تجاريا هاما .

ونظم هاشم بن عبد مناف (الجد الثانى للرسول صلى الله عليه وسلم) الرحلات التجارية . وعقد المعاهدات مع المناذرة والغساسنة والرومان . وحصل من زعمائهم على عهود الأمان لتأمين مرور التجارة عبر بلادهم وممالكهم . وقاد هاشم أول قافلة تجارية من مكة إلى جنوب الشام ، وتوفى بغزة ودفن فيها فسميت " غزة هاشم " .

واصل أخوته العمل التجارى فتاجروا مع اليمنيين والأحباش والفرس فانتظمت الرحلات التجارية فى الصيف إلى الشام ، وفى الشتاء إلى اليمن . قال تعالى : " لإيلف قريش ، إلفهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف " (سورة قريش : الآيات ١ - ٤) .

وكانت قوافلهم تحمل من اليمن الأقمشة والثياب ، والبخور واللبان والمر والعطور والعقيق . ومن الحبشة جلبوا العاج والعبيد وغيرهما ، ومن الشام حملوا المنسوجات والزيوت والأوانى ، ومن العراق نقلوا التمور وغيرها .

وما زال فضل قريش يزداد بين القبائل حتى جاء عبد المطلب الذى اشتهر بتجديد حفر بئر زمزم سنة ٥٤٠ م . وفى عهده خذل الله أبرهة الأشرم ، وصده عن مكة والبيت الحرام ، ونجت مكة فى أيامه من خطر الحبشة ، وكانت شهرته قد ذاعت وقصدته القبائل من كافة أطراف الجزيرة . فقد كتب أبرهة إلى قيصر الروم فى ذلك الوقت أنه يريد بناء كنيسة بصنعاء ، وسأله العون ، فأرسل إليه الصناع وأمده بالفسيفساء والرخام ، فلما تم بناؤها ، كتب أبرهة إلى النجاشى أنه يريد أن يصرف إليها حجاج العرب ويحول تجارة قريش إلى صنعاء . فأثار ذلك حفيظة العرب ، فخرج رجل من بنى مالك بن كنانة حتى قدم اليمن ، ودخل الكنيسة وعبث بأثاثها وانتهك حرمتها ، فغضب أبرهة وأقسم بأن يهدم الكعبة ، وجرد جيشا عظيما من الأحباش سير أمامه الفيلة ، ويمم شطر الكعبة ، وعسكر بقرب مكة فى مكان يقال له " المغمس " حيث دارت المناوشات بين الأحباش والعرب فى عام ٥٧١ ميلادية وهو ما يعرف بعام الفيل الذى ولد فيه سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكن حملة أبرهة باءت بالفشل وأرسل الله عليها طيرا أبابيل آتت عليهم جميعا مصداقا لقوله تعالى : " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول " (سورة الفيل : الآيات ١ – ٥) .

اختلف المؤرخون فيما حل بجيش أبرهة ، فقال بعض أنه لم ينج منه سوى أبرهة ورجل آخر من الأحباش عاد إلى اليمن وتحدث بما أنزل الله بأصحاب الفيل . ولا شك أن هذا النصر الإلهى كان فاتحة خير على العرب عامة وقريش خاصة ، حتى أنهم أصبحوا يؤرخون به حوادثهم . فقد مهد السبيل لقبول الدعوة الإسلامية والقيام بنصرتها ، ونشر دين توحيد جديد هو دين الحنيفة ، إذ لو أتيح لهذا الجيش النصر لتغير وجه التاريخ ، وانتشر الدين المسيحى فى بلاد العرب .

ولما ذاع نبأ ما حدث لأصحاب الفيل بين العرب زاد احترامهم للحرم وقالوا : " أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم " .[١]

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٥١ .

يثرب :

المدينة المنورة ، ثانى مدن الحجاز بعد مكة دون ريب ، ودار الهجرة التى نصرت الإسلام ، وأعزت كلمة المسلمين . ولعل أقدم إشارة إلى " يثرب " فى النصوص البابلية ، إنما يرجع إلى القرن السادس ق. م . إذ تحدثنا كتابة عثر عليها حديثا فى حران عام ١٩٥٦م . عن أعمال الملك البابلى " نابونيد " (٥٥٥ - ٥٣٩ ق. م) فى بلاد العرب . فتروى أن ذلك الملك قام بحملة فى العام الثالث من حكمه إلى شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، احتل فيها تيماء وديدان وخيبر ويثرب . وربما كان السبب فى هذه الحملة هو رغبة الملك البابلى فى السيطرة على الطريق التجارى البرى بين الشام وجنوب بلاد العرب .

وجاء اسم يثرب كذلك فى جغرافية بطلميوس وعند اصطفيانوس البيزنطى . وهاجر إليها سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى عام ٦٢٢ م . وكثرت أسماء المدينة المنورة فى العصر الإسلامى ، حتى بلغت عشرة أسماء على رأى ، وأحد عشر اسما على رأى آخر ، وتسعة وعشرين على رأى ثالث ، وأربعة وتسعين على رأى رابع ، وإن كان أهمها جميعا ثلاثة وثلاثين اسما هى :

المدينة ويثرب وطيبة وطابة والقاصمة والجدية والمحبوبة والمؤمنة والمباركة والمحفوظة والمختارة والجابرة والعذراء والغراء والبارة والمقدسة والناجية وذات الحرار ومدخل صدق وقرية الأنصار وسيدة البلدان والخيرة وأرض الهجرة ودار الهجرة ودار الأخبار ودار الإيمان ودار الأبرار ودار السنة وبيت الرسول ومدينة الرسول ومضجع الرسول وحرم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .[1]

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٢٩ - ٤٣٦ ؛ محمد عزه دروزه : تاريخ الجنس العربى ، الجزء الأول ، ص ١١٤ ؛ الجزء الخامس ، ص ١١٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، ص ٢٠٧ - ٢١٢ .

وجاء ذكر يثرب مرة واحدة فى سورة الأحـزاب (الآيـة ١٣) والمدينـة ثلاث مرات (سورة التوبة : الآيات ١٠١ - ١٢٠ ؛ المنافقون : الآية ٨) .

الحرم النبوى الشريف :

لما وصل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بنـى مسـجده الذى دفن فيه ، وكانت الأرض التى بنى عليها المسجد لغلامين يتيمين فى حجر أسعد بنى زراره ، وكانت مربدا للتمر ، وقد أراد أن يهبها لله وللرسول ، فأبى الرسـول إلا أن يشتريها بالثمن ، وأمر بتسوية حفرة وقطع ما بها من نخل . وشرع سيدنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى بناء مسجده من اللبن وكان يبنى فيه بنفسه وكان سـقفه من الجريد المدعم بخشب النخيل وارتفاعه قدر قامة . وجعل له قبلة إلـى الكعبـة . وبنى الصفة وهى موضع مظلل أو يأتى إليه الظل من المسجد ليـأوى إليـها فقـراء المسلمون ، وجعل للمسجد بابين : باب عائشة ، والباب الذى يقال له باب عاتكـة ، وبابا فى نهاية المسجد يقال له باب مليكة . وبنى بجواره بيوتا باللبن وسقفها بجـذوع النخل . ثم زاد سيدنا الرسول فى المسجد بعد فتح خيبر نظرا لازدياد عدد المسلمين . ولما وصل ولى عمر الخلافة وأراد أن يشترى دار العباس بن عبـد المطلـب عـم الرسول ليدخلها فى المسجد ، فوهبها العباس له وللمسلمين ، فأدخلها عمر فيه وجعـل طوله مائة وأربعين ذراعا وارتفاعه أحد عشر ذراعا ، وجعل له ستة أبواب وحصنـه (١٧ هـ) . ثم بناه عثمان بن عفان بالحجارة المنقوشة والفضة ، وجعل أعمدتـه من الحجارة المنقوشة أيضا ، وسقفه بالساج وزاد فيه زيادة كبيرة ونقل إليه الحصبـاء من العقيق (٢٩ - ٣٠ هـ) .

وقد أمر الوليد بن عبد الملك الأموى عمر بن عبد العزيـز عاملـه علـى المدينة بإدخال حجرات زوجات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسـجد ، فأصبحت مساحته مائتى ذراع فى مثلها . وكتب إلى إمبراطور الروم يطلـب منـه العمال لعمارة مسجد سيدنا رسول الله فبعث إليه أربعين رجلا من الروم وأربعين مـن القبط . كما أرسل إليه أربعين ألف مثقال من الذهب وأحمالا من الفيسفسـاء ، فبنـوا الأساس والجدران والأساطين بالحجارة ، وجعلوا أعمـدة المسـجد مـن الحجـارة

المحشوة بعمد الحديد والرصاص ، وجعل المحراب والمقصورة من الساج ، ثم تولى أمراء المسلمين بعد ذلك مسجد سيدنا رسول الله بالعمارة والتجديد .[١]

الطائف :

ليس فى الروايات العربية ما يساعد على معرفة تاريخ الطائف القديم ونعرف أنها كانت محصنة مسورة ، وكانت غالبية سكانها وما حولها من قبيلتى ثقيف وهذيل اللتين تنسبهما الروايات إلى قيس بن عيلان ثم إلى معد بن عدنان مع تفوق ثقيف مركزا وعددا .

وفى معجم البلدان لياقوت أسماء عدد من المقاطعات التى وصفت بأنها مخاليف الطائف مثل ثرور والحكرة والخدود وسوانه والشديق والفليق وفاوة ونطروح . وبالإضافة إلى ذلك ففى المعجم أسماء قرى عديدة وصفت بأنها تابعة للطائف مثل تتما والجعرانة والسلامة وفتق وكوثر ومطار ومعدن ، بحيث يمكن أن يقال أن الطائف كانت بمثابة أم القرى .

وذكر أن ثقيف كانت متحالفة مع قريش وأنها جاءت إلى نصرتها حينما زحف سيدنا رسول الله على مكة ثم علموا بخبر فتحها قبل وصولهم فعادوا ورمموا حصونهم وأسوارهم ، وأن سيدنا رسول الله زحف على الطائف بعد فتح مكة وهزيمة هوزان التى جاءت هى الأخيرة لنصرة قريش فى وادى حنين وحاصرها واستعصت عليه فعين عليها من يزعجها بالغارات وعاد إلى المدينة وحينئذ مشى رجالها إلى عبد ياليل الذى يظهر أنه كان كبير الزعماء علم بنيتهم أن يبعثوا إلى سيدنا رسول الله نفرا منهم فخرج عبد ياليل وأبناء كنانة وربيعة وشرجبيل بن غيلان بن سلامة والحكم بن عمرو وبن وهب بن متعب وعثمان بن أبى العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة بن ربيعة على رأس سبعين رجلا إلى يثرب للمفاوضة مع سيدنا رسول الله على الإسلام . ويمكن القول بأن هؤلاء الستة كانوا بمثابة مشيخة أعيان تتولى شئون الطائف وما حولها كما كان الأمر فى مكة وتعجب القوم من نزول

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٥٣٥ ـ ٥٣٦ .

القرآن على سيدنا محمد : " وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " (سورة الزخرف : الآية ٣١) أى أنه حسب رغبتهم أو أملهم كان من المعقول لو كان هذا القرآن من عند الله أن ينزل على زعيم عظيم من زعماء إحدى المدينتين مكة والطائف .

وقد ذكرت الروايات أنهم كانوا يعنون بالزعيم الطائفى ابن عبد ياليل أو عمرو بن مسعود أو حبيب بن عمرو بن عمير أو كنانة بن عمرو بن عمير .[١]

سادسا : **العلاقات بين القبائل فى الحجاز وبعض المظاهر الحضارية :**

انقسم العرب فى الحجاز إلى **قسمين** : أولا : البدو ، وهم سكان البادية ، بيوتهم من الشعر ، كانوا يرتحلون من مكان إلى آخر طلبا للماء والكلأ لرعى أغنامهم وإبلهم التى اعتمدوا عليها فى معيشتهم . ثانيا : سكان الحضر ، أى سكان المدن والقرى ، واستقروا فى بيوت من الحجارة ، واشتغلوا بالتجارة الزراعية والصناعة .

لم يكن للعرب نوع من الحكومات المعروفة ، ولم يكن لهم قضاء يحتكمون إليه أو شرطة تقر الأمن والنظام أو جيش يدرأ عنهم الأخطار الخارجية .

وكانت كل قبيلة أو عشيرة تؤلف جماعة منفصلة مستقلة تمام الاستقلال وكان رئيس القبيلة يختار من بين أكبر أفرادها سنا، وأكثرهم مالا، وأعظمهم نفوذا ، وأجدرهم بكسب الاحترام الشخصى . ولم يكن هناك نظام لنقل سلطة الرئيس وإذا ما تضخمت قبيلة تشعبت فروعا كثيرة يتمتع كل منها بحياة منفصلة ووجود مستقل ، ولا تتحد إلا فى ظروف غير عادية اشتراكا فى الدفاع عن القبيلة أو قيامها بغارات بالغة الخطورة .[٢]

---

(١) محمد عزه دروزه : المرجع السابق ، الجزء الخامس ، ص ١٤٢ - ١٤٤ .

(٢) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

كثر النزاع بين القبائل العربية فى الجاهلية بسبب الاختلاف على السيادة أو التسابق على موارد الماء ومنابت الكلأ ، فوقعت بينهم حروب كثيرة أريقت فيها دماء كثيرة ونعرف منها : (١)

١- يوم منعج : وقع بين قبيلتى غنى وبنى عبس بسبب اغتسال شاس بن زهير زعيمها وملكها في الماء عاريا .

٢- يوم النقروات : بين بنى عامر وبنى عبس .

٣- يوم الرحرحران : بين بنى عامر وتميم .

٤- يوم شعب جبلة : بين بنى عامر وعبس فى جبهة وذبيان وتميم فى جبهة .

٥- حروب داحس والغبراء : وداحس والغبراء اسما فرسين لزعيمى عبس وذبيان قيس بن زهير وحمل بن بدر . وقد تراهنا على السبق واحتال حمل بن بدر بحيلة تساعد فرسه على السبق فثار واتسع الخلاف فأدى إلى الحرب بين القبيلتين تعصبا لزعيمهما . واستمرت أربعين عاما وتكررت وقائعها .

٦- يوم الرقم بين قبائل غطفان وقبائل عامر بن صعصعة .

٧- يوم الفتاة : بين عبس وعامر .

٨- يوم شواحط : بين بنى محارب وبنى عامر .

٩- يوم حوزة : بين سليم وغطفان .

١٠- يوم حوزة الثانى : وهو امتداد للأول .

١١- يوم ذات الاثل : وهو أيضا امتداد لسابقيه .

١٢- يوم النهوى : بين غطفان وهوزان .

١٣- يوم الصلعاء : بين هوزان وغطفان .

---

(١) محمد عزه دروزه : المرجع السابق ، الجزء الخامس ، ص ١٥٤ - ١٥٦ .

١٤- يوم الكديد : بين سليم وكنانة .

١٥- يوم برزة : بين القبيلتين حيث أراد بنو كنانة أخذ ثأرهم فأغاروا على سليم .

١٦- يوم الفيفاء : وكان أيضا بين القبيلتين حيث هاجم بنو سليم كنانة وانتصروا عليهم .

١٧- يوم السريان : بين بنى عامر وبنى تميم .

١٨- يوم اقرن : بين بنى عبس وبنى درام .

١٩- بين تميم وبكر : وقعت أيام عديدة بين القبيلتين بسبب غارة أغارها بعض فرسان بنى بكر على بنى تميم . ومن الأيام المشهورة يوم الوقيط ويوم النباح .

٢٠- بين بنى يربوع وبكر : وقعت أيام عديدة وكان النصر فيها جميعا لبنى يربوع .

٢١- أيام بكر وتميم : وقعت الحروب بين القبيلتين بسبب ما كان يفعله بنو بكر فى أرض بنى تميم . وكان النصر فى معظمها لبنى بكر .

٢٢- حروب البسوس : [١] كانت بين قبيلتى بكر وتغلب وهما أبناء جد واحد هو وائل . وكان سببها ناقة اسمها سراب لامرأة اسمها بسوس خالة جساس بن مرة وأحد فرسان بنى شيبان من قبيلة بكر . وكانت هذه الخالة فى زيارة عند ابن أختها عندما شردت ناقتها مع نياق كليب بن ربيعة زعيم قبيلة تغلب ، فرماها بسهم فعادت تنزف فلما رأتها بسوس أثار ذلك غضبها وتحمس جساس وذهب إلى كليب فعاتبه فما كان من الأول إلا أن طعن الثانى فأرداه قتيلا ووقعت الحرب .[٢]

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٥٣ - ٥٧ .
(٢) محمد عزه دروزه : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

٢٣- يوم تياس : بين بنى سعد وبنى عمرو من تميم .

٢٤- أيام الفجار : وهى أربعة ، وكانت بين كنانة وحلفائها قريش وبين هـوزان : وشهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشـــرة سـنة مـــع أعمامه حرب الفجار الرابعة .

٢٥- حرب ذى قار : نسبة إلى ماء بين الكوفة وواســط وكـــانت بيـــن الفــرس والعرب وكانت الغلبة فيها لهانئ بن مسعود على إياس بن قبيصة ومن معه مـــن كتائب العرب والفرس .(١)

أما بالنسبة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فنجد أن مكة بحكم موقعها الجغرافى أصبحت منذ القرن السادس الميلادى مركزا للتجـــارة بيـــن اليمـــن والشام والحبشة . وكانت قوافل قريش معروفة عند العرب ، لأنهم سكان مكة وحمـــاة الكعبة التى يقدسها العرب . فكانوا يسيرون آمنين مطمئنيـــن . وبلـــغ مـــن اهتمـــام القرشين بالتجارة أنهم كانوا يرحلون رحلتين فى العام . رحلة الشتاء إلــــى اليمـــن ، ورحلة الصيف إلى الشام ، وقد أفادت قريش من اشتغالها بالتجـــارة فوائـــد معنويـــة وأدبية على جانب كبير من الأهمية ، وساعد اشتغالهم بالتجارة وكثرة أسفارهم إلــــى الشام والحبشة ومصر وغيرها . ومخالطتهم أقواما مختلفين ، كالفرس والـــروم مـــن ذوى المدنيات القديمة ، على معرفة أحوال هذه الأمم السياسية والاجتماعية والأدبية ، مما كان له أثر كبير فى تثقيف ورقى مداركهم حتى وصلوا إلى مستوى فكـــرى لـــم يصل إليه أهل البدو وسكان الواحات .

أما بالنسبة للحالة الاجتماعية فمن يتبع أشعار العرب فى الجاهلية يـدرك أن المرأة العربية كانت تتمتع فى ذلك العصر بقسط وافر من الحرية . فكانت تستشــــار فى أمور كثيرة ، بل تشارك الرجال فى كثير من أعماله وكانت علاقتها بزوجها على درجة من الرقى أكثر مما يخيل إلينا . وأما عادة وأد البنات مخافة المذلة أو العـــار ،

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٥٨ – ٩١ ؛ محمـــد عـــزه دروزه : المرجع السابق ، ص ١٥٩ – ٤١٩ .

فلم تكن شائعة عند العرب ، بل كانت فى بعض الطبقات الفقيرة ، وعلى الأخص فى بنى أسد وتميم . أما معاملة العرب لأبنائهم الذكور فكانت تنطوى على الحنان والمحبة . وكانت روح الوئام سائدة بين أفراد القبيلة الواحدة ، مفقودة تماما بين القبائل المختلفة وذلك بسبب التنافس على المراعى وموارد الماء والتنازع على شرف الرياسة كما كان للشعر أثر كبير فى بث روح العداوة بين القبائل العربية أحيانا .

أما بالنسبة **للحالة الثقافية** ، كانت مكة مركز الحركة الأدبية ببلاد الحجاز ، فكان يفد إليها العرب من كل صوب فى أيام الحج والمواسم ، فيتناقلون الآداب الاجتماعية بعضهم من بعض ، ويتناشدون الأشعار الحماسية . ولا يغيب عن أذهاننا ما كان لاجتماع الشعراء فى مكة وفى سوق عكاز من أثر فى حياة العرب الأدبية .(١)

سابعا : الحياة الدينية لعرب الحجاز قبل الإسلام :

عرفت منطقة شبه الجزيرة العربية عددا من مراحل التطور الدينى فى العصور السابقة للإسلام . وظهرت هذه المراحل بشكل متفرق فى الأقسام المختلفة من شبه الجزيرة العربية . ويشمل هذا التطور ست مراحل .

والعبادات التى تمثل **المرحلة الأولى** من مراحل هذا التطور الدينى هى مرحلة عبادة أو تقديس اشياء مادية محددة مثل الأحجار والأشجار والكهوف وينابيع المياه ، وهى أشياء يرى البدوى أنها تفيده فى حياته المادية أى أن يتصور المرء أن هناك روحا تحل فى هذه الأشياء فتعطيها هذه الفائدة الحيوية بالنسبة له . وربما لم يصل المرء دائما إلى عبادة هذه الأشياء أو على الأقل إلى عبادتها بصفة دائمة .

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٦٣ - ٦٧ .

ولكن تقديسها ظل قائما فى كل الأحوال .[١]

وفى المرحلة الثانية انتقل البدوى إلى مرحلة دينية أكثر تطورا حين بدأ يعتقد فى قوى إلهية أكثر شمولا وأكثر تجريدا ، وعندما ظهرت فى منطقة الحجاز أو انتقلت إليها عبادة الأصنام والأوثان .

كان أغلب العرب يدينون بالدين الوثنى . ويقل أن الذى نقل الوثنية إلى العرب هو عمرو بن لحى الخزاعى . ولا يبعد أن يكون عمرو هذا قد نقل بعض الأوثان من بلاد الشام إلى الكعبة . وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها . وكان هبل أعظمها شأنا ، وكان من العقيق الأحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى ، فصنعت له قريش يدا من الذهب .

ولم يكن هبل وحده معبود العرب ، فقد انتشرت الأصنام فى أنحاء الجزيرة العربية حتى قيل أنه كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما . ويظهر أن السبب فى وجودها أن قريشا رأت أن تنتفع من قدوم القبائل العربية فى موسم الحج ، فوضعت أصنام القبائل الشهيرة حول الكعبة .

وكانت مناة أقدم هذه الأصنام ، وهى معبودة القضاء ولا سيما قضاء الموت وكان العرب يسمون أبنائهم عبد مناة وزيد مناة . وقد نصب هذا الصنم على ساحل البحر بالتحديد بين المدينة ومكة .

ومن هذه الأصنام : اللات بالطائف ، ومعناها المعبود . وقد عرفت فى آثار تدمر والنبط . وكانت صخرة مربعة أقيم عليها بناء وبلغ من تعظيم العرب اللات أن كانوا يسمون أبنائهم زيد اللات وتيم اللات .

ومن هذه الأصنام أيضا : العزى ، وهى أحدث من مناة واللات . وكانت تمثل فى شجيرات فى وادى نخلة عن يمين الذاهب من مكة إلى العراق . وبلغ من تعظيم العرب وقريش غياها أن كانوا يسمون أبنائهم عبد العزى .

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٣٧٨ - ٣٨٠ .

وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول : واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، فإنهن الغرانيق العلى ، وأن شفاعتهن لترتجى ، (وقد جاء ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فى سورة النجم : الآيات ١٩ - ٢٠) .

ومن معبودات العرب الوثنيين : سواع بأرض ينبع .[١]

وكان العرب يقدمون القرابين لآلهتهم ويسيرون فى مواكب حول أماكنها .

والمرحلة الثالثة : هى عبادة الكواكب التى عرفتها بوجه خاص العربية الجنوبية . وكان أهم هذه الكواكب هو الثالوث الذى يمثله القمر والشمس والزهر .[٢]

وكان الأول بين أركان هذا الثالوث هو القمر الذى عرفه السبئيون باسم " المقة " والمعينيون باسم " ودّ " (وربما تعنى الحب أو المحب أو الأب) . والحضارمة باسم " سن " والقتبانيون باسم " عم " (أى العم) . وكانت زوجته المقدسة هى الشمس التى أطلقت عليها تسمية " ذات حمم " عند السبئيين و " نكرح " عند المعينيين ، ثم ابنهما المعبود الذى عرف عند المعينيين باسم " عثتر " وهو كوكب الزهرة . وفى الشمال تمثلت عبادة الشمس فى المعبود " شمس " الذى كان يعبد فى مملكة الأنباط وفى تدمر .[٣] ويحدثنا الكاتب الرومانى بلينيوس عن عدد هائل من المعابد فى مدن جنوب الجزيرة . فمدينة شبوة عاصمة حضرموت بها ٦٠ معبدا ومدينة تمنع عاصمة قتبان بها ٦٥ معبدا .[٤]

---

(١) ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم (ترجمة : د. فؤاد حسين على وزكى محمد حسن) ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ؛ د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام (السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى) ، الجزء الأول ، ص ٦٩ - ٧١ ؛ د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

(٢) عن أسماء المعبودات ودورها فى جنوب الجزيرة العربية ، راجع : ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٨٢ - ٢٢٧ .

(٣) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٣٨١ - ٣٨٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩٣ .

والمرحلة الرابعة وهى مرحلة الاتجاه نحو التوحيد ، وقد ظهر هذا الاتجـاه فى مجتمع شبه الجزيرة العربية إلى جانب وجود المعبودات التى عرفها العرب فـى أثناء وجود هذه المراحل ، فقد ظهر معبود تحت اسم : " المعبود " فى سـوريا ثـم رفعه السوريون عن طريق التعامل التجارى ، ثم انتشرت فى فترات لاحقة فى كـل أرجاء شبه الجزيرة العربية تقريبا كما يتضح من عدد من النقوش المنتشـرة فيـها ، والتى ترد فيها أسماء مثل عبدود ، وعبد سعد ، وعبد قيس ، وعبد شـمس ، وعبـد العزى ، ووهب اللات ، وامرؤ القيس كما ترد فيها ابتهالات مثل " يا إله إهدنى " و " يا إله مكنى من تحقيق الخلاص " و " يا إله امنحه السلام " و " يا إله ارفع عنه مـا يسوؤه " .(١)

وقد ظهر المعبود " الإله " بهذه الصفة التى تمثل أول الخطوات على سـبيل التوحيد فى نقوش اللحيانيين منذ القرن الخامس ق. م . وعند الثموديين فى نقـوش ترجع إلى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد . ولا نعرف متى بدأت عبادة " الإلـه " بهذه الصفة فى الحجاز ، ولكن على أى الأحوال يبدو أنها كانت قد سادت وتمكنـت فى قبيلة قريش على الأقل قبل ظهور دعوة الإسلام .

فقد عثر فى جبة التى تبعد عن حائل مسافة ٧٥ كم على نقـوش ثموديـة ، ولاسيما الموجودة على جبال الثنابيت وأم شداد والحكاية وياطب وغار جنين والجلدية بمنطقة حائل ، وهى تتضمن أسماء رضو ونهى وإله . ويرى بعض المؤرخيـن أن رضو ونهى ما هما إلا اسمان من أسماء الله تعالى ومعناهما الراضى والنـاهى وأن

---

(١) د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٣٨٥ حاشية (١) ؛ وأيضـا د. يتلـف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢١١ - ٢١٣ . وعن النقوش التى ورد فيها اسم " الإله " يوجد من جنوبى شبه الجزيرة نقشان : أحدهما سبئى والثـانى معينى ، وفى شمالى شبه الجزيرة ٦ نقوش لحيانية مبكرة ، و ٢٨ نقشا لحيانيـا متأخرا ، ونقش ثمودية متأخرة ، وخمسة نقوش صفوية والعديد مـن النقـوش النبطية .

المقصود باسم إله هو الاسم الأصلى للفظ الجلالة الله .[١] بينما يرى البعض الآخر أن المقصود بلفظ الإله هنا هو معبود جاهلى وليس الله سبحانه وتعالى كما سوف يؤمن به المسلمون بعد ذلك .[٢]

والمرحلة الخامسة هى التى عرفت فيها بعض مناطق الجزيرة العربية أنواعا من الرسالات ، فلم تكن رسالة الإسلام وحدها هى التى انتشرت فيها ، فكان هناك دعوة سيدنا هود فى الأحقاف ، ودعوة سيدنا صالح فى ثمود ، ودعوة سيدنا شعيب فى مدين .

ثم تأتى بعد ذلك المرحلة السادسة التى وجدت جنبا إلى جنب بعض أجزاء شبه الجزيرة مع واحدة أو أخرى من العبادات السابقة . وهذه المرحلة تمثلها انتشار عقائد اليهودية والمسيحية ثم الحنيفية .

وجدت اليهودية طريقها إلى بعض المناطق فى شمال الجزيرة العربية مثل تيماء والحجاز وإلى جنوب الجزيرة العربية حيث انتشرت بشكل خاص فى ظل المملكة الحميرية الثانية (بعد عام ٣٠٠ ميلادية) وواصلت انتشارها فى شبه الجزيرة بسبب فرار عدد من العبرانيين إلى القسم الشمالى من شبه الجزيرة بوجه خاص على أثر تدمير الوالى الرومانى تيتوس لأورشليم (القدس) فى عام ٧٠ ميلادية .

ولكن مع ذلك فهناك دليلان يشيران إلى أن هذا الانتشار لم يكن يشكل هجرة عبرانية واسعة إلى المنطقة بقدر ما كان يشكل تأثيرا دينيا يهوديا عرف طريقه إليها بطريقة ما . أحدهما هى أن أغلب الأسماء التى وصلت إلينا عن يهود شبه الجزيرة العربية ليست أسماء عبرانية ، وإنما أسماء عربية أو آرامية لأشخاص يبدو أنهم اتخذوا اليهودية دينا لهم لسبب أو لآخر . والدليل الآخر هو أن الشاعر الوحيد من

---

(١) أحمد شرف الدين : المدن والأماكن الأثرية فى شمال وجنوب الجزيرة العربية ، ص ٤٤ – ٤٥ .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٣٨٦ – ٣٨٧ ؛ ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

بين عدد من الشعراء اليهود الذين تحدث الكتاب العرب عن وجودهم فى شبه الجزيرة العربية وهو السموأل بن عادياء الذى يبدو أنه كان أحد أثرياء تيماء ، لا نجـد فـى شعره ما يجعله يختلف فى تصورات العرب الوثنيين ومعتقداتهم . الأمر الذى يجعلنـا نشك فى أنه كان عبرانيا، بقدر ما يوحى بأنه كان عربيا اتخذ اليهودية فى عمومياتها.

وفى جنوب الجزيرة أصبحت اليهودية فى عهد " ذو نواس " (الربـع الأول من القرن السادس الميلادى) عقيدة رسمية يدين بها الحاكم .[١]

أما المسيحية فقد دخلت فى قبائل تغلب وغسان وقضاعة فى الشـمال مـن الجزيرة وفى نجران وفى بلاد اليمن فى الجنوب . وقد دخلت المسيحية بلاد العـرب بفضل جهود أباطرة الدولة الرومانية الشرقية فى القرن الرابع الميـلادى (٣٥٦م) . إلا أنها لم تجذب إليها أنصارا كثيرين منهم . وكان أهم مواطن المسيحية فـى بـلاد العرب نجران . وهى مدينة خصبة التربة عامرة بالسكان ، ويشتغل أهلها بالزراعـة ويجيدون صناعة المنسوجات الحريرية ويتجرون فى الجلود والأسلحة .

الحنيفية (ديانة سيدنا إبراهيم عليه السلام) :

كان بين العرب أناس مستنيرون فطنوا إلى سوء حالتهم الدينيـة وحـاولوا الارتقاء من الوثنية إلى اعتقادات أرقى منها . وذلك لاختلاطهم باليهود والمسـيحيين ووجد بينهم أناس دعوا إلى دين توحيد جديد . وكانوا يعتقدون فى البعث بوجود إلـه واحد يحاسب ويجازى الناس على أعمالهم من خير وشر . ويطلق على هذه النزعـة " التحنف " وعلى أصحابها الحنفاء . وقد ورد لفظ " حنيفا " فى القرآن الكريـم فـى سورة آل عمران (آية ٦٧) : " ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفـا مسلما وما كان من المشركين " وفى سورة الأنعام (آية ٧٩) : " انـى وجـهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين " .[٢]

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ - ٣٩٠ .
(٢) د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام (السياسى والدينى والثقـافى والاجتمـاعى) الطبعة التاسعة ، الجزء الأول ، ص ٧٣ - ٧٤ ؛ د. لطفى عبد الوهاب : —

وبعد أن استقرت القبائل فى مكة.وما حولها اعتنق بعضهم ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام " الحنيفية " ، وانتشرت بعد ذلك فى الحجاز بانتشار القبائل فيها وفى المناطق المجاورة ، وظل العرب يحجون إلى البيت ويقيمون المناسك ، ولكن مع طول الزمن بدأ يختلط الأمر على أكثرهم إذ جعلوا لله شركاء ، ثم أصبحوا يوسطون لله ما يقربهم إليه زلفى فاتجهوا إلى عبادات أخرى ، ما عدا نفر قليل ظلوا على ملة سيدنا إبراهيم مثل : ورقة بن نوفل ، وأمية بن أبى الصلت .

على أن أمورا أخرى كانت قد بدأت تجد فى وسط شبه الجزيرة العربية ، ففى أوائل القرن السابع كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدأ يرسى فى منطقة الحجاز ، الدعوة الإسلامية الوليدة ، وقد قدر لهذه الدعوة أن تغير مجرى التاريخ فى الشرق الأدنى لقرون طويلة تالية ، وأن تغير معه كل ما يتصل بالمجال الدولى من علاقات وأبعاد . ففى مدى حياة قصيرة استطاع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (انتقل عام ٦٣٢ ميلادية) أن يدعو إلى الإسلام الذى حل محل اليهودية والمسيحية فى المناطق الشاسعة المجاورة للجزيرة العربية ، وأن يؤسس أمة موحدة ، أمة كانت تعيش فى بقعة من الأرض لم تكن فى نظر العالم سوى اسم جغرافى ، وإلى جانب تأسيسه دينا فإنه أنشأ دولة قدر لها فى زمن قصير أن تضم أجمل مناطق العالم المتمدن آنذاك . وأن تتحدى القوتين العالميتين : فارس وبيزنطة ، فتقوض أركان الأولى وتسلخ عن الثانية أغنى مقاطعاتها ، بفضل أبطال عظماء نشأوا فى أرض الجزيرة العربية لم يعرف العالم بهم مثيلا فى نوعهم ولا فى قدرتهم ولا فى إيمانهم ، وكل ذلك تم بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم . وأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : " إنا نحن أنزلنا عليك القرآن تنزيلا " (سورة الإنسان : الآية ٢٣) وهو كتاب الله الخالد الذى ختم به

-- المرجع السابق ، ص ٣٩٢ حاشية (٥٠) . أشير إلى الحنيفية فى ١٢ آية من آيات القرآن الكريم . عن البيئة الدينية فى مكة قبل الإسلام ، راجع السيد أحمد أبو الفضل : مكة فى عصر ما قبل الإسلام ، ص ٦٧ - ٩٩ .

الكتب المقدسة الزبور والتوراة والإنجيل التى نزلت على سيدنا داود وسيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهم السلام : " وآتينا داوود زبورا " (سورة النساء : الآية ١٦٣ ؛ الإسراء : الآية ٥٥) .

" ولقد آتينا موسى الكتاب " (سورة المؤمنون : الآية ٤٩ ؛ القصص : الآية ٤٣) .

" ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان " (سورة الأنبياء : الآية ٤٨) .

" وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى " (سورة المائدة : الآية ٤٦ ؛ الحديد : الآية ٢٧) .

لقد أودع الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم كل علم وحكمة وناط به كل هداية ورحمة وضمنه كل ما يحتاج إليه البشر لصالح دنياهم وسعادة آخرتهم .[١]

---

(١) وبدأ نزول القرآن الكريم على النبى صلى الله عليه وسلم فى أول بعثته صلى الله عليه وسلم وهو فى غار حراء بقوله تعالى :
" اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق " (سورة العلق : الآية ١ - ٢) واستمر نزوله ثلاثا وعشرين سنة هى مدة بعثة النبى صلى الله عليه وسلم منها ثلاث عشر بمكة ، وعشر بالمدينة وكان آخر الأيات نزولا بالمدينة وبها ختم الوحى آيات القران : سورة البقرة : الآية ٢٨١ " واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون " .
كان للنبى صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون الوحى وأحيانا تنزل الآية أو الآيات فيقول لهم ضعوها فى السورة التى ذكر فيها كذا وكذا .
وقد انتقل النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن محفوظ فى الصدور مكتوب فى السطور فلما خلفه سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ألف لجنة عهد إليها ---

ثامنـــا : الممالك والدول التى قامت فى الأطراف الشمالية الغربيـة من شبه الجزيرة العربية :

شهد تاريخ شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، قيام دويلات صغيرة ، قامت واحدة وراء الأخرى على طول الحدود الشمالية إلى أطراف سوريا وفلسطين وبـــلاد النهرين ، ولم تكن هذه الدويلات مستقرة فى تكوينها ، وكانت قصيرة العمر ، فهى فى الواقع ليست سوى نتاج فرعى لعملية الاتصال والانتقال بين منطقة البـداوة ومنطقـة الحضارة المستقرة ، وقد شجعت الدول الكبرى التى كانت تسيطر بجوار هذه المنـاطق على قيام هذه الدويلات، واتخذتها درعا تتقى به من غارات البدو على تخوم حدودهـا، فكانت أشبه بالدويلات الحاجزة ، عمل الفرس والروم على اكتساب ثقتها وأن تصبــح هذه الدويلات تابعة لأحدهما .

ولعل من أهم هذه الدويلات " دولة الأنباط " التى قـامت علـى الأطـراف الخارجية لمنطقة فلسطين ، فى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد ، متخذة من البـتراء عاصمة لها .

-- بكتابة المصحف وجمعه فى مجلد واحد وأودع عند حفصه أم المؤمنين رضـــى الله عنها . فلما ولى سيدنا عثمان رضى الله عنه كلف لجنة نسخت منـــه نســخا وزعها على الأمصار وعن هذه النسخ انتشر القرآن الكريم فـــى جميـــع أنحـــاء العالم ، وبذلك نعرف أن آيات القرآن الكريم كتبت وحفظت فى عهد النبى صلـــى الله عليه وسلم وأصحابه . وأنه لم يتعرض للتحريف أو التزييف الـــذى أصـــاب الكتب قبله ، مصدقا لقوله تعالى " وتمت كلمات ربك صدقـــا وعـــدلا لا مبـــدل لكلماته " (سورة الأنعام : الآية ١١٥) ، " أنا نحن أنزلنـــا الذكـــر وأنـــا لـــه لحافظون " (سورة الحجر : الآية ٩) ، راجع : السيد أحمـــد أبـــو الفضـــل : المرجع السابق ، ص ١٠٩ - ١١٠ ؛ د. حسن إبراهيم : المرجع الســابق ، ص ٥١٠ - ٥١٤ .

ومملكة تدمر التى كانت تقع على بعد ١٥٠ كيلو متر إلى الشمال الشـــرقى من دمشق . فى منتصف المسافة تقريبا بين دمشق والفرات وجاء عقب البتراء وتدمر دويلتان جديتان على أطراف الصحراء فى القرن الخـــامس والســـادس الميــلادى ، فازدهرت حول دمشق مملكة الغساسنة ، وفى نفس الوقت ازدهرت دويلة المنـــاذرة فى الحيرة بالقرب من ضفاف الفرات ، وكانت هاتان الدويلتان تابعتين لإمبراطوريتى بيزنطة وفرس .

مملكة النبط أو الأنباط :

نشأت قبل الميلاد فى شمال غرب الجزيرة العربية ، فى المكان الذى عـرف باسم " العربية الحجرية " عند الكلاسيكيين[١]، ولهذا كانت دولة الأنباط أكثر اتصـــالا ببادية جنوب الشام منها لشبه الجزيرة العربية .

أما أخبارنا عنها ، فمستمدة من كتب " الكلاســـيكيين " ، ومـــن مؤلفـــات المؤرخ اليهودى " يوسيفوس فلافيوس " (٣٨ - ٩٥ بعد الميلاد) . ومـــن كتابـــات عثر عليها فى " العربية الحجرية " وفى الأماكن الأخرى التى خضعـــت لحكمـــها . وعلى هذه المصادر يعتمد المؤرخون حديثا فى تدوين تأريخ قوم كان لـــهم نفـوذ وسلطان فى هذه المنطقة .

أما لغة النصوص النبطية ، فهى لغـــة " بنـــى آرم " وأمـــا خطـــها فـــهو القلم الأرامى وأما المواضع التى عثر على هذه الكتابات فيها ، فهى عديدة ، منـــها : بتراء ، والحجر ، والعلا ، وتيماء وخيبر وصيدا ودمشق ومواضـــع متعـــددة مـــن حوران ومن اللجاة وطور سيناء والجوف واليمن ومصر وأماكن أخرى .[٢] وتختلـف

---

(١) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثـــالث ، ص ٥ ؛ د. عبـد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، ص ١٦٢ - ١٦٦ .

(٢) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٦ .

النبطية المتأخرة المدونة بعد الميلاد ، وتختلف أيضا باختلاف الأماكن التى وجدت فيها .

أصل النبط :

والرأى السائد بين العلماء أن النبط كانت قبائل عربية الأصل ، انتشرت بطونها بين جنوب بادية الشام وبين شمال غرب الجزيرة العربية ، وأنهم استعملوا الأرامية فى كتاباتهم ، بدليل أن أسماءهم هى أسماء عربية خالصة ، وأنهم كانوا يشاركون العرب فى عبادة بعض الأصنام المعروفة عند عرب الحجاز مثل : ذى الشرى واللات والعزى وأنهم رصعوا كتاباتهم الأرامية بكثير من الألفاظ العربية . ولهذا أطلق الكلاسيكيون والمؤرخ اليهودى يوسيفوس كلمة " العرب " على النبط ، وأطلق اسم " العربية الحجرية " على أرضهم(١)، وأنهم سموا نبطا لكثرة النبط عندهم وهو الماء . والنبط يشاركون قريشا فى أكثر السماء الشخصية ، كما يشاركونهم فى عبادة أكثر الأصنام ، وخط النبط قريب جدا من خط القرآن الكريم . لهذه الأسباب يرى بعض العلماء أن النبط أقرب إلى قريش وإلى العدنانيين من عرب الجنوب وقد سبب تدوين النبط كتاباتهم بالأرامية خسارة فادحة لنا لا تقدر بثمن ، لأنه حرمنا الحصول على نصوص بلهجات عربية قديمة نحن فى أشد الحاجة إليها ، لما لها من فائدة فى دراسة تطور اللهجة العربية التى نزل بها القرآن الكريم والمراحل التى مرت بها . وخاصة وأننا لا نملك من النصوص العربية المدونة باللهجات العربية الشمالية القريبة من عربية القرآن سوى بضعة نصوص .

يعد ديودور الصقلى أقدم كاتب كلاسيكى تحدث عن النبط ، يليه سترابون ، فبقية الكلاسيكيين جاءوا بعدهما .

ففى تاريخ يوسيفوس اليهودى المتوفى حوالى ٩٥ بعد الميلاد ، أخبار مفيدة عن النبط ، ولاسيما علاقتهم بالعبرانيين الذين كانوا على اتصال وثيق بهم بسبب الجوار . وقد تطرق سترابون إلى أمور لم يتطرق لها ديودور الصقلى ، أخذها من

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٩ .

صديق له اسمه " اثينودورس " ، وكان فيلسوفا ولد بين النبط وعاش بينـــهم ، وقــد حدثه هذا الفيلسوف أن عددا كبيرا من الرومان ومن الغرباء من الجنسيات الأخـــرى كانوا يعيشون بين النبط ، وكانوا فى نزاع وخصام بينهم ، أما النبط ، فكـــانوا علـــى صفاء ووئام ، يعيشون عيشة سلام وراحة . ويتبين أثر اختلاط الغرباء بالنبط ، فـــى الآثار الباقية وفى الكتابات اليونانية والرومانية التى عثر عليها فى أرض النبط .

ولا يعرف الموطن الأصلى الذى جاء منه النبط على وجـــه التحقيـــق ، ولا الزمان الذى هاجروا فيه منه ، ويظن بوجه عام أنه كانوا قبائل بدوا فى الأصل مـــن سكان البادية الواقعة شرقى الأردن ، ثم ارتحلوا نحو الغرب فـــنزلوا أرض " ادوم " جنوب فلسطين وضايقوا الأدميين الذين ارتحلوا نحو الشمال والغرب اختيارا أو كرها فسكنوا فى المناطق الخصيبة المشرفة على البحر المتوسط ، وكان ذلك حوالى عـــام ٥٨٧ قبل الميلاد .[١] ويرى بعض العلماء أن النبط هـــو " نبيـــاطى " المذكـــورون فى أخبار الملك " آشور بانيبال " فقد اعتبرهم هذا الأخير ثوارا وتذكر حولياتـــه أنـــه هزمهم .

ويذكر دیودور الصقلى عنهم بأنهم كانوا بدوا رعاة لا يعرفـــون الزراعـــة وكانوا يحرمون الزراعة وشرب الخمر وبناء المنازل وأن معظم بلادهم قفرة قليلـــة الماء والقسم المنزرع منها قليل المساحة لأن أغلب أرضهم صخرية ، لذلـــك عـــاش سكانها عيشة أعرابية ، على الغزو ، وعلى التحرش بحدود جيرانهم ، لعلمهم أن مـــن الصعب على الجيوش تعقب آثارهم والإلحاق بهم فى البادية لقلة الماء . أما هم ، فلهم آبار مخفية ، فلا يعلم أحد من الناس سواهم أين هى ؟ يشربون منها متـــى شـــاءوا ، ويأخذون منها ما يحتاجون إليه ، وهم قوم يحبـــون الحريـــة ويقدســـونها ، ويـــأبون الخضوع لحكم الغرباء . ولهذا لم يخضعوا لحكم الآشوريين أو الميديين أو الفـــرس أو لحكم اليونانيين ، مع أن هذه الدول أرادت استبعادهم فأرسلت عليهم جيوشا قويـــة ، ولكنها لم تنجح فى تحقيق ما أرادت ، ولم تتمكن من السيطرة على هؤلاء الأنباط .

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ١٥ .

ويتبين من أقدم الأخبار الواردة فى الكتب الكلاسيكية عن النبط أنهم كـــانوا فى بادئ أمرهم أعرابا رعاة ماشية ، ومنهم أصحـــاب قوافـــل يعملـــون بالتجـــارة ، ويقيمون حول البحر الميت ، وكانوا يستخرجون الأسفلت مـــن ســـواحله الشـــرقية . وكانت لهم أماكن محصنة تحصينا طبيعيا يلتجئون إليها . وكانوا يعرفـــون اســـتغلال مناجم النحاس والحديد القديمة فى آدوم ، واستخدموا هذين المعدنين فى صنع المـــواد اللازمة لشئون حياتهم وتعلموا من اليونان أصول الإدارة والفن ، وحولـــوا مدينتـــهم الصخرية إلى مدينة جميلة . واقتبسوا من الفرس ما يلائم حياتهم . وصكـــوا النقـــود على طريقة اليونان والرومان فأحسنوا صنعها وأجادوا . واستفادوا كثيرا مـــن دولـــة آدوم التى قامت فى جنوب الأردن . كما استعانوا من الحضارة الآرامية التـــى أخـــذ الآدميون منها الكثير . وفى القرن الخامس قبل الميلاد استغل الأنباط ضعـــف دولـــة آدوم وسيطروا على أراضيها وحلوا محل أجزائها .

اصبح النبط من الشعوب العربية التى جمعت ثـــروة عظيمـــة ، واكتـــنزت الذهب والفضة بفضل اشتغالها فى التجارة وموقعها الممتاز الذى تلتقى عنـــده جملـــة طرق التجارة البرية . فإليها يصل طريق اليمن وجنوب الجزيرة العربيـــة المـــوازى للبحر الأحمر ، ومنها يتفرع الطريق إلى مصر والشام وغزة والمدن الفينيقية علـــى البحر المتوسط ، وإليها يصل طريق تجارى آخر مهم يصل الخليج بمدينـــة بـــتراء . ويصل مدينة تجارية أخرى لم يكن شأنها فى التجارة أقل من شأن عاصمـــة النبـــط ، ونعنى بها مدينة جرهاء على الخليج . وعمل ملوك النبط بكل ذكاء على الاستفادة من هذه الطرق واستغلالها لمصلحتهم ومصلحة مملكتهم . وتطلعوا أيضا إلى الســـيطرة على تجارة البحر الأحمر مما أثار خلفاء الإسكندر الأكبر فى الشام ضدهم منذ أوائـــل القرن الرابع ق. م .

النبط والبطالمة :

ويحدثنا ديودور الصقلى أيضا أن انتيجونوس خلف الإسكندر فى ســـوريا ، جرد حملة على النبط قوامها أربعة آلاف جندى من المشاة وستمائة فـــارس جعلـــها تحت قيادة صديقه " اثينيوس " لإرهابهم وليجبرهم علـــى التحـــالف معـــه وتحقيـــق

مصالحه فى عام ٣١٢ ق. م . وأمره بالهجوم على عاصمتها بتراء ونهب وسلب كل ما يمتلكونه من ماشية . وبالفعل هجم عليهم القائد فى منتصف الليل أثناء غياب رجالها منها بحثا عن الغزو أو التجارة عام ٣١٢ ق. م ، فقتل من حاول المقاومة وأسر عدد منهم . ولكن الأنباط تقابلوا مع هذا الجيش عند عودته . وبينما كان الجنود ينعمون بنومهم ، هاجمهم النبط ولم ينج من رجال الحملة إلا خمسون فارسا .

وبعد انتقام النبط ممن حاولوا استعبادهم ، عادوا إلى مواطنهم ، وكتبوا إلى الملك انتيجونوس كتابا كتب بالأبجدية السريانية يلومون فيه اثينيوس على ما فعل بهم . وقد أجابهم الملك بأن ما حدث لم يكن يعلمه ، وأن قائده عمل برأيه فخالف أمره ، ويرجو أن تتحسن العلاقات فيما بينهم وبينه وأن ينسوا ما حدث .

وبعد مدة أعاد انتيجونوس قوة جديدة قوامها أربعة آلاف مسلح من المشاة ، وأربعة آلاف من الفرسان بقيادة ابنه ديمتريوس . فلما سمع النبط بقدومها ، أمنوا أموالهم فى مواضع حصينة يصعب الوصول إليها فى الصخرة ووضعوا عليها حراسة كافية غير أن ديمتريوس لم يفلح فى اقتحامها والاستيلاء عليها ، ورجع بجيوشه قانعا بالهدايا التى قدمت إليه .[١]

أدت سياسة البطالمة الرامية إلى السيطرة على البحر الأحمر واحتكار التجارة البحرية إلى إلحاق أضرار فادحة بالنبط . فاضطر النبط إلى التحرش بالسفن البطلمية وبمهاجمة السفن التى تتجه نحو مصر . فاضطر بطلميوس الثانى ٢٨٥ – ٢٤٦ ق. م . إلى إنشاء قوة بحرية لحراسة السفن التجارية وقد ألحقت هذه القوة خسائر فادحة بأسطول النبط .

---

(١) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ٨٧ ؛ د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ص ٤١٩ .

ملوك النبط :

أرتاس أو الحارث الأول :

كان أرتاس ومعناه الحارث ، أول ملوك النبط وحكم عام ١٦٩ قبل الميلاد ، وفى عهده بدأت تظهر مطامع ملوكها فى التوسع فى بداية القرن الأول قبل الميلاد . وجاء فى الفصل الخامس من اسفار الكابيين أن أرتاس زعيم العرب طرد ياسون من أرضه بعد أن وقع بين هذا الأخير وأخيه أونياس الثالث فى مملكة يهوذا نزاع على الكهانة العظمى . وكان الحارث الأول معاصرا لأنطيوخوس ابيفانيس السلوقى حاكم سوريا ، وبطلميوس فيلوماتور حاكم الإسكندرية ، ووقع قتال بين الحاكمين ، وكانت الغلبة لحاكم سوريا السلوقى انطيوخوس ابيفانيس ويبدو أنه استعان بالأنباط فى تلك الحرب .[١]

زيد – أيل :

حكم فى عام ١٤٦ ق. م ، وكان معاصرا للإسكندر ملك سوريا ، جاء ذكره فى سفر المكابيين . وكان يحكم فى افسكندرية بطلميوس اترجيت الثانى سابع ملوك البطالمة .[٢]

الحارث الثانى :

حكم حوالى ١١٠ ق. م ، ودام حكمه حتى حوالى ٩٦ ق. م . وفى عهد هذا الملك طلب يوناثان الذى انتخب مكان أخيه يهوذا المكابى بعد مقتله – من النبط مساعدتهم أن يعيروه اسلحة يستعين بها على أعدائه ، وذلك حين طلب " بكيديس " قتله . فأرسل يوناثان أخاه إلى النبط فخرج عليه بنو يمرى أى " بنو عمرو " وقبضوا

---

(١) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ٨٧ ؛ د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة : د. جورج حداد وعبد الكريم رافق ، ص ٤١٩) .

(٢) جرجى زيدان : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

عليه وعلى كل من كان معه وذهبوا بالجميع .

عبادة الأول :

حكم حوالى سنة ٩٣ ق. م . وقد ورد اسمه مضروبا على العملة .

رب أيل الأول :

تمييزا له عن عدد من الملوك الذين حكموا بعده . وعرفوا باسم رب - ايل وقد حكم هذا الملك حوالى ٨٧ قبل الميلاد .

الحارث الثالث :

حكم من سنة ٨٥ حتى سنة ٦٠ ق . م . تدخل فى شئون يهوذا حتى دب الخلاف بين الأخوين أرسطو بوليس وهركانوس . وتدخل الحارث الثالث لصالح هركانوس وهجم على يهوذا عام ٦٦ - ٦٥ ق. م . بجيش قوامه خمسون ألف جندى وشتت شمل اصحاب أرسطو بوليس . وقد ورد اسم الحارث فى بعض الكتابات النبطية ، وعثر على نقود نبطية ، أمر الحارث الثالث بضربها . ويعرف الحارث باسم فاتح دمشق ، ويبدو أنه فتحها فى بداية حكمه عام ٨٥ ق. م . ولكن لم تظل إقامة الأنباط فيها حيث استردها الرومان منهم فى حوالى ٦٥ ق . م .

عبادة الثانى :

حكم من سنة ٦٢ حتى سنة ٤٧ ق . م . وقد عثر على عملة من الفضة ضربت بأمره وهو من فئة الدراخما .

مالك الأول :

تولى الحكم قبل عام ٤٧ ق. م . حتى عام ٣٠ ق . م . وقد عثر على قطعة من النقود ضربت فى أيام مالك الأول .

النبط والرومان :

عندما استولى الرومان على سوريا ، ودخل بومبيوس القدس فُرض حماية

روما على مملكة يهوذا المتداعية وعندما استقر حكم الرومان فى بلاد الشـــام أيقـن الأنباط أن لا سبيل لهم إلى مقاومتهم أو التصدى لهم ، ورأى الرومان من ناحيتهم أنه يمكن الاستفادة من الأنباط فاستعانوا بفرقة حربية منهم فى عهد الملك النبطى مـــالك الثانى ، وذلك لضمها إلى جيوش يوليوس قيصر للتخلص من حصار المصريين فـــى الإسكندرية . كما استعانوا بجماعة منهم فى حملة اليوس جاليوس القـــائد الرومـــانى على بلاد اليمن . وظلت العلاقات بين الرومان والأنباط فى جنوب بلاد الشام بين مـد وجزر تطورا يقتطع للرومان أرضا من الأنباط ويهبونها لليهود وطـــورا يجـاملون الأنباط ويزيدون من أملاكهم . وفى النهاية طمع الرومان فى مملكـــة النبـط نفســها وسار القائد سكورس على رأس جيش يريد الاستيلاء على البتراء مهددا الملك بـــهدم عاصمته وبقية مدنه إن لم يصالحه بمقدار من المال يكفيه ويرضيه . ففضـل الملـك الصلح على الحرب ودفع الرشوة . وخلد هذا الصلح على عملة ضربت فى هذا العهد ويشير الصلح إلى تحالف النبط والرومان . ولهذا أمد الملــك النبطــى مــالك الأول يوليوس قيصر سنة ٤٧ ق. م . بقوات فى حصاره لمدينة الإسكندرية .

وكان للبتراء أثر مهم فى الخصومات الشخصية التى وقعت فى مملكة يهوذا أيام الملك هوكانوس بن إسكندر ، هذه الخصومات التى أدت إلى تدخل الفــرس مــن جهة ، وإلى تدخل الرومان من جهة أخرى فى شئون مملكة يــهوذا ، ولكــل دولــة مصلحة فى هذا الجزء الهام من الشرق الأدنى القديم .

عبادة الثالث :

حكم فى حوالى عام ٣٠ قبل الميلاد ودام حكمه حتى عام ٩٠ قبل الميـــلاد ويذكر بعض العلماء أن حملة اليوس جاليوس كانت فى عهده (فى عـلم ٢٤ ق . م) حيث رافق وزيره سيليوس (صالح) الحملة .[1]

---

(١) ويعزو سترابون صديق جاليوس مسئولية فشل الحملة لخيانة الدليـــل ســيليوس وزير الأنباط ، راجع : د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٤٢٠ --

ارتاس أو الحارث الرابع :

حكم من حوالى سنة ٩ قبل الميلاد حتى حوالى سنة ٤٠ بعد الميلاد . وورد اسمه فى عدد من الكتابات . ويلاحظ أن معظم المقابر الكبيرة التى عثر عليها فى الحجر تعود إلى السنين الأخيرة من حكم الملك الحارث الرابع فهو الذى شيد الأثر المعروف باسم خزانة فرعون .[١] ويرى بعض الباحثين أن الحارث الرابع هو الذى استولى على دمشق وليس الحارث الثالث ، وكان ذلك فى حوالى سنة ٣٧ بعد الميلاد وتعد العملة التى ضربت فى أيام الحارث الرابع من خير ما ضرب من العملات فى أيام النبط ، ولم يعثر على عملة له ضربت فى مدينة دمشق فى المدة التى استولى فيها على تلك المدينة .

وفى هذا الوقت ، أى فى النصف الأول من القرن الأول للميلاد ، الذى حكم فيه الحارث الرابع ، حكم فى مكان من العراق ملك عربى هو ابياس حكم فى مملكة حدياب وكانت تقع فى الحضر ، فقد كان أكثر أهل الحضر (جنوب الموصل) من العرب وإن كتبوا بالآرامية شأنهم فى ذلك شأن أهل تدمر والبتراء . ثم أن بعض الكتب الكلاسيكية والعربية ذكرت صراحة أنهم كانوا من العرب .[٢]

-- ويذكر لنا سترابون أن هناك اعتبارين وراء هذه الحملة : أحدهما هو السيطرة على مداخل البحر الأحمر أما عن طريق كسب أهل الجنوب إلى صفة أو إخضاعه لهم . والاعتبار الآخر هو ما سمعه أغسطس أول الأباطرة الرومان عن الثروة الهائلة لهذه المنطقة التى تكثر بها الطيوب والتوابل . ولكن هذه الحملة فشلت بعد أن استمرت فى السير إلى الجنوب ستة أشهر كاملة ، قبل الوصول إلى هدفها . ويذكر سترابون الذى كان صديقا شخصيا لقائد الحملة اليوس جاليوس أن الوزير النبطى سيليوس هو الذى تعمد تضليل الحملة ؛ د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٤٢٦ - ٤٢٨ .

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

مالك الثانى :

هو ابن الحارث الرابع وحكم من سنة ٤٠ حتى سنة ٧١ بعد الميلاد . وعثر على اسم هذا الملك فى الكتابات المعروفة فى الحجر أى مدائن صالح ودونـــت فـــى السنة ٣٨ للميلاد .

رب - ايل الثانى :

المعروف باسم سوطر وحكم من حوالى سنة ٧٠ حتى ١٠٦ بعـــد الميـــلاد وعثر على اسمه فى العديد من الكتابات النبطية .

مالك الثالث :

آخر ملوك النبط ، وفى أيامه قضى تراجان فى سنة ١٠٦ بعد الميلاد علـــى استقلال هذه المملكة وجعلها تحت حكم حاكم سوريا كورنليوس بالما ، وأطلق عليـــها اسم " المقاطعة العربية "[١] وقد عرفت أسماء أكثر الحكام الذين تولوا منصب حـــاكم المقاطعة العربية " من رومان وبيزنطيين . وردت أسماؤهم مدونة على الآثار وفـــى الكتابات الأخرى التى عثر عليها فى مواضع متعددة مـــن هـــذه المقاطعـــة . يعـــد " دوشرى " المعبود الرئيسى عند النبط . وقد اشتهرت عبادته فى البـــتراء خاصـــة . وعبدوا أيضا اللات ومناه وهبل والعزى وذى الشرى وشيع القوم وغيرهم وذلك قبـــل الإسلام .[٢]

كانت العاصمة البتراء ، شرق الأردن جنوب البحر الميت على بعـــد ٣٠٠ كم من عمان ، وكانت تعرف باسم رقيم أو سلع الذى يعنى الصخرة التى تفصل بيـــن واديين ، وترجم الإغريق هذا الاسم إلى بترا ومنها جاءت التسمية البتراء وبتراء فـــى العربية والتى تعنى " صخر " . وتقع آثار المدينة وبقاياها فى وادى موســـى ، ومـــن

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٢) جرجى زيدان : المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٦٧ ؛ د. جواد علـــى : المرجـــع السابق ، ص ٦٠ .

آثارها الهامة الأثر المعروف باسم خزانة فرعون ، وقوس النصر ، وهياكل وقبور عدة ، بعضها على الطراز النبطى القديم ، وبعضها متأثرا بالفن المصرى أو الأشورى أو اليونانى أو الرومانى مما يدل على أن الأنباط احسنوا استخدام ما استطاعوا استيعابه من فنون الحضارات الخارجية المتنوعة التى اتصلوا بها . ونشاهد فى البتراء كتابات كثيرة ، منها ما هو مؤرخ يعود بعضها إلى ما قبل الميلاد وبعضها إلى ما بعد الميلاد ، أكثرها كتابات نبطية من نوع الكتابات التى تكتب بسرعة ، وبعضها لاتينية وأخرى يونانية. وقد منحت البتراء درجة مستعمرة رومانية فى أيام حكم الرومان كما يظهر من بعض العملات الرومانية التى عثر عليها .

وقد عثر فى " القرية " وهى أطلال مدينة قديمة تقع فى الحجاز على مسافة ٤٥ ميلا إلى الشمال الغربى من تبوك فى أرض حسمى وعلى كتابات نبطية ويونانية . ويظهر أن هذه المدينة كان لها شأن يذكر فى أيام النبط . كما عثر بالقرب منها على معبد وأن هذا المعبد كان قد شيده قوم ثمود فى أوائل منتصف القرن الثانى للميلاد .

ويرى بعض الباحثين أن " المقاطعة العربية " قد قسمت فى القرن الثالث للميلاد وفى أيام ديوقلسيان ، ودوقلسيانوس إلى مقاطعتين : مقاطعة شمالية عاصمتها بصرى ، وعرفت " بمقاطعة بصرى " ومقاطعة جنوبية وعاصمتها البتراء وعرفت باسم " مقاطعة البتراء " وبعبارة أصح " المقاطعة الحجرية " وتعرف بـ " العربية " أيضا . ثم تحولت البتراء إلى الديانة المسيحية فى القرن الثالث الميلادى وأصبحت إسلامية فى القرن السابع والقرون التالية . وبقيت مهملة حتى كشف عن آثارها العالم السويسرى بوركهارت فى عام ١٨١٢ . وكانت مصر من أهم المناطق التى ترددت عليها قوافل الأنباط التجارية حيث أدرك الأنباط أهمية التجارة كمورد أساسى لتنمية ثروتهم . ولهذا تنتشر النقوش النبطية فى صحراء مصر الشرقية بين وادى الحمامات ووادى عباد وعددها ٨١ نقشا مؤرخة من العصر البطلمى والرومانى . كما عثر على نقش نبطى فى منطقة تل الشقافية المجاورة للتل الكبير فى شرق الدلتا من

عصر البطالمة . كما عثر على نقش عبارة عن عقد حرره رجل يدل على استقرار جالية من الأنباط فى تل الشقافية فى العصر البطلمى .[١]

مملكة تدمر :

يتصل الحديث عن النبط والعرب الشماليين بالحديث عن تدمر المعروفة باسم بالميرا عند الغربيين الذين ورثوا هذه التسمية من الإغريق واللاتين وتعنى " مدينة النخل " .

كان أول من اشار إلى مدينة بلاميرا هو بلينيوس ، فذكر أنها مدينة شهيرة ولها موقع ممتاز ، أرضها خصبة ، وبها ينابيع وعيون ، تحيط بحدائقها الرمال ، وقد عزلتها الطبيعة عن العالم ببادية واسعة الأطراف . وقد ورد اسمها فى كتب " الكلاسيكيين " الذين عاشوا بعد بلينيوس .

ويعود الفضل فى حصولنا على معارفنا التاريخية عن تدمر إلى الكتابات التدمرية التى درسها المستشرقون وترجموها إلى لغاتهم وشرحوا ما جاء فيها ، وهى بالآرامية واليونانية ثم اللاتينية والعبرانية . وأكثر ما كتب عن المدينة يعود إلى ما بعد الميلاد .

كانت تمر بها القوافل وعلى اتصال بأسواق العراق وأسواق حوض البحر المتوسط وهذه التجارة هى التى أحيت المدينة . وكان أهل المدينة خليطا من تجار

---

(١) عن مملكة النبط بوجه عام ، راجع : د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٥ - ٧٠ ؛ جرجى زيدان : المرجع السابق ، ص ٨٥ - ٩٧ ؛ د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٤١٦ - ٤٣٢ ؛ د. توفيق برو : المرجع السابق ، ص ٩٩ - ١١٠؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم، ص ٤٩٣ - ٥٢٣؛ محمد عزه دروزه : تاريخ الجنس العربى ، الجزء الخامس، ص ٣٣٩- ٣٥٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، ص ١٦٢ - ١٦٦ .

ومزارعين . أما فى أطرافها وما فى حولها ، فكانوا أعرابا ورعاة . وأصبحت مدينة يونانية ثم خضعت للرومان وتواجدت بها حامية رومانية .

ويظهر من كتابة عثر عليها فى أحد المقابر أن القوافل التجارية كانت تمر فى حوالى سنة مئة قبل الميلاد بمدينة تدمر فى أثناء أسفارها بين مدينة دورا والشام . وتمكنت تدمر كما تمكنت البتراء من جمع الثروة والمال بفضل القوافل التى كانت ترسلها للاتجار أو لنقل البضائع . وقد اقتضت هذه الأعمال الواسعة تكوين علاقات سياسية واقتصادية مع الفرس والرومان والقبائل العربية فى البادية التى لم يكن من الممكن مرور قوافلها فى أرضها بسلام ما لم تدفع أتاوة سنوية للحماية والاستراحة فى مواضع متعددة من البادية .

استولى الرومان على المدينة فى حوالى سنة ٤١ سنة قبل الميلاد . ويمكن إرجاع تاريخ ظهور تدمر السياسى إلى العصر الإمبراطورى الأول ، ففيه دخلت فى نفوذ روما .

وقد زارها الإمبراطور هدريانوس ١١٧ - ١٣٨ م ومنحها لقب " هدريانا بالميرا " وهدريانو بوليس . وعثر على كتابة مدونة بالآرامية واليونانية يرجع تاريخها إلى سنة ١٣٧ بعد الميلاد ، أى إلى أيام هذا الإمبراطور ، جاء فيها ذكر لبعض الأحوال التجارية فى هذه المدينة أصدرها مجلس شيوخ المدينة لتنظيم التجارة ، وتثبيت الضرائب ، وكيفية الجباية وما إلى ذلك من أمور .

وكان لمجلس شيوخ المدينة سلطة سن القوانين والتشريع ، وله رئيس وكاتب وجملة أعضاء ، ويشرف على السلطة الإجرائية شيخان وديوان يتألف من عشرة حكام . أما السلطة القضائية ، فينظر فيها بعض الوكلاء .

وقد أصبحت تدمر بمثابة مستعمرة رومانية عليا ، فاكتسبت بذلك حق الامتلاك التام والإعفاء من الضرائب .

وبلغت أوج مجدها فى الفترة من ١٣٠ إلى ٢٧٠ بعد الميلاد . فإلى هذه الفترة ترجع معظم النصب والآثار العظيمة فى المدينة .

كان للانقلاب الذى وقع فى مملكة الفرس الحديثة أثر كبير فى حياة مدينة تدمر ، ونعنى بهذا الانقلاب : ثورة اردشير بن بابك بن ساسان على الملك ارطبان الخامس ملك الفرس ، وتأسيسه حكومة جديدة هى دولة الساسانيين عام ٢٢٦ م، فكان من نتائج ظهور هذه الدولة الساسانية تجدد الحروب بين الرومان والفرس .

أحسنت أسرة عريقة من اسر تدمر ، الاستفادة من هذه الحروب ، وجلب المغانم إليها ، والحصول على مركز عال لدى الرومان ، وزعيم هذه الأسرة هو أذينة من بنى السميدع ، ينسبه الطبرى إلى العماليق .

وكان أذينة من أسرة قديمة معروفة - تولى رجالها مشيخة تدمر والزعامة عليها ، واستطاعت بفضل تأييدها للرومان أن تكسب ود القياصرة وعطفهم عليها .

ووردت فى الكتابات التدمرية أسماء نفر من رجال أسرة أذينة وهم :

نصور ، وهبلات ، وخيران . ولما زار إسكندر سيفروس مدينة تدمر فى سنة ٢٣٠ - ٢٣١ ، كان خيران وهو ابن أذينة على رأس شيوخ المدينة ، لاستقباله . وكان أذينة قد اتخذ لقب ملك فى عام ٢٥٠ بعد الميلاد وجمع الناس حوله ، فأدرك الرومان ما وراء هذه الدعوة من خطر على مصالحهم ، فأوعز القيصر إلى روفينوس باغتياله ، فقتله وتخلص الرومان منه .

تولى من بعده خيران فى عام ٢٥١ ميلادية ولم يصطدم بالرومان فلما مات تاركا ولدا صغيرا ، لهذا خلفه أخوه أذينة فى إدارة شئون المدينة وكان شجاعا فارسا ألف حياة البداوة جريئا ، محبا للصيد . مما رفع مكانته عند الرومان فتلقب بلقب قنصل ، وأراد أذينة أن يأخذ بثأر أبيه فذهب إلى " والريانوس " شاكيا إليه ما فعله روفينوس بأبيه طالبا منه إنزال العقاب به ، أما القيصر فلم يأبه بهذه الشكوى . ولم يحسب لها حسابا ، فتضايق أذينة وفكر فى الاتصال بأعداء الرومان ، وهم الفرس . فلما بلغه نبأ زحف " والريانوس " على الفرس فى عام ٢٥٩ م وخيانة قائده مكريانوس وسقوط القيصر أسيرا فى أيدى الفرس على مقربة من " الرها " أرسل رسلا إلى سابور حملهم هدايا كثيرة وكتابا يظهر فيه رغبته فى مصالحته ومحالفته . فلما بلغ الرسل المعسكر الذى يقيم فيه الملك الفارسى ، وطلبوا مقابلته لإبلاغه

الرسالة ، استكبر عليهم وتجبر ، وأظهر عجبه من تجاسر شيخ على الكتابة إليه ، ومخاطبته مع أنه ملك الملوك وهو رئيس مدينة فى بيداء قفرة لا قيمة لها ولا أهمية .

فعاد الوفد كاسف البال خائفا مما قد يقوم به هذا الملك المغرور من عمل ضد مدينتهم . وقرر أذينة مواجهة هذا الملك فجمع القبائل وجعلها تحت إمرة ابنه هروديس وضم إليها فرسان تدمر بقيادة زبدا كبير قواده ، وسار على رأس جيش كبير قاصدا المدائن للانتقام من سابور الذى كان قد انشغل بغزو الأنحاء الشمالية وذهب أيضا لإنقاذ القيصر من الأسر ، وفى أثناء زحف أذينة على المدائن ، وصلته أنباء تغلب القائد الرومانى كاليستوس على الفرس وتشتت شملهم وهربهم ، فغير اتجاهه وأسرع إليهم لملاقاتهم . وقد أدركهم قبل تمكنهم من عبور نهر الفرات فالتحم بهم وتغلب عليهم ، وولى سابور مع فلول جيشه مذعورا تاركا أمواله فى أيدى التدمريين . وكتب أذينة إلى جاليونوس بن والريانوس يخبره بهزيمة الفرس ، وبإخلاصه للإمبراطورية ففرح القيصر وأنعم عليه بدرجة قائد عام على جميع عساكر المشرق وحثه على مواصلة الحرب لإنقاذ والريانوس والده من الأسر .

وتمكن أذينة من تحرير الجزيرة من الفرس . وفتح نصيبين وحران حتى وصل إلى المدائن وحاصرها ، ولكنه تراجع بسبب خروج مكريانوس القائد على طاعة القيصر وتنصيب نفسه قيصرا على آسيا الصغرى ومصر وفلسطين والشام . فأجبر هذا الانقلاب أذينه إلى الرجوع إلى مدينته عام ٢٦١م ، لاتخاذ موقف حاسم تجاه هذا الوضع السياسى الجديد . لأنه كان يكره مكريانوس ويخشى أن يستولى على ملكه إن تمكن من الحكم ، فقرر منازلته فاتجه إلى حمص ولكن مكريانوس قتل قبل وصوله وبعد ذلك اتجه إلى الجزيرة وتعقب الفرس وقبض على عدد كبير منهم ، فأعلنه الإمبراطور إمبراطورا على جميع أنحاء الشرق أى على الشام والجزيرة العربية وآسيا الصغرى عام ٢٦٤م . وضربت العملة باسمه وصور عليها أذينة ووراءه بعض اسرى الفرس وجعل تحت إمرته جميع القوات الرومانية المعسكرة فى الشرق ، وكلفه بالقضاء على فلول جيش مكريانوس وتطهير المقاطعات الرومانية

منهم . واختار أذينة لنفسه لقبا آخر محببا إلى نفوس الشرقيين هو لقب " ملك الملوك " .

وقام أذينة بعدة إصلاحات داخلية ، فمنع تعصب الوثنيين على المسيحيين واضطهادهم لهم ، ومنح كل طائفة حريتها فى ممارسة شعائر دينها ، وخول للمسيحيين حق بناء الكنائس حينما شاءوا . وتعقب اللصوص وقطاع الطرق من الجنود الهاربين وصمم إمبراطور الشرق وملك الملوك على إنقاذ القيصر والريانوس من أيدى الفرس ، وسار لمحاربة الفرس فى أوائل عام ٢٦٥ م ، وسار به إلى طيسفون عاصمة سابور فحاصرها أمدا ، وأظهر سابور استعداده لعقد صلح لولا اشتراط أذينة فك أسر والريانوس ، وهو شرط كان فى نظر الفرس جد عظيم .

ووقع حادث مهم اضطر أذينة إلى تبديل خططه العسكرية وترك حصار طيسفون ذلك هو انتهاز القوط فرصة محاصرة أذينة للمدائن وابتعاده عن آسيا الصغرى فعبروا البحر الأسود ونزلوا بميناء هرقلية ثم زحفوا على بيثينيه .

فلما علم القوط بمجئ أذينة هربوا إلى ميناء هرقلية مسرعين ، ومنه ركبوا إلى بلادهم وبينما كان أذينة فى حمص لإراحة الجنود والخيل ، أعد وليمة كبيرة حضرها قواده فانتهز معنى ابن أخيه حيزان هذه الفرصة ، فقتل عمه أذينة وابن عمه هيرودس وما كاد يتربع على العرش حتى انتقمت منه سيوف حمص عام ٢٢٦ - ٢٦٧م .

انتقل الملك بعد مقتل أذينة ومعنى إلى وهبلات بن أذينة من زوجة الزباء . التى تولت الحكم بعد ذلك وعرفت ملكة تدمر عند العرب باسم " الزباء " (زنوبيا) . أظهرت الزباء مقدرة فائقة فى إدارة شئون الملك ، فخاف منها الرومان وعزم جاليوس بتحريض من شيوخ روما على القضاء عليها . فأرسل جيشا إلى الشرق تظاهر أنه يريد من إرساله محاربة سابور غير أنه كان يريد فى الواقع مهاجمة تدمر وإخضاع الملكة . فاستعدت الزباء لمقابلته وخرجت له ، والتحمت فعلا مع كتائب الرومان وانتصرت عليها انتصارا باهرا .

ورأت الملكة الحذر من الفرس ، وذلك بتقوية حـدود مملكتـها ، فـأمرت بإنشاء حصن زنوبيا على نهر الفرات ، اتجهت أنظار الزباء إلى مصر ، ووضعـت الخطط للاستيلاء على هذا البلد بعد أن مهدت لنفسها الدعوة فيه بإعلانها أنها مصرية وأنها من نسل الملكة كليوباترا . فأمرت الزباء قائدها زبدا بالذهاب على رأس جيـش قوامه سبعون ألف رجل إلى مصر ، وقد قاتل الجيش الرومانى الذى كان مؤلفا مـن خمسين ألف مقاتل وتغلب عليه ، ثم قرر العودة إلى تدمر تاركا فى مصـر حاميـة صغيرة قوامها خمسة آلاف رجل ، ويظهر أنه تركها تحت إمرة تيما جينيـس الـذى عين نائبا عن الملكة على مصر . فلما سمع بروبوس بهجوم التدمريين وتغلبهم علـى الرومان ، أسرع فى العودة إلى مصر ، وألف جيشا من المصريين الموالين للرومان وزحف على الإسكندرية ، وأخذ يتعقب التدمريين . فلما سمعت الزباء بذلك أمـرت قائدها بالعودة ثانية إلى مصر ، فجرت معـارك بيـن الطرفيـن انتـهت بانتصـار التدمريين على بروبوس عند حصن بابليون بالقرب من الفسطاط وبذلك كتب النصـر لجيش الملكة فى مصر .

ولم تتحدث المصادر التاريخية عن حوادث جرت فـى مصـر بعـد هـذا النصر ، ولا عن موقف الرومان من هذا التطور الذى وقع فى منطقة خطـيرة مـن مناطق الإمبراطورية . ويبدو أن الملكة تراضت مع روما وعقدت اتفاقيـة معـها ، ووافقت روما على بقاء جيوش تدمر فى مصر ، مـع اعـتراف " تدمـر " بسـيادة الرومان على وادى النيل . وقد عقدت هذه الاتفاقية فى أواخر أيام حكم قلوديوس .

لم تفكر الزباء على ما يبدو ، فى نقل عاصمتها إلى مكان آخر . وقد عملت على تقوية تدمر وتحصينها ، وتعود معظم الآثار الباقية فيها إلى أيامها . وقد شـيدت مدينة أخرى على نهر الفرات لحماية حدودها من الشرق عرفت باسم زنوبيـة وهـو اسمها باليونانية .

وذكر أن الزباء كانت أديبة تحب العلماء والأدباء ، وأنها ألفت كتابا كتبتـه بخط يدها اختصرت فيه ما قرأته عن تواريخ الأمم الشـرقية ، وأنـها اسـتقدمت مشاهير الفكر إلى عاصمتها : مثل الفيلسوف الشهير كاسيوس ديونيسيوس لونجينوس

عام ٢٢٠ - ٢٧٣ م وجعلته مستشارا لها ، فأخلص لها فى مشورته ، فكان ذلك سببا فى قتله ، فقتله القيصر اوريليانوس . وكذلك الكاتب المؤرخ كليكراتيس الصورى ولوبر كوس اللغوى الفيلسوف وبوسانياس الدمشقى المؤرخ ونيكوماخوس من المؤرخين أيضا .

عاشت فى تدمر جالية كبيرة من اليهود تمتعت بممارسة شعائرها الدينية بكل حرية ، ونالت حقوق المواطنة التى كان يتمتع بها التدمريون ، جاءت إلى المدينة مهاجرة من فلسطين بعد تخريب القدس على أيدى القيصر تيتوس فى سنة ٧٠ م ، فاشتغلت فيها بالتجارة ، وحصلت على أربح طائلة جدا ، وصار لها فى المدينة اسم وشأن .

وعندما توفى قلوديوس سنة ٢٧٠ م وتوج أويليانوس قرر التدخل فى شئون الشرق والقضاء على حكم الزباء . فلما بلغ الملكة عزم القيصر من أصدقاء لونجينوس فى روما ، قررت القيام بعمل سريع ، فألغت الاتفاقية التى عقدتها مع الرومان أيام قلوديوس وأمرت بمحو صورة أوريليانوس من العملة ، وعدم اعترافها بسيادة روما السمية عليها ، وبضرب صورة وهبلات فحسب .

وتفاوضت الملكة الزباء على خطة من الملكة فيكتوريا عاهلة إقليم الغال ، لتوحيد الخطط فى مهاجمة القيصرية الرومانية واقتسامها ، وأمرت جيوشها بالسير إلى بيثينيه فاستولت عليها ، وظلت تتقدم حتى بلغت خلقيدون بالقرب من القسطنطينية ، ولكن الحامية التى تركتها فى مصر قد تعرضت للهزيمة فكانت هذه أول نكبة عظيمة تنزل بالزباء على يد الرومان ومنذ ٢٩ أغسطس من سنة ٢٧١ انقطع فى الإسكندرية ضرب العملة التى تحمل صورة الزباء ووهبلات .

قاوم أهل خلقيدون التدمريين ، وأبو التسليم لهم ، وأرسلوا إلى القيصر لينجدهم ، ويظهر أن الملكة عرفت حراجة وضعها العسكرى ، وعدم استطاعتها التقدم ، فقررت التراجع إلى مواضع جديدة تدافع فيها عن نفسها إذا هاجمها الرومان . وعبر القيصر مضيق البسفور وفاجأ التدمريين فى بيثينيه فى أواخر عام ٢٧١ م .

وأجلاهم عنها ثم سار إلى غلاطية حتى بلغ أنقرة ، فسلمت لـــه . وأخـذ الرومـان يتقدمون بسرعة إلى بلاد الشام .

وتهيأت الملكة الزباء لملاقاة أوريليانوس عند مدينة إنطاكية وكانت هى على رأس الجيش فارسة تحارب فى الطليعة . ولكنها انهزمت فـــى إنطاكيـة . وتعقـب القيصر اثر الملكة ففتح جملة مدن حتى وصل إلى حمص وهناك وجدها علـــى رأس جيش قوامه سبعون ألفا . وحلت الهزيمة بالجيش التدمرى واضطرت الزباء إلى ترك حمص والرجوع إلى عاصمتها تدمر للدفاع عنها .

ووصل القيصر بنفسه على رأس جيشه إلى تدمـر وحاصرهـا ، غـير أن المدافعين عنها قابلوه بشدة وصرامة برمى الحجارة والسهام والنيران علـــى جيشـه وبالشتائم والسخرية والتى كانت ترسل إليه من أعالى السور . وطلب منها القيصـــر الاستسلام والخضوع للرومان لتنال السلامة وتستحق العفو ولكنها رفضـت . وأرادت الملكة الاستعانة بالفرس ولكن لم يرسلوا إليها مددا ما بسبب الفتن داخل القصر بعــد وفاة سابور .

ودبرت خطة للهرب من المدينة وامتطت ناقة واتجهت نحو الفرات ، ولعلها كانت تقصد الوصول إلى حصنها زنوبية ومنه إلى الفرس . فأوعز القيصر إلى خيرة فرسانه بإقتفاء أثر الملكة والقبض عليها مهما كلفهم الأمر . فقبض عليـــها الفرسـان وعادوا بها إلى تدمر المدينة العنيدة التى أبت الخضوع لحكمهم والتسليم لهم .

وأحضرت الزباء أمام القيصر واعترفت بهزيمتها ، فقبض علـــى حاشـية الملكة السابقة ومستشاريها ومن كان يحرضها على معارضة الرومان وأخذ الزبـــاء ومن قبض عليهم معها وتوجه بهم إلى حمص ، ثم غادرها إلى روما ومعـــه الزبـاء وأبناؤها وعدد من الأسرى أرادا إلحاقهم بموكب النصر الذى سيقيمه عنـــد دخولـه العاصمة ليشاهدها الناس .

وكان قيصر قد ترك فى تدمر القائد سنداريون وعينه حاكما عليـــها ومعـــه ٦٠٠ جندى رومانى . وبينما كان القيصر فى تراقيه إذ جاءته الأخبار بوقوع ثـــورة فى تدمر وقرر العودة إلى الشرق لمعالجة الحال قبل فوات الأوان فوصل إلى تدمـــر

بسرعة وكان الثوار قد قتلوا سنداريون وفتكوا بالحامية . وكان التدمريون قد أقاموا انطيوخس ملكا عليهم وهو من أقارب الزباء . وعفا القيصر عن انطيوخس وأباح القيصر لجنوده تهديم أبنية المدينة ، فدكت الأسوار وهدمت القلاع وبعد هذا الانتصار عاد إلى روما فى سنة ٢٧٤ م فى موكب عظيم ومعه الملكة الزباء ومعها أحد أبناءها . وانتهى بها المقام إلى استقرارها فى بيت خصص لها فى تيبور مع أولادها ، وأن تعتزل السياسة وتنسى بلاد الشرق . وعاشت فى عزلة فى هذه البقعة من ايطاليا .

اشتهر التدمريون بحذقهم فى فن الرماية ، ولذلك استعان بهم الرومان . ولما سقطت تدمر احتفظ الرومان بالرماة فى جيوشهم ، واستخدموهم فى حروبهم فى شمال أفريقيا . وفى حوالى القرن الخامس ٤٠٠ م أصبحت تدمر مقاطعة تابعة لولاية فينيقية .

وعندما تولى القيصر بوسطينيانوس عام ٥٢٧ م أمر أرمينيوس بالذهاب إلى تدمر لترميم ما تهدم من المبانى وإعادة المدينة إلى ما كانت عليه . وأمده بالأموال اللازمة لهذا المشروع . كما أمره بتقوية حامية المدينة وتقوية أسوارها وقلاعها وقد اتخذ بعض ملوك الغساسنة تدمر منزلا لهم ومحل إقامة . ولم تزل على هذا الشأن حتى فتحها المسلمون سنة ٦٣٤ م .

وردت فى الكتابات التدمرية اسماء أصنام عديدة عبدها التدمريون ، بلغ عددها زهاء اثنين وعشرين ، منها ما هو معروف ومشهور عند العرب ، واسماؤها عربية . ومن هذه الأصنام : بل أى بعل ويرح بول وعجل بول واللات ورحم وشمس وعشتار وعنتر عند العرب الجنوبيين وملك بعل وعزيز وسعد وأب جل واشر وبعل شمين وجد بعل .

أما عن مدينة زنوبية على الفرات فى مكان يعرف اليوم باسم " الحلبية " فقد استولى عليها خسرو الأول فى حوالى سنة ٥٤٠ فدمرها ولما استرجعها يوسطنيايوس سنة ٥٣٧ - ٥٦٥ م ، أعاد بناء ما تهدم منها . ولم يبق من آثار عهد

تدمر فى الحلبية إلا مقابر خارج أسوار المدينة ، وبقايا مقابر . ولكن فى عام ٦١٠ م عبر شهر براز نهر الفرات واستولى على مدينة زنوبيا مرة أخرى .[١]

دولة الغساسنة :

يقول الأخباريون أن أصل الغساسنة من اليمن وأنهم ينتسبون إلى قبيلة الأزد ، وأنهم خرجوا من اليمن حينما تصدع سد مأرب ، وأقاموا فى سهل تهامة عند بئر يسمى غسان ومن هنا جاءت تسميتهم بالغساسنة . وأن الذى قادهم فى هذا الخروج هو جدهم الأكبر عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء .[٢] ويزعم الأخباريون أن الغساسنة زحفوا إلى منطقة حوران والجولان ووجدوا أن قبائل أخرى تسكنها وتعرف باسم الضجاعمة الذين أرجعهم النسابون إلى سليح بن حلوان من قضاعة . وعندما استقر الغساسنة فى تلك الأماكن أخذوا فى التحضر تدريجيا وبنوا القرى والمدن ومن أشهر مدنهم " بصرى الشام " .

وقد رأى الرومان أن من مصلحتهم الاستعانة بالغساسنة لحفظ أمن البادية فى الحرب ضد الفرس وأعوانهم المناذرة (مملكة الحيرة) فى العراق . وقد بلغت دولة الغساسنة أوج قوتها فى القرن السادس الميلادى .

---

(٢) عن مملكة تدمر بوجه عام، راجع : د. جواد على : المرجع السابق، ص ٧١ – ١٣٥ ؛ جرجى زيدان : المرجع السابق ، ص ٩٨ – ١٠٨ ؛ د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٤٣٢ – ٤٤٦ ؛ د. توفيق برو : المرجع السابق ، ص ١١١ – ١٢٢ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٥٣٣ – ٥٤٧ ؛ د. عفيف البهنسى : الاثار السورية (مجموعة أبحاث أثرية وتاريخية) ، ص ٣٦٩ – -٧٠ ، وعن أهم التقنيات الأثرية فى تدمر : المرجع السابق ، ص ٣٧١ – ٣٧٢ . وعن الزباء ، راجع : اميل حبشى : زينب ملكة تدمر ، ٤٢٦ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٥٤٧ – ٥٦٠ ؛ محمد عزه دروزه : تاريخ الجنس العربى ، الجزء الخامس ، ص ٣٥٦ – ٣٧٤ .

(٢) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ٢٠٩ – ٢٢٠ .

اختلف المؤرخون حول من أول ملك من ملـوك الغساسـنة . والواقـع أن تاريخ الغساسنة غامض ، وليس ثمة اتفاق فى التواريخ العربية على عـدد ملوكـهم فهناك من يقول أنهم أحد عشر ملكا ، وآخرون يقولون أنهم اثنان وثلاثون . وقد عنى نولدكه الألمانى الشهير بدراسة تاريخ دول الغساسنة من مصادر يونانية وسـريانية ، فوجد أن ملوكها الذين عرفهم الرومان لا يتجاوز عددهم عشرة ملوك ، أقدمهم حكـم فى آخر القرن الخامس للميلاد ، وآخرهم عند ظهور الإسلام فلا تتجاوز مدة حكمـهم قرنا وبعض القرن . ولا يعرف على وجه التحقيق ، وبشيء من التأكيد سوى تـاريخ خمسة من ملوكهم : (١)

جبلة بن الحارث :

روى عنه أنه غزا فلسطين عام ٥٠٠ ، لكن المعلومات عنه قليلة ولا يعرف عنه ما يستحق الذكر . وحكم بعده ابنه .

الحارث بن جبلة ويسمى أيضا الحارث الثانى (٥٣٩ - ٥٦٩ م) :

وقد لقب بلقب الأعرج ، وهو الذى حارب المنذر الثالث بن ماء السماء ملك الحيرة وقتله فى موقعة عين أباغ (يوم حليمة) . وأبلى بلاء حسنا فى قتال الفـرس ، فمنحه الإمبراطور جوستنيان لقب " **بطريق** " وهو يعنى قائد عشرة آلاف فى الجيـش البيزنطى ، ولقب **فيلارك** ويعنى رئيس قبيلة ، وقد ترجم العرب هذه الألقاب بمعنـى ملك . كان الحارث بن جبلة ذا شخصية قوية ومهابة عظيمة ، زار سنة ٥٦٣ م بلاط جوستنيان ليتداول معه فى شئون الإمارة ، ومنها قضية من سـيخلفه ، ومـا يجـب اتخاذه من تدبير لمواجهة خصمه القوى عمرو بن هند ملك الحيرة الجديد . وقد بلغت الإمارة الغساسنة فى عهده ذروة اتساعها ، فقد امتدت من قرب البتراء إلى الرصافـة شمال تدمر . واشتملت على البلقاء والصفا وحوران ، وأصبحت بصرى التى بنيـت كاتدرائيتها سنة ٥١٢ م العاصمة الدينية فى المنطقة . وكان الحارث الثانى من اتبـاع

---

(١) د. توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، ص ١٤٣ - ١٤٦ .

القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح (المنوفستية) . والحارث هذا هو الملك الذى روى أن امرؤ القيس الشاعر الكندى قد لجأ إليه كى يتوسط لدى الإمبراطور البيزنطى ليعاونه على الأخذ بثأر أبيه . وهو أيضا صاحب القصة المشهورة عن وفاء السموأل ابن عادياء الذى أودع امرؤ القيس لديه دروعه ، فأصر على رفض تسليمها لمندوبى الملك ولو كلفه ذلك قتل ولده .

وقد خلف الحارث الثانى ابنه :

المنذر بن الحارث (٥٦٩ - ٥٨١ م) :

الذى كان متطرفا فى تأييد مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح ، وقد حدث جفاء بينه وبين البيزنطيين بسبب ذلك ، إذ ارتاب الإمبراطور جوستين فى ولاء المنذر ، نظرا لتعصبه الشديد لمذهبه ، فكتب رسالة إلى حاكم سوريا البيزنطى يأمره فيها بالتخلص منه ،. لكن كاتب الإمبراطور أرسلها خطأ إلى المنذر . فحدث الجفاء ، وقطع الإمبراطور عنه الإمدادات مدة ثلاث سنوات متعاقبة ، فتمرد وغادر أرض الروم إلى البادية ، الأمر الذى أطمع المناذرة فى سوريا فهاجموها وأمعنوا فى غزوهم لها . وأوقعوا الرعب فى قلوب أهلها، مما حمل الروم على مصالحة المنذر، والتودد إليه لاسترضائه فعقد الصلح بين الطرفين فى مدينة الرصافة سنة ٥٧٨ م . فعاد المنذر إلى عرشه وتصدى لحرب المناذرة وانتصر عليهم ، وتمكن من بلوغ عاصمتهم الحيرة وأحرقها وكان ذلك فى عام ٥٨٠ م .

لكن الوفاق لم يلبث أن انقلب إلى جفاء مرة ثانية ، عندما تمادى المنذر فى مساعيه الهادفة إلى إعلان شأن مذهبه . فأصدر الإمبراطور أمرا سريا إلى حاكمه الجديد فى الشام – وكان صديقا للمنذر – بأن يحتال للقبض عليه ، فدعاه لحضور حفلة افتتاح كنيسة جديدة بنيت فى حوران ، وما أن وصل حتى ألقى القبض عليه ، وأرسل إلى العاصمة مع زوجته وثلاثة من أولاده . فوضعوا جميعا فى الأسر ، ثم جرى نفيهم إلى صقلية حيث قضى المنذر نحبه بعد حين فما كان من أولاد المنذر ، وعلى راسهم ابنه الأكبر النعمان إلا أن غادروا ديارهم ، وأعلنوا الثورة ، فاتخذوا البادية منطلقا لسلسة من الغارات ، شنوها على أراضى البيزنطيين فى الشام .

وأوعز الإمبراطور إلى حاكمه فى الشام بتجهيز حملة ، فلما رأى الحاكم صعوبة مهاجمتها فى البادية ، عمد إلى الحيلة وتمكن من إلقاء القبض على النعمان ، وأرسله أسيرا إلى القسطنطينية (٥٨٤ م) عندئذ تجزأت المملكة إلى أقسام متعددة يرأس كل منها أمير ، وتحالف بعضهم مع دولة الفرس ، وبقى بعضهم الآخر بجانب بيزنطة .

جبلة بن الأيهم (توفى عام ٦٣٦ م) :

آخر ملوكهم ، وهو الذى وقف مع الروم ضد خالد بن الوليد فى دومة الجندل وفى موقعة اليرموك (٦٣٦ م) . لكنه أسلم عقب هذه المعركة ، وانضم إلى العرب المسلمين ، ثم ارتد عن الإسلام بعد الحادثة المعروفة التى تروى عن وطء ازاره من قبل رجل عربى ولطمه له ، وعدم قبوله حكم عمر بن الخطاب الذى أعطى العربى حق القصاص من جبلة ، ولم يكن منه إلا أن هرب إلى القسطنطينية ، وقضى بقية أيامه فيها .

ومن أبرز مظاهر حضارتهم فن البناء إذ شيدوا المدن والقصور مثل القصر الأبيض وقصر المشتى وحارب . وبنو القلاع مثل قلعة الزرقاء والأديرة مثل دير الكهف ودير سعف . وكان فى دولتهم أكثر من ٣٠٠ قرية ومدينة . وأقاموا الحمامات العامة وأقواس النصر والمسارح مثل مسرح بصرى واتخذوا لهم عدة عواصم أهمها بصرى وجلق (دمشق) .

لقد خلدت فخامة بلاط الغساسنة فى دواوين عدد من شعراء الجاهلية الذين وجدوا فى أمرائه حماة أسخياء. وكان أحد هؤلاء الشعراء النابغة الذبيانى المشهور، فبعد أن تخاصم مع اللخميين نال عطف الغساسنة وثقتهم وأغدقوا عليه الكثير من ضمهم وكان يرد على ذلك بالتغنى بمدحهم . كما أمضى شاعر المدينة حسان بن ثابت قبل أن يصبح شاعر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما سعيدة فى بلاد الغساسنة وكان يدعى صلة القربى معهم . وقد أشار حسان بن ثابت إلى حياة الترف التى كان يحياها جبلة بن الأيهم فى كتاب الأغانى .[1]

---

(١) عن دولة الغساسنة راجع : د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ---

دولة المناذرة (أو مملكة الحيرة) :

المناذرة أو اللخميون نزحوا من بلاد اليمن حوالى منتصف القــرن الثــانى الميلادى بعد تهدم سد مأرب ونزلوا فى جنوب بلاد النهرين واستوطنوا مدينة الحـيرة جنوب العراق التى كانت من أهم أسواق العالم القديم . ويذكــر د. صــالح أن هــذه المملكة نسبت إلى تنوح تارة ، وإلى لخم تارة ثانية وسمى ملوكها بأسم بنـــى نصــر تارة ، واسم المناذرة تارة أخرى . وكان لقبائل تنوح دورها فى قلب شــبه الجزيــرة العربية . كما انتشرت بطونها فى بادية العراق والشام منذ القرون الميلادية الأولـــى . وكان الملك جذيمة من أوائل ملوك تنوخ . وامتد ملكه فيما بين الحيرة والأنبار وبقــه وهيث وناحيتها ... " . وفى عهد هذا الملك أو قبيل عهده طلب من الفرس أن يســمح لقومه بأن يقيموا على أطراف العراق . ولكن سرعان ما ضاق الفرس من كثرة مـــا جاءت به تنوخ من العرب ، فضيقوا عليهم الإقامة ، فمنهم من نزح ومنهم من بقـــى وكان منهم لخم وتراسهم حينذاك ملوك بنى نصر الذين جعل المؤرخون أوله عمـــرو ابن عدى واعتبروه من أقرباء جذيمة .[1] وأخذت المدن الحدوديـــة فـــى الاتســـاع ، فنشأت مدينة الأنبار (بمعنى المستودع) كمركز حدودى لامداد الحاميات العســكرية بالمؤن ، منذ القرن الميلادى الأول ، وقامت مدينة الحيرة بدور مشابه ويعنى اسمها " المخيم أو المعسكر أو الحصن " وانطلقت أقوام هذه المدن فى مرحلـــة ثانيـــة لكـــى يتزعموا من حولهم من العرب والأعراب ولكى يشغلون باديتى العراق والشـــام مـــا كانت تشغله من قبل مملكة تدمر .[2] ونجح ملوك الحيرة فى القيام بدورهم .

= ص ٤٤٦ - ٤٥٢ ؛ د. بيومى مهران : المرجع الســابق ، ص ٥٦١ - ٥٧٥ ؛ محمد عزه دروزه : تاريخ الجنس العربى ، الجزء الخــامس، ص ٣٧٧- ٣٩٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمـــة ، ص ١٧٧ - ١٨٢ .

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

وبلغت دولة المناذرة أقصى قوتها فى القرنين الخامس والسادس الميلادى .

أهم ملوك الحيرة : [١]

(١) عمرو بن عدى (من سنة ٢٦٨ ـ ٢٨٨ م) :

اتخذ عمرو من الحيرة منزلا خاصا به وبأهل دولتـه فـى أوائـل الدولـة الساسانية فعاصر بذلك سابور الأول .

(٢) امرؤ القيس بن عمرو (من سنة ٢٨٨ ـ ٣٢٨ م) :

أول من عثر رجال الآثار على اسمه منقوشا على قبره وفيه تاريخ وفاته فى خرائب النمارة فى حوران بالقرب من جبل الدروز ، وعرفت بكتابة النمارة . وكـان هذا الاسم منقوشا على حجر مربع الشكل بالكتابة العربية بخط نبطى ، وهى عبـارة عن شاهد قبر مؤرخ من سنة ٣٢٨ م . ويعد هذا النص اقدم كتابة عربيـة شـمالية منقوشة على الآثار . وفيها يذكر اسم امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الـذى تقلد التاج الملكى ، ويقول المؤرخون أن وجود قبره بعيدا عن موضـع ملكـه دليـل اتساع مملكته وخضوع البادية وأطراف الشام له .[٢]

وللنص أهمية بالغة من ناحية أخرى ، هى الناحية التاريخية ، فهو أول نص عربى شمالى يرد فيه اسم ملك عربى شمالى يجمع الجمع ، ويؤلف بيـن القبـائل ، ويعين نفسه ملكا عليها ، ويشير إلى معد ونزار ومذحج وأسد وإلى مدينـة اسـمها نجران صاحبها ملك اسمه شمر .

---

(٢) عن دولة المناذرة ، راجع : جرجى زيدان : المرجـع السـابق ، ص ٢٢٦ ـ ٢٣٩ ؛ د. توفيق برو: المرجع السابق ، ص ١٢٣ ـ ١٤٠؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٥٧٧ ـ ٥٩٧ ؛ محمد عزه دروزه : المرجـع السـابق ، ص ٤٠١ ، ٤٢٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربيـة فـى عصورها القديمة ، ص ١٦٨ ـ ١٧٦ .

(٢) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٣) عمرو بن امرئ القيس (٣٢٨ – ٣٧٧ م) :

كان ابنا للملك السابق . ولا نعرف عنه شيئا سوى أن أيامه كانت أيام سلم ورخاء .

(٤) أوس بن قلام (٣٧٧ – ٣٨٢ م) :

حكم خمس سنين فى أيام أردشير بن سابور ، حتى قتله أحد بنى نصر فعادت مقاليد حكم الحيرة إليهم .

(٥) امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس (٣٨٢ – ٤٠٣ م) :

هو أول من عاقب بالنار ، وحكم ٢١ سنة .

(٦) النعمان بن امرئ القيس الأعور السائح (٤٠٣ – ٤٣١ م) :

هو من أشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة عاصر فيها بعض ملوك الفرس وغزا بلاد الشام مرارا . وأكثر من المصائب فى أهلها .

(٧) المنذر بن النعمان بن امرئ القيس (٤٣١ – ٤٧٣ م) :

حكم حوالى ٤٤ سنة ، وذكر ملوك الفرس الذين عاصرهم ، وكان له الفضل فى معاونتهم فى حروبهم الكثيرة وبذل من التضحيات حدا كبيرا ، بالغ الأخباريون فجعلوا عدد الضحايا العرب فى الحروب مئات الألوف ، لاقوا حتفهم إما غرقا فى نهر الفرات ، أو فى ساحات الوغى إلى أن انتهت الحروب بصلح عقد عام ٤٢٢ م .

(٨) الأسود بن المنذر بن النعمان (٤٧٣ – ٤٩٣ م) :

اشتهر هذا الملك بمعركة حارب فيها الغساسنة وأسر بعض ملوكها .

(٩) المنذر بن المنذر ، أخوه (٤٩٣ – ٥٠٠ م) :

ليس له أحداث تستحق الذكر .

(١٠) النعمان بن الأسود (٥٠٠ ـ ٥٠٤ م) :

جاء فى كتب اليونان أنه قضى مدة حكمه القصيرة وهو خارج الحيرة يحارب الروم فى سوريا والجزيرة .

(١١) علقمة أبو يعفر (٥٠٤ ـ ٥٠٧ م) :

كان معاصرا لقباذ ، وليس له خبر يستحق الذكر .

(١٢) امرؤ القيس بن النعمان (٥٠٧ ـ ٥١٤ م) :

شأنه مثل شأن علقمة .

(١٣) المنذر بن امرؤ القيس بن ماء السماء (٥١٠ ـ ٥٣٣ م) :

هو أشهر ملوك الحيرة وأكثرهم عملا ، لأنه عاصر من ملوك الفرس قباذ وابنه انوشروان ، ومن قياصرة الروم جستنيان ، ومن الغساسنة الحارث بن جبلة ، وكلهم من كبار الرجال اجتمعوا فى عصر واحد . وفى ايامه فتح الأحباش بلاد اليمن على يد أبرهة .

(١٤) الحارث بن عمرو الكندى :

مدة حكمه داخلة فى مدة حكم المنذر .

(١٥) عمرو بن هند مضرط الحجارة (٥٣٣ ـ ٥٧٨ م) :

هو عمر بن المنذر بن امرئ القيس ، ويسمونه المحروق الثانى ، وبالغ فى العظمة والكبرياء حتى توهم فى نفسه الفضل على الناس كلهم ، وقد استغل ضعف كندة ليوسع نفوذه فيما يلى الحيرة من شبه الجزيرة العربية وحارب قبائل تميم وطئ وتغلب عليها وأخضعها .

(١٦) قابوس بن المنذر (٥٧٨ ـ ٥٨١) :

هو أخو عمرو بن هد . وكان ضعيفا ولم يكن له أى دور .

(١٧) فيشهرت " أو زيد " (٥٨١ – ٥٨٢ م) :

ليس له خبر يذكر .

(١٨) المنذر بن المنذر بن ماء السماء (٥٨٢ – ٥٨٥ م) :

وهو الذى قتل فى موقعة يوم حليمة[1] ، وفى حربه مع الحارث الثانى ملك غسان .

(١٩) النعمان بن المنذر أبو قابوس (٥٨٥ – ٦١٣ م) :

كان معاصرا لهرمز الرابع وكسرى ابرويز ، وبلغت الدولة فى ايامه منتهى الترف والرخاء اقتداء بالفرس .

والواقع أن الفرس قد تهيبوا فى المدة الأخيرة ملوك المناذرة ، الذين يظهر أنهم نزعوا إلى الاستقلال عن الغرب مدفوعين إلى ذلك بعواطفهم العربية ، لاسيما وأن كسرى قد لمس فى تصرفات النعمان بن المنذر بعض ما يعزز ظنونه ، إذ اتجه إلى توسيع نفوذه فى شبه الجزيرة العربية ، فامتد سلطانه إلى البحرين وجبل طيئ ، وتعددت مشاكله مع بعض القبائل . ومن وجهة أخرى أصبح بلاطه مكانا لتجمع الشعراء العرب ، والتف حول زعماء القبائل يحرصون على التقرب منه ، ويتنافسون فيما بينهم للحصول على ثقته بهم .

---

(١) هو اسم المكان الذى دارت فيه الحرب بين المنذر بن المنذر والحارث الثانى وكان يطلق على هذا المكان اسم مرج حليمة . وكان عرب العراق كافة تحت راية المنذر وعرب الشام كلهم تحت راية الحارث . فجعل الحارث ابنته زوجة لمن يقتل المنذر . فقتله لبيد بن عمرو الغسانى ، راجع : جرجى زيدان : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٢٠) إياس بن قبيصه (٦١٣ ـ ٦١٨ م) :

لما توفى النعمان عين كسرى إياس بن قبيصة مكانه ، وأمره بأن يجمع ما خلفه النعمان ويرسله إليه . بعدها هزم الفرس فى موقعة ذى قار فقد جرؤ العرب لأول مرة فى التاريخ ، على لقاء الفرس فى معركة ، وعلى الرغم من أن عددا من القبائل العربية كانت فى جانب الفرس ، غير أن شعورهم كان مع العرب وعلى أثر خذلان الفرس فى يوم ذى قار[1] ، أقصى إياس بن قبيصة عن حكم الحيرة ، إذ عده الفرس مسئولا عن الهزيمة ، بوصفه القائد الأعلى للجيش المحارب ويظهر أنه هرب من وجههم . ويقال أنه انفصل عن المعركة عندما أدرك الخسارة التى لحقت بجيشه ، وذهب إلى كسرى ، وأخبره أن النصر فيها للفرس ، خوفا من أن يخلع كتفه كما فعل بمن أتاه ذلك بأخبار سيئة ولاذ بالفرار ، فحكم الفرس الحيرة حكما مباشرا .

---

(١) تعتبر واقعة ذى قار أول معركة حقيقية بين العرب والفرس . فقد حدث أن سمع كسرى برويز أثناء حربه مع الروم أن النعمان ملك الحيرة له ابنة رائعة الجمال ، فأراد أن يتزوجها ولكن النعمان رفض بسبب دسيسة فغضب كسرى وقرر إرسال جيش لتأديبه . وبمجرد أن علم النعمان بهذا القرار ذهب إلى بنى شيبان وأودع ممتلكاته عند رئيسهم ، وقدم إلى كسرى طالبا الصفح والاعتذار ، لكن كسرى لم يقبل الاعتذار وقتله . ثم طلب بعد ذلك من زعيم الشيبانيين كل أموال النعمان فامتنع ، فأرسل كسرى جيشا كبيرا مكونا من الايرانيين والعرب وكان قوامه أربعون ألف رجل حتى ينفذوا أوامره ، وحدثت عدة معارك بين الجيش الفارسى والعربى وانتهى الأمر بأن فر العرب الذين كانوا فى الجيش الفارسى أثناء معركة ذى قار وهزم الجنود الفرس وقضى عليهم . ورغم صغر المعركة إلا أن لها نتائج هامة ، ذلك أن العرب عرفوا لأول مرة أنه يمكن التغلب على جيش الفرس . وقد حدثت هذه المعركة فى عام ٦١١ ميلادية ، راجع : حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم (ترجمة : محمد نور الدين عبد المنعم والسباعى محمد السباعى) ، ص ٢٨٣ .

(٢١) زاديه (٦١٨ - ٦٢٨ م) :

ليس له خبر يذكر .

(٢٢) المنذر بن النعمان المغرور (٦٢٨ - ٦٣٢ م) :

هو آخر ملوك الحيرة ، ونجح فى تأليف إمارة عربية مستقلة ، ولكنه قتل فى البحرين . وليس له من الأعمال ما تستحق الذكر .

ومهما يكن من أمر ، فإن نهاية المناذرة ونهاية الدولة الفارسية كانت على يد خالد بن الوليد ، حينما شرعت الجيوش العربية الفاتحة فى اقتحام دولة الفرس .[1]

---

(١) بعد معركة ذى قار فى عام ٦١١م ، توجه خالد بن الوليد قائد المسلمين ناحية الشمال فى عام ١٢ هـ (٦٣٣م) ودخل منطقة تقع بالقرب من الخليج والكويت الحالية ، وهى حدود إيران آنذاك ، وتعرف باسم الحفير . وهناك طلب من هرمز حامى حدود تلك المنطقة الدخول فى الإسلام أو دفع الجزية ، وعلى أثر ذلك طلب هرمز من خالد أن يتحاربا رجل لرجل أى يتبارز القائدان ، فقتل هرمز على يديه وهجم العرب بعد ذلك على الفرس وانتصروا عليهم . وقد أطلق على هذه المعركة اسم " ذات السلاسل " (ويذكر الطبرى أن الفرس أعدوا سلاسل حتى يقيدوا بها أسرى المسلمين) . وسلك خالد بعد ذلك طريق ساحل الفرات واتجه إلى أعلى ، ونشبت معركة ضارية فى اليس بين قوات الفرس والمسلمين ، وانتهى الأمر بانتصار المسلمين نصرا مؤزرا . وحدث بعدها أن طلب خالد فورا لقيادة جيش المسلمين فى مكان آخر . ووقعت بعد ذلك عدة معارك بين الفرس والمسلمين منها موقعة الحصر (فى ١٣هـ - ٦٣٤م) ومعركة القادسية والاستيلاء على المدائن (فى ١٤هـ - ٦٣٥م) ومعركة جلولاء (فى ١٦ هـ - ٦٣٧م) ، وموقعة نهاوند (فى ٢١هـ - ٦٤٢م) وبعد معركة نهاوند وخلال عشر سنوات مضت خضعت اصفهان وفارس واذربيجان والرى وسيستان ومكران وغيرها من الولايات للعرب، ==

واشتهرت الحيرة بقصورها الحجرية الفخمة مثل قصر الخورنق وقصر السدير وتركوا لنا الكثير من الأديرة التى لا تزال آثارها إلى يومنا هذا . وكان لهم الفضل الكبير فى إثراء اللغة العربية بالمفردات الفارسية وفى نقل الحضارة الفارسية إلى بلاد العرب . وكان أهل الحيرة يجوبون أرجاء الجزيرة العربية بالتجارة ويشتغلون بتعليم القراءة والكتابة وبذلك أصبحوا وسطاء فى نشر المعارف فى الجزيرة العربية .[1] كما ساعدوا على نشر المسيحية فى الجزيرة العربية على أثر اعتناق بعض ملوكهم الدين المسيحى بعد تركهم الوثنية .

مملكة الحضر :

نكرت الروايات العربية مملكة فى أعالى بلاد النهرين غربى الموصل كانت عاصمتها مدينة الحضر الواقعة قرب تكريت . وقامت هذه المملكة فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد . وقد وصفت مدينة الحضر بأنها كانت محصنة وكان فيها ستون برجا كبارا وبين كل برج تسعة صغار . وكان يمر بها نهر الثرثار وهو نهر عظيم عليه قرى وجنان . وكان موقعها يشتمل أيضا على أطلال قصر واسع .

ويروى الأخباريون أن الملك بالحضر كان لبنى العبيد بن الأبرص بن عمرو بن أشجع بن سليح ، وكان آخرهم " الضيزن بن معاوية بن العبيد " المعروف باسم الساطرون أو الضيزون . ويعد جماعة من الأخباريين الساطرين من العرب وأنه ملك جزيرة الفرات كلها إلى الشام ، وكان يغير على مملكة سابور بن اردشير

-- غير أن كل ولاية من هذه الولايات والمدن جمعت جيشا ودخلت حرب مع العرب سواء على حدودها أو فى داخلها ، ولكن الهزيمة كانت من نصيبها وحافظت طبرستان فقط على استقلالها . واستولى العرب على خراسان بعد استيلائهم على سائر ولايات بلاد فارس ، راجع : حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ ـ ٢٩٠ .

(١) د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام (السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى) الطبعة الثامنة ، ١٩٧٤ ، ص ٣٤ .

الفارسى . وكان هذا الأخير فى غيبة غابها إلى خراسان ، فلما عاد أخبر باعتداء الساطرون على ممتلكاته ، فزحف سابور ملك الفرس وحاصر عاصمة الحضر لمدة طويلة بلغت سنتين أو أربع سنوات ويقال أيضا أن سابور أغار على الحيرة ، وهزم أهلها ، فسار معظمهم إلى الحضر . ومما روته الروايات أن سابور قضى على أهل الحضر وأبادهم عام ٢٤١م وكان للضيزن بنتا اسمها النضيرة وتزوجها سابور وكانت جميلة شفافة البشرة فسألها بأى شئ كان يغذوك أبوك فقالت بالزبد والمخ وشهد الأبكار من النحل وصفو الخمر فقال لها " وأبيك لأنا أحدث عهدا وأوثر من أبيك الذى غذاك بما تذكرين " ثم ربط غدائرها بفرس جموح واستركضها فتقطعت قطعا .

وللحضر فى عهد الساطرون شأن لدى الأخباريين ، وقد جاء خبر سقوط الحضر من شعر الأعشى وشعر عدى بن يزيد العبادى . وأشار هذا الأخير إلى قصة سقوط المدينة وقصة حب ابنة الضيزن لسابور .[١]

ومن القبائل العربية الشمالية التى هاجرت من الجزيرة العربية إلى الشمال ، الصفويين الذين سكنوا منطقة الصفاة ، غير أنهم لم يكونوا قد اندمجوا فى أثناء تدوينهم كتاباتهم بالثقافة السامية الشمالية كما اندمج غيرهم مثل النبط ، بل كانوا لا يزالون محافظين على صلاتهم بالجزيرة ولاسيما بالعربية الجنوبية منها موطنهم القديم . وتعبر عن هذه الصلة بعض الخصائص اللغوية التى ترجع إلى أصل عربى جنوبى ، غير أنهم تأثروا بالطبع بمن اختلطوا بهم وبمن تحاوروا معهم من الساميين الشماليين أو العرب الشماليين . غير أن كلمة " الصفويون " لا تعنى شعبا معينا أو قبيلة معينة .[٢] وإنما هى اصطلاح أوجده العلماء ليطلق على الكتابات التى عثر

---

(١) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث ، ص ٤٥٨ - ٤٥٩ ؛ جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ١٩٧ ؛ محمد عزه دروزه : تاريخ الجنس العربى ، الجزء الخامس، صيدا - بيروت ، المكتبة العصرية، ١٩٥٩ ، ص ٣٩٩ - ٤٠١ .

(٢) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

عليها ، فى مواضع متعددة من اللجاة وحوران . ونقصد أنهم أناسا تركوا لنا كتابات متشابهة كتبت بقلم واحد ، ويظهر أنهم كانوا بين البداوة والحضارة مزارعين ورعاة لهم قرى ومزارع غير أننا لا نعرف من أمرهم شيئا كثيرا ، وقد تكون لهم مملكة لا نعرف من أمرها ولا من أمر ملوكها شيئا . وربما لا يكون لهم كل ذلك . وربما كانوا اتباعا للسلطة القائمة فى بلاد الشام تتحكم فيها بنفسها أو بواسطة ملوك أو أمراء أو مشايخ استمدوا نفوذهم من اليونان والرومان .[١]

أما بقية القبائل العربية الشمالية ، فعديدة ، نذكر أسماء بعض منها " الكلاسيكيون " وهى القبائل التى كانت لها اتصال باليونان وبالرومان ولاشك . وقد عرفنا أسماء عدد منها فى تاريخ بلينيوس وجغرافية بطلميوس ، كما ذكرت أسماء بعض آخر فى مؤلفات السريان وفى وثائق وسجلات المجامع الكنيسية وفى كتب التواريخ والأخبار أسماء القبائل التى عاشت قبيل الإسلام ، ومواطنها وعلاقاتها بعضها ببعض .[٢]

تاسعا : ما تركه العرب من كتابات ونقوش قديمة فى مختلف أنحاء الجزيرة العربية :

ترك لنا عرب الشمال كتابات مدونة بالقلم النبطى المتأخر ، وهى محدودة ومعدودة ولكن لها أهميتها فى مجال التراث الثقافى . فهناك ثلاث كتابات : كتابة النمارة وكتابة زبد وكتابة حران ، أضاف إليها د. شعبان ثلاث أخرى هى : نقش أم الجمال الأول ونقش أسيس ونقش أم الجمال الثانى .[٣] وعثر على أشكال للكتابة

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٤٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٧ - ٤٤٩ .

(٣) عن نظريات نشأة الكتابة العربية ، راجع : د. شعبان خليفة : الكتابة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء (القاهرة ، العربى للنشر والتوزيع ١٩٨٩) ، ص ٧٦ - ٩٣ ، وعن الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية التى اشتق فيها الخط العربى من النبطى (راجع المرجع السابق ، ص ١٠١ - ١١٣) ، ---

النمارة فى الحرة الشرقية من جبل الدروز ، بالقرب من الأماكن التى عثر فيها على الكتابات الصفوية . وهى تخص قبر الملك العربى امرؤ القيس (٣٢٨ م) . ولهذا النص ، على رغم ما فيه من أثر لغوى أرمى ، أهمية عظيمة فى دراسة اللهجات العربية قبل الإسلام ، فهو أول نص مكتوب بلهجة قوم لسانهم قريب من اللغة التى شرفها القرآن الكريم وخلدها بنزوله بها ، ولعله نموذج من نماذج هذه اللغة قبل ميلاد الرسول عليه الصلاة والسلام بنحو ٢٤٢ عاما .

ويرى العلماء فى هذا النص دليلا على انتشار لهجة أهل الحجاز التى هى لهجة هذه الكتابة وتقلص نفوذ اللغة الأرامية من الكتابة عند العرب فى القرن الرابع

-- وعن اشتقاق الخط العربى من الخط النبطى بين القرنين الثالث والسادس الميلادى (المرجع السابق ، ص ١١٨ – ١٣١) وعن النصوص الستة التى ظهرت قبل الإسلام والتعليق عليها وتحليلها وهى :

- نقش أم الجمال الأول (ويرجع إلى منتصف القرن الثالث الميلادى) .
- نقش النمارة (حوالى ٣٢٨ م) .
- نقش أسيس (حوالى ٤٢٣ م) .
- نقش زبد (حوالى ٥١٢ م) .
- نقش حران (حوالى ٥٦٨ م) .
- نقش أم الجمال الثانى (نهاية القرن السادس الميلادى) .

(راجع : المرجع السابق ، ص ١٣٢ – ١٤١)، وعن انتشار الخط العربى فى الحجاز قبل الإسلام وبعده (المرجع السابق ، ص ١٤٢ – ١٥٢) ثم تحدث عن الاعجام فى الكتابة العربية (المرجع السابق ، ص ١٦٤ – ١٧٥) ثم تفرع الكتابة العربية إلى خطوط وأقلام (المرجع السابق ، ص ١٨١ – ١٩٦) ثم تحدث عن الكتابة العربية فى مرحلة الارتقاء والرفاهية وأقلام الكتابة (المرجع السابق ، ص ٢٠٦ – ٢٢٠) ؛ وراجع أيضا محمد عزه دروزه : تاريخ الجنس العربى : الجزء الخامس ، صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٥٩ ، ص ٣٤ – ٤٧ .

الميلادى . وبدأ أصحابها بالتدوين باللغة التى كانوا يتكلمون بـــها ، واتخذوهـــا لغـــة ولسان ولغة كتابة فى آن واحد بعد أن كان للعرب الشماليين لسانان : لسان تدويـــن وهو بالأرامية ، ولسان بيان وهو باللهجات القبيلية المحلية .

أما كتابة زبد ، فمكتوبة بثلاث لغات : اليونانية والسريانية والعربية ويرجـع تاريخها إلى عام ٥١٢ ميلادية ، أى القرن السادس الميلادى ، وهو القرن الذى ولـــد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم . وزبد خربة تقع فى جنوب شرقى حلـــب . وهـــى كتابة قصيرة اشتملت على أسماء رجال أسهموا فى بناء كنيسة ، فكتبوا أسماءهم على حجر وضعوه فيها على عادة أصحاب المقابر . وهى لغة تفيدنا فـــى دراســة الخــط العربى وكيفية تطوره ، أما نص حران ، الذى عثر عليه فى حران جنوب دمشق فقد كتب بلغتين باليونانية والعربية ويرجع تأريخه إلى سنة ٥٦٨ ميلادية وقد كتب علـــى حجر وضع فوق باب كنيسة . ويلاحظ أن كتابة حران كتابة عربية نقية وهى قريبـــة جدا من القلم العربى الشمالى الذى دون به القرآن الكريم والكتابة خالية مـــن النقــط والحركات كالكتابات الإسلامية فى صدر الإسلام .

كما أن هناك مخربشات ونقوش منتشرة فى أنحاء مختلفة من شبه الجزيـــرة العربية . ومهما يكن من أمر فإن هذه النقوش تنطوى على دلالة ثقافية هامـــة وهـــى المام كثير من أبناء القبائل العربية التى كانت تتجول فى أطراف بـــلاد الشـــام فـــى دروب العروبة الصريحة بالقراءة والكتابة خلافا لما يعتقد البعض . وهى الدلالة التـــى تدل عن أسماء أشخاص وأسماء معبودات . والظاهر من هذا أن الذين دونـــوا هـــذه النقوش كانوا يدينون بتعدد المعبودات أسوة بمعظم أهل جنـــوب الجزيـــرة العربيـــة وشمالها ومن المحتمل أن يكونوا من قبائل تمت إلى الجزيرة العربيـــة أو أطرافـــها . كما تتحدث بعض هذه النقوش عن أحداث تاريخية ولكن أسلوبها لا يساعد على تعيين ظروف كتابتها . ومن النقوش ما قصد به تخليد زيارة لمكان أو تسجيل حيازة حصان أو جمل .[١]

----

(١) عن النحت والمخربشات فى شبه الجزيرة العربية ابتداء من القسم الشمالى ==

عاشرا : أما عن العلاقات القديمة التى كانت بين شبه الجزيرة العربية ومصر فنقول أنه كانت هناك بعض التاثيرات المصرية فى بعض المظاهر الثقافية فى الجزيرة وقد قام د. عبد المنعم عبد الحليم بثلاث دراسات هامة وتفصيلية عن :

- " الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها فى النقوش القديمة فى مصر " وتحدث فيه عن مفهوم كلمتى تا – نثر وبونت كاسمين مترادفين ، أطلق أولهما على الصحراء الشرقية على المنطقة الممتدة بمحاذاة النيل .(١) كما ناقش أسماء أخرى أطلقت على قبائل جنوب سيناء .(٢)

- " الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية فى الجزيرة العربية قبل الإسلام " .(٣)

- " صلات الأنباط بمصر من خلال النقوش النبطية على صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية " .(٤)

-- الغربى من شبه الجزيرة ، راجع : د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ١٣٨ – ١٤٠ ؛ وعن النقوش الثمودية المنتشرة على امتداد واسع يشمل وسط شبه الجزيرة (راجع : المرجع السابق ، ص ١٤٨ – ١٤٩) وعن نقوش العلاقات الخارجية لشبه الجزيرة (راجع : المرجع السابق ، ص ١٥١ – ١٥٥) .

(١) قمنا بعمل دراسة عن " بونت وتا – نثر وأثر منتجاتهما فى الحياة اليومية فى مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى العصر البطلمى – الرومانى " فى مجلة التاريخ والمستقبل التى يصدرها قسم التاريخ – كلية الآداب جامعة المنيا ، العدد الثانى ، شهر يوليو ١٩٩٩ ، ص ١ – ١٠٣ .

(٢) نشر هذا البحث فى كتابين : د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣ ، ص ٤٠٣ – ٤١٢ ؛ " مصادر تاريخ الجزيرة العربية " الجزء الأول ، ص ٣٠ – ٤٥ .

(٣) نشر هذا البحث فى كتابين : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤١٨ – ٤٤٠ ؛ " الجزيرة العربية قبل الإسلام " ، ص ٣٥٣ – ٣٨٥ .

(٤) نظر هذا البحث فى مؤلفين : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ – ٤٨٠ ؛ مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، المجلد الأول ، ١٩٨١ ، ص ٤٢ – ٦٣ .

تاريخ اليمن القديم وبعض مظاهره الحضارية



تاريخ اليمن القديم
وبعض مظاهره الحضارية القديمة
(المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة العربية)

مقدمة جغرافية :

تقع اليمن فى الطرف الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية ، وجعلها موقعها الممتاز تتحكم فى مدخل البحر الأحمر من الجنوب والتحكم فى سبل وقوافل التجارة مع الهند . فمنذ القدم اشتهرت بلاد اليمن بذلك الموقع التجارى الهام ، حيث أنها تطل على البحر الأحمر وبحر العرب ، وفيها تلتقى الطرق التجارية التى تصل بين جنوب شرقى آسيا وشرق أفريقيا وغرب آسيا .

كما عرفت بتربتها الخصبة ، ووفرة مياه أمطارها الصيفية ، مما ساعد على إنتاج محاصيل كثيرة من الفواكه والخضر والحبوب كما تتدرج طبيعة أرضها الجبلية فى الارتفاع عن مستوى البحر عند السهول الساحلية . وتقع اليمن فى المنطقة الصعبة من ناحية المناخ ، فيما عدا السهول التى تحف بالساحل أو المناطق التى تقع على ساحل البحر الأحمر ، فنجد أن المنطقة تعيش طوال العام تقريبا فى حر شديد وتتمتع مناطق الهضاب العليا والتى تعد أعلى المناطق فى شبه الجزيرة العربية (٣٧٦٠ مترا ارتفاعا) بطقس معتدل ، وهى تتمتع بالإضافة إلى ذلك بهبوب الرياح الموسمية التى تجلب الأمطار الموسمية التى تسقط فى فصل الصيف ، وهى من الغزارة بحيث يبلغ متوسطها ١٠٠ سم مما أدى إلى تسمية تلك المناطق باسم " الخضراء " وقد أدت خاصية سقوط الأمطار بغزارة فى مناطق كثيرة فى شرق اليمن إلى إقامة العديد من السدود .[١] لكل هذه الظروف المناخية كانت اليمن من أكثر

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٦٩ .

المناطق العربية جذبا للسكان .

فقد سكنها العرب الباقية (القحطانيون) منذ مئات السنين وأسسوا دولا فيها أقامت حضارات مزدهرة فى مختلف المجالات .

قام المؤرخون والرحالة اليونان والرومان بالكتابة عن الممالك التى كانت فى جنوبى الجزيرة العربية مع وصف لها ، كما ذكروا الكثير من حاصلاتها وتجارتها ، ومنهم ثيوفراستوس وسترابون واراتوسثينيس وارتميدورس واجاثا رشيدس وبلينى ومؤلف كتاب بريبلوس والجغرافى بطلميوس .[١]

أولا : أهم الرحالة الذين زاروا اليمن والأبحاث الأثرية التى قاموا بها :

بدأ الاهتمام لمعرفة آثار جنوب الجزيرة العربية فى أواسط القرن الثامن عشر ويرجع سبب ذلك إلى أن الأوربيين فى أسفارهم إلى الهند سمعوا ما يتناقله أهل شواطئ اليمن وحضرموت عن آثار تلك البقاع وما عليها من كتابات قديمة . وربما كان العالم " **ميخايلس** " هو أول من وجه الأنظار إلى بلاد العرب وإلى الصلات القوية التى تربط بينها وبين العلوم المتصلة بالكتاب المقدس ، ومن ثم فقد أقنع " فردريك الخامس " ملك الدانمارك ، بإرسال بعثة علمية إلى بلاد العرب ، تحركت من ميناء كوبنهاجن فى ٤ يناير ١٧٦١ م ، ووصلت إلى ميناء القنفذة فى ٢٩ أكتوبر ١٧٦٢م ، غير أن النكبات بدأت تحل بها يوما بعد آخر ، حتى لم يبق من أعضائها على قيد الحياة ، غير الضابط الصغير " **كارستن نيبؤور** " الذى أخذ على عاتقه تنفيذ الخطة التى رسمت للبعثة ، ومن ثم فقد قرر ألا يعود إلى وطنه إلا بعد أن يحقق هدف البعثة ، ولم يعد إلى كوبنهاجن إلا فى عام ١٧٩٧م .[٢]

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤١ ؛ د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) القاهرة ١٩٩٢ ، ص ١٥ - ١٩ .

(٢) عن هؤلاء الرحالة وما قاموا به من أبحاث ودراسات ، راجع د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٥٦ - ١٦٨ .

وما زالت المعلومات التى دونها " نيبؤور " مرجعا أساسيا عن اليمن حتى الآن ، فضلا عن أنه لفت أنظار العلماء إلى الخط " المسند " والأرقام العربية ، إلى جانب ما قدمه من خرائط لأماكن مجهولة فى اليمن ، هذا وقد وضع هذا الرحالة كتابا عن رحلته باللغة الألمانية ، وظهرت له أكثر من ترجمة بالفرنسية والإنجليزية .

شجعت رحلة " نيبؤور " العلماء على مواصلة البحث على النقوش فى جنوب الجزيرة العربية . ففى عام ١٨١٠ م ، وصل الألمانى جاسبار سيتزن إلى ظفار ونجح فى العثور على النقوش التى أشار إليها " نيبؤور " وفى نسخ خمسة نقوش بالقرب من نمار التى تعتبر أولى النقوش التى عثر عليها فى جنوب الجزيرة . وفى عام ١٨٣٤م ، جاء جيمس ولستد إلى حصن الغراب ونسخ نقش وجده مسجلا على جدرانه ، يرجع تاريخه إلى عام ٥٢٥م ، ثم واصل رحلته حيث عثر فى نقب الهجر على بقايا مدينة أو حصن .

وفى عامى ١٨٣٥م و ١٨٣٨م ، تمكن كل من " هوتن " و " كروتندن " و " مايكل " من تسجيل عدد كبير من النقوش ، وخاصة ما سجله مايكل ساعد على حل رموز الخط المسند . وفى عام ١٨٤٣م ، تمكن الألمانى فون فريده من اكتشاف بقايا حائط قديم فى وادى أوبنه عليه نقش حضرمى عرف باسم " نقش أوبنه " . وفى هذا العام قام الصيدلى الفرنسى جوزيف أرنو بزيارة خرائب صرواح وفحص بقايا أسوار فى مأرب ، وكذا معبد المقة ، إله القمر ، والذى يطلق أهل اليمن عليه اسم " محرم بلقيس " هذا إلى جانب نقله لـ ٥٦ نقشا سبئيا رآها هناك . وقام فرنل القنصل الفرنسى فى جدة بنشر هذه النقوش فى عام ١٨٥٤ .(١)

وفى عام ١٨٦٠م نجح الضابط الإنجليزى " كوجلان " فى شراء مجموعة كبيرة من النقوش ، عثر عليها فى أنقاض مدينة عمران عام ١٨٥٤ . وفى تلك الأثناء نجح العلماء فى فك رموز هذه الكتابات وأطلقوا عليها اسم " الحروف الحميرية " ، ولكن سرعان ما تبين لهم أن هذه النقوش ليست كلها حميرية ، وأن

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢٣ .

بعضها نصوص معينية ، وبعضها الآخر سبئية .

وفى عام ١٨٦٩م رأت أكاديمية التسجيلات وعلم الأدب فى باريس إصدار موسوعة عن النقوش السامية ، واختير المستشرق الفرنسى اليهودى جوزيف هاليفى لرئاسة بعثة إلى اليمن ، لتزويد الموسوعة بنقوش جديدة وزار كل جهات اليمن فى عام ١٨٧٠م بما فى ذلك مأرب والجوف ونجران ، الأمر الذى لم يتحقق لغيره من قبل ، وأخيرا عاد إلى فرنسا ، ومعه ٦٧٦ نقشا . وكان من أهم اكتشافات هاليفى ، هى العثور على خرائب قرناو عاصمة دولة معين ، والمعروفة اليوم بمعين .

وفى عام ١٨٨٢م ، قام المستشرق النمساوى **سيجفر لانجر** المتخصص فى اللغة العربية برحلة إلى اليمن ، حيث عثر على نقش حميرى هـا بـالقرب من " ظران " . كما تمكن من نسخ عدد من النقوش فى صنعاء وعدن . وفى أعوام ١٨٨٢ و ١٨٩٢م ، قام **ادوارد جلازر** بأربع رحلات إلى اليمن ، وكان أستاذا للغة العربية بفرنسا ، وعلى الرغم من أنه يهودى ، فقد ادعى الإسلام وارتدى زى علماؤه وسمى نفسه " الحاج حسين " . وكانت رحلته الأولى فى مارس ١٨٨٢م ، زار فيها أواسط اليمن ، وعاد إلى فرنسا فى عام ١٨٨٤ ، ومعه ٢٥٠ نقشا ، ثم كانت رحلته الثانية ، بين عامى ١٨٨٥ و ١٨٨٦م ، وقد اهتم فيها بالمنطقة الواقعة بين عدن وصنعاء ، كما زار ظفار ونسخ عددا كبيرا من النقوش المعينية ، وقد أضيفت فيما بعد إلى ممتلكات المتحف البريطانى . وفيما بين عامى ١٨٨٧ و ١٨٨٨ ، قام برحلته الثالثة ، التى زار فيها مأرب ورسم خرائط لآثار القنوات والسدود القديمة ، فضلا عما قدمه من وصف للآثار للمناطق التى زارها . وفى رحلته الرابعة فى أعوام ١٨٩٢ ـ ١٨٩٤م ، نراه يستعين بالأعراب فى نسخ النقوش القديمة فى مناطق الجوف ، ومن ثم فقد تيسر له جمع مئات من النقوش نقش صرواح الذى يرجع إلى أقدم عصور مملكة سبأ ، فضلا عن مجموعة من العملات العربية القديمة ، ضمت إلى مقتنيات متحف الفنون بفيينا ، كما نشر الكثير منها . واهتمت أكاديمية الفنون بفيينا بنتائج رحلات جلازر ، فقررت عام ١٨٩٨ ، إرسال بعثة إلى اليمن ، يشرف عليها " موللر " و " لندبرج " فذهبت إلى حضرموت لزيارة الخرائب

القريبة من " شبوه " ، وتمكن من نسخ بعض النقوش فى " نقب الهجر " و " أوبنه " و " حصن الغراب " .

وتوقف النشاط العلمى فى اليمن فى فترة الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ولكن ما أن وضعت الحرب أوزارها ونال اليمن استقلاله ، حتى أغلق الإمام يحيى الأبواب أمام البعثات العلمية والمغامرين سواء بسواء ، وذلك إبان الصراع الذى نشأ بينه وبين الإنجليز ، بشأن قضايا عدن والمحميات ، إلا أن الرجل كان حريصا على الكشف عن آثار بلاده ، ولكن بطريقته الخاصة . وهكذا - وعلى نفقة ولى العهد - بدأ البحث من جديد عن آثار اليمن ، ففى عام ١٩٣١، ١٩٣٢ ، قام كل من **كارل رايتز وفون فيسمان** برحلات الحبشة وحضرموت . وقاما بأول حفائر فى منطقة النخلة الحمراء وغيمان وحقه شمالى صنعاء ، وقد نشرا نتيجة أبحاثهما فى مؤلف يعد من أفضل الكتب عن اليمن ، وهو كتاب فى ثلاثة أجزاء ، خصص الجزء الثانى منه لآثار اليمن .

وفى عام ١٩٣١ تمكن الرحالة الإنجليزى **برترام توماس** ، والذى كان وزيرا للمالية فى حكومة سلطان مسقط ، من زيارة عدة أماكن بعيدة ، تمكن فيها من اجتياز الربع الخالى ، أو مفازة كما كان يعرف ، فى ٥٨ يوما ، فكان أول أوربى جرؤ على اجتياز هذه المنطقة .

وتابع **جون فلينى** ما قام به توماس فى ١٩٣٢م وزار عدة أماكن حتى وصل إلى بلدة سليل فى منتهى وادى الدواسر ، وفى هذه الرحلة زار عسير ونجوان وشبوه وتريم والشحر . وفى عام ١٩٣٦م سمحت الحكومة اليمانية للصحفى السورى **نزيه مؤيد العظم** بزيارة مأرب ، ومن ثم فقد حصل على معلومات ذات قيمة ، وفى العام نفسه ١٩٣٦م ، أرسلت جامعة القاهرة بعثة علمية إلى جنوب الجزيرة تحت رئاسة عالم الجغرافيا الراحل د. سليمان حزين ، كانت مهمتها دراسة المنطقة من نواحيها الجغرافية والزراعية والجيولوجية ، وكذا دراسة النقوش السبئية ، إلا أن نشاط البعثة الأثرى اقتصر على المنطقة المحيطة ببلدة ناعط . وقد نشر د. سليمان حزين و د. خليل نامى بعضا من نتائج البعثة . وفى عام ١٩٣٧ قامت ثلاث

إنجليزيات هن : كيتون طومسون ومسز جاردنر وف. شترك برحلة إلى حضرموت ونجحن خلالها من الكشف عن معبد معبود القمر فى وادى عمد ، كما عثرن على عدد من النقوش . وقد ظهرت نتائج الرحلة فى كتاب أصدرته كيتون طومسون .

وكان هناك غير هذه الرحلات العلمية، رحلات سياسية المظهر والغرض، كتلك التى قام بها هارولد وانجرامز ، وقد أفادتنا من الناحية الجغرافية ، وزادت معلوماتنا عن حضرموت . وفى عام ١٩٣٨ قام هاملتون برحلة إلى شبوه ، هذا إلى جانب رحلات تزيجر فى عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦م ، إلى بلاد العرب السعيدة .

وفى العام نفسه ١٩٤٥م ، غزت أسراب الجراد اليمن واستعانت حكومة الإمام يحيى بمصر طالبة منها العون فى رد هذا الكرب ، فأرسلت جامعة القاهرة أ. محمد توفيق لدراسة هجرة الجراد فى بلاد العرب ، والبحث عن وسيلة لإنقاذ اليمن منها ، وينتهز أ. محمد توفيق الفرصة ، فقام بزيارة آثار الجوف ، ونقل كثيرا من النقوش وأخذ لها صورا فوتوغرافية .

وفى عام ١٩٤٧ قام أستاذ تاريخ مصر والشرق القديم الراحل د. أحمد فخرى بأول رحلة له إلى اليمن ، زار فيها مناطق صرواح ومأرب وما حولهما . وعثر أثناء هذه الرحلة على ٢٠ نقشا جديدا لم تكن معروفة من قبل كما أخذ مجموعة من الصور " الفوتوغرافية " لكل ما رآه من آثار ، وكانت مجموعته هذه أول صور فوتوغرافية وافية تنشر عن سد مأرب والمعابد المختلفة . وقد نشر نتائج رحلته هذه فى بضع مقالات وفى كتاب أصدره بعد ذلك . وفى عام ١٩٤٨ قام د. فخرى برحلته الثانية ، زار فيها مأرب وآثارها للمرة الثانية ، ونقل نقوشا جديدة لم تكن معروفة من قبل .

وفى الفترة ما بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٥٢ قامت بعثتان علميتان من مؤسسة دراسة علم الإنسان فى أمريكا برئاسة وندل فليبس ، ضمت بين أعضائها الأثرى المشهور وليم أولبريت . واتجهت البعثة الأولى للحفر فى بيجان بحضرموت ، واتجهت الثانية إلى اليمن . إلا أن بعثة فيلبس كانت للأسف غير موفقة فى صلتها بالحكومة اليمنية ، ومن ثم فلم تتمكن من إتمام حفر المساحة الأمامية لمعبد

محرم بلقيس على مقربة من مأرب ، ولكن الأسابيع القليلة التى قضتها البعثة هنــاك كانت كفيلة بإظهار كثير من المبانى والنقوش الجديدة ، التى تخــص تـاريخ قتبـان وسبأ ، فضلا عن حفائرها فى تل هجر بن حميد الذى كشفت فيه عن كثير من الفخار الذى يرجع إلى ما قبل الميلاد بألفى سنة ، كما كشفت عن معابد وبقايا قصــور فــى تمنع عاصمة قتبان القديمة والتى يتجه البعض إلى أنها خربت لأول مرة فى حوالــى عام ٢٥ ق. م ، وأما فى مأرب فقد كشفت البعثة عن معبد لمعبود القمر ، وعن ســد مأرب ، وعن خرائب ترجع إلى القرن السابع ق. م . وفى عــام ١٩٥٢م ، كـانت هناك بعثة جامعة الدول العربية فى صنعاء ، التى كانت تقوم بتصوير المخطوطـات العربية النادرة فى اليمن ، وهنا طلبت حكومة اليمن من الدكتور خليل نامى ، رئيـس البعثة والأستاذ بجامعة القاهرة ، والمتخصص فى النقوش اليمنية أن ينضم إلى لجنــة فحص ما تركه الأمريكيون ، وتقديم تقرير عما قاموا به من حفائر ، ومن ثــم فقـد تيسر له أن يزور المنطقة ، وأن يأخذ لها كثيرا من الصور الفوتوغرافية .

وفى عام ١٩٥٩ قام د. أحمد فخرى برحلته الثالثة إلى اليمن ، ونجح فيــها فى الوصول إلى موقع معبد فى منطقة المساجد ، وهو معبد كبير فى حالة لا بــأس بها ، ولم يسبق للأثريين من قبل زيارته . وقام الأستاذ أحمد شــرف الديــن بعـدة جولات فى مناطق الآثار فى اليمن ، زار فيها مأرب والجوف وظفار وبيجان والحـدأ ونمار ورادع وهمدان وارحب ، عاد منــها وفــى حوزتــه مئـات مــن الصــور الفوتوغرافية والنسخ الخطية والأبحاث والخرائط . وأصدر أول كتاب له عــن لغــة المسند فى عام ١٩٦٨ ، متضمنا تراجم عدد من النقوش وبعض الملاحظــات عــن قواعد لهجات المسند كالمعينية والسبئية والقتبانية ، كما أصدر فى عام ١٩٧٥ كتابــا آخر عن اللغة العربية فى عصر ما قبل الإسلام تحدث فيه عن قواعد هــذه اللغــة ، فضلا عن نشر نماذج من نقوش حضرمية ومعينيــة وديدانيــة ولحيانيــة وثموديــة وصفوية .(١)

---

(١) عن أهم الرحالة الذين زاروا بلاد العرب وتحدثوا عن آثارها فى شمال --

وبفضل جهود كل هؤلاء العلماء وبفضل البعثات التى قامت بجمع المئات من النقوش التى بلغت حتى الآن أكثر من ٢٠٠ ألف نقش تقريبا ، كتبت بلهجات أهل جنوب الجزيرة العربية ، وأمكن وضعها فى إطار تاريخى إلى حد ما ، وبالاعتماد على ما تمدنا به من معلومات ، وجد العلماء أنها تغطى فترة تقرب من اثنى عشر قرنا ، أى قبيل الألف الأولى ق. م . بقليل ، وباستعراض الخطوط العامة لتلك المعلومات أمكن لعلماء التاريخ إلقاء الضوء على عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية فى جنوب الجزيرة العربية ، وكذلك التاريخ السياسى والاقتصادى والدينى لمختلف دويلات اليمن .

-- الجزيرة وجنوبها ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤٦ - ١٥٩ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ١٤٥ - ٢٤٥ - ٢٤٨ ؛ محمد فهد : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، جدة ، الناشر تهامه ١٩٨٤ ، ص ٢ - ٣٣ ؛ د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة، ص ١٢٥- ١٢٧ ؛ ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم (ترجمة : فؤاد حسنين على وزكى محمد حسن) ، ص ١ - ٢٦ ، ٢٥٤ - ٢٦١ . وعن محاولات حل رموز الكتابات القديمة فى جنوب الجزيرة العربية ، راجع : المرجع السابق ، ص ٢٧ - ٣٠؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم، ص ٦٢- ٧٧ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥ - ٢٤ .

كما قدم أحمد شرف الدين فى مؤلفه : المدن والأماكن الأثرية فى شمال وجنوب الجزيرة العربية ، ص ٧٢ - ٧٦ بالحديث عن الأماكن الأثرية فى جنوب الجزيرة وما بها من آثار ونقوش ومن قام بدراستها ونسخها والتى عثر عليها فى : شبوه ومعين وبراقش وصرواح ومأرب وما بها من آثار عديدة ، وظفار وهكر وموكل ونمار ورئام وناعط وريدة وعمران وخمر وغولة عجيب وحازوبيت غفر والحقة ووادى ضهر وتقبان وشبام مخيم والغرس وصنعاء وغيمان .

ثانيا : العصور الحجرية :

لم تكن الجزيرة العربية دائما ، مجرد صحراء جرداء ، ولكن كانت منطقة خضراء ، خصبة فيها الأنهار والمراعى والغابات . وللأسف الشديد لم يبق دليل على هذه الحياة الخصبة وكل ما لدينا من معلومات عن عصور ما قبل التاريخ فى الجزيرة العربية ، ينحصر فيما قامت به كل من مس كيتون طومسون ود. سليمان حزين ، من أبحاث فى مناطق معينة من جنوب الجزيرة العربية .[١]

وتعتقد مس كيتون طومسون ، أن انفصال جنوب غرب الجزيرة العربية عن شرق أفريقيا ، قد حدث فى عصر البلستوسين . وعثرت فى حضرموت على أدوات من الظران تشبه تلك التى عثر عليها الباحثون فى شرقى أفريقيا . ويرى د. سليمان حزين ، أن جنوب الجزيرة عاش أيضا فى العصور الحجري القديمة . وانتقلت ثقافة تلك الشعوب من جنوب الجزيرة العربية إلى شرق أفريقيا . ويبدو أن الأدوات التى عثر عليها الباحثون تشبه تلك التى عثر عليها من عصور ما قبل التاريخ مع اختلاف بسيط فى بلاد النهرين وسوريا .

ولم يعثر حتى الآن على آثار من العصر الحجرى الحديث . ولا تساعدنا معلوماتنا الحالية عن اليمن على تحديد التاريخ الذى انتهت فيها العصور الحجرية القديمة ، والفترة التى بدأ فيها العصر الحجرى الحديث والعصور التاريخية . وذلك لأن أغلب المناطق لا زالت فى حاجة إلى حفائر مستمرة ودراسات عميقة لكى نستطيع بعدها عمل قائمة بتلك التواريخ .[٢] ومن المحتمل أن تكون شبه الجزيرة

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٤٠ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ٦٧ - ٧٧ .

(٢) قامت بعثة معهد سمثونيان الأمريكية بعملية مسح أثرى فى موقع حضرموت عام ١٩٦١ - ١٩٦٢ وتذكر فى تقريرها أن العصر الحجرى (فى وادى --

العربية قد شاركت بقية مناطق الشرق الأدنى القديم منذ العصر الحجرى الحديث فى الألف السادسة ق. م ، فى معرفة حرفة الرعى ثم استئناس الحيوان .[١]

ولكن يمكن القول ، بأنه فى الألف الرابعة ق. م. خرجت من اليمن هجوات بشرية ، وكان هؤلاء المهاجون على جانب من الثقافة ، وكانوا ينتشرون فى الشمال الشرقى بالمناطق الأكثر خصوبة فى بلاد النهرين وسوريا . ونعلم من جهة أخرى أنه ابتداء من الألف الثالثة ق. م . استقرت بعض القبائل السامية من الجزيرة العربية فى منطقة بابل وأصبحت بعد عدة قرون ذات شأن كبير هناك .

ثالثا : العصور التاريخية والممالك والدول التى قامت فى اليمن :

لدينا الآن أكثر من ٤,٤٠٠ نقش تقريبا كتبت بلغات وكتابات جنوب شبه الجزيرة العربية . وأمكن وضعها فى إطار تاريخى محدد إلى حد ما وفى العصور التى تنتمى إليها . ووجد العلماء أن هذه النقوش تغطى فترة تقرب من اثنى عشر قرنا ، أى قبيل الألف الأولى قبل الميلاد بقليل . وبعد ترجمة أغلب هذه النقوش والكتابات وتحليل ودراسة مادتها العلمية اتضح أنها تمدنا بمعلومات هامة عن التاريخ السياسى والاقتصادى والاجتماعى والعبادات فى مختلف دويلات اليمن .[٢]

فقد ورد اسم " يمنات أو يمنت " فى النصوص السبئية القديمة كاسم لهذه البلاد فقد أصبح لفظ " يمنت " جزءا من أجزاء اللقب الملكى منذ أواخر القرن الثالث الميلادى غالبا ، وعند بعض الجغرافيين العرب فى العصر الإسلامى وردت التسمية

— حضرموت) قد استمر حتى وقت متأخر من الألف الثانية ق. م . ولا توجد حلقة وصل بين ذلك العصر وعصر بداية التاريخ الذى يرجع فى الأغلب إلى الألف الثانية ق. م . أو بعد ذلك بقليل ، راجع : محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٤٣ .

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٢) محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ٢١٠ (١) .

" اليمن " نظرا لتيامن العرب بها على أنها تقع إلى يمين الأرض (بالنسبة للشخص الذى يقف وظهره إلى البحر ونظره إلى امتداد شبه الجزيرة العربية) بينما تقع بلاد الشام ناحية الشمال (بكسر الشين) أى إلى اليسار . وفى الواقع أن هذه التسمية " يمنات " تشير إلى اليمن والخير لأن بلاد اليمن كانت قديما وفيرة الخيرات حتى أنها عرفت باسم اليمن الخضراء لكثرة ما بها من أشجار ونباتات وأمطار . وهذا ما تؤكده التسمية اليونانية واللاتينية " العربية السعيدة أو اليمونة " و " العربية الخصبة " .[1]

ومع ذلك فلا يستبعد أن يكون اليمنيون قد استخدموا التسمية اليمن فى العصر الجاهلى القريب من الإسلام كما جاء فى أقوال الشاعر الحضرمى الجاهلى عبد يغوث بن وقاص الحارثى .[2]

أما عن العصور التاريخية القديمة فى اليمن فتنحصر فى قيام عدة دويلات فى الجنوب خلال الألف الأولى ق. م. حتى عام ٥٢٥ ميلادية وكان أهم هذه الممالك والدويلات : مملكة معين ، وحضرموت ، وقتبان ، وسبأ ، وحمير .

وكانت قبيلة حمير من القبائل القوية ، ونحن لا نعرف أصلها الذى لا يزال غامضا ، وكان لها تأثيرا فعال فى القرون الأخيرة فى تاريخ مملكة سبأ . لذلك عرفت حضارة جنوب الجزيرة العربية القديمة قبل الإسلام باسم " الحضارة الحميرية " ، وتستخدم هذه التسمية حتى الآن بصفة دائمة ، على الرغم من أنها غير محددة ، وذلك للتعبير عن النقوش والكتابات التى خرجت من جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام .

---

(٢) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٢٩ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٤٩ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٢٩ ؛ د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ١٠٢ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) محمد بافقيه : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

وقامت أيضا دويلات أخرى أقل أهمية وأقل قوة مثل : أوزان ، سـمعاى ، وأربع الذين كانوا يسيرون فى ركب جيرانهم الأقوياء ولم يـتركوا إلا آثـارا قليلـة وانتهى بهم الأمر إلى الخضوع تحت لواء الممالك القوية عبر العصور المختلفة .

ويبدو أن تطور الأوضاع السياسية فى الممالك الأربع أو الخمس الكـبرى ، قد حدثت بنفس الطريقة ونفس الظروف . ونعرف من ناحية أخـرى أن ممـالك أو دويلات معين وحضرموت وقتبان وسبأ كانت معاصرة لبعضها البعض فـى بدايـة قيامها وتختلف فى فترات نهايتها .

وأقدم النقوش التى تخص هذه الممالك ، تبين أن السلطة فيها كانت تمـارس بواسطة ملك أو حاكم ، ذو سلطة مقدسة ، يطلق عليه اسم مكرب الذى كـان يشـبه الأمير وكانت تتجمع فى يده السلطات السياسية والإدارية والدينية .

مملكة معين (من ١١٢٠ إلى ٦٣٠ ق. م) :

وتقع فى الشمال ، وقتبان وسبأ جنوبيها ، أما حضرموت فكانت شرقى هـذه الممالك الثلاث . ويعد أهل معين أقدم الشعوب التى حملت لواء الحضارة فى جنـوب الجزيرة العربية .

ويذهب العلماء مذاهب مختلفة حـول ظـهور المعينييـن علـى المسـرح السياسى .(١) فمن العلماء أمثال جلازر وهومل وفيمر و فيلبى من يـرى أن تـاريخ المعنيين يرجع إلى حوالى ١٢٠٠ ق. م . فالمعينيون فى رأى هذا النفر من العلمـاء أقدم من السبأيين بينما نجد أمثال مللر وهارتمان وغيرهما يقولون عكس ذلك .(٢)

---

(١) يعطى د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٥١ كتـاريخ ١٣٠٠ إلى ٦٣٠ ق. م ، ويعطى د. توفيق برو : تـاريخ العـرب القديـم ، ص ٦٥ كتاريخ ١٢٠٠ إلى ٧٠٠ ق. م .

(٢) ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم (ترجمة فؤاد حسنين على وزكى محمد حسن) ، القاهرة ، ص ٢٦٩ ؛ عن دولة معين ، راجع أيضا : ==

لم يذكر مؤرخو اليونان شيئا عن ملوك معين ولا عن أسمائهم . ولكن رجال الآثار وعلى رأسهم هليفى استطاعوا أن يعثروا على أسماء ملوكها فى أنقاض منطقة الجوف (أى جوف ارحب) بين نجران وحضرموت . وقد تمكن هليفى من الكشف عن آثار العاصمة (قرناو) ونسخ كثيرا من النقوش ونشر نتائج كشفه عام ١٨٧٤ . وقد زاد عدد النقوش المعينية التى نسخت بفضل جهود جلازر وجوسن . ومن دراسة هذه النقوش عرفنا الكثير عن هذه المملكة . ويقول هليفى أن بمنطقة الجوف أطلال أقدم من أى منطقة أخرى ببلاد العرب .

ويذكر فيلبى أن عرش المملكة المعينية قد تناوبته خمس أسرات[١]، وتفصل بين الأسرة والتى تليها فترة غامضة لا نعرف عنها شيئا . وعدد ملوك المعينيين يبلغ نحو اثنين وعشرين ملكا تقريبا وبياناتهم كالآتى :

<u>الأسرة الأولى</u> : من ١١٢٠ إلى ١٠٦٠ ق. م ، حكم فيها أربعة ملوك :

- ١١٢٠ ق. م ، <u>اليفع وقه</u> وعثر على اسمه مكتوبا فى النقوش المعينية فى مدينة نشان .
- ١١٠٠ ق. م . <u>وقه ال صديق</u> (ابن الملك السابق) .
- ١٠٨٠ ق. م . <u>اب كريب يثع</u> (ابن الملك الثانى) .
- ١٠٦٠ ق . م . <u>عم يثع نبط</u> (ابن الملك الثالث) .

ثم جاءت بعد ذلك فترة انتقال بين الأسرة الأولى والثانية .

= د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ - ٢٣٣ والذى تحدث عن مدى الخلاف بين العلماء على وقت قيام دولة معين ونهايتها ؛ د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، ص ٩١ - ٩٥ .

(١) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ - ٢٧٢ .

الأسرة الثانية : من ١٠٢٠ إلى ٨٩٠ ق. م . وحكم فيها تسعة ملوك ثم جاءت بعد ذلك فترة انتقال من الأسرة الثانية إلى الأسرة الثالثة .

الأسرة الثالثة : من ٨٥٠ إلى ٧٩٠ ق. م . وحكم فيها أربعة ملوك . ثم جاءت بعد ذلك فترة انتقال من الأسرة الثالثة إلى الأسرة الرابعة .

الأسرة الرابعة : من ٧٥٠ إلى ٧١٠ ق. م . وحكم فيها ثلاثة ملوك . ثم جاءت بعد ذلك فترة انتقال من الأسرة الرابعة إلى الأسرة الخامسة .

الأسرة الخامسة : من ٦٧٠ إلى ٦٣٠ ق. م. وحكم فيها ملكان وهما يثع ال ريام وتبع كريب . (١)

ونلاحظ فى القائمة التى أعطاها فيلبى أن بعض ملوك الأسرة الثانية يحملون لقب ملك معين وحضرموت .

ويستدل على ما توصل إليه الباحثون عن أحوال المعينيين السياسية والاجتماعية ومن اسماء ملوكها ومعبوداتهم أنهم كانوا ينتسبون فى الأصل إلى عمالقة بلاد النهرين وقد هاجر المعينيون مع غيرهم من القبائل من بلاد النهرين ، ورغبوا قصرا متحضرا يقيمون فيه ، فنزلوا اليمن بإقليم الجوف ، وشيدوا القصور والمنازل على مثال ما شاهدوه فى بابل . وقد يبدو هذا الرأى غير مقبول منطقيا حيث أن الهجرات تحدث من أماكن فقيرة أو مجدبة إلى أماكن أكثر خصبا فكيف يهاجر المعينيون من بلاد النهرين صاحبة الحضارات العظيمة إلى اليمن ؟

---

(١) يذكر جرجى زيدان : العرب " قبل الإسلام " ، القاهرة (دون تاريخ نشر) ، ص ١٣٠ - ١٣٥ اسم حوالى ستة وعشرين ملكا . ويذكر حوالى ٣ ملوك باسم اب يدع ، و ٥ ملوك باسم اليفع ، و ٣ ملوك باسم وقه ايل و ٤ ملوك باسم حفن ، و ٣ ملوك باسم يثع أو يشع وآخرون بأسماء مختلفة .

قامت مملكة معين فى منطقة الجوف الجنوبى شرقى صنعاء وكانت حاضرتها " القرن " كما وردت فى الآثار ، وأطلق اليونان عليها اسم كارنا أو قارنا وتسمى الآن " قرنا أو قرنو " الواقعة إلى الشمال الشرقى من صنعاء ، وكانت مدينة محصنة عرفت بأسوارها وحصونها العظيمة وخنادقها المنيعة .

وكانت مملكة معين تشمل : قتبان ، وحضرموت ، وإقليم ملخ ، ثم أخذت تتوسع فى المناطق المجاورة بحيث امتد نفوذها إلى أعالى الحجاز ، فكانت معان وديدان (العلا اليوم) من مدنهم فى الجهات الشمالية .

كما ظهرت مدن أخرى مثل كمنا ونشق ويثيل (براقش اليوم) . وكانت الحكومة فى هذه المملكة ، طبقا لما ورد فى النقوش المعينية وراثية تنتقل من الأب إلى الابن ، وقد يشترك الاثنان معا فى الحكم . وبفضل النقوش أمكن التعرف على بعض الألقاب مثل لقب : يطوع أى المخلص ، وصدوق أى العادل ، وريام أى المضيء .

وامتد نفوذ المعينيين بفضل نشاطهم التجارى إلى الخليج العربى وإلى أعالى بلاد الحجاز مما يلى سواحل البحر الأحمر . ويدل على ذلك النقوش التى عثر عليها فى وادى القرى والصفا حوران . وكان المعينيون يحملون أنواع البخور من جنوبى الجزيرة العربية إلى الشمال مارين بأواسط الجزيرة ، وحذا حذوهم أهل سبأ فى إمداد المعابد المصرية بالبخور فى عصر البطالمة .

وكانت مملكة معين أقوى وأغنى من مملكة سبأ التى اشتهر أمرها فى التاريخ . لظهورها فى وقت كان فيه الجزء الجنوبى الغربى من بلاد العرب مزعزعا وأقل أمنا ، ولاسيما فى عالم التجارة ، على حين ظهرت معين فى وقت كانت فيه قبائل الجزيرة العربية على جانب عظيم من القوة . ويبدو أن السيادة انتقلت إلى سبأ بعد أن عجزت مملكة معين عن حماية قوافل التجارة وضعف حكامها المحليين .

وكان هناك أصحاب الأملاك من رؤساء العشائر فى معين من كبار الموظفين وكان الملك هو الذى يعين الموظفين ، خاصة أولئك الذين كانوا يقومون بجباية الضرائب وإدارة الإقليم مع موافقة مجلس أصحاب الأملاك . وفى معين أيضا

لم يكن الملك مطلق التصرف إذ كان إلى جانبه مجلس يضم ممثلى الموظفين الذين كان لهم نفوذهم الخاص فى دوائر اختصاصاتهم . وقد وصلتنا بعض الوثائق التى نتبين منها أنه كان يوجد فى معين طبقتان من الموظفين الذين كان من حقهم الفصل فى شئون المياه وتوزيعها على المناطق المختلفة . فقد جاء فى نقش على لوحة يرجح أنها أقيمت عند حوض من حياض الرى ما يؤيد هذا الرأى فالحياة الاقتصادية تتطلب قيام سلطة إدارية تهيمن على تصريف المياه مراعية الادخار والصالح العام .

وشكل ملوك معين المجالس التى تدير شئون المدن فى السلم والحرب ، واعتمدوا على جباية الضرائب التى قسمت إلى ثلاثة أقسام : ضرائب تعود لخزانة الملك ، والثانية للمعابد والكهنة ، أما الثالثة فكانت للحكام والرؤساء فى المدن .

كما كان هناك نظام للضرائب خاص بالمعبد ويحتمل أنها كانت فى أول الأمر عبارة عن تبرعات ، ثم فرضت على الأراضى فرضا . وكانت تستخدم كتعويض تعفى دافعيها من أعمال السخرة . وكانت العشائر تتعاون فى إقامة المبانى العامة ، وكان الأفراد يحشدون فى أعمال البناء هذه كحصون للدفاع عن المدينة إلى جانب العبادة . وكانت تقوم فيها المذابح ومواقد النيران . ونتبين من النقوش أيضا أن سائر الأبنية العامة كالمعابد والطرق والحصون والسدود وما إليها كانت تدخل ضمن الأعمال الجماعية التى يطلب لها مجموعة من الأفراد لإنجازها .[١]

وعلى الرغم من أن مملكة معين قد زالت قرب منتصف القرن السابع ق. م. ولكن الكتب الكلاسيكية ظلت تذكرهم فترة من الزمان . فذكرها بلينى (٢٣ / ٢٤- ٧٩ ميلادية) وهو يتحدث عن الحملة الرومانية التى كان يقودها اليوس جاليوس عام ٢٤ ق. م . على اليمن ، وإلى جانب الحميرين على أنهم أكثر الجماعات عددا وأخصبهم أرضا وأغزرهم نخلا وأكثرهم امتلاكا للمواشى . وكان آخر من تحدث عنهم الجغرافى بطلميوس (١٢١ - ١٥١ ميلادية) ووصفهم بأنهم " شعب عظيم " .[٢]

---

(١) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٤١ - ١٤٢ .
(٢) محمد باقفيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٣١ .

اقتبس المعينيون الأبجدية الفينيقية واستخدموها في كتاباتهم . وظل المعينيون يستخدمونها حتى بعد زوال مملكتهم .

مملكة حضرموت (من ١٠٢٠ ق. م . إلى ٢٩٠ ميلادية) :

كما ذكر بعض المؤرخين أن مملكة معين كانت تضم عددا من الممالك الصغيرة الأخرى مثل حضرموت وددان ولو لفترة محدودة من الزمن وذلك بدليل إننا أحيانا ما نجد من النقوش ما ينص على أن حضرموت كانت ضمن ملك معين .(١)

أما ملوك حضرموت كما يذكرهم عدد كبير من المؤرخين من بينهم فيليبي فهم حوالى تسعة عشر ملكا حكموا من ١٠٢٠ ق. م . إلى ١٢٥ ميلادية . وفى الفترة من ١٢٥ إلى ٢٩٠ ميلادية لا نعرف مكربا أو ملكا كان يحكم فى حضرموت ومن المحتمل أنها كانت تحكم بواسطة مكربين تحت سيادة سبأ وذو ريدان حتى اندمجت فيها فى عام ٢٩٠ ميلادية .(٢) وأثناء فترة الحكم الطويلة هذه نجد أن بعض ملوك حضرموت كانوا معاصرين لملوك سبأ .

ويذكر البرايت قائمة أخرى لحكام حضرموت سواء كانوا ملوكا أو مكربين وذكرهم بالترتيب التالى : (٣)

يدع ال ، صدق ال، شهر علن لمن، معد كرب ، غيلان ، يدع اب غيلان، ال عزيليط الأول ، ال غزيليط الثانى ، يدع أب غيلان ، يدع ال بين ، ال سمع ذبيان .

---

(١) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ . عن دولة حضرموت ، راجع : د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ – ٢٤٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٩٦ – ١٠٠ .

(٢) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

اختار مكربو حضرموت مدينة شبوه كعاصمة لهم ، وجاء فى نقش عــثر عليه فى وادى بيجان ان المكرب يدع ال قام بإصلاح سور هذه العاصمة .[١]

عرفت مملكة حضرموت نظام المكربين الذى يفترض أن يكون سابقا علــى الملكية .[٢] وقد بدأت مستقلة لمدة قرن من الزمان أو أكثر ثم اندمجت بعد ذلك فــى مملكة معين قرابة ثلاثة قرون تنتهى نحو سنة ٦٣٠ ق. م . ثم اندمجت بعدهــا فــى مملكة سبأ من ٦٣٠ إلى ١٨٠ ق. م ، حيث عادت فاستقلت ، وبقيت على قيد الوجود حتى سنة ٢٩٠ أو ٣٠٠ ميلادية .[٣]

والملك يدع ال بين هو الذى أعاد بناء مدينة شبوه ويرجح أن هذا البناء قــد تم فى غضون القرن الثانى الميلادى . وأقام فيها وبنى معبدها بالحجارة . وإذا تركنــا المملكة وعرشها وانتقلنا إلى نظام الحكم والحالة الاجتماعية للشعب وجدنا أنفسنا أمـام مملكة كغيرها من الممالك فى جنوب الجزيرة فبالرغم من أن الملك كان يستمد قوتــه من حقه المقدس إلا أنه كان يحكم مملكته حكما دستوريا فإلى جانبه كان يوجد مجلــس عام كما أن المدن كانت تحكمها حكومات محلية تشبه حكام الأقــاليم وكــان لــهؤلاء الحكام يعينون بالانتخاب ويعاونهم مجلس من شيوخ المدينة أى بتعبير آخــر مجلــس بلدى .

---

(١)ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

(٢)فالحاكم كان يلقب بلقب كهنوتى هو مكرب أى أمير الكهنوت أو أمــير القربــان ولكن هذا اللقب لم يبق كما هو بل ساير تطور نظام الحكم فاختفى وحل محلـــه لقب ملك ، راجع : ديتلف نيلسون وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٣)د. توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، ص ٧١ ؛ د.أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ ؛ محمد بافقيه : تــاريخ اليمــن القديم ، ص ٣٦ – ٥٠ .

أما الشعب فكان فى مجموعه شعبا ارستوقراطيا يؤيد نظام الطبقات ويقر الرق وكان متسامحا يحترم المرأة ويقدس نظام الأسرة مخلصا لمليكه ووطنه . ويرجح أن هذا النظام الذى كان سائدا فى جنوب الجزيرة قد نقله المعينيون إلى الشمال حيث نجد الفينيقيين يسيرون عليه وعنهم أخذته بعض شعوب البحر المتوسط وكثير من المدن اليونانية .[١]

مملكة قتبان (من القرن العاشر أو الحادى عشر قبل الميلاد إلى العام الخامس والعشرين ق. م) : [٢]

ليس موقفنا من تاريخ هذه المملكة بأحسن من موقفنا من سائر الممالك التى قامت فى جنوب الجزيرة العربية . ويقف المؤرخ حتى يومنا هذا حائرا أمام معرفة متى قامت مملكة قتبان ومن هم أهم ملوكها ؟ . ويرى بعض المؤرخين أن تاريخ قتبان يجب أن يكون معاصرا لمعين أو سبأ . فيرى فيلبى أنه فى الفترة من ٨٦٥ إلى ٥٤٠ ق. م . حكم سبعة عشر ملكا . أما البريت Albright فيرى أنه حكم على عرش قتبان حوالى تسعة وعشرين ملكا . وأنه فى حوالى عام ٥٠ ق. م . خربت تمنع العاصمة وانتهت دولة قتبان .[٣]

سكن أهل قتبان فى الطرف الجنوبى من بلاد اليمن واختاروا عاصمة لهم تمنع ويرجع الفضل فيما عرفناه من أخبار عن هذه المملكة تلك النقوش التى جمعها

---

(١) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

(٢) هذا التاريخ أعطاه ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٨٦- ٢٨٧؛ د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ - ٢٦٠ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧١ - ٩٠ .

(٣) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٣ .

جلازر [١] ونعرف منها أن هذه المملكة مرت بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : التى ترجع إلى القرنين العاشر أو الحادى عشر قبل الميلاد وهو التاريخ الذى يرجع إليه النقش الذى حل رموزه " جام " وهو يعتبر أقدم نص وصل إلينا عن جنوب الجزيرة العربية . وكان عصر هذا النقش فترة انتقال فى تاريخ قتبان إذ بعده يظهر عصر المكربين الذين حكموا قتبان عدة قرون وقد وصلتنا أسماء عدد منهم وقد حكموا البلاد فيما بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد .

ففى القرن الخامس نجد مكربا يدعى **يدع اب نبيان** ويرجح أنه شيد المدخل الجنوبى لمدينة تمنع وهو ابن المكرب القتبانى شهر . ثم نجده فى نقوش أخرى وقد طلع على نفسه ألقابا أخرى فهو مكرب قتبان وجميع أبناء عم (المعبود الرسمى لقتبان) وأوزان وكحدود هسى وتبنو . وفى نقش آخر نجده يلقب علاوة على الألقاب السابقة بمكرب الذى يرفع أبناء الجنوب وأبناء الشمال .

ثم نجده يشن عدة حروب ينتصر فيها فيما يرجح على سبأ ويستولى على إقليم مراد . وهذا يفسر لنا اهتمامه بإنشاء الطرق ليربط بين أطراف مملكته ولعل أشهر طريق شيده هو المعروف باسم مبلقه . ويعتبر هذا المكرب أنه أول من توج نفسه ملكا على قتبان (ومن بين أوائل الملوك الذين جلسوا على عروشها) واهتم كثيرا بإقامة المبانى وبانتهائه تنتهى الأسرة المالكة الأولى التى جلست على عرش قتبان .

المرحلة الثانية وتمثلها الأسرة الثانية التى ظلت على العرش زهاء قرن من الزمن من عام ٣٥٠ إلى ٢٥٠ ق. م . وكان أول ملوكها هو ابشبيم وابنه شهر غيلان الذى ترك لنا كثيرا من النقوش بعضها وجد فى المدخل الثانى لمدينة تمنع . ولعل أشهر ملك عرفته هذه الأسرة هو الملك **شهر يجيل** وقد اعتلى عرش قتبان

---

(١) عن أهم آثار مدينة تمنع (هجر كحلان الحالية) ، راجع ، د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨١ ـ ٨٥ .

حوالى عام ٣٠٠ ق. م . وهو الذى أصدر أمره ببناء معبد للمعبود " عم " فـى وادى لبخ وفى مدينة ذو غيل .

وقد جاء فى أحد النقوش المنسوبة إليه أنه قضى على عرش معين . وخلفـه أخوه **شهر هلال يوهنعم** وهو الذى أقام المسلة التى عثر عليها فـى مدينـة تمنـع . وبوفاته انتهت الأسرة الملكية القتبانية الثانية وتناوب عرش البلاد عدد من الملوك لـم يستطيع مؤرخو اليوم أن يحددوا أزمنتهم أو ترتيبهم وكان آخر ملك جلس على عرش قتبان هو **يدع اب غيلان** .

وفى **المرحلة الثالثة** قامت أسرة ملكية ثالثة ظلت متربعة على العرش فـترة تمتد من ١٠٠ إلى ٥٠ ق. م . وأول ملوكها هو **هوف عم يوهنعم** وابنه الذى يسـمى **شهر يجيل يوهرجب** وهو الذى أعاد بناء برج المدخل الجنوبى لبيت يفش أمـا ابنـه فيدعى **ور ال غيلان يوهنعم** ويرجح أنه أول من سك نقودا ذهبية قتبانية وآخر ملـوك هذه الأسرة هو **فرع كرب يوهودع** وهو أخ الملك السابق .[١]

انتهت الأسرة الثالثة فخلفها على عرش قتبان عدد من الملوك الذيـن ظلـوا يباشرون سلطتهم طيلة القرن الأول قبل الميلاد . ولعل أشهرهم هـو **شـهر هـلال يوهقبض** وهو ابن **ذرى كرب** ويرجح أنه هو الذى شيد بيت يفعـم داخـل المدخـل الجنوبى لمدينة تمنع .

أما أزهى العصور التاريخية التى مرت بها تلك المملكة فأرجح الآراء يميـل إلى الاعتقاد بأن عصر قتبان الذهبى هو الممتد من ٣٥٠ إلى ٥٠ ق. م ، فمن هـذا العصر وصلتنا أهم مجموعة من النقوش .[٢] ومنها نتبين أن قتبان كانت فـى ذلـك العصر أهم مملكة فى جنوب الجزيرة حيث أخضعت لسـلطانها كـلا مـن معيـن

---

(١) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ – ٢٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

وسبأ .[١]

ومن بين هذه النقوش نقش عثر عليه جلازر وهو يحمل رقم ١٦٠٦ ويقدم لنا بعض المعلومات الخاصة بالتشريع والإدارة فى تلك البلاد . والحقيقة التى يجب أن نسلم بها مقدما أن تلك البلاد عرفت نظاما يتكون من مجالس تمثل الشعب تمثيلا نيابيا . فقد كان يوجد مجلس قبلى إلى جانب العرش كما كانت تمثل القبائل المختلفة فى الهيئات التشريعية المتعددة وكانت إدارة البلاد بيدها وربما كان المجمع القبلى يعقد جلساته مرتين فى العام وفى عاصمة الدولة .

ومن جهة الترتيب كانت قتبان هى الأولى ، ويعنى بالترتيب هنا ترتيب القبائل حسب موضع إقامة القبيلة التى بيدها الزعامة من العاصمة تمنع . كما كان يوجد ممثلون لأصحاب الأراضى الخصبة والقبائل المنضمة إليها وسكان المزارع والمراعى . أما المجالس الاستشارية فقد كانت مكونة من سائر القبائل ولم يحرم منها إلا الرقيق الذين يعملون فى الأرض . وكان هؤلاء العبيد طبقة فقيرة اجتماعيا واقتصاديا ، ولم يكن لهم أى حقوق سياسية .

وكانت هذه المشاورات تنتهى عادة بالموافقة على المواضيع المعروضة ، وكانت هذه القرارات التى تتخذ تبلغ عادة للقبائل . كما أن تلك القرارات كانت تستتبع بإصدار قوانين خاصة بتنظيم استثمار الأراضى والعقار ودفع الضرائب ، وهذه القوانين الزراعية كانت الأساس الذى بنى عليه نظام الدولة . أما الاجتماع الآخر للقبائل فكان الغرض منه الموافقة على هذه القوانين .

وهذا النظام سوف يعرف ما يشبهه فى اليونان من نظم تشريعية . وإلى جانب هذه النظم التشريعية توجد نظم أخرى إدارية كانت تعالج إدارة الأرض وتأجيرها والشروط اللازمة عند كل حالة أو مجموعة من الحالات .[٢]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ؛ وعن علاقات قتبان بجيرانها ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨٥ ـ ٨٩ .

(٢) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٣٢ ـ ١٣٥ .

أما اجتماع ممثلي القبائل فكان يقرره [illegible] في لذلك من الصو[illegible] يطلق على هذا المجلس لفظ المجلس الاستشاري للدولة . ويلاحظ أنه كان من [illegible] هذا المجلس أيضا إلى جانب إصدار القوانين واستغلال القوانين القديمة ومراعاتها وكان يعلنها باسم الملك .

وحدث أن ظهرت في القرن التاسع قبل الميلاد مملكة أخرى إلى عالم الوجود تسمى مملكة سبأ وذوريدان أو دولة سبأ كما نسميها . وقامت على انقاض كل من قتبان وسبأ ومعين . أما ذوريدان فقد يعني معبود جبل ريدان القائم في جنوب وادي بيجان . وقد ظلت دولة سبأ وذوريدان قائمة مدة تبلغ قرنين ونصف القرن . ولم تكن دولة سبأ هي الوريثة الوحيدة لقتبان فهناك دولة أخرى شاركتها الغنيمة وهي حضرموت التي ضمت إلى رقعتها جزءا من قتبان . ولكن قتبان لم تفقد سلطانها نهائيا ، فقد استطاع ملوك قتبان المحافظة على الجزء الغربي من قتبان واتخذوا من مدينة حريب عاصمة لهم بعد خراب تمنع واكتفى الحضارمة بالاستيلاء على جزء من شرقي البلاد ، وخربوا تمنع في عام ٢٥ ق. م . وذكر بليني أن " بها خمسة وستون معبدا " الأمر الذي يصور لنا مدى اتساعها .[١]

نشأة دولة سبأ في عصورها المبكرة (٨٥٠ إلى ١١٥ ق. م) : [٢]

تنسب هذه المملكة إلى مؤسسها الأول عبد شمس يشجب الذي يصل نسبه إلى قحطان أحد أجداد العرب ، وهو الذي اشتهر بكثرة حروبه وغزواته والتي نال منها الغنائم والأموال الكثيرة فلقب " بسبأ " وكان أول من سبى من العرب وغلب الاسم على المملكة فيما بعد .

---

(١) محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٣٣ ، ٣٥ .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ ؛ د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٢٦١ - ٣٢٨ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤ - ٥٢ .

وكانوا شعبا بدويا ينتقل بين شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية واستقروا فى اليمن حوالى ٨٥٠ ق. م . وقضوا على مملكة معين وأقاموا دولتهم على أنقاضها وورثوا لغتها وحضارتها . وقد عاصرت سبأ مملكة معين قرابة ثلاثة قرون كانت مملكة سبأ بين معين وقتبان ، وامتد نفوذها من ساحل الخليج العربى شرقا إلى البحر الأحمر غربا . وقد انتقل سلطان معين إلى سبأ التى بدأت قوتها تظهر فى أواخر أيام معين ، وامتد نفوذها حوالى سنة ٨٥٠ إلى سنة ١١٥ ق. م . وورثت سبأ ملك معين حول سنة ٦٥٠ ق. م . وآلت إليها السيادة على الجزء الجنوبى لبلاد العرب ، كما اصبح ملوك سبأ حكاما على هذه البلاد فى هذه الفترة التى تعد أزهى عصورها .

ويستدل من آثار مملكة سبأ أنها كانت فى بدء أمرها إمارة صغيرة ، ثم أصبحت مملكة تتمتع بنفوذ قوى على ما جاورها من ممالك . ومما هو جدير بالذكر أننا لا نجد فى آثارها إلا القليل عن الفتوحات والحروب التى قامت بها ، ويرجع السبب فى ذلك أنها كانت دولة تعنى بالتجارة دون غيرها .

ويتبين من الآثار التى عثر عليها الباحثون ، ان مملكة سبأ الحقيقية مرت فى طورين يتميزان بألقاب ملوك السبئيين . فكان ملكهم فى الطور الأول الذى ينتهى حوالى سنة ٦٥٠ ق. م ، يسمى " مكرب سبأ " وقد تلقب بهذا اللقب ، اعتمادا على ما ورد فى النصوص نحو سبعة عشر ملكا . واتخذوا عاصمتهم فى صرواح (وهى خريبة الحديثة) غربى مأرب .[١]

---

(١) لا نكاد نعرف شيئا عن الخطوات الأولى التى أدت إلى قيام دولة سبئية فى اليمن . ومن النقوش السبئية التى تم جمعها ودراستها حتى الآن ، وآخرها ما عثرت عليه البعثة الأمريكية فى مأرب ، حاول العلماء التعرف على أوضاع الحكم فى سبأ وتطوره فى عهودها المبكرة ، ولقلة المعلومات التى جاءت بها تلك النقوش اكتفوا بجمع الأسماء الواردة فى النقوش ، والتى توحى بأن أصحابها كانوا من طبقة الحكام ، فصنفوها إلى أجيال متعاقبة بينما حاول آخرون وضع تسلسل زمنى لتلك الأسماء ابتداء من عام ٨٢٠ أو ٨٠٠ ---

أما فى الطور الثانى (حوالى سنة ٦٥٠ إلى ١١٥ ق. م) فقد كان الحكام يحملون لقب " ملك سبأ " وكانت حاضرة سبأ فى ذلك العصر مدينة مارب .[١]

ويرى بعض العلماء أن حاضرة سبأ كانت تسمى مريابة جنوبى شرقى مأرب وأنها على جبل كثير الأشجار . ويرى البعض البعض الآخر أن سبأ هى فى الحقيقة اسم يطلق على البلاد والشعب وليس على المدينة .

(أ) فترة حكم مكارب سبأ (٨٥٠ - ٦٥٠ ق. م) :

أمدتنا نقوش الآثار القائمة فى أنحاء اليمن ، بأسماء العديد من الملوك الذين اسهموا فى إقامة أو ترميم تلك الآثار ، فمن هذه النقوش نعلم أن أول مكرب لسبأ هو " سمهو على " ثم خلفه ولده " يدع ايل ذريح " الذى يعتبر ثانى مكرب معروف فى مملكة سبأ ، وعاش فى القرن الثامن قبل الميلاد أى حوالى ٧٨٠ ق. م .[٢]

وتذكر لنا النقوش الموجودة على الجدار الخارجى لمعبد إله القمر " المقة " فى صرواح أن الذى شيد هذا الجوار هو المكرب " يدع ايل ذريح " وكان لنفس هذا الملك نشاط آخر فى مدينة مأرب ، نعلم أن يدع ايل ذريح ، قد شيد سورا حول هذا

-- إلى عام ٦٢٠ ق. م ، راجع : محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٥٤ ؛ ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم (ترجمة فؤاد حسنين على وزكى محمد حسن) ، ص ٧٥ - ٨٦ ، ٢٩٢ - ٢٩٦ .

(١) عن الفترة الأولى لسبأ وحكم المكربين ، راجع بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٥١ - ٧٨ ؛ ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٧٩ - ٨٦ ، ويذكر فيلبى فى ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ - ٢٩٦ أسماء عدد ٧٥ ملكا لمكربى سبأ وملوكها وملوك سبأ ذوريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها سكان المرتفعات وتهامة من الفترة ٨٠٠ ق. م. إلى ٥٢٥ ميلادية .

(٢) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ١٧٦ ؛ د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٥٩ . عن مكارب سبأ ، راجع : د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٢٧٣ - ٢٨٦ .

المعبد ، الذى كان يسمى آدام وكان مشيدا لنفس إله القمر ، المقة . وأنه قام بتقديم القرابين للمعبود عشتر .

وعلى الجدار الصخرى لبوابة سد مأرب اليمنى ، يوجد عدة نقوش أهمها اثنان . ونعرف أن اسم مشيده هو " **سمهو على ينوف** " بن " **نمار على** " مكرب سبأ . ونقرأ فى نقش آخر أن ابن هذا الحاكم وكان يسمى " **يثع امربين** " بن " **سمهو على ينوف** " قام بعمل مجرى فى جبل بلق من أجل الرى ، وكلا الحاكمين عاشا فى القرن السابع ق. م .

ومنذ بداية القرن السابع ق. م . اهتم مكارب سبأ بالاصلاحات الزراعية فقد وزع " **كرب ايل بين** " الأراضى على الفلاحين لاستصلاحها وزراعتها . وسار ولده " **دمر على نريح** " على نفس السياسة .

وعلى أحد الأعمدة ، التى كانت مقامة أمام مدخل المعبد فى صرواح ، ترى نقشا هاما لملك يسمى " **يكرب ملك واتر** " بن " **يثع ايل بين** " ، الذى عاش فى القرن السادس ق. م ، وترك لنا مرسوما لتنظيم البلاد والضرائب . وتحدث كذلك عن طبقات المجتمع فى بلاد سبأ فى ذلك العصر . ويوجد فى الناحية الغربية من سور مدينة مأرب نقش يسجل لنا أن " **ايل شريح** " بن " **سمهو على نريح** " مكرب سبأ ، والذى حكم فى القرن السادس ق. م. (حوالى ٥٧٠ ق. م) و " **يثع امربين** " بن " **يكرب ملك واتر** " الذى حكم فى حوالى عام ٥٢٠ ق . م . قد قاما بإتمام بناء معبد محرم بلقيس فى مأرب .

ونعرف أيضا أن " **سنة على ينف** " قد شيد سدا عند مدخل وادى " زنه " بمأرب يعرف باسم سد رحب عام ٦٥٠ ق. م . وأضاف ولده " **يثعمر – امربين** " إلى حجم هذا السد وشيد سدا أعظم منه يعرف باسم " سد حبايض " . وكان لهذين السدين بمأرب أعظم الأثر فى زيادة الرقعة الزراعية .

أهم أعمال آخر مكارب سبأ :

تكونت سلالة مكارب سبأ من اثنى عشر حاكما ذكرت أسماؤهم على

مختلف الآثار . وآخر مكارب سبأ هو " كرب ايل وتر " الذى تخلى عن سياسة التعمير وبناء السدود واتجه إلى سياسة التوسع العسكرى فهاجم مملكة معين وقضى عليها . ولقب بلقب " ملك سبأ " فأصبح أول حكام سبأ الذين اتخذوا هذا اللقب .

ولعل من أهم نصوص هذا الملك ، ذلك الأثر الذى تركه فى موقع صرواح .[1] ويغطى هذا النقش واجهة جدار شيد من المرمر ، وأقيم هذا الجدار فى بهو معبد معبود القمر " المقة " ويعد هذا النص من أهم مصادر تاريخ دولة سبأ ، فهو يضع بين أيدينا معلومات هامة تشير إلى الحروب التى وضعت نهاية لعدة ممالك صغيرة وعواصم صغيرة مستقلة والتى اتحدت أخيرا فى مملكة واحدة تحت حكم الملك " كاريب ايل وتر " الذى كان مكربا وبفضل انتصاراته أصبح ملكا لكل سبأ . ويذكر فى بداية نصه ، ما حققه من أعمال لمدينته ومعبوداتها ، كما يشير إلى أعمال الرى المختلفة التى قام بها لتحقيق رخاء البلاد ، وقد أعطى أسماء خزانات المياه والسدود التى أمر بإقامتها والتى أمر بإصلاحها والقنوات والترع التى أمر بحفرها ، وحدائق النخيل التى أمر بغرسها وأعطانا أيضا أسماء العديد من المدن التى غزاها

---

(١) وتعود أهمية هذا النقش ، إلى أنه أقدم نص طويل يصل إلينا ويحفظ لنا أسماء مناطق عديدة ، ويساعدنا على معرفة الأراضى التى كانت جزءا من مملكة أوزان شبه المجهولة والمناطق التى كانت مرتبطة بها ، ويعيننا على تكوين صورة عن الوضع فى المنطقة فى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد . ويبدو ان كرب ايل وتر ، أصبح ملكا بأمر المعبودات ، ويذكر فى بداية هذا النص أن المعبودات أوحت له بملكة لمقه ولسبأ يوم أن وحدت الشعب ، ثم يتحدث عما تقرب به إلى عشتر وإلى هوبس ، ويشكر المعبودات التى جادت عليهم بالأمطار . ويصنف الأعمال الزراعية التى قام بتنفيذها . ويذكر بعد ذلك ثمانى حملات قام بها على مناطق واسعة فى أطراف نجران فى الشمال ، وهى حملة على المعافر وأوزان ودهسم وكحدذ سوطم ونشن ونشتق وسبل وهرم وفننن ومها مرم وامرم ؛ راجع : محمد بافقيه : المرجع السابق ، ص ٥٨ - ٦٧ .

وأحرقها ودمرها .

وفى إحدى حروبه (على مها مرم وامرهم) أعلن أن عدد القتلى بلغ خمسة آلاف رجل وغنم الكثير من الغنائم والسلاب . وفى حربه ضد أوزان أعلن أنه غـــزا كل الأراضى وقتل ستة عشر ألفا من أعدائه وأسر منهم أربعين ألفا أحياء .

وكان السبب الرئيسى وراء تلك الحـــروب أن قتبـــان وحضرمـــوت كانتـــا حليفتين لسبأ ، ولكن ملك أوزان حاول الاستيلاء عليهما ، فوجد كريب ايل وتر نفســـه مضطرا لمناصرة حلفائه . وبعد ذلك اتجه بأنظاره نحو مدن معين ، واستولى عليـــها الواحدة بعد الأخرى وقام ملوكها بدفع الجزية له . وهكذا تحققت النبوءة التى توقعـــت بأن مدينة نشان (خريبة السودا الحديثة) سوف تحتل بواسطة السبئيين . وأنه ســـيقام فيها معبدا للمعبود المقة . ويشير فى آخر النص إلى حملته على نجران . ونرى على الوجه الآخر للجدار ، بيان بالتحصينات التى قام بها هـــذا الملـــك لتحصيـــن مـــدن مملكته ، ويذكر ممتلكات الملوك الذين خضعوا له ولطاعته ، ويذكر خزانات الميـــاه التى قام بإصلاحها أو تشييدها . وكان يستخدم عددا من الأسرى فى تشييد مبانيـــه أو زرع الأراضى التى تخضع لملكية المعابد .

كما نعرف أيضا أن كريب ايل وتر أضاف بعض الأجزاء على سور مأرب كما شيد بوابتين .[١]

ورد فى نصوص تيجلات بلاصر الثـــالث وســـرجون الثـــانى الآشـــوريين وسنحاريب الكلدانى ما يشير إلى أنهم فرضوا الجزية على ملكـــى ســـبأ " يثعمـــر " و " كرب ايلو " اللذين يحتمل أنهما كانا من حكام سبأ المقيمين فى الواحات التى علـــى طريق التجارة إلى الشام لا ملوكا فى سبأ نفسها أو أن هذين الملكين كانـــا يرســـلان الجزية باسمهما عن طريق حكام سبأ المقيمين فى الواحات على طريق التجارة إلـــى

---

(١) يذكر بعض المؤرخين أن آخر المكربين حكم عام ٤١٠ ق . م ، راجع : محمـــد بافقيه : المرجع السابق ، ص ٧١ ؛ ويعطى جرجى زيدان : المرجع الســـابق ، ص ١٣٩ ، حوالى ١٥ اسما لمكارب سبأ .

الشام ، لأننا نعرف أن الآشوريين لم يصلوا فى فتوحهم إلى أرض اليمن .[١]

ولم تتعرض مملكة معين ، للغزو كلية إلا فيما بعد ، بواسطة جيرانها الأقوياء ، لذلك نجد أن مكارب وملوك سبأ الأوائل ، كانوا معاصرين لملوك معين وامتدت سيطرة سبأ شيئا فشيئا على ما حولها ، فضمت أوزان ثم قتبان وحضرموت ، اللتين كانت متحالفتين فى أول الأمر مع سبأ ضد أوزان .

(ب) فترة حكم ملوك سبأ (٦٥٠ إلى ١١٥ ق. م) : [٢]

عثر على العديد من النقوش فى صرواح التى تحدثنا عن أعمال هؤلاء الملوك . فهناك نص يوجد فى مدخل المعبد المسمى بمحرم بلقيس ويذكر لنا اسم ملكين هما " **نشا كريب يعمين يهرحب** " و " **يازيل - بين** " اللذين قاما بمنح عدة حقوق لبعض القبائل . وقد حكما هذان الملكان فى أواخر القرن الثانى ق. م . ومن النقوش الهامة أيضا ، ذلك النقش الذى أقامه الملك نشا كريب يهعمين " من منتصف القرن الثالث ق . م . وهو من أكثر الملوك نشاطا فى العمارة . وسجل فى هذا النقش تقديمه لستة تماثيل من الذهب للمعبود " المقة " .

وكان هناك حكم الملكين المشتركين معا : " **ايل شارا يحدب** " و " **يازيل باين** " وجاء ذكرهما بمناسبة الانتصار الذى حققاه على الأثيوبيين وحلفائهم . وفى عام ٢٧٤ ميلادية ، نرى الملك " **شامير يحاريش** " ، يتخذ لقب ملك سبأ وذى ريدان

---

(١) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٥٧ .

(٢) عن فترة ملوك سبأ وذو ريدان ، راجع : محمد بافقيه : المرجع السابق ، ص ٧٩ - ١٣٦ ؛ بالنسبة لملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت ، انظر المرجع نفسه ، ص ١٣٧ - ١٦٤ . وقد ظهر هذا اللقب الرباعى فى نهاية القرن الثالث الميلادى ؛ ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٨٧ - ١٠٩؛ عن ملوك سبأ، راجع : د. بيومى مهران : المرجع السابق، ص ٢٨٧- ٣٠٠ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١١٤ .

وحضرموت ويامانا .(١)

وهناك نقوش أخرى تخص الملك " **ملك كريب يحامين** " وولديه " **اب كريب اسعد** " و " **دهارا امار ابيان** " . وهى مؤرخة بالعام ٣٧٨ ميلادية ، وهى تسجل بناء معبد لمعبود السماء . ويعد " اب كريب اسعد " أول ملوك سبأ ، الذى تمتـع بألقـاب طويلة ، وكان لقب الملك الكامل هو " ملك سبأ وذى ريـدان وحضرمـوت ويامانـا وعربهم " .

وقد ساعد سبأ وحمير على الاستقرار ذلك الخصب الذى امتاز به هذا الإقليم الذى يسكنونه من بلاد العرب ، كما كان لتجارتهم المطردة الواسعة النطاق مع مصر وسوريا وبابل اثر كبير فى تدفق موارد الثروة على هذه البلاد . وكان بعضهم يـزرع الحقول ، وبعضهم الآخر يتجر فى البهار الذى تشتهر به بلادهم أو الذى يستجلب من بلاد الحبشة .

وكان لسبأ فى البحر الأحمر أسطول بحرى تشحن مراكبه بالبخور لإمـداد المقاصير المصرية بها . وقد ورثت سبأ من معين ذلك المركز التجارى ، لما كـان لها من قوافل تخترق الصحراء إلى الشام وفلسطين لنقل السلع التجارية بينـها وبيـن البلاد الأخرى البعيدة .

لقد استفاد أهل سبأ من مرور التجارة البحرية ببلادهم ، واستفادوا أيضا مـن التجارة العابرة عن طريق القوافل ، مما أدى إلى ثراءهم وعملوا من جانبـهم علـى تصدير منتجاتهم من البخور والعطور . ولم يكن هناك دولة فى العالم فى ثراء مملكة سبأ كما قال اجاثار شيدس الذى عاش فى الإسكندرية عام ١٥٠ ق.م ، لأنهم كـانوا يقطنون " فى وسط كل التجارة التى تمر بين سبأ وأفريقيا " .

---

(١) يذكر جرجى زيدان : المرجع السابق ، ص ١٣٩ حوالى ١٢ اسما من ملـوك " سبأ وذى ريدان وحضرموت " .

وإلى جانب التجارة اهتم أهل اليمن بالزراعة اهتماما كبيرا وخصوصا وقد تميزت بلادهم بكثرة أمطارها الصيفية وجودة تربتها الغنية فزرعوا الحبوب والفواكه والخضر ، مصداقا لقوله تعالى : " لقد كان لسبأ فى مسكنهم أية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور " (سورة سبأ : الآية ١٥) .

ولا شك أنه كان لهذه القصص الشائعة بين الأمم الغربية عما بلغته مدن سبأ وحمير من الأبهة والعظمة ، أساس من الحقيقة . لأن خرائب الأبنية الفخمة من القصور والقلاع قرب مأرب ونجران والغراب ونقب الحجرة لتؤيد الروايات العربية والأوروبية التى تحدثت عما بلغته هذه البلاد من العظمة والمجد فى الأزمان الغابرة . وأن النقوش التى وجدت على هذه الأطلال وغيرها فى جنوب غربى البلاد ، لتعطينا فكرة عن حياة القبائل التى كانت تقيم فى جنوبى بلاد العرب وما بلغته من تقدم فى الفن والثقافة ، كما أن الأشكال الأولى لحروف الهجاء قد اشتقت عن الأشكال البابلية .

وفى مأرب ، التى تبعد خمسة وخمسين ميلا شمال صنعاء ، توجد أطلال سد متين البناء ، وله عيون كثيرة ، وإلى الجنوب الغربى قليلا يرى الناظر أطلال بناء كبير جدا ذى حجارة منحوتة ، مشيدة ببراعة ويرى قبالته صخرة عظيمة ، وعلى مقربة من هذه الصخور يرى الناظر سلسلة من الصهاريج التى تغذيها ينابيع المياه ، وعلى مقربة منها مدن أخرى قديمة اشهرها نجران .

وهذه السدود والأحواض لتثير إعجاب الرحالة الأوربيين ، من حيث براعة الرسم ومتانة البناء ، وهى تكشف ، لا عن المهارة التى بلغتها سبأ وحمير فى فن العمارة وحدها ، بل تدل أيضا على معرفتهم التامة بنظام الرى . ولا غرو فقد حذقوا فى شق الترع وإقامة الأحواض من هذه المجارى المتدفقة من الجبال للانتفاع بها فى رى أرضهم . وقد تأثرت الأعمال الهندسية فى مملكة سبأ بالأبنية المصرية والبابلية . وهذه المشروعات كانت مشروعات هندسية بارعة ندر أن قام بمثلها مهندسو مملكة أخرى .

وقبل أن نتحدث عن أسباب سقوط مملكة سبأ ، نشير إلى ورود اسم هذه المملكة فى أسفار التوراة وفى القرآن الكريم . فقد جاء فى سفر حزقيل عن سبأ " تجار شبا ورعمه هم تجارك . بأفخر أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك " مما يدل على ازدهارها التجارى . وجاء فى سفر الملوك بأسلوب يدل على أن مملكة سبأ كانت على حظ عظيم من الثروة " وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت ممتحنة بمسائل وأتت إلى القدس فى موكب عظيم جدا . بجمال حاملة أطيابا وذهبا كثيرا جدا وأحجارا كريمة " . وجاء فى القرآن إشارة إلى مملكة سبأ وصلاتها بسيدنا سليمان . والوصف الذى ذكرت به يدل على أن الملكة (التى لا يسميها) كانت ذات قوة وثروة وأنه كان لها مجلس تستشيره فى الأمور الهامة كما يتضمن أنها كانت تعبد الشمس .

قال الله تعالى على لسان الهدهد رسول سيدنا سليمان عليه السلام إلى مملكة سبأ " وجئتك من سبأ بنبأ يقين ، إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله " (سورة النمل : الآية ٢٢ ـ ٢٤) .

وقال سيدنا سليمان : " اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون " (الآية : ٢٨) ، " قالت يا أيها الملؤا إنى ألقى إلى كتاب كريم ، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتونى مسلمين " (الآيات : ٢٩ ـ ٣١) .

وقالت الملكة : " قالت يا ايها الملؤا أفتونى فى أمرى ما كانت قاطعة أمرا حتى تشهدون " (الآية : ٣٢) وقالت " وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ، فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما أتان الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون " (الآية : ٣٥ ـ ٣٦) . " ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون " (الآية : ٣٧) .

وإذا علمنا أن ملك سليمان لم يتعد حدود فلسطين وما حولها أمكننا أن نتبين أنه من المستبعد أنه كان يهدد مملكة بعيدة عنه بل يمكن أن يهدد مملكة كانت قريبة

لحدود مملكته . ويذكر ابن خلدون (الذى عاش بين أعوام ١٣٣٢ - ١٤٠٦) فى تاريخه مختصرا لأنساب الملوك اسمها " بلقمة " أو " بلقيس " وأنها حكمت قومها لمدة سبع سنوات قبل زيارتها لسيدنا سليمان ، وأربعة وعشرين عاما بعد عودتها ، وأنها كانت السادسة فى ترتيب الملوك الذين حكموا مملكة سبأ [١]، وتشير آيات القرآن الكريم صراحة (فى سورة النمل) إلى ملكة كانت تحكم سبأ وكانت معاصرة لعهد سيدنا سليمان . ولكن لم يرد اسم بلقيس أو ملكة لسبأ على الإطلاق بين السماء السبئية المعروفة والتى كشفت عنها المصادر الأثرية حتى الآن . وقد قرأ البعض هذا الاسم بلقمة أو بلقيس ، وأنه له صلة بالاسم المقة الذى ذكر كثيرا فى النقوش والذى يعبر عن معبود القمر .[٢]

ويكاد يجمع العلماء على أن أقدم النقوش المعروفة لا يتجاوز القرن الثامن قبل الميلاد . ويرجع البريت أن أقدم مكرب سبئى معروف (دون ذكر اسمه) عاش فى حوالى عام ٨٠٠ ق. م . وهذا ما ذهب إليه فيلبى أيضا مضيفا أن أول المكربين هو " سمهو على " من غير نعت أو لقب . وهذا يعنى أنه لا يوجد دليل خطى قديم على قيام مملكة سبئية أو ملكة فى سبأ فى اليمن فى القرن العاشر .[٣] وهو القرن الذى عاش فيد سيدنا سليمان (٩٧٠ - ٩٣٧ ق. م)[٤]، والذى تحدثت الكتب المقدسة

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٧٣ ؛ ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٧٣ ؛ أحد شرف الدين : المدن والأماكن الأثرية فى شمال وجنوب الجزيرة العربية ، ص ١٤٣ .

(٣) محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٥٥ .

(٤) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، ص ١٤٠ ؛ د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق) ، ص ٢٠٧ ؛ د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٤٠٤ . اختلف العلماء فى تحديد فترة حكم سيدنا سليمان فى القرن العاشر ق. م ، راجع : د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٦٧ حاشية (٣) .

عن قيام ملكة سبأ بزيارته فى مملكته ، أى أن سيدنا سليمان عاش قبل قيام مملكة سبأ بنحو قرن ونصف . ولكن هذا لا ينفى قيام مملكة صغيرة فى الأراضى المجاورة لمأرب[1]، كانت معاصرة لسيدنا سليمان وقبل أن تقوم مملكة سبأ الكبرى فيما بعد ،

---

(١) اختلف المؤرخون بخصوص ملكة سبأ وهل هى الملكة نفسها التى تحدثنا عنها آيات القران الكريم أم هناك أكثر من ملكة لسبأ ؟

يرى د. أبو المحاسن عصفور : (**معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٥١ - ٢٥٧**) أنه كانت تقوم فى الواحات فى شمال الجزيرة العربية وفى جنوب شرقى البحر المتوسط جاليات من أبناء العرب الجنوبيين يتولى أمرهم مقيم فى بلادهم وفى كل واحة من الواحات التى يمر بها الطريق التجارى العظيم الذى يوصل براً بين اليمن والشام ومصر كان يقيم حكام من معين أو سبأ تحميهم حاميات عسكرية لحماية جالياتهم التجارية فى خلال الألف الأولى قبل الميلاد وأثناء توسع المعينيين فى الواحات شمالا (عام ١٣٠٠ - ٦٣٠ ق. م)احتكوا بآشور وفينيقيا ومصر . وكانت آشور تتفاوض مع الحكام المعينين فى الواحات على أنهم الملوك المعينيين الجنوبيين لا على أنهم الممثلين لهم . كما أن الوثائق السريانية والعبرية تشير إلى بلاد هؤلاء الحكام الجنوبيين على أنها تقع جنوبى شرقى البحر الميت ويدل على ذلك من جهة أخرى على أن الكلام المعينيين والأدوميين (سكان سعير) خضعوا لسلطان ملوك بلاد العرب الجنوبيين .

كما ورد فى نصوص تيجلات بلاصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٨ ق. م) وسرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق. م) وسنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) ما يشير إلى أنهم فرضوا الجزية على ملكى سبأ " يثعمر " و " كرب ايلو " اللذين يحتمل أنهما كانا من حكام سبأ المقيمين فى الواحات على طريق التجارة إلى الشام لا ملوكا فى سبأ نفسها .

ويرى د. توفيق برو (**تاريخ العرب القديم ، ص ٧٢ - ٧٣**) أنه يستدل من نقوش آشورية عثر عليها فى بلاد النهرين من عهد تيجلات بلاصر الثالث —

وأن ملكة هذه المملكة الصغيرة هى التى عاصرت سيدنا سليمان عليه السلام

-- ومن عهد سرجون الثانى ، وغيرهما من ملوك ىشور انهم كانوا يأخذون الجزية من بعض ملوك سبأ ، ربما أن الآشوريين لم يصلوا فى فتوحهم إلى أرض اليمن ، فيبدو أن هذه الجزية إنما هى عبارة عن رسوم أو هدايا كان السبئيون يقدمونها إليهم عن تجارتهم التى كانوا يحرصون على إيصالها إلى الشمال ولا سيما قطاع غزة الذى كان مخزنا لتصريف البضائع اليمنية فى حوض البحر المتوسط . أو ربما كان المقصود بما ذكر فى النقوش قبائل عرفت باسم سبأ أو سبأى يظن الباحثون أنها كانت تقع فى شمال الجزيرة العربية ، ولا سيما وأنهم استنتجوا أن أصل السبئيين الذين كونوا مملكة سبأ فى الجنوب فيما بعد ، كانوا أصلا من منطقة الجوف فى الشمال ونزحوا لسبب من الأسباب إلى الجنوب اليمنى واستوطنوا فيه ، ثم أخذوا فى بناء دولتهم وفى التوسع حتى قضوا على دولة معين وحلوا محلها ، وحكموا البلاد بأجمعها . (وهذا هو ما جاء أيضا فى كتاب ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم ، ترجمة فؤاد حسنين على وزكى محمد حسن ، ص ٦٣) .

ويرى محمد بافقيه (تاريخ اليمن القديم ، ص ٥٥ - ٥٦) أنه يستدل من كتابات آشورية أن بعض الحكام السبئيين كانوا على صلة بملوك آشور خلال المرحلة التى سميت بمرحلة مكارب سبأ ، فمن عهد سرجون الثانى (٧١٥ ق. م) نجد ذكر " أتى امرا " السبئى (ويرجح أن المقصود هنا هو يثع امر المكرب السبئى الذى حكم عام ٧٢٠ ق . م ، إلى جانب الملكة سمسى ملكة العرب ، على أنهما قدما لسرجون أتاوة من الذهب والأحجار الكريمة والأعشاب والجمال . ومن عهد سنحاريب (٦٨٥ ق. م) ، تتحدث النقوش عن هدية أمر بإرسالها " كريب ايلو " الذى حكم عام ٦٨٠ ق. م ، الملك السبئى إلى سنحاريب، وذهب بعض الدارسين إلى أنه المكرب: كرب ايل وتر " الأول .

وعلل بعض العلماء على اطلاق لقب ملك على كرب ايل فى ذلك النقش بأن الآشوريين لم يهتموا كثيرا بألقاب هؤلاء الأمراء البعيدين، لذلك دعوا مكربا --

وزارته فى فلسطين وأسلمت معه لرب العالمين " قالت رب إنى ظلمت نفسى

== " ملكا " . وتؤيد هذه النقوش أن السبئيين قد بدأوا الاهتمام بالتجارب منذ وقت بعيد يسبق تلك الكتابات الاشورية ، وتشير أيضا فى الوقت نفسه بتجارتهم الخارجية فى ذلك الوقت . والجديد فيما ذكره المؤلف أنه كان يوجد ملكة تسمى سامسى وهى ملكة للعرب أى أنها كانت تحكم ضمن مكربى سبأ .

ويرى د. لطفى عبد الوهاب (**فى العرب فى العصور القديمة** ، ص ١٦٥ حاشية (٨) ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، ١٨٥ ، ٣٦٠ ، ٤٠٤ حاشية (٤) ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ - ٤٠٧) ، أنه كان يوجد مدينة تقع فى شمال الحدود السورية (بالمفهوم الجغرافى لهذه التسمية) وتحمل اسم سبأ وجاء ذكرها فى النصوص الاشورية فى القرن الثامن ق. م . (عهد تيجلات بلاصر الثالث) على أنها واقعة فى أقصى الغرب بالنسبة للآشوريين أى على حدود سورية ومن ثم تكون على حدود قريبة من حدود مملكة العبرانيين التى كان يتربع سليمان على عرشها . وقد قامت هذه المدينة ونمت حول واحدة أو أكثر من المستوطنات التى أقامها فى شمال شبه الجزيرة العربية التجار السبئيون الجنوبيون شأنهم فى ذلك شأن المعينيين الذين فعلوا شيئا مماثلا فى الشمال .

وفى رأيه أن سبأ المذكورة هنا ، هى سبأ الشمالية ، وهى مدينة تجارية تحصل على موردها الاقتصادى الرئيسى من تحكمها فى أحد المواقع الشمالية التى يمر بها الخط التجارى الذى تمر به القوافل المحملة بالطيوب وغيرها من السلع القادمة من جنوبى شبه الجزيرة العربية ومتجهة إلى موانى البحر المتوسط فى الشمال ، وأصبح من الطبيعى أن تتعارض مصلحة هذه المدينة السبئية التى تحكمها ملكة مع مصلحة مملكة العبرانيين . فقد أراد الملك سليمان أن يتبع سياسة اقتصادية يحول بها مملكته من الزراعة إلى الصناعة بما يستتبعه هذا من جلب مواد أولية يحصل عليها من أسواق تجارية خارجية ، كما أراد أن يدعم هذا الاتجاه الاقتصادى بانتهاج نشاط تجارى بحرى لا يجعله تحت رحمة الخط البرى التجارى القادم من الجنوب . ومن هنا نجد الملك سليمان يحاول ---

وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين " (سورة النمل : الآية ٤٤) .

-- إغراء احيرام ملك صور باستخدام هذا الخط التجارى البحرى الذى يبدأ وينتهى إليه هذا النشاط التجارى عند ميناء عصيون جابر (بجوار ميناء ايله) على رأس خليج العقبة . ومن هذا تثور مخاوف ملكة مدينة سبأ التى كان هذا الموقع التجارى هو المورد الاقتصادى الأساسى لمملكتها . ونفهم موقف التوتر الذى كان بينها وبين سليمان ، كما نفهم سبب الهدية السخية التى تظهر بين محتوياتها الطيوب والذهب والفضة والأحجار الكريمة ، كمحاولة لإقامة علاقات حسن جوار وللمحافظة على مصالحها التجارية .

ويذكر د. لطفى عبد الوهاب أيضا (المرجع السابق ، ص ١٥٦) أن الملك الذى حارب الملكة سامسى هو تيجلات بلاصر الثالث وغنم منها ٣٠ ألف جمل ، وأن الملكة سمسى ليست ملكة لكل العرب ، وإنما كانت رئيسة لقبيلة أو ربما لعدد من القبائل المتحالفة . كما يضيف (**المرجع السابق ، ص** ١٧١٧ - ٣٦١) أنه كان هناك أسماء لعدة ملكات فى العربية الشمالية من بينها ملكتان فى عهد تيجلات بلاصر الثالث وملكتان أخريان فى عهد الملك اسرحدون وراجع أيضا : ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٦٣ حاشية (١) ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ١٣١ .

وجاء عند د. بيومى مهران (**دراسات فى تاريخ العرب القديم** ، ص ٢٦٥ - ٢٦٧ ، ٣٢٤ -٣٢٥ ، أن هناك نص سومرى يرجع إلى عهد " ارادننار " من أسرة لجش الثانية والتى كانت تعاصر أسرة أور الثالثة التى حكمت فى النصف الثانى من الألف الثالثة قبل الميلاد جاء فيه كلمة " سابو " وتعنى " سبأ " . ويذهب " هرمل " إلى أن هذه الكلمة التى وردت فى النصوص السومرية إنما تعنى " سبأ " التى وردت فى التوراة ، أى أن تاريخ سبأ يعود إلى الألف الثالثة ق. م . وأن قوم سبأ الذين تحدثت عنهم النصوص السومرية ، إنما كانوا من العربية الصحراوية ، أى من البادية ، ثم هاجروا إلى اليمن ، فى ---

على أن بعض الأخباريين يذكر أن ياسر يهنعم أو ناشر النعم عندهم ، إنمـــا حكم بعد " بلقيس بنت ايل يشرح " فى القرن العاشر ق. م. وليس فى القرن الثالث .[١]

-- وقت لا نستطيع تحديده على وجه اليقين . وأن ذهبت بعض الآراء إلى أن ذلــك إنما كان فى القرن الحادى عشر ق. م .

هذا وقد روى القرآن الكريم وكذا التوراة والإنجيل قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام فى سورة النمل ، ومنها نعرف أن الملكة حين تأكدت أنها أمام واحد من المصطفين الأخيار ، يريد لها ولقومها ، الهداية إلى سواء السـبيل ، وليـس رجلا غرته قوته ، فأراد أن يجعل من بلادها جزءا من ممتلكاته ، فتقرر الذهاب بنفسها إلى النبى الكريم ، ويستعد سليمان لاستقبال الملكة ، فيعد لها أمرا يخــرج عن قدرة البشر العاديين ، ويدخل فى عداد معجزات الصفوة المختـــارة ، مــن رسل الله وأنبيائه الكرام ، فيأتى بعرشها إلى قصره مصداقا لقوله تعالى : " قــال يا أيها الملؤا أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين " (سورة النمل : آيــة ٣٨) " قال عفريت من الجن أنا اتيك به قبل أن تقوم من مقــامك وإنــى عليــه لقوى أمين " (آية ٣٩) حتى إذا ما وصلت الملكة إلى مكان سيدنا سليمان " قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدى أم كانت من الذين لا يهتدون " (آيــة ٤١) ، " فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين " (آية ٤٢) ، ثم مفاجأة أخرى " قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حســبته لجــة وكشفت عن ساقيها ، قال أنه صرح ممرد من قوارير " (آية ٤٤) .

وهنا كانت الملكة قد رأت كل ما يبعد عنها أية ريبة فى أنها أمام نبــى الله الكريم ، سليمان عليه السلام ، وليس ، كما كانت تظن فى بادئ الأمر بأنه ملــك طامع فى مملكتها أو يبغى الاستيلاء عليها . أو يجعل من قومها أذلة ، وهنا أراد الله لها الهداية والإرشاد ، ومن ثم " قالت ربى إنى ظلمت نفسى وأســلمت مــع سليمان لله رب العالمين " (سورة النمل : آية ٤٤) .

(١) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، ص ١٤٠ .

اختلف المؤرخون فى أسباب سقوط مملكة سبأ ، فيرى البعض أن السبب هو وقوع سبأ فى أواخر أيامها فريسة للفوضى وهدفا للأطماع الخارجية ، وأثر فى كيان المملكة المنازعات التى وقعت بينها وبين جيرانها الرايدنيين والحضارمة والقتبانيين والحميريين ، فنتج عن ذلك حروب طويلة تفاقم أمرهم كان منها ما وقع بين سبأ وذوريدان من جهة وحضرموت وقتبان من جهة ثانية وانتشرت هذه الحروب فى جميع أنحاء البلاد .

واضطر الملك السبئى إلى الاستعانة بأمير قبيلة همدان (يرام ايمن) . وكانت مكانته قد ارتفعت فى نظر الملك لفض النزاع بينه وبين أعدائه ، فأدى هذا الأمير دوره بنجاح وانعقد بين الطرفين صلح لم تعرف ضروطه .

وبعد ذلك أخذ يرم أيمن ينافس ملك سبأ على السلطة . ولم يلبث الريدانيون والحميريون أن استغلوا ، بدورهم ، هذا النزاع الهمدانى - السبئى ، فوقفوا بجانب مملكة سبأ . أما حضرموت فقد تأرجحت بين الكفتين ، تقف مرة إلى جانب همدان وأخرى إلى جانب سبأ ، وفقا للظروف السياسية التى تحيط بها . وأخذ الأحباش من جانبهم يظهرون على سواحل اليمن الجنوبية فى منطقة إمارة الأوزان وبدءوا يتدخلون فى شئون مملكة سبأ ، وراحوا يتحزبون لفريق آخر ، لتحقيق أطماعهم فى شبه الجزيرة العربية ، وتبلور الموقف فى النهاية بين حلفين يضم الحلف الأول سبأ وريدان وحمير ، والثانى يضم : همدان وحضرموت ، والأحباش .

انتصر الهمدانيون فى أول الأمر على خصومهم ، غير أن هؤلاء ما لبثوا أن أحرزوا النصر الحاسم عليهم وازداد تبعا لذلك نفوذ ريدان وحمير مما مهد السبيل أمام الحميريين للاستيلاء على السلطة فى عام ١١٥ ق. م . وتأسيس المملكة الحميرية التى حكم ملوكها تحت اسم " ملوك سبأ وذى ريدان " .(١)

ويرى البعض الآخر أن السبب فى سقوط المملكة يرجع إلى تصدع سد

---

(١) د. توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، ص ٧٨ - ٧٩ .

مأرب الذى لم يكن لهم غنى عنه لرى أرضهم ريا منتظما ، والذى كان السبب الرئيسي فى رخائهم . وواضح أن تصدع جدران السد هو نتيجة مباشرة لإهمال الحكومة القائمة فى ذلك الوقت للمنشآت الحيوية للبلاد . وأدى ذلك إلى هجرة القبائل التى كانت تقطن هذه المنطقة وتعتمد على الزراعة كمورد حيوى لها إلى المناطق الشمالية والشرقية من جزيرة العرب . وأن القرآن الكريم وصف هذا الحدث بأنه عقاب أنزله الله بأهل سبأ . مصداقا لقوله " فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط واثل " (سورة سبأ : الآية ١٦) ، وسيل العرم الذى يشير إليه القرآن الكريم ، والذى كتب عنه المفسرون كثيرا ، وكان سببا فى خراب المنطقة ، حدث فى وقت ما بين أعوام ٥٤٣ ، ٥٧٠ ميلادية ، أى قبيل مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونلاحظ أن أغلب ما كتبه المفسرون ملئ بالقصص الخيالية سواء أكانت عن سبب تخريب السد وتهدمه ، أو عن ملوك العرب القدماء ونسبهم . ولكن أحب القصص إلى النفوس هو ما جاء فى كتاب حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى فيقول :

" ذكر بعض المفسرين أن الخلد هو الذى خرب سد مأرب وذلك أن قوم سبأ كانت لهم جنتان أى بستانان عن يمين من يأتيها وشماله ، قال الله تعالى لهم : " كلوا من رزق ربكم واشكروا له " (سورة سبأ : الآية ١٥) أى على ما أنعم به عليكم . وكانت بلدتهم طيبة لا يرى فيها بعوض ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ولا ذباب وكان الركب يأتون وفى ثيابهم القمل وغيره ، فإذا وصلوا إلى بلادهم ماتت ، وكان الإنسان يدخل البستان والمكتل على رأسه فيخرج وقد امتلأ من أنواع الفواكه من غير أن يتناول شيئا منها بيده . فبعث الله لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه عليهم ، وأنذروهم عقابه فأعرضوا ، وقالوا ما نعرف لله علينا من نعمة ، وكان لهم سد بنته بلقيس لما ملكتهم وبنت دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجا على عدد أنهارهم . فكان الماء يقسم بينهم على ذلك ، فلما كان من شأنها مع سيدنا سليمان عليه السلام ما كان مكثوا مدة بعدها ثم طغوا وبغوا وكفروا ، فسلط الله عليهم جرذا أعمى يقال له الخلد فنقب السد من أسفله ، فهلكت أشجارهم وخربت أرضهم وكانوا يزعمون فى علمهم وكهانتهم أن سدهم ذلك تخربه فأرة ، فلم يتركوا فرجة بين

حجرين إلا ربطوا عندها هرة ، فلما جاء الوقت الذى أراد الله تعالى أقبلت فأرة حمراء إلى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى تغاضت عنها الهرة ، فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها ونقبت ، وحفرت فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم بالرمل " .(١)

ولسنا فى حاجة إلى القول أن أكثر ما ورد فى تلك القصة عن سبب تخريب السد يغلب عليه الخيال ويعوزه المنطق .(٢) فلما يأت ذكر ذلك الخلد فى آيات القرآن الكريم . قال تبارك وتعالى : " فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم " (سورة سبأ : الآية ١٦) والله سبحانه وتعالى قادر على أن يرسل على السد أكثر من فأرة لتخربه ، كما حدث مع اصحاب الفيل مصداقا لقوله تعالى : " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول " (سورة الفيل : الآيات ١ ـ ٥) .

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ١٧٦ ـ ١٧٩ .

(٢) عندما زار د. فخرى بقايا سد مأرب لاحظ أن المونة التى كانت تستخدم فى بناء السد ، هى مونة فى منتهى الصلابة ، ورأى بعضها عند البوابة اليسرى . كما لاحظ أيضا أنهم كانوا يربطون الأحجار بعضها البعض بواسطة شرائط قصيرة قوية من النحاس أو الرصاص وذلك للمساعدة فى زيادة تماسك الجدران ، وكثيرا ما يذهب الأهالى حتى الآن إلى بقايا البوابة اليسرى ليحطموا بعض تلك الأحجار عند اللحامات ليستخرجوا منها تلك الشرائط المعدنية لحاجتهم إليها . ويبلغ طول إحداها ١٦ سم وقطره ٣,٥ سم ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ . كما عثر المنقبون الآثاريون على بقايا من الرصاص فى المبانى الأثرية القديمة باليمن تشير إلى أن أهل المنطقة كانوا يصبون الرصاص المصهور فى أسس الأعمدة أيضا لتثبيتها ، راجع : د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٣٣٧ ؛ د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٦١ ـ ٦٦ .

وهناك من الكتاب العرب القدماء ما تتميز به كتاباته بالدقة والصدق . فها هو أبو الحسن الهمداني الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى[1]، يتحدث عن سد مأرب فيقول : " ذكر مأرب . وهى مسكن سبأ الذى قال الله فيه : " لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم.واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور " (سورة سبأ : الآية ١٥) وهى كثيرة العجائب . والجنتان عن يمين السد ويساره ، وهما اليوم غامرتان (والغامر العافى وكذلك السامر فى كتب أصحاب الشروط فى شراء الأرضين بغامرها) وإنما عفتا لما اندحق السد فارتفعتا عن أيدى السيول . قال الحسن الهمدانى وجدت السواقى . فقال بعض من كان معى : لا أظنه إلا من بقايا نخل الجنتين وما أحسب أنه بقى من العصر القديم . وأما مقاسم الماء من مذاخر السد فيما بين الضياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس . ورأيت بناء أحد الصدفين باقيا وهو الذى يخرج منه الماء قائما بحاله على أوثق ما كان ولا يتغير إلى أن شاء الله عز وجل . وإنما وقع الكسر فى العرم ، وقد بقى من العرم شىء مما يصالى الجنة اليسرى يكون عرض أسفله خمس عشرة ذراعا .. وكان السيل يأتى من أماكن كثيرة ومواضع جمة فى اليمن ".[2]

تسقط كميات كبيرة من الأمطار فى مناطق كثيرة فى شرقى اليمن وتسير فى شكل سيول فى الوديان المختلفة حتى تصل إلى منطقة قريبة من مأرب ، فتدخل مياه هذه السيول متدفقة فى فجوة بين الجبال . وتعرف هذه المنطقة باسم جبل بلق . وتسمى الفتحة بين الجبلين باسم الضيقة . كما يعرف الوادى الذى تسير فيه تلك السيول باسم وادى ذنة ويرتفع جبل بلق فى تلك المنطقة ، وهو جبل ذو صخور بركانية إلى ارتفاع ٣٠٠ متر تقريبا ، ويبلغ اتساع " الفجوة " بين الجبلين ٢٣٠ مترا فى البداية ثم تتسع فى الوسط فتصبح ٥٠٠ مترا ثم تضيق بعد ذلك فلا تزيد عن

---

(١) هو الجغرافى والمؤرخ العربى أبو الحمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى الذى توفى فى صنعاء فى عام ٩٤٥ ميلادية ، راجع ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

١٩٠ مترا .

وقد اختار السبأيون القدماء هذا المكان لتشييد السد فبنوا جدارا يعترض الوادى ويوقف مياه السيول المتدفقة ، وجعلوا فى الناحيتين فتحتين إحداهما إلى أقصى اليمين والأخرى فى أقصى اليسار وهى أكبر وأعظم وتنقسم إلى قسمين وبنوا لها جدارين كبيرين يسيران مسافة غير قليلة ، ثم ينتهيان بحوض كبير مبنى بالحجر نرى فى جهاته المختلفة فتحات متعددة يخرج من كل منها قناة لتصريف المياه فى الوادى الفسيح .

وكان هذا السد مقاما لغرضين أولهما السيطرة على مياه السيول المتدفقة فلا تخرب ما يعترضها إذا جاءت غير عادية ، وثانيهما تخزين تلك المياه ورفع مستواها أمام السد وعدم الصرف منها إلا بالمقدار اللازم للرى . وبذلك يضمنون رى وادى مأرب الذى يرتفع عن مستوى أراضى السيول بخمسة أمتار ، ويأمنون توفر كميات المياه اللازمة للرى حتى يحين موعد مجئ سيول أخرى من المناطق الممطرة فى شرق اليمن .(١)

وقد وصلتنا بعض المراسيم القليلة التى ترجع إلى عصر ملوك سبأ فكانت جباية الضرائب موكلة إلى جماعة صغيرة تحت إشراف الملك ، وهى تختلف باختلاف الإقليم . وهذه الجماعة باختيارها من قبائل خاصة ، ومن طبقة من الشعب خاصة تقابل مجلس الرأى فى قتبان . فكان هذا المجلس يشرف على الأنظمة الإدارية فى حدود القوانين الموضوعة له .

ونقرأ فى النقوش أن دولة سبأ استطاعت شراء بعض الإقطاعات ، وما عليها وضمها إلى أملاكها كأملاك حكومية فأصبح من حق الحاكم السبائى أن يدخل

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٨٠ – ١٨٥ الذى يعطى وصفا دقيقا للسد والبوابة اليمنى واليسرى ، وراجع أيضا : أحمد شرف الدين : المدن والأماكن الأثرية فى شمال وجنوب الجزيرة العربية ، ص ١١٤ – ١٢١ .

الزراعة الخاصة كالنخيل مثلا أو يضم الإقطاعية بمن عليها إلى قبيلته .

ومن هذا يتبين لنا أنه كانت توجد إلى جانب الأراضى الحكومية أراضى أخرى إقطاعيات تابعة للتاج مباشرة وكان التاج يتولى إدارتها . ونستطيع أن نتبين طريقة استغلال الأراضى التى كانت ملكا للدولة السبائية عن طريق وثيقتين ففيهما نقرأ شيئا عن قانون الضرائب فاستصلاح الأراضى كان يتم على يد قبائل بإشراف السبائيين . أما تحصيل الضرائب المقررة فكان ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- ثمن الأرض ٢- أجر الأرض

٣- ضريبة الأرض للأغراض العسكرية .

وجميع هذه الأموال كانت تحصل عادة من الدخل . ولضمان تحصيل هذه الضرائب كان للدولة الحق فى الاستيلاء على المحصول إذا اقتضت الأحوال ذلك ، وذلك لأنها كانت تسعر المحصول فى الحقل أو على الشجر . وكانت الدولة فى هذه الحالة تستولى على القدر الكافى لتسديد المال ، وتترك الباقى للمزارع .

وقد استتبع هذا النوع من الحياة قيام نظام اقتصادى حكومى دقيق فكان لابد من توافر المخازن ورجال التجارة والمالية لتقدير أثمان المحصول وإن كان المزارع فى هذه الحالة هو الشخص المغبون إذ كان يبدأ حياته بالاستدانة لسداد تكاليف حياته حتى يجنى ثمار تعبه . وكانت الضرائب تقدر والمحصول لم يجمع بعد .

أما نسبة هذه الضرائب فلم تصلنا ما يعاوننا على معرفتنا معرفة دقيقة وكل ما نعرفه عنها أنها كانت تجبى من القبيلة كوحدة وكانت تختلف الكمية باختلاف المحاصيل من حيث الكثرة ونوع المحصول . كما أن ضريبة الكم هذه التى كانت تفرض على القبيلة كانت توزع على المزارعين بعد أخذ رأى مجلس الشورى وموافقة القبيلة .

ولما كان المزارع مطالبا بأداء خدمات عسكرية أصبح لزاما على قانون الضرائب أن يبحث عمن يخلف المزارع فى استثمار الأرض أثناء غياب المزارع .

أما أدوات القتال التى كان يحتاج إليها المحارب السبائى فكانت تشترى من مبلغ يمنح له كعهدة .

ونقرأ أحيانا فى النقوش شيئا عن الإهمال فى جباية الضرائب إلا أننا نقرأ أيضا كثيرا من الأخبار التى نتبين منها الحرص على وجوب العمل ، ومعاقبة المهملين الذين لا يصيبون أنفسهم بأضرار البطالة فحسب بل الاقتصاد القومى أيضا .[1]

وبالنسبة لأراضى المعبد فإن سادة العشائر يتعاونون فى استغلالها وعليهم أيضا مسئولية المعاهدات الخاصة باستغلال هذه الأراضى . وقد وجدت فى أراضى قبيلة بكيل . أملاك متسعة لمعابد مختلفة للمعبود المقة وكانت تديرها عشيرة مرشد . ويظهر أن المعابد السبئية ، وكذلك القتبانية كانت مراكز تجارية هامة إذ أنها كانت إلى جانب المحافظة على بيوت المعبود ، وعلى القيام بالنفقات الضرورية لمعيشة رجال الدين تقدم نشاطها الاقتصادى محافظة على نظم المعابد الإقطاعية وكانت القبيلة مطالبة بدفع ضريبة المعبد وقدرها عشر الدخل والميراث والمشتريات إلى جانب ضريبة أخرى تسدد للمعبد وكانت فى الأصل تقدم له كهبة . وهذا يجعلنا نميل إلى أن الإدارة كانت هى التى تتولى الوساطة بين أملاك الدولة وبين ثروة المعبد من حيث التجارة وغيرها .[2]

كما عرفت مملكة سبأ النظام النيابى إلا أن ما بأيدينا من وثائق لا يكفى للحديث عنه بخلاف الحال عند القتبانيين .[3] وفى أواخر عصر المملكة السبئية نجد طبقة الأشراف تزداد نفوذا وقوة وتكون نوعا من أنظمة الإقطاع ، وأخذ نظام الانتخابات النيابية يختفى تدريجيا . واصبح هناك نوع من احتكار ملكية الأرض . وكانت تبرم بين الملك ورئيس القبيلة اتفاقية تحدد العطايا والضرائب التى يجب أن

---

(١) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٤٤ - ١٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٣) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ، ١٤٠ .

تدفعها للملك وكان ملوك سبأ يمنحون كثيرا من الأملاك إلي طبقة المـــلاك وكـــانوا يمنحون أحفادهم دخلا خاصا .[١]

وكانت بعض الوظائف قاصرة على طائفة أو أسرة بعينها . وكانت وراثـــة المكانة الاجتماعية للقبيلة من حق سائر أفرادها ، وكان يتولى منحها شـــيخ القبيلـــة . وكان لكل مجموعة من الموظفين رئيس .

ولحماية مصالح طبقة الأشراف ظهرت طبقة الموظفين وهؤلاء عبارة عـــن طبقة من الشعب والجمعيات الحكومية الكبرى . ويظهر مـــن ألقابـــهم أنـــهم نشـــأوا موظفين وتتدرجوا فى سلك الوظائف فهم إذن من طبقة خاصة بهم . وكان منهم مـــن يمثلون بطانة الملك فى المدينة . وكان منهم من يعمل فى خدمة الأمراء والمعابد .[٢]

مملكة أوزان أو اوسان (٦٢٠ أو ٦٠٠ إلى ١١٥ ق. م) :

أدى العنف الذى دب فى أوصال دولة سبأ إلى ظهور قبائل أخـــرى علـــى مسرح الأحداث السياسية فى جنوب الجزيرة العربية مثل خولان وهمـــدان وســـمعى وشامر وذوريدان وغيرها . وقد أضر هذا التطور السياسى بســـبأ ضـــررا بليغـــا إذ انتهزت دولة أخرى الفرصة ووطت قدمها فى جنوب غرب الجزيرة وأخذت تنـــافس سبأ من ناحية أخرى حتى فرضت نفسها فرضا وهى دولة أوزان ، وبما كان مركـــز هذه المملكة فى وادى مرخة .[٣]

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٢)المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٣)لا نعرف على وجه اليقين أين كان مركز هذه المملكة ، غير أن دلائـــل كثـــيرة تشير إلى أنه كان فى الأنحاء الواقعة جنوب قتبان ، ربما فى وادى مرخة ومـــا حواليه . راجع : محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٢٢ . عـــن دويـــلات أوزان وسمعان وأربع وجبان ومهأمر ، راجع : د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٣٢٩ - ٣٣٤ ؛ د. عبد العزيـــز صـــالح : المرجـــع السابق ، ص ١٠١ - ١٠٤ .

ويعتقد فيلبى أن أول ما ظهرت المملكية فى أوزان كان حوالى عام ٢٣٠ ق. م ، وقد ظلت قائمة حتى حوالى عام ١١٥ ق. م . ونكر المؤلف شجرة النسب لهذه المملكة حكم فيها ثمانية ملوك.وكان أولهم مرتوبن حكم من ٦٢٠ أو ٦٠٠ ق. م . وذكر كملك لأوزان ولكن هزم بواسطة ملك سبأ كرب ال وتر . وكان آخرهم عم يثع غيلان لحى وحكم فى عام ١٢٠ ق. م . وفى عام ١١٥ ق. م . ضمت أوزان إلى سبأ وذو ريدان .(١)

ويبدو أن مملكة أوزان فى فترة قوتها نجحت فى اقتطاع بعض الأراضى من دولتى قتبان وحضرموت . ولا شك فى أن أوزان ، إبان ازدهارها ، قد نافست سبأ منافسة شديدة . ولعلها استطاعت أن تحتكر للتجارة البحرية وخاصة فى السلع الأفريقية ، وذلك من خلال سيطرتها على الأجزاء الساحلية فى الشاطئين اليمنى والأفريقى . ولم يكن أمام سبأ وقتها إلا أن تهتم بطرق القوافل البرية وبالزراعة . ثم جاءت حروب كرب ال وتر لتحقق لسبأ السيطرة الكاملة على الطرق التجارية إذ اجتاح ذلك الملك معظم المدن الواقعة علي البحر وضمها إلى مملكته .

ولا تضيف نقوش أوزان شيئا إلى معلوماتنا المحدودة عن الناحية السياسية من حياة تلك المملكة . وفى مجموعة النقوش التى نشرها كونتى روسينى تكرر عبارة " يصدق ال فرعم شرح عث ملك أوزان " الذى كان رابع ملك يحكم أوزان .

وكانت أوزان فى علاقة ود مع المعينيين ، وظلت أوزان القبيلة باقية ، بعدزوال حكومتها ، فترة طويلة ، إذ ورد ذكرها أول الأمر فى نقوش قتبان وفى القرن الثانى الميلادى قرب سقوط قتبان نفسها ذكرت أوزان فى نقش يعود إلى عهد الحكم المشترك لسعد شمسم اسرع وابنه مرثدم يهحمد ملكى سبأ وذى ريدان . وذلك أثناء المعارك التى دارت بين هذين الملكين وكل من حضرموت وقتبان وذى معاهر وخولان . وقد تعرضت خلالها كل مدن أوزان وحصونها للدمار .(٢)

---

(١) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ٢٨٩ - ٢٩٩ .

(٢) محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٢٣ - ٢٤ .

كما عثر على عدة نقوش فى معبد يعرف باسم معبد نعمان وصف فيه الملك **يصدق ال فرعم شرح عث** ملك أوزان بأنه ابنا للمعبود ود وهـو المعبـود القومـي لأوزان ومعين كما أن عم كان معبود قتبان وسين معبود حضرموت والمقة معبـود سبأ .[١]

وازدهرت أوزان فى عصر هذه الملكية الأخيرة وامتد نفوذهـا مـن بـاب المندب على الساحل إلى الأحور ، كما امتد فى الداخل إلى حدود قتبان ، ومن أشـهر مناطقها الأثرية : مسورة ومرخا ونعمان وخلة والسقية وأم ناب وخليج عدن .[٢]

دولة سبأ وذو زيدان أو سيطرة مملكة حمير (ظهرت بعـد عـام ١١٥ ق. م . واستمرت حتى عام ٥٢٥ ميلادية) :

وهى آخر دولة كبرى ظهرت فى جنوب الجزيرة وأخذت تتوسع تجاه البحر تقع مملكة حمير بين سبأ والبحر الأحمر ، وتشغل الأراضى التى يطلق عليـها اسـم قتبان . وقد حلت الأمر محل قتبان التى ظهرت قبلها ، ثم اسـتوعبت مملكـة سـبأ وريدان ، وظهرت مملكة حمير بعد ١١٥ ق. م . واتخذ الحمـيريون ريـدان التـى عرفت فيما بعد باسم ظفار مقرا لملكهم . وكانت ظفار مدينة داخلية على بعـد مائـة ميل شمال شرق مخا على الطريق إلى صنعاء ، وحلت محل مأرب عاصمة سـبأ ، وقرناو عاصمة المعينيين . وقد ورث الحميريون ، المعينيين والسبئيين فـى الثقافـة والتجارة وكانت لغتهم هى نفس لغة السبئيين والمعينيين من قبلهم . وكان الحمـيريين يعيشون فى ريدان قرب بحر العرب ، وهم من فرع السبئيين ، وهم اذواء ويسـمى كبيرهم " ذو ريدان " ولما تغلبوا على السبئيين صـار لقـب كبـيرهم " ملـك سـبأ وذو ريدان " ودامت مملكـة حمـير ٦٤٠ سـنة يمكـن تقسـيمها إلـى عصريـن متساويين .[٣]

---

(١) ديتلف نيلسن وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٣) يقسم محمد بافقيه: فى تاريخ اليمن القديم، ملوك هذه الدولة إلى ثلاثة أقسام: --

- يلقب ملوك العصر الأول بملوك سبأ وريـــدان .[١] (مـــن عـــام ١١٥ ق. م ، إلى ٢٧٥ ميلادية) .

ويبدأ العصر الثانى بضم حضرموت ويمنت إلى حمير ، ويلقـــب ملوكـــها بلقب ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت (من عام ٢٧٥ إلى ٥٢٥ ميلاديـــة) . وتختلف مملكة حمير عن مملكة سبأ فى اهتمامها بالفتوحات ، فتغلبوا علـــى بعـــض البلاد المجاورة ، وحاربوا الفرس والأحباش .

-- أولا - ملوك سبأ وذو ريدان وأصحاب هذا اللقب هم :
(أ) أسرة الشرح يحضب الأول (ملوك سبأ وذى ريدان) (ص ٨٤ - ٨٧) .
(ب) أسرة وهب ال يحز (ملوك سبأ) (ص ٨٧ - ٩٣) .
(ج) سعد شمسم اسرعوينهو مرثدم (لملوك ســبأ وذى ريـــدان) (ص ٩٣ - ٩٧)
(د) كرب ايل بين (ملك سبأ وذى ريدان) (ص ٩٧ - ١٠١)
(هـــ) أسرة يارم ايمن الهمدانية (ص ١٠١- ١٠٣) . وحكم شـــاعرم اوتـــر ملك سبأ وذى ريدان (ص ١٠٣ - ١١٣)
(و) أسرة فارعهم ينهب (ص ١١٣ - ١٣٦) . وحكم الشرح ويحضب بـــن فارعم ينهب ونشأ كرب يأمن يهرحب .
ثانيا : ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت (ص ١٣٧-١٥١) ظهر هذا اللقب فى نهاية القرن الثالث الميلادى ، وحكم ياسر يهنعم وابنه شمر يهر عشر وخلفائهم .
ثالثا : ملوك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم طودا وتهامة " حكم ابكرب اسعد بن ملك كرب يها " وتشرحبيل يكمل (ص ١٥١ - ١٥٨) .

(١) د. توفيق برو : المرجع السابق ، ص ٨٠ - ٨٣ ؛ د. بيومى مهران : المرجـــع السابق ، ص ٣٠١ - ٣٢٨ .

ولا نستطيع أن نصل إلى معلومات مؤكدة عن أعمال ملوك حمير لاختلاف الروايات ، كما أنه ليس من السهل الاهتداء إلى تاريخ هؤلاء الملوك من الآثار المنقوشة أو النقود ، لتشابه أسماء كثيرة من هؤلاء الملوك الذين عاشوا فى عصور متقاربة . ولعل السبب فى تشابه أسماء ملوك حمير وزيادة عددهم ، يرجع إلى أن بعض مؤرخى العرب أدخل فى عداد هؤلاء الملوك قوادا اشتهروا بفتوحاتهم ، فادخلوا فى عداد ملوكهم .

جاء ذكر قبيلة حمير فى كتب الكتاب الكلاسيكيين . وقد ذكر بلينيوس حمير ، وذكر أن عاصمتها هى مدينة ظفار . وذكر بلينيوس أن الحميريين كانوا فى أيام حملة اليوس جاليوس أى فى القرن الأخير قبل الميلاد من أكثر القبائل عددا .[١]

وينسبهم النسابون إلى " حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان " ويدعونه بـ " العرنج " وزعموا أنه كان ملكا ، وأنه تولى الملك بعد هلاك أبيه " سبأ ابن يشجب " ، وأنه أول من تتوج بالذهب ، وأنه ملك خمسين سنة وعاش ثلثمائة عام ، وكان له من الولد ستة منهم تفرعت قبائل حمير .

عرف ملوك حمير فى الكتب العربية بالتبابعة ، وأحدهم " تبع " وورد فى القرآن الكريم خبر " تبع " : " أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين " (سورة الدخان : الآية ٣٧) .

وليس من المستبعد أن يكون المراد بقوم تبع قبيلة عربية حلت بها نكبة من النكبات الطبيعية فى عهد لا يبعد كثيرا عن ظهور الإسلام .[٢] وذهب المفسرون إلى أن تبعا كان رجلا من حمير سار بالجيوش حتى حير الحيرة ثم أتى سمرقند فدمرها .

---

(١) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث، ص ١٣٧ –١٣٨ ؛ وعن عصر دولة حمير ، راجع : د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٣٣٥ – ٣٩٠ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١١٦ – ١٣٤ .

(٢) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

وكلمة " تبع " لم ترد فى نصوص الخط المسند ، وقد نعت ملوك حمير فيها بلفظ " ملك " . وأول ملك حمل اللقب الجديد ، لقب " ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات " هو الملك " شمر يهر عشى " المعروف باسم " شمر يرعش " عند المؤرخين العرب . أما والده فهو " ياسر يهنعم " وكان ملكا من ملوك " سبأ وذى ريدان " ويدعى بـ " ناشر النعم " فى كتب الأخباريين .

١- عاش ياسر يهنعم فى القرن الثالث للميلاد ، وقد ورد اسمه فى جملة نصوص منها نص يرجع إلى عام ٢٧٠ ميلادية .

٢- شمر يهرعشى : عثر فى محرم بلقيس بمأرب على نقشين من عهده وصف فيهما بـ " ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت بن ياسر يهنعم ملك سبأ وذى ريدان " مما يوحى بأن ذلك الملك هو الذى ابتدع هذه الإضافة الجديدة فى اللقب الملكى ، كما أن هناك نقوشا أخرى من المكان نفسه يوصف فيها شمر يهرعشى بـ " ملك سبأ وذى ريدان بن ياسر يهنعم ملك سبأ وذى ريدان " ومجموعة ثالثة من النقوش من الموضع نفسه أيضا تجمع بين الأب والابن فى عهد واحد : " ياسر يهنعم وابنه شمر يهرعشى ملكى سبأ وذى ريدان " .

وهكذا نجد أنه بعد أن حكم شمر يهرعشى مع أبيه حكما مشتركا انفرد بالحكم فترة حدث خلالها التغيير فى اللقب الملكى . والاسمان ياسر يهنعم وشمر يهرعشى من الأسماء التى عرفها الأخباريون العرب وأحاطوها بهالة كبيرة من البطولة فالأب هو " ناشر النعم " الذى نسبوا إلى عهده الفتوحات الكثيرة . والابن هو الذى اسموه " شمر يهرعشى " وجعلوه فاتحا يضارع ذا القرنين (؟) . ومهما كانت المبالغة فى تلك الروايات فإنه مما يشك فيه أن ذلك الملك قد ترك فى أذهان قومه ، جيلا بعد جيل حتى مجىء الإسلام ، أثرا باقيا وذكرى عميقة .[1]

---

(١) محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ١٣٧ - ١٤٦ .

فتحدثنا النقوش أنه سار بجيوشه وبأهل جزيرة العرب إلى أرمينيا ، وقـاتل الترك وهزمهم ، ثم سار نحو المشرق وتغلب على قباذ ، واستولى علـى فـارس ، ووصل إلى سمرقند ، ثم بسط نفوذه على الهند وعين أحد أبناء ملوك الهند ملكا علـى الصين ، ثم عاد فسار إلى مصر ومنها إلى الحبشة فاستولى عليها ، وهرب الأحبـاش إلى غربى الأرض إلى البحر المحيط ، فتبعهم " شمر " حتى بلغ البحر ثم رجع إلـى بلاده إلى قصر غمدان[1]، فأقام فيه إلى أن توفى ، بعد أن ملك الأرض كلها . وقـال الأخباريون أن شمر يهرعش هو أول ملك أمر بصنعة الدروع من الفضة . ولدينـا من عهده تشريعا على جانب كبير من الأهمية سنه الملـك لشـعب " سـبأ " أهـل " مأرب " وحدد فيها نظام بيع المواشى والرقيق والمدة اللازمة التـى يجـوز فيـها إرجاع المبيع إلى البائع .

وهناك نص يحدثنا عن معركة وقعت بين الهمدانيين والحميريين ويدل هـذا النص على أن الهمدانيين كانوا مستقلين ، وكانت لهم قوة وكان لهم سلطان ، وانهم لم يفقدوا مكانتهم السياسية ، وانهم انتصروا على قوات شمر يهرعش فى خارج مناطق همدان .

٣ - ملك كرب يهأمن : عثر على نص ذكر فيه هذا الملك وابنيه " ابو كرب اسعد " و " را امر ايمن " وهم جميعا ملوك " سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات " أقـاموا معبدا للمعبود " ذو سموى " أى " معبود السماء " فى سنة ٤٩٣ من التاريخ الحميرى المقابلة لعام ٣٧٨ للميلاد . وهذا النص يرينا تطورا خطيرا فى الناحية الدينية طـرأ على اليمن خلال هذه المدة يدل على إعراض الملوك لأول مرة عن آلهتـهم القديمـة وعبادتهم إلها جديدا هو " ذو سموى " .

---

(١) فى صنعاء ، وكان بناؤه فى القرن الأول للميلاد ، وظل باقيا إلى أيـام عثمـان ابن عفان فى أوائل القرن الأول للهجرة ، راجع : جرجى زيدان : العرب قبـل الإسلام ، ص ١٦٥ .

٤ - اب كرب اسعد : انتقل إليه الملك بعد وفاة أبيه ملك كرب يهأمن ، وتولى الملك حوالى سنة ٤١٥ أو ٤٢٠ ميلادية . وأضاف إلى لقب " ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات " إضافة جديدة ألحقها فى آخره ، هى : " فى الجبال وفى تهامة " ، وأقام هذا الملك حصنا فى وادى ماسل ليكون معقلا تقيم فيه قوات سبئية لحماية الطريق من هجوم القبائل وتعرضها بالقوافل التى تسلك هذا الوادى محملة بالبضائع والتجارة بين اليمن ونجد .

وتزعم الروايات العربية ان اسعد هذا غزا يثرب ، وكسا الكعبة ، وانه كان أول من اعتنق اليهودية من العرب .

٥ - برو أمر ايمن : الذى شارك أباه وأخاه فى الحكم ، ثم انفرد بالحكم بعد وفاة أخيه عام ٤١٥ حتى سنة ٤٢٥ ميلادية .

٦ - شرحبيل يعفر : هو ابن ابو كرب اسعد وقد حكم من سنة ٤٢٥ حتى سنة ٤٥٥ بعد الميلاد . وقد ترك هذا الملك نصا مهما وهو وثيقة خاصة بتصدع سد مأرب الشهير فى أيامه وبإعادة بنائه ، فقص علينا فيه الحادث ومقدار ما أنفقه على العمال لإعادة البناء ويتألف هذا النص من مائة سطر . جاء فيه أن شرحبيل يعفر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وإعرابها فى النجاد وتهامة قام بتجديد سد مأرب وترميمه على مقربة من موضع رحاب فى عام ٤٤٩ ميلادية .

فقد استعان الملك بحمير وبقبائل حضرموت لإعادة بناء السد ، فتجمع لديه زهاء عشرين ألف رجل اشتغلوا بقطع الحجارة من الجبال وحفر الأسس وتنظيف الأودية وإنشاء الخزانات لخزن المياه وعمل أبواب ومنافذ لمرور الماء والسيطرة عليه حتى تم ذلك فى شهر " ذو دلو " من سنة ٥٦٥ ، من تاريخ حمير أى سنة ٤٤٩ للميلاد . وذكر ما أنفقه على العمال وما قدمه لهم من طعام وما ذبحه من بقر وأغنام ، وما صرفه من نبيذ .(١)

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

وهذا النص هو أول وثيقة ترد إلينا عن تصدع سد مأرب وتهدمه ، واشتغال الاف من العمال فى بنائه ، فهل تهدم السد من سقوط الأمطار الغزيرة فى هذا العام ، أو أن بناء السد لم يكن قد أكمل تماما فسقطت أمطار غزيرة انهارت بسبب الأماكن الضعيفة الأماكن الضعيفة أو أنه انهار بفعل كوارث طبيعية مثل الزلازل .

٧ - عبد كلال : الذى حكم منذ سنة ٤٥٥ حتى سنة ٤٦٠ للميلاد . وكان مؤمنا بالمسيحية .

٨ - شرحبيل يكف : حكم عام ٤٦٠ حتى عام ٤٧٠م وكان يحمل لقب " ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في الجبال وفى تهامة " . وحكم بعده ولداه : معبد يكرب ينعم ولحيعثت ينف وذلك من حوالى ٤٧٠ حتى سنة ٤٩٥ للميلاد وكانا يحملان نفس اللقب السابق مثل أبيهما .

٩ - ذو نواس : تولى بعد الملك " معد يكرب ينعم " ويقال انه قتل " لحيعثت بن ينوف " . وكان من دين اليهود . ولما بلغه انتشار النصرانية بنجران ، سار بجند من حمير وقبائل اليمن ، فجمعهم ، ثم دعاهم إلى دين اليهودية فخيرهم بين القتل أو الدخول فيها ، فاختاروا القتل ، فحفر لهم الأخدود ، فحرقهم بالنار وقتل بالسيف ما يقرب من عشرين ألفا ، وأفلت منهم رجل يقال له " دوس ذو ثعلبان " الذى ذهب إلى قيصر الروم ، فاستنصره على " ذى نواس " ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا ونأت عنا، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود. ولكنى سأكتب إلى ملك الحبشة ، فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك منا ، فينصرك ويطلب لك بثأرك فذهب دوس ذو ثعلبان بكتاب القيصر إلى النجاشي . فأرسل معه سبعين ألفا من الحبشة بقيادة ارياط ، فخرج ارياط ومعه جنوده ، وفى جنوده ابرهة الأشرم ، فركب البحر ومعه دوس ذو ثعلبان حتى نزلوا بساحل اليمن . وسمع ذو نواس بوصولهم ، فجمع إليه حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، وانهزم ذو نواس ودخل ارياط اليمن وقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وبعث إلى النجاشى بثلث سباياها ، ثم أقام فيها .

أما عن ذى نواس فركب فرسه واعترض البحر فاقتحمه وغرق ، فكان آخر العهد به . وذكر البعض انه حكم عشرين عاما . وكان دخول الأحباش اليمن عام ٥٢٥ للميلاد .

وجدت اليهودية سبيلها إلى أرض اليمن بسبب انتشار اليهود وتشتتهم فى أنحاء الأرض فى عهد فيسبا سيانوس وتيتوس . والواقع ان اليهود هاجروا إلى الحجاز ، واستقروا فى مواضع متعددة منه ، ومن الحجاز وجدوا سبيلهم إلى اليمن ، فاستقروا فى أرض سبأ ، ونشروا اليهودية بين السبئيين والحميريين وبقية القبائل ، فلم يكن يهود اليمن إذن من أصل اسرائيلى خالص ، وإنما كانوا خليطا من متهودة ويهود .

أما الذى نشر المسيحية فى اليمن فهو رجل صالح من بقايا أهل دين سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام اسمه " فيميون " وكان رجلا زاهدا فى الدنيا . وكان يعمل بناءا . وقد فطن لشأنه فى قرية من قرى الشام رجل من أهلها اسمه صالح فأحبه واتبعه على دينه . وانصرف ومعه صالح من ضواحى الشام حتى وطئا الجزيرة العربية فاعتدت عليهم قافلة واختطفتهما سيارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما فى نجران . وكان أهل نجران يتعبدون حينئذ إلى نخلة طويلة . فابتاع رجل من أشرافهم فيميون وابتاع رجل آخر صالحا ، وقد أعجب صاحب فيميون به ، لما رآه فيه من صلاح وورع ، فآمن بدينه ، وآمن أهل نجران منذ ذلك الحين بالمسيحية لمعجزة قام بها فيميون .[١]

أطماع الرومان فى اليمن :

طمع الرومان فى الاستيلاء على اليمن ، وتطلعت أنظارهم إلى خيرات البلاد ومواردها الاقتصادية ، وفكروا فى السيطرة على طرق حمير التجارية الهامة .

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ١٧٠ - ١٩٢ .

فأوعزوا إلى حاكمهم فى مصر " اليوس جاليوس " ليرسل حملة للسيطرة على بـــلاد اليمن . واستعان الرومان بالأنباط حلفاؤهم ، واصطحبهم الجغرافى الرومانى الشـــهير سترابون ، الذى كان صديقا لقائد الحملة ، فخرجت الحملة من مصر عام ٢٤ ق.م . متوجهة لليمن عن طريق الحجاز وتعرضـــت الحملـــة لمصـــاعب شـديدة لطـــول الطريق ووعورته إلى جانب الأمراض والمتاعب والهجمات التى تعرضوا لـــها مـــن الحميريين . وقضوا أكثر من ستة شهور حتى وصلوا إلى نجـــران ، وأرادوا التقـــدم إلى مأرب ولكن قرر قائد الحملة العودة إلى مصر بعد أن فقد أعـــدادا كبـــيرة مـــن رجاله .(١)

لجأ الرومان إلى طرق أخرى للسيطرة على تجارة اليمن ، فعقدوا الاتفاقـــات التجارية أحيانا ، وعززوا اتصالاتهم مع ملك الحبشة المسيحى ، ليحققوا عن طريقـــه أغراضهم فى بلاد اليمن .

قصة أصحاب الأخدود :

اعتنق ذو نواس ملك حمير (٥٢٣م) الديانة اليهودية وتعصب لها ، وأجبر المسيحيين الذين يعيشون فى اليمن على ترك دينهم ، وكانت له السيطرة علـــى بـــلاد نجران التى كانت تدين بالمسيحية ، فحفر لهم أخدودا فى نجران ، وخيرهم بين تـــرك ديانتهم أو قتلهم حرقا ، فثبتوا على دينهم وتعرضوا لعقاب ذو نواس ، الذى يقال انـــه

---

(١) سجل هذه الحملة أكثر من مؤرخ منهم بلينى وسترابون ويذكر بلينى أن القـــائد الرومانى خرب فى جنوب الجزيرة إبان حملته كثيرا من المدن منـــها نجـــران ومأرب وحريب وهى أبعد مدينة بلغتها حملة اليوس جـــاليوس . بينمـــا يذكـــر سترابون فى كتابه الرابع عشر أن الحملة بلغت مدينة شهرا وهى تقـــع علـــى مسيرة ستة أيام من نجران . راجع : ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربـــى القديم (ترجمة فؤاد حسنين على وزكى محمد حسن) ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

قتل منهم عدة آلاف حرقا ، قال تعالى : " قتـــل أصحـــاب الأخـــدود " " النـــار ذات الوقود " " إذ هم عليها قعود " وهم على ما يفعلـــون بـــالمؤمنين شـــهود " (ســـورة البروج : الآية ٤ - ٧) .

وصلت أخبار أصحاب الأخدود لملك الروم ، فتأثر لما حل بالمسيحيين فـــى اليمن ، فطلب جستنيان امبراطور الدولة الرومانية الشـــرقية مـــن النجاشـــى ملـــك الحبشة[١]، غزو بلاد اليمن وإنقاذ المسيحيين . وكان جستينيان يرمى من وراء ذلـــك إلى فرضين :

أحدهما دينى ، وهو جعل السيادة للديانة المسيحية فى بلاد اليمن . والآخـــر اقتصادى ، وهو اتخاذ بلاد اليمن طريقا لتجارته إلى الشرق إذا وقعت فى يد حلفائـــه الأحباش ليقضى على تجارة منافسيه الفرس .[٢]

الغزو الحبشى وسقوط دولة سبأ وذو ريدان عام ٥٣٥م :

وجد النجاشى ملك الحبشة فرصته لضرب مملكة حمـــير ، فأرســـل قـــائده ارياط للتحرك على رأس جيش حبشى لغزو اليمن والانتقام من ذى نواس . ووصلـــت الحملة إلى اليمن حيث اشتبكت مع الحميريين فى معركة انتهت بهزيمـــة الحمـــيريين هزيمة نكراء . فسقطت مملكتهم عام ٥٢٥ ق. م .

انتقم ارياط بعد ذلك من أهل البلاد أشد انتقام ، فقتل من النـــاس الكثـــير ، وخرب المدن والقصور والحصون المنتشرة فى البلاد .

---

(١) إثيوبية بمعنى الوجه المحترق باليونانية ، راجع : د. جواد على : تاريخ العـرب قبل الإسلام ، ص ١٥٠ .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٤٣٩ .

حكم الأحباش لليمن :

سيطر الأحباش على اليمن بقيادة ارياط ، إلا أن المنافسة قامت بينه وبين ابرهة أحد قواد الحبشة ووقعت الحرب بينهما ، فقتل ارياط ، وخلفه ابرهة فى حكم اليمن برضاء النجاشى ، وقد جرح ابرهة فى هذه المعركة وشجت شفته ، فلقب بالأشرم ، على أن يدفع جزية سنوية للنجاشى ، فلما مضت الأيام ولم يرسل أبرهة إلى النجاشى شيئا ، غضب عليه وسير جيشا لتأديبه بقيادة ارياط ولكن أبرهة كما يزعمون تغلب على ارياط بحيلة فقتله ، ثم كتب إلى النجاشى يتودد إليه ، ويتقرب منه حينما بلغه غضبه عليه . وما زال هكذا يسترضيه حتى أرضاه وأبقاه النجاشى فى منصبه ملكا على اليمن . وتزوج من امرأة اسمها ريحانة ، فولدت له ولدا وهو مسروق وبنتا هى بسباسة ، فلما مات ، انتقل الملك إلى ابنه الأكبر مكسوم .

وقد ترك لنا أبرهة وثيقة هامة ، وهى ثانى نص طويل يصل إلينا من اليمن عن ترميم سد مأرب مرتين فى عهد أبرهة ، والمرة الأولى سنة ٥٤٢ ميلادية وللمرة الثانية فى سنة ٥٤٣ من الميلاد .

ويلاحظ أن أبرهة قد لقب نفسه فى هذا النص باللقب الرسمى والذى يتلقب به ملوك حمير قبل سقوط مملكتهم ، وهو " ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وإعرابها فى النجاد وفى تهامة " ، مع أنه كان نائب ملك الحبشة والواقع أنه كان قد استأثر بالحكم فى اليمن ، وحصر السلطة فى يديه ، وصار الحاكم المطلق ولم يترك لنجاشى اكسوم غير الاسم .

وفى النص الحديث عن ثورة قام بها " يزيد بن كبشة " ويبدو أنه كان من الرؤساء البارزين فى اليمن . وكان أبرهة قد أنابه عنه ، وجعله خليفته على قبيلتى " كده " و " دا " . غير أنه ثار عليه بسبب لم يذكر فى النص ، وأعلن العصيان ، وانضم إليه مجموعة من القبائل . فلما بلغ نبأ هذه الثورة مسامع أبرهة ، سير إليه جيشا بقيادة " جراح ذو زبنور " فلم يتمكن أن يفعل شيئا ، وهزمه يزيد بن كبشة ، واستولى على حصن " كدار " ، وجمع من أطاعه من كدة ومن حريب حضرموت

وهاجم هجان الذمارى وهزمه واستولى على أملاكه ، وحاصر موضـــع عـبران . عندئذ قرر أبرهة معالجة الموقف بإرسال قوات كبيرة فجهز عام ٥٤٢ للميلاد جيشـا من الأحباش والحميريين وجهه نحو أودية سبأ وصرواح ثم نبط علـى مقربـة مـن عبران .

وبينما كان الجيش فى طريقه لحرب يزيد بن كبشة إذ به يظهر مـع عـدد من أتباعه أمام أبرهة ويطلب منه العفو والصفح . أما الباقون ، فقـد تحصنـوا فـى مواقعهم ، وأبوا الخضوع .

وبينما كان أبرهة يفكر فى أمر بقية الثائرين ، إذ به يسمع خبر سئ جـدا ، وهو تصدع سد مأرب وتهدم بعض توابعه ، وذلك فى شهر ذو مذران من سنة ٥٤٢ للميلاد ، فأمر مسرعا بتحضير مواد البناء والحجارة ، وكل ما يلزم .

وفى أثناء مدة التحضير هذه ، افتتح أبرهة كنيسة فى مدينة مأرب ويبدو أنه هو الذى أمر ببنائها ، ورتب لخدمتها جماعة من مسيحى سبأ . ولما انتهى من ذلك ، عاد إلى موضع السد لإصلاح أسسه مستعينا بحمير ووجود أفـراد جيشـه ، ولكنـه اضطر بعد مدة إلى السماح لهم بإجازة ، ليريحهم عن هذا العمل المضنى ، وبعد ذلك واصلت جموع الفعلة وأبناء العشائر البناء ، فأنجزه على نحو ما أراد ، فبلغ طولـه خمسة وأربعين ذراعا ، وبلغ ارتفاعه خمسة وثلاثين ذراعا . أما عرضـه ، فكـان أربع عشر ذراعا . وبنى بحجارة حمر من صخور جبل البلق . وأنجز أعمال قنواتـه وأحواضه . وقد دون أبرهة فى نهاية النص ما أنفقه على بناء هذا السد من أمـوال ، وما قدمه إلى العمال والجيش الذى اشترك فى هذا العمل من طعـام وإعاشـة حتـى انتهى منه فى شهر ذى معان سنة ٥٤٣ للميلاد .[١]

أما يزيد بن كبشة ، فلا نعرف من أمره الكثير ، غير أنه كان وكيـلا عـن أبرهة على قبيلة كده ، ولكننا لا نعرف من أية قبيلة هو ؟ . ويرى البعض أنه كـان

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ٢٠٠ .

من قبيلة سبحر أو من يزن ، ولم يكن من كندة . ولا نعرف ما هى أسباب ثورة يزيد ابن كبشة هل كانت حركة قومية غايتها طرد الأحباش من اليمن ؟ أم كانت حركة خاصة قصد بها شخص أبرهة للتخلص منه ؟

ذكر بعض الأخباريين اسم ملك من ملوك اليمن سموه " مرثدا " زعموا أنه كان آخر الملوك ، وزعم البعض أنه حكم مدة قصيرة بعد ذى نواس .

وفى أثناء وجود أبرهة فى مأرب قضى على عصيان القبائل التى انضمت إلى ثورة يزيد بن كبشة ، وأبو الخضوع لحكم أبرهة بعد استسلام يزيد وخضوعه ، وكذلك استسلمت قبيلة كيدار . والتف حول أبرهة جماعة من الأسر القديمة من الأحباش ، وأصبح سيد اليمن وصاحب الأمر .

وفى أثناء وجود أبرهة فى مأرب ، وفدت غليه وفود من النجاشى ومن ذلك الروم ومن ملك الفرس ورسل من المنذر ومن الحارث بن جلبة ومن أبي كرب بن جبلة ومن رؤساء القبائل . وكان لمجئ مندوب النجاشى ومندوب القيصر ومبعوث كسرى انوشروان ورسل المنذر ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة ملك عرب الشام وأبى كرب بن جبلة كان ملكا على عرب فلسطين أثرا فى نفوس عرب الجنوب .

ولم يكن مجئ هؤلاء المبعوثين إلى أبرهة لمجرد التهنئة . ولكن كانت لأمور أخرى وهى جر أبرهة إلى هذا المعسكر أو ذلك ، وترجيح كفة على أخرى .

وأبرهة هذا هو صاحب الفيل الذى قصد بفيلته وجنده هدم الكعبة وإكراه الناس على الحج إلى " القليس " الكنيسة التى بناها فى صنعاء ، وأنفق عليها أموالا طائلة ، وزينها بالذهب والفضة والعاج والأبنوس ، حتى تنافس الكعبة التى يحج إليها العرب .

وقد كتب إلى النجاشى فى ذلك يقول : " أنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة ، لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنتهه حتى أصرف إليها العرب " .

عهد أبرهة إلى دعوة الناس للحج إلى الكنيسة بدلا من الكعبة . أما الذى حمله على السير على مكة كما يدعى الأخباريون هو تدنيس أحد بنى مالك بن كنانة

كنيسة القليس ووضع جيفة فيها ، فغضب أبرهة غضبا شديدا ، وسار على مكة بالناس ومعه ملك حمير ، فلما وصل إلى مكة ، هلك أكثر من كان معه ، وأصاب قسما منهم السيل ، فتراجع إلى اليمن ، وهلك هو بعد وصوله بقليل ، وقد عرف هذا العام الذى أقدم فيه أبرهة على غزو الكعبة بعام الفيل لاشتراك الفيلة فى هذا الغزو ، وفيه ولد الرسول وقد ذكر الحادث فى القرآن الكريم (سورة الفيل) فى عام ٥٧١ ميلادية .

استمر حكم أبرهة لليمن مدة تزيد على العشرين سنة .

ويذكر الأخباريون أن الذى حكم اليمن بعد أبرهة هو ابنه مكسوم ثم ابنه الثانى مسروق من زوجته العربية . وفى أيامه ثار أهل اليمن بزعامة سيف بن ذى يزن فقتل مسروق ، وبقتله انتهى عهد الحبشة فى اليمن ، وبدأ عهد جديد .

وقد سعى الأحباش ، مدة حكمهم لليمن ، فى نشر المسيحية بين الناس وبناء الكنائس ويحدثنا قزما الرحالة فى نحو سنة ٥٣٥ أى بعد هزيمة ذى نواس عن كثرة الكنائس فى العربية السعيدة وعن كثرة الأساقفة والمبشرين الذين بشروا بين الحميريين والنبط وبنى جرم . وقد اشتهرت كنيسة نجران وعرفت فى الأخبار بكعبة نجران . ونجران من المدن اليمنية القديمة المعروفة قبل الميلاد . وقد ذكرها سترابون فى كتابه فى الجزء الثانى فى معرض كلامه على حملة اليوس جاليوس . كما ذكرها المؤرخ بلينيوس فى جملة المدن التى أصابها التخريب فى هذه الحملة . كما ذكرها بطلميوس .[1]

ثورة سيف بن ذى يزن وحكم الفرس :

قاوم اليمنيون حكم الأحباش ، الذى استمر أكثر من سبعين سنة ، حاولوا التخلص منه ، فقد أذل مكسوم وأخوه مسروق أهل اليمن وأساءا معاملتهم فلجأ سيف

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

ابن ذى يزن الحميرى إلى قيصر الروم ، وطلب منه أن يخرج الأحباش من اليمن ، وأن يكون له الملك فيها ، فلم يجبه إلى طلبه ، لما بينه وبين الأحباش من مصالح مشتركة ، فاستنجد بالمنذر بن ماء السماء والد النعمان بن المنذر المشهور . وكانت الحيرة تابعة إذ ذاك للفرس ، وكلب منه أن يقدمه إلى كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٨م) فلما قابله سيف بن ذى يزن فى بلاطه ، ووجده فى ملك فسيح ورغدة من العيش لم يألفها ، ولكن لم تبهره هذه العظمة بل تقدم فى شجاعة وطلب منه مساعدته على استرداد بلاده من الأحباش ، فأهمله كسرى وقال له : " بعدت أرضك عن أرضنا وهى أرض قليلة الخير ، وإنما بها الشاة والبعير ، وذلك مما لا حاجة لنا به " . ثم صرفه بعد أن أعطاه ١٠ آلاف درهم فارسى . فخرج سيف من عنده غاضبا ورمى الدراهم فتخاطفها الخدم . فلما علم كسرى بذلك ، غضب وأمر بإحضاره ، وأراد أن يعاقبه لجرأته وعبثه بهيبته . فلما دخل عليه قال : " عمدت إلى حباء (عطاء) الملك الذى حباك به تنثره للناس " ، فأجابه ابن ذى يزن : " ما أصنع بالذى أعطانى الملك ، ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة " فطمع كسرى فى الاستيلاء على هذه البلاد ، وعقد مجلسا من ذوى الرأى فى بلاده ، واستشارهم فى غزوها ، واقترحوا عليه أن يختار الجنود من بين المسجونين ، حتى إذا انتصروا لم يكلفهم ذلك شيئا ، وإن قتلوا فى تلك الحرب كان فى ذلك خير وسيلة للتخلص منهم . فأخرج منهم ٨٠٠ مسجون ، وكان قائدهم " <u>وهرز</u> " ويصفه المؤرخون ، ومنهم المستشرق نلدكه بأنه بلغ من الكبر عتيا . وسار الجيش وعدده ٨٠٠ مقاتل فى ثمانى مراكب ، على كل مركب مائة ، غرق منها اثنتان ووصل ٦٠٠ جندى . فلما علم أهل اليمن بذلك خرج كثير منهم وانضموا إلى الجيش الفارسى .

وقام وهرز بأعداد وليمة كبيرة فى صنعاء . وفى أثنائها أحرق المراكب الست ، وقال لجنوده : ليس أمامكم إلا إحدى اثنتين : إما القتال بشجاعة حتى النصر ، وأما الاستكانة والتخاذل ، وحينذاك يلحقكم العار والخزى العظيم .

ولما نشب القتال بين الفرس والأحباش ، قتل نوذاذ بن وهرز ، فحنق وهرز على الأحباش . وهزمهم وكتب إلى كسرى : " أنى قد ضبطت لك اليمن وأخرجت

من كان بها من الحبشة " فكتب إليه كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذى يزن على أرض اليمن . وفرض كسرى على سيف بن ذى يزن جزية وخراجا يؤديهما إليه كل عام .

قتل سيف بن ذى يزن كثيرا من الأحباش فى بلاد اليمن وانتهى به الأمر بأن قتله رجل حبشى . فلما بلغ ذلك كسرى ، بعث وهرز مرة أخرى إلى بلاد اليمن مع أربعة آلاف من الفرس ، وأمره ألا يترك أسود صغيرا أو كبيرا إلا قتله . فلما دخل وهرز بلاد اليمن لم يترك بها حبشيا إلا قتله . ثم كتب إلى كسرى بذلك . فأمره عليها حتى مات ، فخلفه ابنه المرزبان ، فلما مات خلفه خرخسرة بن البينجان بن المرزبان بن وهرز . وقد غضب عليه كسرى . وتولى بعد ذلك بأذان على اليمن ، وهو آخر ولاة هذه البلاد من قبل كسرى ملك فارس ، وعاش إلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأسلم هو وقومه على اثر ما دار بينه وبين الرسول من الرسائل بشأن إسلامه .[١] وهكذا دخلت اليمن فى الدولة الإسلامية فى القرن السابع الميلادى . وبدأت بذلك صفحة جديدة من تاريخها الإسلامى الطويل . ذلك الدين الذى كان السبب الرئيسى فى تغيير الأوضاع فى الشرق القديم أدناه وأقصاه .

لقد كانت سنة ٦٢٨ ميلادية سنة مهمة فى تاريخ اليمن ، فيها دخل بأذان فى الإسلام ، وفيها قضى الإسلام رسميا على الوثنية واليهودية والمسيحية وعلى الحكم الأجنبى فى البلاد فلم يبق حكم حبشى ولا حكم فارسى ، لقد وحد الإسلام أبناء الجزيرة العربية .[٢]

---

(١) د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ - ٢١٤ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٣٦٨ - ٣٨٢ .

(٢) يلاحظ أن نقوش المسند التى وصلت إلينا تمثل مستوى عاليا من الدقة والجمال فى رسم أشكال الرموز ، وتمثل فى الوقت نفسه " أثرا باقيا لثقافة فذة ذات شخصية متميزة وعالية التطور " وترجع أقدم النقوش اليمنية (المسند) إلى أوائل القرن التاسع قبل الميلاد . ومع أن لسان العرب يذكر أن جماعة ---

قائمة بأسماء ملوك العصر الأول لملوك حمير [(١)]

(ملوك سبأ وذو ريدان)

(من سنة ١١٥ ق. م . إلى عام ٢٧٥ ميلادية)

	مدة الحكم	
علهان نهفان		١١٥ – ٨٠ ق. م.
شعراوتار بن علهان نهفان		٨٠ – ٥٠ ق. م .
بريم ايمن بن علهان نهفان		٥٠ – ٣٥ ق. م .
فرع ينهب		٣٥ – ١٥ ق. م .
اليشرح يخضب وابنه يزل بيين		١٥ – ٥ ق. م .
اليشرح يحمل بن يزل بيين		٥ – ٢٥ ميلادية
وتار		٣٥ – ٧٠ ميلادية
كرب ايل وتار يوهنعم		٧٠ – ٩٥ ميلادية
ذمر على ذرح بن كرب ايل		٩٥ – ١٢٠ ميلادية
هلك امير بن كرب ايل		١٢٠ – ١٤٥ ميلادية
ذمر على بيين		١٤٥ – ١٧٠ ميلادية
وهب ايل يحز		١٧٠ – ٢٥٠ ميلادية
ياسر انعم		٢٥٠ – ٢٧٥ ميلادية

-- من اليمن ظلوا يكتبون بالمسند وهم فى الإسلام ، إلا أن ذلك الخط لم يلبث أن أهمل بفعل انتشار الخط العربى الشمالى ، راجع : محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ١٩٢ .

(١) ذكرت هذه القائمة فى كتاب جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ١٤٣-١٤٤. وتحدث محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٨٤-١٣٦، عن أهم أعمال ملوك سبأ وذى ريدان مع ذكر أسرهم التى ينتسبون إليها .

العصر الثانى لملوك حمير

(ملوك سبأ وريدان وحضرموت ويمنت)[١]

(من سنة ٢٧٥ ـ ٥٢٥ ميلادية)

	مدة الحكم	
شمر يهرعشى		٢٧٥ - ٣٠٠ ميلادية
ذو القرنين أو افريقس *		٣٠٠ ـ ٣٢٠ ميلادية
عمرو زوج بلقيس		٣٢٠ ـ ٣٣٠ ميلادية
بلقيس وتسمى الفارعه		٣٣٠ ـ ٣٤٥ ميلادية
الهدهاد (اخوها)		٣٤٥ ـ ٣٧٤ ميلادية
ملكى - كرب - يوهنعم		٣٧٤ ـ ٣٨٥ ميلادية
ابوكرب اسعد بن ملكى كرب		٣٨٥ ـ ٤٢٠ ميلادية
حسان بن اسعد		٤٢٠ ـ ٤٢٥ ميلادية
شرجبيل يعفر بن اسعد		٤٢٥ ـ ٤٥٥ ميلادية
شرجبيل ينوف		٤٥٥ ـ ٤٧٠ ميلادية
معدى كرت ينعم وابنه لحيعه		٤٧٠ ـ ٤٩٥ ميلادية
مرثد اللات ينوف		٤٩٥ ـ ٥١٥ ميلادية
ذو نواس		٥١٥ ـ ٥٢٥ ميلادية
ذو جدن (لم يكن له حكم)		٥٢٥ ـ ٥٣٣ ميلادية

علاقات اليمن القديم بمصر :

ربط بعض العلماء بين تاريخ مصر القديم والجزيرة العربية عند حديثهم

----

(١) كما تحدث محمد بافقيه : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ـ ١٦٤ ، عن ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأهم أعمالهم .

عن أصل المصريين القدماء ، فيرون أن هناك بعض العناصر السامية قد اختلطت بالعناصر السكانية التى كانت قد استقرت على أرض مصر منذ أقدم العصور .[١] ويذكر د. فخرى قوله : " روى قدماء المصريين فى العصر المتأخر لبعض الرحالة أنهم جاءوا من الشرق والجنوب ، وأنهم علموا الحضارة لمن كانوا فى البلاد وأخضعوهم لسيطرتهم " .

وفى الواقع أن هذه الأقوال قائمة على ما تذكره أيضا الساطير المصيرية من أن المصريين كانوا ينتمون إلى أتباع المعبود حورس . وأن هؤلاء الأتباع هم الذين جاءوا من الجنوب والشرق وعلموا المصريين (الأصليين) الحضارة واخضعوا البلاد لسيطرتهم .

وقد رأى الكثير من المؤرخين فى هذه الإشارة إلى أن أتباع المعبود حورس قد جاءوا بالفعل من شبه الجزيرة العربية (فى زمن لا يمكن تحديده) وعبروا البحر الأحمر وساروا على طول ساحله الغربى ثم تقدموا شمالا حتى وصلوا إلى مصر .

وقد بالغ بعض المؤرخين فى حجم هذه الهجرة السامية ولكنها فى الواقع سرعان ما اختلطت بالعناصر الأفريقية والنوبية والتى كان لها وجود وتأثير واضح أيضا ، وبالعناصر الحامية التى كانت قليلة العدد .

---

(١) على الرغم من وفرة النقوش المصرية وغزارتها ، ورغم كثرة أسماء الشعوب التى وردت ضمن هذه النقوش ممن احتكت بهم مصر فى صورة أو أخرى فى عهود تاريخها القديم . ومع أن مصر القديمة عرفت طريقها إلى كل منطقة الهلال الخصيب التى تشكل التخوم الشمالية لشبه الجزيرة العربية فى صور متعددة من العلاقات التجارية أو السياسية أو العسكرية إلا أن لفظ " عرب " أو " ارب " أو أية لفظة أخرى قريبة من هذا النطق لم ترد فى هذه النقوش ، راجع : د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ١٩٨٦ ، ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

ذكر بلاد بونت -وتا - نثر فى النصوص المصرية القديمة وطبيعة علاقتهما بمصر :

حين نتحدث عن أقدم العلاقات بين مصر واليمن فاننا نقصد العلاقة التى كانت قائمة بين مصر وما يسمى ببلاد بونت وتا - نثر . فقد قمنا بعمل دراسة عن " بونت وتا - نثر وأثر منتجاتهما في الحياة اليومية في مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى العصر البطلمي - الروماني " (دراسة وثائقية) .[١] وقد حاولنا حل مشكلة موقع بلاد بونت ، تلك البلاد البعيدة التى اشتهرت بمنتجاتها الوفيرة من العنتيو- cntyw " الذى كان يستخرج من شجر المر ، وكان يستخدم كبخور فى الطقوس الدينية فى المعابد وفى الطقوس الجنائزية عند دفن الموتى وكذلك فى الاحتفالات العامة وفى الحياة اليومية . كما استخدم أيضا فى تركيب بعض الأدوية كما تدخل ثماره فى صنع العطور . كما أحضر المصريون من هناك المرحت - mrḥt وهو صمغ راتنجى أيضا كان يستخدم فى صناعة البخور لرائحته الذكية ويستخدم أيضا ضمن مواد التحنيط وكان يستخدم أيضا كمرهم لدهان الجسد وعلاج بعض الجروح ويدخل فى صناعة بعض الأدوية . كما أحضر المصريون كذلك من هناك الذهب الخام والأبنوس والعاج النقى والنباتات العطرية (ḫ3w) والبهارات والتوابل وأشجار المر الأخضر والبخور والكحل الأسود . والثروات الطبيعية من جبال بونت وبعض الحيوانات كالنسانيس والقردة والكلاب وجلود الفهود .

وقد اختلف العلماء حتى الآن فى تحديد موقعها ، هل هى فى المنطقة الممتدة من سواكن إلى مصوع أو تقع فى منطقة خليج زولا على ساحل ارتيريا أو فى منطقة خليج تاجورة فى الصومال أو فى شمال الصومال أو فى شماله الشرقى ، أو فى مكان ما فى اليمن ؟ أو فى جنوبه فى المناطق القريبة من الساحل أو فى

---

(١) فى مجلة التاريخ والمستقبل التى يصدرها قسم التاريخ ، كلية الآداب - جامعة المنيا ، العدد الثانى ، شهر يوليو ١٩٩٩ ، ص ١ - ١٠٣ .

جنوب حضرموت أو عند بوغاز باب المندب ؟ بل منهم من ذهب إلى أبعد من هـذا ورأى أنها تقع فى المغرب أو فى مورتانيا أو فى زامبيا .(١)

وسوف نستعرض هنا ما جاء فى هذا المقال بالنسبة لبعض الآراء من قبل علماء الدراسات المصرية القديمة من أجانب ومصريين ، ونبدأ بأقدمها حتى أحدثها ثم نستعرض بعد ذلك ذكر بونت وتا – نثر فى الوثائق المصرية القديمة منذ أقدم العصور حتى العصر البطلمى – الرومانى ، ونذكر أيضا ما تمدنا به هذه الوثائق والمصادر من معلومات . ونحاول بعد ذلك تصنيف هذه المعلومات في أربعة محاور : الاسم ومعناه ، الموقع ومحاولة تحديده ، طبيعة هذه العلاقات وأهمية بلاد بونت كمصدر للمر والبخور والصمغ ولمواد ومنتجات أخرى وأنواع من الحيوانات وجلودها ، تأثير الديانة المصرية في هذه المناطق البعيدة .

- يرى بيسينج (١٩٤٨) فى دراسة عن بونت والرحلات البحرية المصرية أن بونت تقع عند بوغاز باب المندب .(٢)

- ويرى لففر (١٩٤٩) فى مؤلفه عن الأدب " أن اسم بلاد بونت كان يشمل حتى نهاية الدولة الوسطى الساحل الغربى للبحر الأحمر من سواكن وكذلك الجزر الموجودة فى مواجهة هذا الساحل " . وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة امتدت هذه التسمية حتى تشمل بقية الساحل حتى خليج جردفوى (بلاد الصومال على ساحل البحر الأحمر وخليج عدن) وليس من المستبعد أن هذه التسمية أصبحت تشمل فى عصر لاحق الساحل المقابل للجزيرة العربية وخاصة اليمن .(٣)

---

(١) نجد الإشارة إلى بعض هذه الآراء عند : Saleh, BIFAO 72 (1972) p. 247 n. 2 – 5, 248 n. 1-6, 249 n. 3 –6; Saleh, JEA 58 (1972), p. 140- 158 Mokhtar, Histoire Generale de l'Afrique (Afrique Ancienne 1980), p. 144 – 148; Kitchen, in LA 1V (1982), p. 1198 – 1201 n. 1 – 34 .

(٢) Von Bissing, Pyene (Punt) und die See Fahrten des Agypten, Sitzb, Bayern Akad " Wiss " (Munchen S. B.), 1948, p. 146 – 157; Gauthier, DG 11, p. 45 – 46 .

(٣) Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens, Paris (1949), p. 30.

- ويرى كل من دريوتون وفانديه (١٩٥٢) أنها تقع فى مكان ما على الساحل الصومالى .[١]

- ويرى فوركتيه (١٩٥٦) أن بلاد بونت تقع فى الجانب الصومالى فى منطقة حول بوغاز باب المندب .[٢]

- ويرى د. فخرى (١٩٥٨) أن بونت هى بلاد تشمل الشاطئين الأفريقى والاسيوى حول بوغاز باب المندب .[٣] ويضيف أيضا أنه اسم عام يطلق على المنطقة التى تنبت البخور فى جنوبى البحر الأحمر على مقربة من بوغاز باب المندب وتشمل كلا من الشاطئين الأفريقى والاسيوى أى أن هذه البلاد تشمل الآن ما يسمى باسم جنوبى الجزيرة العربية والصومال وارتيريا .[٤]

- ويرى بوزنر (١٩٥٩) أن بلاد بونت تقع فى محيط ارتيريا والصومال .[٥]

- ويرى كل من ارمان - ورانكه (١٩٦٣) أن بلاد بونت تقع فى خط عرض مدخل البحر الأحمر وبخاصة على الشاطئ الصومالى .[٦]

---

(١) Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 208 .

(٢) Vercoutter, L'Egypte et Monde Egeen, BdE 22 (1956), p. 56 n. 6, 61, 153, 389 (c) .

(٣) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ١٢٧ ؛ المؤلف نفسه فى : تاريخ الحضارة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ ، ص ٦٠٥ .

(٤) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٥ – ١٤٦ .

(٥) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, Paris (1959), p. 229 .

(٦) Erman – Ranke, la Civilisation Egyptienne, Paris (1963), p. 676 .

- ويرى دوما (١٩٦٥) أنها تقع جنوبى رأس جردفوى (أقصى شـرق القـارة الأفريقية) على الساحل الصومالى .[١]

- ويرى كوترل (١٩٦٦) أنها تقع فى الشرق على حافة البحر الأحمـر وربمـا شملت جزءا من الصومـال أو شـاطئ البحـر الأحمـر[٢] وأيضـا السـاحل الصومالى .[٣]

- ويرى هيرتزوج (١٩٦٨) فى دراسة قام بها عن بلاد بونت أنـها تقـع فـى المناطق السودانية المتاخمة للحبشة على النيل الأبيـض والنيـل الأزرق ، وأن المصريين القدماء لم يصلوا إلى بلاد بونت عن طريق البحر الأحمر بـل عـن طريق النيل .[٤]

- ويرى د. عبد المنعم عبد الحليم (فى أعـوام ١٩٦٨ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤) فـى خمسة مواضع أن بلاد بونت تقع فى شمال شرق الصومال وتطل على خليج جل - وين (نهر الفيل) .[٥]

---

(١) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, Paris (1965), p. 176 (54).

(٢) Cottrell, les Epouses des Pharaons, Paris (1966), p. 55 .

(٣) Cottrell, op. cit., p. 24.

(٤) Herzog, Punt, Abh. DAIK, Bd 6 (1968), p. 20-30, 42-43.

(٥) تحدث عنها أولا فى رسالته للماجستير غير المنشورة ، كلية الآداب ، جامعـة الإسكندرية ، ١٩٦٨ ، وتحمل عنوان " دراسة لعلاقات مصر القديمـة ببـلاد بونت ونشاطها فى البحر الأحمر ، ونشر ملخصا لـهذه الرسـالة فـى مؤلفـه " البحر الأحمر وظهيره فى العصـور القديمـة " ، دار المعرفـة الجامعيـة ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ١٥-٢٢ . وتحدث عنها ثانيا فى رسالته للدكتـوراه الغير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٣ والتى تحمل عنـوان " دراسة تاريخية للصلات ومؤثرات الحضارة بين حضارة مصـر الفرعونيـة وحضارة البحر الأحمر " . ونشر ملخصا عنها فى مؤلفه السابق ذكره ===

- وأشار د. صالح (١٩٧٢ ، ١٩٧٦) إلى بلاد بونت فى مقالين وكتاب ، ففى الأولين يرى أن بونت تقع على الجانب الأفريقى للبحر الأحمر فى خط عرض ارتيريا والصومال .[1] وفى الثانى يرى أن بلاد بونت هى منطقة الصومال وارتيريا معا . وربما ضموا إليها ما يقابلها من الجنوب الغربى لبلاد اليمن فى بعض العصور . وكانت البعثات تسلك طريقها إلى بونت عن طريق وادى الحمامات ثم تنزل إلى البحر الأحمر عند القصير أو عند مخرج وادى جواسيس .[2]

-- " البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة " ، ص ٢٣-٢٧ . واشار فى هذا الملخص إلى التشابه بين بونت واوفير وخاصة فى تجارة سلعة البخور التى كانت تجلب من كل من المنطقتين وذكر أن اوفير كانت تقع فى منطقة أفريقية وليس فى منطقة آسيوية وحدد موقعها على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر بالقرب من خليج تاجورة فى الصومال الفرنسى سابقا . كما تحدث عنها ثالثا فى مقال يحمل عنوان " محاولة لتحديد موقع بونت " نشر فى مجلة دراسات أثرية وتاريخية ، جمعية الآثار بالإسكندرية ، العدد الخامس ، ١٩٧٤ ، ص ١- ٣١. وأعيد نشر هذا المقال فى مؤلفه الذى ذكرناه " البحر الأحمر وظهيره " ، ص ٣٩-٧١ . كما تعرض للحديث عنها رابعا فى بحث يحمل عنوان " البخور عصب تجارة البحر الأحمر فى العصور القديمة " نشر فى مؤلفه السابق ، ص ٥٦٤ – ٥٩٥ . وأخيرا تحدث عنها خامسا فى مقدمة حديثه عن كشفه الأثرى عن موقع ميناء من الأسرة الثانية عشرة فى وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر (راجع : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، ص ٧٤ – ٧٦).

(١) Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 247; Id, in JEA 58 (1972), p. 140-158 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ .

- ويرى جيمس (١٩٧٩) أن مكانها لم يحدد بنوع من الدقة . ولكن ربما شمل جزءا من الساحل الصومالى .[١]

- ويرى كل من بانز ومالك (١٩٨٠) أن موقع بونت لم يحدد بنوع من التأكيد ولكن ربما يقع فى منطقة ارتيريا الحديثة أو فى الصومال .[٢]

- ويرى د. جمال (١٩٨٠) أنها تقع فى القرن الأفريقى مع صعوبة تحديد مكانها بنوع من الدقة .[٣] أو أنها توجد على الساحل الارتيرى أو الصومال .[٤]

- ويرى كيتشن (١٩٨٢) أن بلاد بونت كانت تحتل مساحة كبيرة من شرق السودان وشمال غربى الحبشة ، وأن المصريين القدماء كانوا يصلون إليها عن طريق البحر الأحمر ثم يتجهون بعد ذلك غربا فوق اليابسة .[٥]

- وترى لا لويت (١٩٨٥) أن بلاد بونت لا تشمل فقط الصومال الحالية ولكن منطقة أوسع من ذلك تقع إلى الشرق من السودان فى اتجاه البحر الأحمر وفى شمال وغربى أثيوبيا .[٦] وتضيف أيضا " ان بونت كانت جزءا من تا - نثر (أرض المعبود) لأنها كانت تنتج البخور والنباتات التى تضفى القداسة " .[٧]

---

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, London, (1979), p. 36 .

(٢) Baines – Malek, Atlas of Ancient Egypt, Oxford (1980), p. 20

(٣) Mokhtar, op. cit., p. 144-145 n. 23, 146- 148 .

(٤) Mokhtar, op. cit., p. 253 .

ويذكر د. جمال فى : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٩٨ حاشية (٢) أن بونت هى الصومال الحالية فى أغلب الظن .

(٥) Kitchen, in : LA 1V (1982), p. 1198 – 1201 .

(٦) Lalouette, Thebes Paris (1958), p. 67 – 68 .

(٧) Lalouette, op. cit., p. 68 .

- ويرى أبو العيون (١٩٨٦) أنها تقع فى المناطق الجنوبية .[١]

- ويرى كل من د. صالح وسوروزيان (١٩٨٧) أن بلاد بونت تقع فى مكان ما على الساحل الصومالى .[٢]

- وأخير يرى د. عاطف (١٩٩٤) فى دراسة حديثة لم تنشر بعد أن بلاد بونت هى بلاد ظفار الواقعة فى جنوب عمان . وذلك اعتمادا على أن هناك أربعة أنواع من الكندر تنمو فى ظفار وتختلف أماكن زراعتها باختلاف ارتفاعها وابتعادها عن الساحل .[٣] ويضيف ان الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء عليها هو نفس الاسم الذى كان يطلقه عليها أهل اليمن وهو " بنت " .

وفى رأينا أن معظم هذه الآراء عبارة عن اجتهادات وآراء شخصية من قبل العلماء ولا يعتمد أغلبها (إلا القلة) على معلومة محددة مشتقة من نص أو أكثر من نقش يمكن الاعتماد عليه فى تأكيد أو رفض أى من هذه الآراء . لهذا رأينا أن نرجع إلى المصادر الأثرية وخاصة النقوش والنصوص المصرية القديمة لمعرفة أين تقع هذه البلاد على وجه التقريب وما كانت تمثله من أهمية للحياة اليومية فى مصر القديمة . وذلك ابتداء من نصوص عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمى – الرومانى . ولا ندعى أننا جمعنا كل النصوص ولكن حاولنا تجميع أكبر قدر منها وهى أكثر من ١٦٢ نصا .

---

(١) أبو العيون بركات : " بونت بين المصادر المصرية واليمنية القديمة " فى مجلة اليمن الجديد ، السنة الخامسة عشرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(٢) Saleh – Sourouzian, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo (1987) no. 130 a .

(٣) د. عاطف عبد السلام : موقع بلاد بنت وتجارة اللبان فى ظفار ، بحث قبل للنشر فى مجلة الجمعية السعودية للدراسات الأثرية ، ١٩٩٤ ، ص ٢ – ١٢ .

عصر الدولة القديمة :

١- فى إحدى المقابر من عصر الأسرة الرابعة جاء ذكر أنه كان يوجد فى خدمة أحد أبناء الملك خوفو شخص من بونت يدعى نحسى الملقب بحرايزى .[1]

٢- وجاء أول ذكر لبلاد بونت فى نقوش حجر بالرمو التى تذكر لنا أن الملك ساحورع ثانى ملوك الأسرة الخامسة (حوالى ٢٤٥٨ ق. م) قد تلقى ٨٠ ألف وحدة من المر وستة آلاف وحدة من الالكتروم ، و ٢٩ ألف عصا (من الأبنوس) وكمية من الذهب والأخشاب والأحجار الكريمة .[2] فهل أرسل الملك ساحورع بعثة مصرية إلى تلك المناطق البعيدة وتلقى منها كل هذه الجزية ؟

٣- وفى نقوش المعبد الجنائزى الخاص بالملك ساحورع نجد تصوير لأسرى أو سجناء من أهل بونت ، صورهم الفنان مقيدى الأيدى .[3] دلالة على خضوعهم

---

(١) Erman – Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 678; LD 11, 23; Herzog, Punt, p. 9 n. 1

مع أن كيتشن يشك فى صحة هذا النص ، راجع : Kitchen, LA IV, p. 1198 n. (1) .

(٢) Lalouette, op. cit., p. 68; Erman – Ranke, op. cit., p. 678 Breasted, AR I, 161, 8 .

وأيضا : د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٢ حاشية (٢) ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، دار النهضة العربية ١٩٦٦ ، ص ٢٣٥ ؛ حياة وأعمال أحمد بدوى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٤٣ ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧ ، ص ٥٥٤ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤٢ حاشية (١) ، ١٤٣ حاشية (١) ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٧ حاشية (٦٧) .

Lalouette, op. cit., p. 68; Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. (1); Erman- Ranke, op. cit., p. 677 fig. 253 .

لسطوته ولا يعنى ذلك أنه أخضعهم عسكريا حيث لا تشير النصوص إلى قيام هذا الملك بحملة عسكرية على بلاد بونت .

٤- ومن عصر الملك جد كارع اسيسى ثامن ملوك هذه الأسرة (حوالى عام ٢٣٦٩ ق. م) تخبرنا النصوص أنه أرسل حملة إلى بونت ، وكان يقودها القائد " بلور جدت " وكان على القوات أن تعبر الصحراء بين النيل والبحر الأحمر ، وبعد ذلك تم بناء مراكب على الشاطئ الغير مسكون . وأبحرت المراكب من ميناء كان يطل على البحر الأحمر . ثم قطعت المراكب مسافة ٢٠٠٠ كم بحرا بطول الشاطئ الخالى من المياه العذبة . وأخيرا وصلت البعثة إلى بلاد بونت وكان لابد لأعضائها من إقامة علاقات ودية مع سكان بلاد بونت الأصليين ، والذى كانوا ينظرون إليهم بعين الحرص والحذر . وقد كافأه الملك بعد عودته على إنجاز هذه المهمة بنجاح لدرجة أن هذه المكافأة كانت هامة ومجال تعليق تحت حكم الملك بيبى الثانى . وجاء ذكر هذه الحملة على حجر بالرمو الذى أمر الملك جد كارع اسيسى بإقامته . وأحضرت الحملة من هناك حوالى ثلاثة آلاف عصا من الأبنوس وبعض الأخشاب الثمينة والصمغ والجلود .[١]

٥- ومن الأسرة السادسة عثر الأثرى ريزنر على إناء أثناء حفائر فى نجع الدير عليه اسم الملك تيتى وعليه صورة لأنثى تعبر عن بلاد بونت وهذا الإناء موجود حاليا فى مجموعة جامعة كاليفورنيا .[٢] ربما كان هذا الإناء يحتوى على زيوت عطرية من بونت أو أطعمة مصدره من مصر إلى بونت (راجع النص رقم ٢٠) .

---

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 46; Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 44; Erman-Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 678; Kitchen, LA 1V, p. 1199.
د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٥٦١ – ٥٦٢ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ؛ Smith, in CAHI, part 2, p. 1950 .

٦- وكتب حرخوف أحد حكام أسوان إلى الملك بيبي الثاني خامس ملوك الأسرة (حوالى ٢٢٤٦ ق. م) أنه أحضر قزما زنجيا من بلاد الأرواح ورد عليه الملك بخطاب سجل محتواه حرخوف على جدران مقبرته فى أسوان ويقول الملك فيه : " ان جلالتى يريد أن يرى هذا القزم أكثر من كل ثروات مناجم سيناء أو بلاد بونت ".[١]

٧- كما أرسل الملك بيبي الثاني بعد ذلك أحد حكام أسوان ويدعى بيبى نخت الذى قام بعدة رحلات وخاصة إلى بلاد بونت . وخصص الملك لهذه الرحلات قوة من الجنود والبحارة والعمال لبناء المراكب اللازمة على شواطئ البحر الأحمر .[٢] وكان يرأس هذه الحملة أحد الضباط . ولكن هذه الحملة لم تتم بسبب هجوم قبائل بدو الصحراء الشرقية على أفرادها وقضوا عليهم . وعندما وصلت أنباء هذه الكارثة أرسل الملك بيبى نخت بهدف معاقبة هؤلاء البدو والانتقام منهم والعودة بأجساد الضحايا .

٨- وعن الرحلات البحرية إلى كبن (جبيل) وبونت فى عصر الأسرة السادسة لدينا نقش للملاح خنوم حتب فى مقبرة حامل ختم المعبود " خوى " فى مقبرته بالفنتين ويقول فيه :

---

(١) Aldred, les Egyptiens au temps des Pharaons, Paris (1965), p. 88, 110; Weigall, op. cit., p. 54; Mokhtar, op. cit., p. 252; Breasted, AR I, 339 .

وأيضا : د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ١٣٠ – ١٣١ ، ٤٠٢ حاشية (٦) ؛ وولتر إمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفه حندوسة) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ١٣٥ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

(٢) James, op. cit., p. 48; Kitchen, LA 1V, p. 1199; Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 208, 228 (9); Erman-Ranke, op. cit., p. 678; Breasted, AR I, 336 .

" مدير المقصورة خنوم حتب يقول : خرجت مع سيدى الأمير الوراثى حامل ختم المعبود ثتى (وأيضا) خوى إلى كبن (جبيل) وبونت ، إحدى عشرة مرة ، حاملا بسلام ما أنتجته (حرفيا ما صنعته ir.n) الأجنبية ."(١)
والمقصود بالمقصورة هنا هو المكان الذى كانت تمارس فيه الطقوس الدينية ويبدو أن ما أحضره كان له صلة بما يتم فى هذه المقصورة من حرق للبخور . وهناك نقش آخر يخص ثتى نفسه ونقرأ فيه ألقابه وإنجازاته ويبدو أنه ذهب إلى المناطق الجنوبية لإحضار منتجاتها إلى الملك ، ويقول " لقد أحضرت ثروات (حرفيا ممتلكات – ḫrt) البلاد الأجنبية الجنوبية إلى ملك مصر العليا ، ثتى " .(٢)

وتوقفت العلاقات التجارية مع بلاد بونت وتا – نثر خلال فترة الاضطرابات السياسية فى مصر فى العصر الوسيط الأول من الأسرة السابعة حتى نهاية الأسرة العاشرة . واستؤنفت هذه العلاقات مع بداية عصر الدولة الوسطى .

عصر الدولة الوسطى :

نجد أن بونت ذكرت فى أكثر من نص من نصوص التوابيت :

---

(١) Kitchen, op. cit., p. 1199 n. 6; Urk I, 140-141 (291, 1. 14-15, 1-3; De Morgan, Cat. Des monuments et Inscriptions I, p. 157; Mokhtar, op. cit., p. 147 n. 30; Drioton- Vandier, op. cit., p. 209, 227; Breasted, AR I, 361 .
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٩ حاشية (١١١) .
وذكر هذا النص فى مؤلف د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٤١-٤٢ . ولكن الترجمة محتاجة إلى مراجعة ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤٢ حاشية (٣) .

(٢) Urk I, 140-141 (30), 1. 6-8; De Morgan, op. cit., I, p. 199 – 200 .

٩- فيحدثنا نص عن دور حتحور بالنسبة لاوزير (أى المتوفى) فيقول أنـــها : [١]
" سيدة بونت "[٢] التى تعطى (لأوزير) المر فى القصر الكبير ."[٣]

١٠- وفى نص آخر يتشابه فيه المتوفى مع أوزير ويتقبل المنتجات الثمينة التــى تخرجها الأرض وأيضا العطور والروائح التى يقدمها المعبود جب ونقرأ [٤] :

" انه جب الذى يحضر له المر (cntyw) من تا – نثر " .

١١- وفى نص ثالث يقال للمتوفى [٥] :

" فليحضر له المر من تا – نثر والعطور[٦] من بونت " .

١٢- وفى نص رابع يقول المتوفى [٧] :

" أمى ايزيس هى التى أرضعتنى ... إنى أبحث عـــن مكـــان للاســـتقرار باسمى هذا " ححو " ووجدته فى بونت . وشيدت منزلا هناك على تل مسطح حيـــث تمكث أمى (ايزيس) بين أشجاره للجميز " .

هنا يشبه الكاتب بونت بالجبانة التى يجد فيها المتوفى المقر مع ايزيس .

---

(١) R. el Sayed, la Déesse Neith de Sais, p. 91 n. (2) .

(٢) عن حتحور سيدة بونت ورمز لكل منتجات المناجم ، راجع :
Aufrere, L'Univers mineral dans la Pensée Egyptienne, BdE 105/1 (1991), p. 82, 121, 174 .

(٣) المقصود بالقصر الكبير هو المقصورة الموجودة فى المعبد ، مثل التى كـــانت موجودة فى معبدى الكرنك وأسنا ، راجع :
Gitton, BIFAO 74 (1974), p. 64-73; Sauneron, Esna V, p. 329 n. (d) .

(٤) Aufrere, op. cit., p. 316 n. 79.

(٥) Id., op. cit., p. 316 n. 80 .

(٦) كلمة cntyw تعنى مر أو عطور ، راجع : Wb I, 206, 7-14

(٧) Saleh, Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 117 n. 7.

١٣- وهناك نص من عصر الملك منتوحتب الثانى خامس ملوك الأسرة الحادية عشرة نعرف منه أنه أمر بإرسال بعثة عبر الصحراء إلى بلاد بونت .[١]

١٤- وهناك نقش فى وادى الحمامات يحمل رقم ١١٤ من عصر الملك منتوحتب الثالث سادس ملوك الأسرة ومؤرخ بالعام الثامن من حكم هذا الملك ويحدثنا أن هذا الملك أرسل حملة إلى بلاد بونت عن طريق البحر الأحمر وقد وضعت هذه الحملة تحت قيادة ضابط يسمى حننو وكان معه ثلاثة آلاف من الجنود وكان يصرف لكل واحد من جنوده ٢٠ رغيفا وقدرتين من الماء يوميا . وقام هذا القائد بحفر آبار للمياه حتى لا يتعرض أفراد البعثة لمشاكل العطش وأعدت المراكب وأنزلت إلى المياه ، وأخيرا كللت هذه الرحلة الطويلة بالنجاح وعادت إلى البلاد محملة بكميات كبيرة من البخور والعطور . وبعد عودتها قام أفراد البعثة بتقديم القرابين والتضحيات شكرا للمعبودات على عودتهم سالمين . وقد عثر على لوحات فى موقع الميناء عند مرسى وادى جواسيس من عصر الدولة الوسطى .[٢] ونقرأ فى السطين ١٠ – ١٥ ما يلى :

" أرسلنى سيدى لكى أجهز سفنا من بيبلوس متجهة إلى بونت لكى أحضر له المر الطازج (cntyw w3d)[٣] الذى ينتجه الحكام رؤساء الصحراء (ḥryw – tp dšrt) (أى أرض الجزيرة العربية) لأن الخوف الذى يوحى به (جلالته) كان يعم البلاد الأجنبية . ورحلت من قفط عبر الطريق الذى أمرنى جلالته بأن أتبعه مصحوبا بقوات من أرض الجنوب .. وقمت بما أمرنى به جلالته وأحضرت له كل المنتجات التى وجدتها فى مناطق تا – نثر " .[٤]

---

(١) Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 7; Hayes, JEA 35 (1949), p. 43.

(٢) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٢١ – ١٢٢ (١)

(٣) Wb I, 206, 13.

(٤) ذكر هذا النص العديد من الباحثين ، راجع :

Aufrere, op. cit., p. 13, 43 n. 155; Kitchen, op. cit., p. 1199 n. 8; Couyat-Montet, Inscriptions du Ouadi-Hammamat, p. 81 pl. ==

١٥- وفى النقش رقم ٣٣٢ فى شبه جزيرة سيناء من عصر الدولة الوسطى جاء ذكر المعبود " تحوتى كسيد لبونت ".(١)

١٦- وفى قصة مغامرات سنوهى ، نرى فى النهاية كيفية سرور سنوهى من الرد الذى تلقاه من الملك سنوسرت الأول ويدعو الملك بأنه المفضل من قبل مجموعة من المعبودات منها (B 209 – 210) :

" مين – حورس الذى يقطن فى الصحارى ، وورت سيدة بونت " (Pwnt) .(٢)

ومن عصر الملك سنوسرت الأول لدينا نصين هامين عثر عليهما فى منطقة وادى جواسيس فى مكان الميناء القديم على البحر الأحمر .

-- 31 (114); Breasted, AR I (427); Weigall, op. cit., p. 67; Aldred, op. cit., p. 125, 201; James, op. cit., p. 52; Drioton-Vandier, op. cit., p. 244; Erman- Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 677 - 678

وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤٢ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦٤٧ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٨ حاشية (١٣) .

(١) Aufrere, op. cit., p. 41 n. 80

تحوتى كان له دور فى سيناء ، كما أنه كانت هناك علاقة بين منتجات بونت وسيناء ، راجع : Posener, Annuaire du College de France (1973), p. 369 – 374 ; Chadefaud, les Statues Porte-Enseignes de L'Egypte Ancienne, p. 175 n. 30.

(٢) Vercoutter, L'Egypte et le Monde Egeen, BdE22 (1956), p. 127 n. 5; Saleh, Suppl. BIFAO 81 (1981) p. 116 n. 4; lefebvre, op. cit., p. 18; Blackman, Middle Egyptian Stories, BAe 11 (1932), p. 33 .

١٧- وعلى لوحة للوزير إنتف - إقر كانت مقامة فى مواجهة خليج وادى جواسيس ، وتسجل نقوشها أمرا صدر من الملك سنوسرت الأول إلى الوزير لبناء سفنا لإرسالها إلى منطقة مناجم بونت ورحلت هذه السفن من ميناء جواسيس .[١] ونقرأ فى السطرين ٣ - ٤ :

" بناء هذه السفن الخاصة بترسانة قفط لإرسالها إلى منجم [٢] بونت (بيا - بونت) (bj3 Pwnt) ".[٣]

---

(١) Drioton – Vandier, op. cit., p. 258; Kitchen, LA 1V, p. 1199 n. 9 – 10 .

وعن هذا الميناء راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٠٧ ، ١٨٣ شكل ٤٦ ب .

(٢) يعطى اوفرر فى دراسته الهامة عن عالم المناجم والمحاجر فى الفكر المصرى لكلمة bj3 أكثر من عشرة معانى منها : منجم ، منطقة محاجر ، معدن ، روائع (معدنية) ، ثروات أو روائع المناجم (من أحجار كريمة) ، ثروة (طبيعية) ، حجر صوان ، نبات - bj3 ، آبار ، قبة زرقاء (بما فيها من روائع الكون)، راجع : Aufrere, op. cit., p. 64 (1), (index) p. 19; Meeks, Alex. 1, p. 113; Wb I 438, 12-13; Meeks, le Grand texte des donations au temple d'Edfou, BdE 59 (1972), p. 120 n. 248 .

(٣) يترجم اوفرر كلمة bj3 Pwnt بـ " منجم بونت " راجع :
Aufrere, op. cit., p. 64 .

يرى د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٢٨ - ١٣٨ أن بيا - بونت هى منطقة تقع فى المنطقة الممتدة من بورسودان وسواكن شمالا حتى عقيق جنوبا على وجه التقريب . وفى رأينا أنها منطقة المناجم الخاصة ببونت كما ذكر اوفرر .

١٨- كان للوزير السابق ذكره انتف اقر مقبرة فى البر الغربى فى طيبة ولكنه دفن فى اللشت .[١] وجاء فى نقوشها ذكر " حتحور سيدة بونت " .[٢]

١٩- نقوش بقايا مقصورة كانت مقامة فى وادى جواسيس لشخص يدعى عنخو ، كان رئيسا للبحارة فى عصر الملك سنوسرت الأول وتسجل نقوشها أخبار بعثة بحرية إلى مناجم بلاد بونت فى ثلاثة أماكن متفرقة حيث نقرأ فى النص ما يلى :

أ - " (سنوسرت الأول) المحبوب من حتحور سيدة بونت " .[٣]

ب - " وتوجهت فى رحلة إلى منجم بونت (bj3 Pwnt) " .[٤]

ج - وفى نفس النص السطر ٦ جاء ذكر العبارة :

" منتجات[٥] تا - نثر "[٦] (inw T3 - ntr)

---

(١) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٠٦ حاشية (٢٥) .

(٢) Chadefaud, les Statues Porte – Enseignes, p. 175 n. 30.

(٣) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٩٦ (١) ، ١٦٧ شكل ٢٦ ب

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠١ (٢) ، ١٧١ شكل ٢٨ ب سطر ٢ ؛ Mokhtar, op. cit., p. 145 n. 26 .

(٥) تعنى منتجات أو جزية فى شكل منتجات ثمينة من المناجم والمحاجر ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 49, 103, 108 et index, p. 17.

(٦) يرى فركوتيه ان تا - نثر هى الأرض التى تقع إلى الشرق فى الشمال الشرقى والجنوب الشرقى لمصر ويطلق أحيانا على سوريا وفلسطين وأحيانا أخرى على المنطقة التى توجد بها بلاد بونت ، وأن كل من بونت وتا نثر كانتا مرتبطتان ، راجع : Vercoutter, L'Egypte et le Monde Egeen, p. 12-13 n. (2), 65 – 66, 90 n. (4), 101 n. (5), 102 n. (8); Kuentz, BIFAO 17 (1920), p. 121 – 140 وهذا هو رأى كوينز أيضا فى : ويذكر لنا فركوتيه نصا من عصر الأسرة العشرين حيث جاء فيه ذكر – T3 ntr mhty أى " تا - نثر الشمالية " أى التى تقع إلى الشمال من الجزيرة العربية وتشمل سوريا ، راجع : Vercoutter, op. cit., p. 98 (23), n. (4)

كما اننا نقرأ بقايا نص مهشم بقيت منه كلمة واحدة هى " بونت ".[١]

-- ويفهم من ذلك النص أن هناك تا- نثر الجنوبية التى كانت تشمل كل الجزيرة العربية وسطها وجنوبها . وفى دراسة لأستاذنا د. صالح أشار إلى أن تعبير تا - نثر كان يطلقه المصريون القدماء على أكثر من منطقة ، على الصحراء التى تقع بين النيل والبحر الأحمر وامتد هذا المعنى ليشمل كل البلاد التى تقع جنوبى وشرقى الحدود المصرية . واصبح له معنى أكثر شمولا فيضم أراضى شبه جزيرة سيناء وشمال الجزيرة العربية ثم فلسطين وفينيقيا وسوريا وأراضى خاتى (آسيا الصغرى) . ثم أصبح بعد ذلك مصطلحا عاما لا يحدد منطقة معينة بل يشمل مفهوم المصرى القديم كل الأراضى التى خلقها المعبود فى كل مكان ، راجع :

Saleh, Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 108-111, 115-116; Id., BIFAO 72 (1972), p. 249 n. (1) .

ويرى اوفرر أن تا-نثر هى الأرض التى تقع بين النيل والبحر الأحمر شرق قفط وسلسلة جبال الجزيرة العربية، راجع: Aufrere, op. cit., p.743 n. (a)

ويرى كل من ارمان ورانكه ان تا-نثر تشمل الشرق حيث يشرق المعبود رع يوميا . ومن ثم أطلق هذا التعبير على المنطقة الصحراوية الجبلية بين النيل والبحر الأحمر وأيضا شبه جزيرة سيناء وشمال الجزيرة العربية ووسطها ، راجع : Erman- Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 676.

بينما يرى د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ أن تا - نثر يمكن أن تشمل الجزيرة العربية أى أنها الأرض التى يشرق منها المعبودان تا - نثر وبونت تقعان فى منطقة متجاورة .

كل هذه المعانى نجدها فى La 11, p. 815; Meeks, Alex. 1, p. 441; Wb V, 225, 1-3 . كما أطلق التعبير تا - نثر على الجبانة بوجه عام ، راجع : Meeks, Alex. III, p. 319; Wb V, 225, 5

وسوف نرى فى نصوص الملكة حتشبسوت بالدير البحرى أن التعبير تا - نثر بمعنى " البلد المقدس " كان يطلق أيضا على بلاد بونت نفسها ، راجع أرقام ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٧، ٤٤، ٤٦، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩؛ وأيضا : Wb V, 225, 1.

(١) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٦٢ ، ١٧٢ شكل ٢٩ . فهل المقصود هنا بيا بونت أى منجم أو محجر بونت الموجود فى جبال بونت والذى كان يستخرج منه الذهب الخام ، راجع : RdE 29, p. 150 n. 10 ويفهم من لوحة انتف - اقر السابق ذكرها أن السفن المصرية التى كانت متجهة إلى بلاد بونت أو إلى مناجم جبال بونت كانت تبحر من ميناء يطل على ---

٢٠- عثر فى فى حفائر وادى جواسيس على كسر أوانى فخارية عليها كتابات بالهيراطيقية تشير إلى أنواع الأطعمة وأشياء أخرى كانت تحتويها هذه الأوانى .

-- البحر الأحمر. وقد تم الكشف عنه فى عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ، بواسطة بعثة قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية برئاسة د. عبد المنعم عبد الحليم . وكان هذا الميناء يقع إلى الشمال من ميناء القصير الحالى بحوالى ٦٠ كم . وكانت هذه اللوحة من بين العديد من الآثار التى عثر عليها فى هذا الموقع الهام . ويفهم من نصها وخاصة السطرين ٣ - ٤ أن سفن البعثات البحرية إلى بونت كانت تشيد فى ترسانة قفط على شاطئ النيل (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٧٣ - ١٤٥ ، ٤٣٩ حاشية (٥٥) ؛ - Lalouette, Thebes, p. 68; Drioton Vandier, op. cit., p. 244.

ويفهم من هذا النص أيضا أن هذا الميناء كان مستخدما فى عصر الملك سنوسرت الأول ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وربما كان موجودا من قبل هذا التاريخ (؟) . (يرى كيس أن رحلات الدولة القديمة إلى بلاد بونت كانت تركب البحر من منطقة السويس فقط ، راجع د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٧ حاشية (٦٦)) . ويضيف د. عبد المنعم عبد الحليم (المرجع السابق ، ص ١٤٤ - ١٤٥) أن هذه السفن كانت تفك إلى عدة أجزاء وتنقل بعد ذلك عبر الطرق الصحراوية من النيل إلى البحر الأحمر ، حيث كانت تركب وتجمع فى هذا الميناء وتستخدم فى الإبحار فى البحر الأحمر ، وأنه بعد عودتها من رحلتها ، يعاد فكها مرة أخرى فى الميناء وتنقل أجزاؤها إلى النيل لتستخدم كمراكب نيلية .

وكان يطلق على هذا الميناء اسم " ساوو " أو " سو " . وقد ورد هذا الاسم فى نقوش عنخو ولوحة خنتى ختى - ور وفى نقوش تحوتمس الثالث (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١١٩ - ١٢١ ؛ - Erman Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 676) . وأحيانا كان يسبق كلمة ساوو كلمة " دمى " بمعنى ميناء أى ميناء ساوو ، (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ١٢١) .

ولكلمة dmi ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 436

وكذلك الأماكن التى جاءت منها . ومنها آنية عليها ثلاثة أسطر ، ففى السطر الثانى نقرأ اسم الجهة الصادر إليها الطعام وهى بونت (Pwnt) وفى السطر الثالث الجهة الوارد منها (فى مصر) .(١)

٢١- ومن عصر الملك امنمحات الثاني ثالث ملوك الأسرة الثانية عشرة (١٩٢٩ ق. م) لدينا بردية تحمل اسم قصة بحار السفينة الغارقة أو الملاح الذى نجا وتسمى أيضا قصة جزيرة الثعبان . وهى المعروفة باسم بردية جولينشف ومحفوظة الآن فى متحف الارميتاج فى ليننجراد .(٢) وتقص علينا قصة بحار كان ذاهبا فى بعثة إلى بلاد بونت(٣) لإحضار البخور من هناك فقامت عاصفة وهلك جميع البحارة المائة وعشرين وحملته الأمواج إلى جزيرة أمضى هناك ثلاثة أيام وحيدا لا أنيس معه وفوق هذه الجزيرة كان يعيش ثعبانا يبلغ طوله ثلاثين ذراعا وله لحية طولها أكثر من ذراعين وأعضاؤه مغطاة بالذهب . وعندما سأله عمن أحضره إلى هذه الجزيرة أخبره بقصته وهلاك المائة والعشرين بحارة الذين كانوا معه . وطمئنه وقال لا تخف أن المعبود أراد أن تحيا لأنه اصطحبك إلى هنا إلى جزيرة الروح وسوف تمضى شهرا يلى شهرا حتى أربعة وبعد ذلك تأتى مركب لتعود بها إلى بلدك مع بحارة تعرفهم ، وسوف تعود معهم وتتوفى فى مدينتك . وقص عليه الثعبان قصته التى حدثت له على هذه الجزيرة ، وأنه كان مع بنى جنسه وكان يوجد من بينهم أطفال . وكان عددهم خمسة وسبعين ثعبانا . وكان يوجد أيضا فتاة صغيرة السن ، وهبت لهذا

---

(١) Chadefaud, les Statues Porte- Enseignes, p. 175 n. 30.

(٢) Erman – Ranke, op. cit., p. 676 – 682 .

وأيضا د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٣٧٧ – ٣٧٨ ؛ د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٣ (١) ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧ ، ص ٦٦٧ – ٦٦٩ .

(٣) كان ذاهبا إلى جزيرة الروح وكانت موجودة فى بلاد بونت ، راجع :
Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens, Paris (1949), p. 30.

الثعبان عن طريق الطقوس والدعاء وسقطت نجمة من السماء عليهم جميعا فهلكوا بنارها واحترقوا جميعا . وتبين هذه القصة مدى المصاعب والمخاطر التى كان يتعرض لها البحارة المصريون أثناء رحلاتهم فى البحر الأحمر . وما يهمنا هنا هو ما جاء فى حوار الثعبان مع البحار عندما قال له (١) :

أ - السطر ١٥٠ :

" انك لا تملك الكثير من المر (cn tyw) (بينما أنا) نشأت كسيد للبخور (sntr) . وأنا بالتأكيد حاكم بونت (Pwnt) والمر (cntyw) الذى بها يخصنى . (أما عن) عطر – ḥknw (٢) هذا الذى قلت أنك تستطيع إحضاره فإنه المنتج (حرفيا المكان) (٣) الرئيسى لهذه الجزيرة " .

ب - الأسطر ١٦٢ – ١٦٦ :

ويذكر البحارة فى نهاية الحوار ما أعطاه له الثعبان من منتجات :

" ثم أعطانى حمولة (sbt) من المر (cntyw) وعطر – ḥknw ، وعطر – iwdnbw (٤) ، والتوابل (ḥs3yw) (٥) والبهارات (ti – šspsw) (٦) ،

---

(١)- Lefebvre, op. cit., p. 38-39; Erman-Ranke, op. cit., p. 681 – 682; Blackman, Middle Egyptian Stories,BAe 11 (1932), p. 46 – 47; Noblecourt, Memnonia 1X (1998), p. 59 – 64 .

(٢) Wb 111, 180, 5; Meeks, le Grand texte des donations au temple d'Edfou, p. 105 n. 182.

(٣) كان من المنتظر أن يكتب الكاتب هنا كلمة m3c بمعنى " منتج " (راجع : Faulkner, Concise Dictionary, p. 102)
ولكنه كتب كلمة bw التى ربما تعنى هنا " (منتج) المكان " .

(٤) Wb I, 59, 9.

(٥) Wb 111, 400, 3 – 4 .

(٦) Wb V, 243, 8 .

ومنتج الـ Š3c – cḫ [1]، وكحل أسود ، وذيول زراف[2] ، وزكائب ضخمة للبخور (sntr)[3] ، وسن فيل[4] ، وكلاب صيد ، وقردة[5] ، ونسانيس[6] ، وكل النفائس الطيبة (Špssw nb nfr) ثم حملت هذا إلى هذا المركب " .

ج - السطر ١٧٥ :

وعند عودته إلى مصر وضع كل هذه المنتجات أمام الملك ، ويقول : " وقدمت (ms) له (أى الملك) هذه المنتجات[7] (inw pn) التى أحضرتها من داخل هذه الجزيرة . وشكرنى فى حضرة نبلاء اللاد كلها ، ثم رفعنى إلى مرتبة صديق ومنحنى العبيد من بين الذين كانوا فى ملكيته " .[8]

٢٢- عثر على لوحة للمدعو خنتي ختي – ور الأمير الوراثى من عصر الملك امنمحات الثانى ، عثر عليها فى الموقع الرومانى بوادى جواسيس[9]، ولكن يبدو أنها كانت مقامة فى الأصل بالقرب من مرسى ميناء جواسيس ، وتذكر نصوصها :

---

(١) Wb 1V, 409, 12 .

(٢)تقرأ : sdw nw mmy ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 156

(٣)تقرأ : mrywt c3t nt sntr ، راجع لمعنى mrt :Meeks, Alex. I, p. 164

(٤)تقرأ : nhdwt nt 3bw ، راجع لمعنى nhdt : Meeks, Alex. I, p. 198

(٥)تقرأ gwfw

(٦)تقرأ kyw وجاء ذكر معظم هذه المنتجات فى نصوص حتشبسوت بالدير البحرى ، (راجع رقم ٣٥ أ) .

(٧)عن هذا المعنى لـ inw ، راجع رقم ١٩ حاشية (٤) .

(٨) Lefebvre, op. cit., p. 39 .

(٩)يذكر د. عبد الحميد زايد فى : مصر الخالدة ، ص ٣٨٠ ، ٤٠٧ أن هذه اللوحة نقلت إلى إنجلترا وهى الآن فى قلعة Alnwick

" التعبد للمعبود وأداء الابتهالات إلى مين فقط بواسطة الأمـــير الوراثـــى ، حامل ختم الوجه البحرى ، المشرف على القاعة خنتى ختى – ور وذلك بعـــد وصوله بسلام من بلاد بونت (Pwnt) وقواته معه ورسى بأسطوله بســـلام فى ساوو " .(١)

٢٣- كما عثر فى وادى جواسيس على لوحة تخص المدعـــو إى – مـــرو مـــن الأسرة الثانية عشرة ، ولكن للأسف الشديد تآكلت معظم نقوشها ولـــم يتبـــق إلا نقوش بسيطة فى الجزء السفلى ونقرأ منه بقايا العبارة " .... إلى منجم بونـــت " (bj3 Pwnt) .(٢)

وتوقفت للمرة الثانية العلاقات التجارية مع بلاد بونت وتا – نثر مـــن الأســـرة الثالثة عشرة حتى الأسرة السابعة عشرة ، وذلك أثناء فترات الضعف السياســـى وتمزق وحدة البلاد السياسية وتعرضها للغزو والاحتلال الأجنبى لأول مرة فـــى تاريخها فكان من الطبيعى أن تتوقف الرحلات التجارية إلى الجنوب .

عصر الدولة الحديثة :

زادت العلاقات التجارية مع بونت فى هذا العصر ، فقـــد أرســـلت الملكـــة حتشبسوت فى العام التاسع من حكمها (حوالى عام ١٤٩٦ ق. م) بعثتها الشـــهيرة إلى بلاد بونت لإحضار المنتجات والثروات الطبيعية لجبال هذه البلاد البعيدة .(٣)

---

(١) Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 10; Mokhtar, op. cit., p. 145; Erman- Ranke, op. cit., p. 678; Drioton – Vandier, op. cit., p. 258 ، وأيضا : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع الســـابق ، ص ٩٨ ، ١٢١ ، ١٢٣، ١٢٧، ١٤٧ شكل (١) ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع الســابق ، ص ٣٨٠ .

(٢) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٩١ ، ١٦٠ شكل ١٩ أ – ب .

(٣) Lalouette, Thebes, Paris (1985), 249 – 256; Saleh - ---

وسجلت مراحل هذه الرحلة فى نقوش الشرفة الثانية أو المدرج الثانى ، الـرواق الأيسر ، الجدار الجنوبى . ويبدو أنه كان يصحب البعثة فنان كبير من القصر الملكى يعاونه آخرون تولوا بعد عودة البعثة نقش كل تفاصيلها على جدران المعبد [١] مـن أصل تخطيطى رسم وسجلت عليه كل التفاصيل بدء من الرحيل حتى العودة . وربما كان مع البعثة مجموعة من الكتبة الذين أدوا دور المراسلين الصحفيين .[٢]

فنرى رحيل الأسطول ووصوله إلى شواطئ بونـت . ونـرى المبعـوث المصرى " نحسى " وقد رسى بمراكبه على الشاطئ ومعه أحد الضباط وثمانية جنـود مسلحين بأسلحة خفيفة مما يدل على الغرض السلمى أو التجارى مـن إرسـال هـذه البعثة . ونرى أمامه أشياء عبارة عن خرز وفأس وخنجر وأساور وصندوق خشبى .

-- Sourouzian, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no. 130 a-c, Mokhtar, op. cit., p. 146 (1), 147 n. 31; Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. 12 (B); Drioton – Vandier, op. cit., p. 339; Erman – Ranke, op. cit., p. 683 – 684, 686; Breasted, AR 11 (260); لنصوص هذه البعثة راجع : Urk 1V, 317 – 354

وبالنسبة للمراجع العربية التى ذكرت هذه البعثة ، راجع :

د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٤٩ شكل (٢) ؛ د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٣ – ١٤٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجـزء الأول : مصـر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ حاشـية ٣٨ – ٣٩ ؛ د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨، ص ٨٠ – ٨١ شكل ٢٤ – ٢٥ .

(١) نعلم من قصة سنوهى أن الملك سنوسرت الأول أمر بأن يشيد لسـنوهى بعـد عودته إلى أرض مصر هرما بين الأهرام ليدفن فيه وأصـدر أوامـره إلـى النحاتين ورئيس الرسامين بالقصر الملكى لتنفيذ هذا العمل ، راجع :
Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens, p. 24 .

(٢) Cottrell, les Epouses des Pharaons, Paris (1966), p. 55, 57.

وهى عبارة عن الهدايا التى أحضرها من مصر لتقديمها إلى حتحور سيدة بونت " . وعلى الجانب الآخر وقف زعيم بونت " باروهو "[١] (Wr n Pwnt P3rw) رافعا يديه يحيى الوفد المصرى ومن خلفه زوجته) البدينة ذات الأرداف الثقيلة " إتى "[٢] hmt.f ity وهى ترفع يديها للتحية ومن خلفها جاء للتحية أيضا واستقبال البعثة المصرية أولادها " ولدان وبنت[٣]، وصور من خلفهم حمارا كتب أعلاه " الحمار الذى يحمل زوجته "[٤] (جزء من هذا النقش موجود الآن بالمتحف المصرى)[٥] وخلف هذين الزوجين نرى قرب بلاد بونت التى يظهر فيها النخيل والأكواخ العالية المقامة على دعائم والتى يصعد إليها عن طريق سلم خشبى . ونرى الماشية وهى ترعى ويرى كلب رابض وآخر يصحب سيده . وأعلى هذا المنظر نرى منظر خيمة ضربها المصريون لكى يستقبلوا فيها زعيم بونت وفى الصف الثانى من الجدار الغربى نرى منظر المراكب ويقوم الحمالون بنقل المنتجات إليها . فهناك رجال يحملون شتلات شجر المر فى سلال وثمة قرود تجلس على المنتجات أو تسير على حبال المراكب .

وفى منتصف ذلك الجدار نرى منظر يمثل الملكة (وقد كشط شكلها) وهى تقوم بتقديم منتجات وثروات بونت إلى المعبود آمون – رع . وتعلن فى الوقت نفسه نجاح بعثتها فتسمع المعبودات هذا الخبر ، فتبارك عملها . وعلى الجدار الشمالى منظر يمثل الملكة وهى تعلن نتائج بعثتها إلى موظفى القصر الملكى ومن بينهم

---

(١) Urk 1V, 324 (1. 16) .

(٢) Urk 1V, 325 (1. 1) .

(٣) Urk 1V, 325 (1. 2 – 3) .

(٤) Urk 1V, 325 (1. 5); Saleh – Sourouzian, op. cit., n. 130 b.

(٥) Saleh – Sourouzian, op. cit., no. 130 c. وفى مكان آخر بنفس المنظر نرى زعيم بونت وزوجته البدينة وخلفهم رجل يحمل الهدايا ، راجع :
Saleh – Sourouzian, op. cit., no 130 a
د. صبحى بكرى : المرجع السابق ، شكل ٢٥ .

سنموت .(١)

قامت الباحثة الفرنسية " لالويت " بوصف مراحل هذه الرحلة وترجمة أغلب النصوص التى تصاحب مناظرها . بدأ بالأمر الملكى بإرسال هذه البعثة حتى عودتها واستقبال الملكة لها وقيامها بتكريس كل ما أحضرته من ثروات ومنتجات إلى أبيها آمون رع بعد وزن وقياس وكيل هذه المنتجات . وسوف نقوم بترجمة ما قامت بمراجعته لالويت بعد الرجوع إلى النص الأصلى المنشور فى Urk 1V .(٢) وسوف نتبع فى هذه الترجمة نفس ترتيب ذكر هذه النصوص كما وردت فى صفحات مؤلف الـ Urk 1V والتى تحدثنا عن النصوص المصاحبة للمنظر وعن مراحل الرحلة المتعددة وهى كالآتى :

٢٤ – أ – بقايا نسخة من التمثال الأصلى الذى اصطحبته البعثة معها :

عثر على بقايا تمثال من الجرانيت كان يمثل المعبود آمون والملكة ويبدو أنه كان نسخة أخرى للتمثال الأصلى الذى اصطحبته البعثة معها وكان يمثل آمون والملكة(٣) وعثر على هذه البقايا فى موقع معبد الدير البحرى .(٤) وعلى هذه البقايا نقرأ :

– " .... بونت المكان المقدس " (St - dsrt).(٥)

– " .... لكى تسر قلوبهم بالأشجار (nhwt).(٦)

---

(١) د. صبحى بكرى : المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٢) Lalouette, op. cit., p. 249 – 256; Urk 1V, 317 – 354.

(٣) Erman – Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 686; Lalouette, Thebes, Paris (1985), p. 250 n. 109 .

(٤) Urk 1V, 316 (1.12 – 13) .

(٥) Urk 1V, 317 (D) (1. 1) .

(٦) Urk 1V, 317 (H) (1. 3) .

- " .... التاسوع الكبير ... بونت ".[١]
- " .... مر طبقا لرغباتهم ".[٢]
- " .... (آمون سيد) المجاو حاكم بونت ".[٣]

٢٤ ب – وتعطي هذه البقايا بعد ترميمها وإعادة كتابتها النص الآتي [٤] :

" ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع فلتعش أبديا ، ما فعلته كأثرها لأبيها آمون رع سيد عروش الأرضين ان صنعت له تمثالا كبيرا (يمثل) ماعت كارع وآمون رع سيد المجاو وحاكم بونت[٥]، المحبوبة (mryt) وصنعته جلالتها طبقا لفكر[٦] قلبها وأقامته فى البلد المقدس (T3 - ntr) وصنعت تمثالا لهذا المعبود مرتبط بتمثال ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع ونحتته من كتلة واحدة من حجر الجرانيت الصلب وسوف يوفر الحماية[٧] لهما التاسوع الكبير الذى يقطن بونت (Psdt c3t hryt – ib Pwnt) وسوف يظلان ويمكثان إلى الأبدية ودائما فى مكانهما أمام مدرجات

---

(١) Urk IV, 317 (L) (l. 3) .

(٢) Urk IV, 317 (F) (l. 5) .

(٣) Urk IV, 318 (N) (l. 1) .

(٤) Urk IV, 319 (l. 6 – 17); 320 (l. 1 – 3) .

(٥) فى قصة باختان نجد أن المعبود آمون كان يحمل لقب " حاكم الصحراء " (hk3 dšrt) راجع : Lefebvre, Roman et Contes Egyptiens, p. 226 (3) n. (14) .

(٦) تقرأ k3t – ib ، راجع للمعنى : Piankoff, le Coeur dans les textes Egyptiens, Paris (1930), p. 121 .

(٧) Lalouette, op. cit., p. 250 – 251 .

مر بونت "(١) (m ḫnt ḫtyw cntyw nw Pwnt) المكان المقدس (St – dsrt)(٢) الذى يسعد القلب(٣) ، وما تحقق له : هذا المعبـــود المبجـل ، ان جلالتها نفذت هذا .

٢٥- وعندما أرسلت القوات إلى هذا البلد وتنبأ لها أبوها بالطريق لكى يسمح لـــهذا البلد بأن يرى جلالتها مع أبيها حاكم بونت نهار كل يوم سبت عظـــم قدراتـــه وبسبب فائدة قدراته وبسبب حسن قدراته تجاه كل المعبودات بقدر حبه لابنتـــه ماعت كارع أكثر من الملوك الذين كانوا فيما سبق . ووصل جيش جلالتها هذا فى أحسن حال وسليما ومعافى إلى مدرجات من بونت (ḫtyw cntyw nw Pwnt) . وكان هذا التمثال معهم ، وكانت قدرات هذا التمثال المبجل هــــى التى أرشدتهم على الماء وعلى الأرض . ولم ترسل حملة إلى هذه البلاد منـــذ زمن المعبود بواسطة (أى ملوك) آخرين سابقين مبجلين " .(٤)

٢٦- وكشف عن وجه جلالتها (أى تمثالها) (عند) الوصول إلى مدرجات المـــر (ḫtyw cntyw) وحمل إليهم (أى أعضاء البعثة) المر طبقـــا لرغباتـــهم وحملت أساطيلهم بما يرضى قلوبهم (من) أشــجار المر الطازج (nhwt

---

(١) لم يعثر على مكان هذا التمثال حتى الآن . عن معنى كلمة ḫtyw ، راجع :
Aufrere, op. cit., p. 29; Meeks, Alex. 11., p. 291; t. 111, p. 226; Wb 111, 349, 9 ، وهنـــاك التعبــير المركـــب " عــود الـــمر " (ḫt n cntyw) راجع : Wb 111, 340, 6 . وهذا يذكرنا بالتعبير الـــــذى أطلقه المصريون القدماء على " مدرجات الأرز " (ḫtyw nw cš) (راجــع Wb 111, 349, 8) و " خشب أرز قمة المدرجات " (cš n tp ḫtyw)
راجع : Meeks, op. cit., 111, p. 226 ، وأيضا : Wb 111, 349, 8

(٢) Lalouette, op. cit., p. 251 n. 110 .

(٣) Piankoff, op. cit., p. 120 .

(٤) Urk 1V, 320 (1. 3 – 17) = Lalouette, op. cit., p. 253 n. 116 .

(cntyw w3ḏ) ... وكل المنتجات[١] الطيبة لهذا البلد (m3cw nb nfr n ḫ3st tn) والكل شاهد .[٢]

٢٧- وحينئذ جاء كبار رجال بونت وأبدوا جميعهم (Wrw nw Pwnt) خدماتهم لها (أى لتمثالها) وجاءوا منحيين لهيبتها (ḥryt)[٣] هم كلاب وأتوا بمثل ما يفعل الكلاب ، رافعين الحمولة وحاملين منتجاتهم ... سائلين السلام من جلالتها ملك مصر العليا والوجه البحرى حاكم الأرضين .... التى تمارس منح الحياة مثل رع أبديا " .[٤]

٢٨- **الإبحار والوصول بسلام والتقدمة لمعبود :**

نرى منظر يمثل خمس سفن ، اثنتان منها راسية وثلاث على وشك الرحيل لأن أشرعتها مفرودة بفضل الرياح . ونرى الكابينة مزودة برصيفين .[٥] وكانت البعثة تضم ٢١٠ رجلا ، منهم ثلاثين مجدف لكل مركب و ٢١ بحارة ، تصحبهم سرية صغيرة من ثمانية جنود وضابط للحماية أو الحراسة .

---

(١) Faulkner, Concise Dictionary, p. 102 .

(٢) Urk 1V, 321 (1. 1 – 7) .

(٣) Faulkner, op. cit., p. 176 .

(٤) Urk 1V, 321 (1. 9 – 17) .

(٥) عن أنواع السفن المصرية التى كانت تجوب البحار ، راجع :

Erman – Ranke, op. cit., p. 656 – 657

وكان يطلق على الأسطول المتجه إلى جبيل " الجبيلى " والمتجه إلى بونت " البونتى " ، راجع : Id., op. cit., p. 656

" تلبية دعوة[١] الأرض العظيمة (T3 – wr)[٢] : الإبحار في الأخضر العظيم واتخاذ الطريق المناسب إلى الأرض المقدسة (T3 – ntr) . الرسو بسلام في بونت بواسطة قوات سيد الأرضين طبقا لتعليمات (tpt rd) سيد المعبودات آمون سيد عروش الأرضين الذى يترأس الكرنك لكى تحضر له ثروات كل البلد (أو الجبل)[٣] (bj3wt h3st nbt) بقدر[٤] حبه لابنته ماعت كارع أكثر من الملوك السابقين المبجلين للوجه القبلى ولم يحدث هذا تجاه ملوك آخرين للوجه البحرى الذين تواجدوا على هذه الأرض أبديا ".[٥]

٢٩- (ثم) تفريغ هذه المراكب (ipntw) مما تحمله إلى أمه (أى أمها) مركب وراء مركب ... إلى حتحور سيدة بونت من أجل حياة ورخاء وصحة جلالتها .[٦]

٣٠- " ووصول المبعوث الملكى إلى البلد المقدس (T3 – ntr) مع القوات التى تعقبه أمام (tp m)[٧] كبار بونت (Wrw nw Pwnt) ووصل بكل

---

(١) عن المعنى ، راجع : Faulkner, op. cit., p. 175

(٢) Urk 1V, 322 (L. 4) .

(٣) يعطى اوفرر أكثر من سبعة معانى لكلمة h3st فهى تعنى : " جبل ، محجر ، منطقة محاجر أو مناجم ، جبانة ، صحراء ، مستورد من الخارج ، أجنبى ، بلد أجنبى " ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 24 – 25 (index) ويعطى مكس معنى إضافى وهو " هضبة " راجع : Meeks, Alex. 1, p. 270 – 271 ومن الأفضل ترجمة هذه الكلمة فى جميع نصوص حتشبسوت بمعنى " جبل أو منطقة جبلية " .

(٤) تقرأ n c3t n وعن المعنى ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 56

(٥) Urk 1V, 322 (1. 6 – 15) = Lalouette, op. cit., p. 251.

(٦) Urk 1V, 323 (1. 2 – 5) .

(٧) Faulkner, op. cit., p. 296.

الأشياء الطيبة من القصر الملكى فليعش فى رخاء وصحة " .[١]

٣١- " مخصصة لحتحور سيدة بونت[٢] من أجل حياة ورخاء وصحة جلالتها .[٣]

٣٢- **استقبال البعثة بواسطة كبار بونت :**

يأتى بعد ذلك منظر وصول البعثة إلى شواطئ بونت واستقبال عظيم بونت وزوجته لها . ومن وراء المبعوث الملكى نرى السرية العسكرية المكونة من ثمانية جنود يحمل كل واحد منهم حربة ودرع أما الضابط فيحمل جعبة وحربة وبلطة .[٤]

- " المجئ بواسطة كبار بونت (Wrw nw Pwnt) منحنيين ومطأطئ الرأس لكى يستقبلوا قوات الملك هذه . وأدوا الابتهالات إلى سيد المعبودات آمون رع[٥]، أزلى الأرضين الذى يطئ المناطق الجبلية . (hb h3swt) قائلين ومرددين وسائلين السلام : كيف وصلتم إلى هذا البلد الذى يجهله الناس ؟ هل هبطتم على طرق السماء ؟ أم أبحرتم على الماء أو على الأرض ؟ كم هو مخضر هذا البلد المقدس (W3dw T3-ntr) الذى وطئه رع من أجلكم (أما بالنسبة) لملك الأرض المحبوبة (T3 – mry) (مصر) فلا يعرف الطريق إلى جلالته لكى نعش

---

(١) Urk 1V, 323 (1. 14 – 17) = Lalouette, op. cit., p. 251 – 252 .

(٢) ذكر هذا اللقب عند : Erman – Ranke, op. cit., p. 686; Saleh. BIFAO 81, p. 116 n. 3.

(٣) Urk 1V, 324 (1. 1) .

(٤) لهذا المنظر ، راجع : Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 176 Fig, 54.

(٥) أى أنهم تعبدوا إلى تمثال آمون الذى أحضرته البعثة معها .

بفضل النسيم من عطاياه " .[١]

٣٣- " عظيم بونت بارو هو (P3 rwhw)

" زوجته " (Ity)

" ولداه وابنته "

" الحمار الذى يحمل زوجته " [٢]

٣٤- **نصب الخيمة والتبادل التجاري** :

على يمين المنظر نصبت خيمة المبعوث الملكى وأمامه وضعت منتجات بونت وعلى اليسار مجموعة من أهالى بونت يحملون أشياء مشابهة وعلى راسهم عظيم بونت وزوجته البدينة وصور أمير بونت وهو يحمل كومة من المر وأحد أبنائه يحمل إناء يحتوى على التبر .

" نصبت خيمة للمبعوث الملكى مع قواته فى مدرجات مر بونت (m ḫtyw ḥr gswy w3ḏ – (cntyw nw Pwnt) على شاطئ الأخضر العظيم[٣] (wr) لاستقبال عظماء هذا البلد وقدم إليهم الخبز والجعة والنبيذ واللحوم والفواكه وكل الأشياء من داخل الأرض المحبوبة (T3 – mry) (مصر) طبقا للأمر الذي صدر فى القصر الملكى فليعش فى رخاء وصحة " .[٤]

---

(١) Urk 1V, 324 (13 – 14) = Lalouette, op. cit., p. 252 n. 111
Erman – Ranke, op. cit., p. 684 .

(٢) Urk 1V, 324 (1. 16); 325 (1. 1 – 3); 325 (1. 5) .

(٣) النص يتحدث هنا عن شاطئ (بالمثنى) البحر الأحمر مما يشير إلى الشاطئ الأسيوى والأفريقى معا .

(٤) Urk 1V, 325 (1. 12 – 17) = Lalouette, op. cit., p. 252 n. 112;
Erman – Ranke, op. cit., p. 686 .

٣٥- تلقى منتجات عظيم بونت (Wr n Pwnt) بواسطة المبعوث الملكى : المجئ بواسطة عظيم بونت (Wr n Pwnt) حاملا منتجاته (inw)[١] على شاطئ الأخضر العظيم (ḥr gswy W3ḏ wr) أما المبعوث الملكى ... القصر الملكى فليعش فى رخاء وصحة . (عبارة عن) ذهب عامو ومر ... " .[٢]

٣٦- " .... كل المر الوفير بها وبكثرة . فى المدرجات ... واقتلاع[٣] أشجار المر (nhwt cntyw)[٤]

٣٧- " أقدامكم (يا) رفاق انتبهوا الحمولة ثقيلة التى نفذناها فى صالح الملك القوى[٥]، والسلامة تصحبنا (لأن) أشجار المر التى فى وسط البلد المقدس (nhwt ḥryt – ib T3 - nṯr) سوف تخصص لمعبد آمون ، هناك سوف يكون مكانها حيث سوف تزرع ماعت كارع فى حديقته على جانبى معبده طبقا لأمر أبيها " .[٦]

٣٨- " ... حرق البخور لحتحور سيدة بونت من أجل حياة ورخاء وصحة جلالتها " .[٧]

---

(١) عن هذا المعنى (inw) راجع نص ٢١ ج .

(٢) Urk 1V, 326 (1. 5 – 9) = Lalouette, op. cit., p. 252 .

(٣) Faulkner, op. cit., p. 99 .

(٤) Urk 1V, 327 (1. 3 – 6) .

(٥) Urk 1V, 327 (1. 11 – 13) .

(٦) Urk 1V, 328 (1. 3 – 7) = Lalouette, op. cit., p. 253 n. 114 .

(٧) Urk 1V, 328 (1. 13 – 14) .

٣٩- تحميل وشحن المراكب بالمنتجات :

صور لنا كل من ارمان ورانكه والدرد[١] منظرا يمثل تحميل وشحن المركب بالمنتجات . فنرى مركب كبير له شراعان كبيران وعلى ظهره بحاران مصريان يمسك أحدهما بعصا ويقوم الآخر بتوجيه الحمالين الذين نصبوا سقالتين للصعود عليهما إلى ظهر المركب . فنرى على السقالة الأولى مجموعة من الحمالين يحملون شتلتين من أشجار المر وضعتا فى سلة كبيرة يحمل كل سلة ستة حمالين ثلاثة من أمام وثلاثة أخرين من الخلف وذلك بمساعدة كتلتين طويلتين من الخشب مربوط بهما حبل لحمل كل شتلة على حده ( ) . ونرى اثنين أخرين يحملان على أكتافهما أوعية أو زكائب بها مواد ومنتجات عطرية أو توابل وعلى السقالة الأخرى نرى منظر صعود ستة حمالين ومعهم شتلة من شجر المر . وهناك آخر يدفعهم من الخلف . ويتقدمهم ويسير من ورائهم عاملان يحملان أوعية أو زكائب بالمنتجات الأخرى من ثروات بونت . ونرى على ظهر المركب أكوام المر والتوابل وأربع شتلات لأشجار المر فى أوعيتها . ورتب كل ذلك بطريقة منظمة ومتقنة . كما نرى فوق هذه البضائع قردة ونسانيس كما نقش الفنان أسفل المركب خمس اسماك تختلف كل واحدة منها عن الأخرى فكأنما أراد بذلك أن يبين لنا ما تمتع به سواحل بونت من ثروات بحرية .

وها هى قراءة هذا النص الهام الذى كتب أعلى المركب [٢] :

---

(١) Erman – Ranke, op. cit., p. 685 Fig. 255; Aldred, les Egyptiens au temps des Pharaons, Paris (1965), p. 154 – 155 Fig. 40; Lalouette, op. cit., p. 252 – 253 .

(٢) Urk 1V, 328 (1. 17); 329 (1. 1 – 12) .

3tp chcw r c3t wrt m bj3wt h3st Pwnt h3w nb nfr n T3 - ntr chcw m kmjt nt cntyw m nhwt nt cntyw w3d m hbny hr 3 bw wcb m nwb w3d n c3 mw m ti - šps hs - 3yt m ihmt sntr msdmt m cncw gfw tsmw m inmw3byw nw 3bw šmcw m mr (w) hnc msw . sn n sp in.tw mitt nn n nswt nb hpr dr p3wt t3 .

وها هي الترجمة الحرفية [١] :

" تحميل المراكب إلى درجة كبيرة جدا بالثروات (الطبيعية) لجبل بونت : كل النباتات العطرية[٢] الجميلة للبلد المقدس ، وأكوام[٣] من صمغ[٤] المر ، وبأشجار المر الأخضر (أو الطازج)[٥] وبأبنوس وعاج نقى وبذهب خام من عامو[٦] وبالبهارات[٧] والتوابل[٨] وبالمر[٩] والبخور[١٠] والكحل الأسود وبالنسانيس والقردة

---

(١) راجع ترجمة كل من : Lalouette, op. cit., p. 253 n. 115; Erman - Ranke, op. cit., p. 685 - 687 .

(٢) عن معنى h3w ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 330, 777; Meeks, Alex. I, p. 267; t. 111, p. 209 Shimy, Memnonia 1X (1998), p. 213 n. 37, p. 233; Wb. 111, 221, 4.

(٣) Wb I, 220, 10 - 11 .

(٤) للمعنى راجع : Wb I, 206, 14; V, 39, 7; Faulkner, op. cit., p. 279

(٥) Wb I, 207, 11; 283, 1.

(٦) يعبر عن الشعوب التى تقطن جنوب الحدود المصرية ، راجع : Wb I, 167, 19 .

(٧) راجع نص ٢١ ب حاشية (٥) .

(٨) راجع نص ٢١ ب حاشية (٤) .

(٩) لهذه العلامة التى تعبر عن المر فى عصر الدولة الحديثة ، راجع : Wb I, 119, 2.

(١٠) Wb 1V, 180, 18 - 22 .

والكلاب وبجلود الفهود من الجنوب وبخدم (أو أنفار)[١] مع أولادهم . ولم يحـــدث أن أحضر مثل هذا بواسطة أى ملك منذ بداية خلق الأرض " .[٢] كما صور الفنـــان ثوران وزرافة[٣] وفهدين .[٤]

٤٠- **الرحيل والوصول إلى طيبة بسلام :**

" الإبحار والوصول بسلام والرسو عند الكرنك وسط السرور[٥] بواسطة قوات سيد الأرضين والعظماء فى أعقابهم من هذه الأرض وأحضروا ما لم يحضــره أمثالهم لملوك الوجه البحرى الأخرين من ثروات جبل بونت (mbj3w (t) ḫ3st Pwnt) بسبب عظم قدرات هذا المعبود المبجل : آمـــون رع ســيد عروش الأرضين " .[٦]

---

(١) Wb 11, 107, 1.

(٢) Wb V, 592, 1.

(٣) قام العديد من العلماء بذكر بعض هذه المنتجـــات فـــى مؤلفاتـــهم ، راجــع :
Kitchen, in LA 1V, p. 1199 (B); Mokhtar, op. cit., p. 94, 114, 147 – 148; Aldred, op. cit., p. 154 – 155; Drioton – Vandier, op. cit., p. 378, 379, 438; Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, p. 113; James, op. cit., p. 36, 59; Vandier, Manuel d'archeologie 11, p. 673; Erman – Ranke, op. cit., p. 686 – 687
وأيضا : د. عبـــد الحميـــد زايـــد : مصـــر الخـــالدة ، ص ٥٢٤ - ٥٢٨ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٤) Erman – Ranke, op. cit., p. 687 Fig. 257 .

(٥) Urk 1V, 329 (1. 15 – 17) .

(٦) Urk 1V, 330 (1. 1 – 6) = Lalouette, op. cit., p. 253 .

٤١- **وفود كبار بونت والبلاد الجنوبية على مصر :**

ونرى فى المنظر وفود حاملى الجزية فى طوابير طويلة قادمين مـــن بونــت والبلاد الجنوبية : " إعطاء الدعوات لماعت كـــارع وتقديـــم التبجيــل لـــذات الشخصية[١] القوية (Wsrt k3w) بواسطة كبار بونــــت (Wrw nw Pwnt) ... والبدو النوبيين (Iwntyw styw)[٢] من النوبة [٣] وكل بلـــد جنوبى مصر (ẖ3st nb rsy nw Kmt) جاءوا فى خضـــوع منكســى الرأس حاملين منتجاتهم حيث المكان الذى به جلالتها ... على طرق لم تطـــئ بواسطة الأخرين ... كل بلد اتخذ (mn) كخدم لجلالتها " .[٤]

٤٢- " كبار بونت (Wrw nw pwnt) قالوا مردديـــن وســائلين الســلام مـــن جلالتها : تحية لك ملك الأرض المحبوبة (T3 - mry) الشـــمس المؤنثـــة التى تسطع مثل آتون ، سيدتنا ، وسيدة بونت ، ابنة آمون ملك المعبودات . ان اسمك يصل إلى دائرة السماء وقدرات ماعت كارع عمت الدائرة الكبرى (أى الكون كله) " .[٥]

---

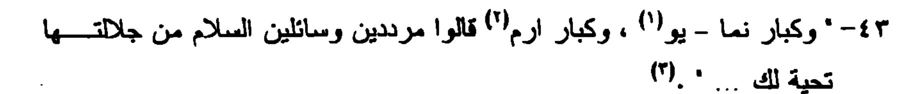
(١) نعرف أنه كانت الملكة هى المسئولة عن توزيع الثروات الطبيعية علـــى أهــل البلاد ، راجع : Chadefaud, les Statues Porte – Enseignes, p. 161 n. 273 .

(٢) Faulkner, op. cit., p. 253 .

(٣) Faulkner, op. cit., p. 195 .

(٤) Urk 1V, 331 (1. 1 – 14) = Lalouette, op. cit., p. 254 .

(٥) Urk 1V, 332 (1. 7 – 16) = Lalouette, op. cit., p. 254 .



٤٣- " وكبار نما - يو[١] ، وكبار ارم[٢] قالوا مرددين وسائلين السلام من جلالتها تحية لك ... " .[٣]

٤٤- تكريس كل المنتجات والثروات لآمون :

وكان من الطبيعى أن تكرس كل منتجات وثروات بونت والمناطق الجنوبية لآمون وتزيد من ثروات خزائنه . ويقول النص :

" الملك نفسه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ماعت كارع يكرس (ḥrp) ثروات بونت (bj3w n Pwnt) ونفائس البلد المقدس (Špssw n T3 ntr)[٤] مختلطة بمنتجات (inw) البلاد الجنوبية وبأفضل منتجات (b3kw) كوش الخاسئة وبمنتجات بلاد النوبة (العليا) لآمون سيد عروش الأرضين الذى يترأس الكرنك من أجل حياة ورخاء وصحة ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع التى تنعم بالحياة والاستقرار وبالسرور حاكمة الأرضين مثل رع أبديا " .[٥]

وهى عبارة عن :

٤٥- " أشجار المر الطازج ٣١ التى أحضرت من بين ثروات بونت (bj3w Pwnt)[٦] لجلالة هذا المعبود : آمون سيد عروش الأرضين ولم ير المثل منذ

---

(١) شعب نوبى ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 254, p. 601 n. 117

(٢) بلد يقع فى السودان الحالية وبه آبار كانت تلعب دورا هاما فى تمويل البعثات ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 254, p. 601 n. 118

(٣) Urk IV, 333 (l. 8 – 10) = Lalouette, op. cit., p. 254, p. 601 n. 117 – 119 .

(٤) راجع : Meeks, Alex. I, p. 57

(٥) Urk IV, 334 (l. 4 – 14) = Lalouette, op. cit., p. 255 .

(٦) يذكر د. صالح أن عظيم بونت قبل استقباله للبعثة التجارية المصرية --

بدء الخليقة . (وهى) :

- ذهب خالص (فى شكل حلقات) .
- كحل أسود (معبأ فى زكائب) .
- بومارانج (عصى) (cmc3t)[١] خاص بالبونتيين .[٢]
- أبنوس (فى شكل عصى ضخمة) .
- عاج خام (فى شكل أنياب فيله) .
- مادة التلوين K3j - km .[٣]
- أكوام المر الطازج بوفرة عظيمة (أو كبيرة) .[٤]

٤٦- قياس ووزن وتسجيل وكيل الثروات الطبيعية الخاصة ببلاد بونت :

نرى منظرا يمثل المعبودات والرجال الذين يقومون بعملية قياس ووزن جزية البلاد الجنوبية . وتترأس الملكة كل هذه العمليات أمام آمون جالسا على

= قام هو ورجاله باستيراد ٣١ نوعا من شجيرات المر من مدرجات المر فى اليمن حتى يقوموا بدور الوسطاء التجاريين النشيطين حتى يجنبوا بعثة الملكة مشقة الذهاب إلى جنوب اليمن ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ؛ المؤلف نفسه : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢ ، ص ٤٢ .

(١) Faulkner, op. cit., p. 42 .

(٢) ذكروا فى : Wb I, 506, 16; Faulkner, op. cit., p. 88

(٣) ظهرت هذه الكلمة فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، راجع : Wb V,101, 13

(٤) = Urk 1V, 334 (1. 16 – 17); 335 (1. 1 – 2); 335 (1. 4 – 11) = Lalouette, op. cit., p. 255 = Erman – Ranke, op. cit., p. 687 .

العرش ونصب أمامها ميزانين كبيرين ، وهى موازين تحوتى الدقيقة والعادلة . وملئت الكفتين بحلقات من الذهب . ويراقب عملية الوزن المعبودان حورس رئيس الوزانين وددون من النوبة ، الذى أدخل استخدام البخور فى مصر [١] ، وتقوم المعبودة سشات ربة الكتابة بتسجيل نتيجة الوزن . كما يقوم شخص آخر بعملية القياس وهو " تحوتى " " الكاتب وكيل المؤن " ويقدم رئيس الخزانة تقريرا إلى الملكة . كما يقوم المعبود تحوتى بتقديم تقرير أيضا إلى آمون رع .[٢] وتقول النصوص المصاحبة لهذا المنظر ما يأتى :

" قياس (ḫ3t) المر الطازج الوفير جدا والمخصص لآمون سيد عروش الأرضين (من) ثروات جبال بونت (bj3wt h3swt Pwnt) ونفائس البلد المقدس (Špss (w) n T3 – nṯr) من أجل حياة ورخاء وصحة ابنة رع من صلبه (حتشبسوت) .[٣]

٤٧- " تحوتى الكاتب ، وكيل المؤن (mr pr) " .

" تلقى ثروات جبال بونت (bj3w h3swt Pwnt) من أجل آمون رع سيد عروش الأرضين سيد السماء من أجل حياة ورخاء وصحة ماعت كارع التى تنعم بالحياة " .[٤]

٤٨- " وزن الذهب والذهب الخالص (dcmw) وأفضل (أنواع) الجزية للبلاد الجنوبية من أجل آمون رع سيد عروش الأرضين .... الذى يترأس الكرنك من أجل حياة ورخاء وصحة ماعت كارع التى تمارس منح الحياة مثل رع

---

(١) يقال لددون فى نصوص الأهرام أنه " الشاب المصرى العالى القادم من النوبة والذى أدخل استخدام البخور فى مصر " ، راجع : Morenz, la Religion Egyptienne, Paris (1962), p. 299 n. (4) .

(٢) Lalouette, op. cit., p. 255 n. 121; Chadefaud, op. cit., p. 175.

(٣) Urk 1V, 335 (1. 13 – 16) .

(٤) Urk 1V, 336 (1. 9 – 12) .

أبديا " .[١]

٤٩- " الميزان الدقيق والعادل لتحوتى . ما قامت به ملكة مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع لأبيها آمون رع سيد عروش الأرضين لوزن الفضة والذهب واللازورد والتركواز وكل الأحجار الثمينة من أجل حياة ورخاء وصحة جلالتها التى تنعم بالحياة أبديا " .[٢]

٥٠- وفوق رأس حورس نقرأ :

" كلام يقال بواسطة حورس الذى يترأس الوزانين (mḫ3tyw) الذين يجعلون العدالة تصعد إلى سيدها " .[٣]

وفوق رأس ددون نقرأ :

" ددون الذى يترأس بلاد النوبة الذى فى وسط المناطق الجبلية الغربية " كلام يقال : كل البلاد الجنوبية تحضر إليك كشخص واحد[٤] إلى شخصك ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع " .[٥]

٥١- " تسجيل وحساب الحصيلة[٦] والجمع النهائى[٧] بالملايين ومئات الآلاف وعشرات الآلاف والآلاف والمئات لما ورد من ثروات من البلاد الجنوبية والمخصصة لآمون سيد عروش الأرضين الذى يترأس الكرنك " .[٨]

---

(١) Urk 1V, 337 (1. 7 – 11) .

(٢) Urk 1V, 337 (1. 13 – 17) .

(٣) Urk 1V, 338 (1. 4 – 5) .

(٤) Meeks, Alex. I, p. 82 .

(٥) Urk 1V, 338 (1. 10 – 11) .

(٦) تقرأ Smnt n sšw ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 345

(٧) تقرأ dmd sm3، راجع : Meeks, Alex. I, p. 346

(٨) Urk 1V, 338 (1. 15 – 17); 339 (1. 1 – 2) ..

٥٢- " الملك نفسه ، ملك مصر العليا والوجه البحرى ، ماعت كارع ، تلقى صـــاع (ḥkꜣt) من الذهب الخالص ومد الذراع لكى يفتح الأكوام . ويعد (هـــذا) أول خطوة لحدث سعيد (ألا وهو) قياس المر الطازج (ḫ3t cntyw w3d) المخصص لأمون سيد عروش الأرضين سيد السماء من بواكير كل محصـــول (tp šmw nb)[١] الذى أحضر من بين ثروات جبل بونت (ḫ3st bj3w Pwnt) وتحوتى سيد الأشمونين يسجل وسشات ذات القرون السبعة (sfḫt cbw)[٢] تحسب الحصيلة " .[٣]

٥٣- **الملكة تجرب العطر بنفسها :**

" وجلالتها نفسها استعملت بيديها أفضل أنواع المر (ḥ3t cntyw) على كل جسدها لدرجة أن عطرها أصبح شـــبيه بالرائحـــة المقدســـة (i3dt nṯr) واختلطت رائحتها (sty) بما فى بونت (وظهر) جلدها وكأنه مطروق فـــى الذهب الخالص[٤] ساطعا مثل ما تحدثه النجوم فى داخل صالة الأعيـــاد أمـــام الأرض كلها . وأوديت الرقصات بواسطة كل العامة وأدوا الابتـــهالات لســـيد المعبودات وبجلوا ماعت كارع بفضل أعمالها المقدسة نظرا لعظم المعجـــزات التى أحدثتها ولم يحدث بالمثل تجاه المعبودات السابقين منذ أزلية الأرض التـــى تمارس عطاء الحياة مثل رع أبديا " .[٥]

---

(١) لهذا المعنى ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 371

(٢) لهذا المعنى ، راجع : Faulkner, op. cit., p. 225

(٣) Urk 1V, 339 (1. 4 – 12) = Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 113 .

(٤) Urk 1V, 339 (1. 13 – 17) .

(٥) Urk 1V, 340 (1. 1 – 8) = Lalouette, op. cit., p. 255 – 256 n. 122.

٥٤- **تقديم المر لآمون :**

وفى منتصف الجدار الغربى للرواق الأيسر ، نرى منظرا يمثل الملكة (وقد كشط شكلها) وهى تقوم بتقديم كل هذه المنتجات والثروات الطبيعية لبونت إلى المعبود آمون . وتعلن فى الوقت نفسه نجاح بعثتها فى مهمتها . فتسمع المعبودات هذا الخبر فتبارك عملها . وعلى الجدار الشمالى منظر الملكة وهى تعلن نتائج هذه البعثة على موظفى القصر الملكى ونرى من بينهم مهندسها سنموت .[١]

" تقديم أفضل المر الطازج (tp cntyw w3d) لآمون سيد عروش الأرضين ، سيد السماء الذى يمارس إعطاء الحياة والاستقرار والسيطرة والصحة الذى يسر مثل رع أبديا " .[٢]

٥٥- **فضل آمون فى تسهيل مأمورية البعثة :**

" الملك نفسه ، ملك مصر العليا والوجه البحرى ماعت كارع ، دعت القصر الملكى له الحياة والرخاء والصحة إلى شرفة سيد المعبودات وسُمع الأمر فى المكان العظيم وأخذت نصيحة المعبود نفسه بأن تطرق الطرق إلى بونت وتفتح المسالك إلى مدرجات المر (htyw cntyw) وترشد القوات على الماء وعلى الأرض لإحضار الثروات من البلد المقدس (bj3w m T3 – ntr) لهذا المعبود الذى خلق محاسنها " .[٣]

---

(١) د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨ ، ص ٨١ .

(٢) Urk 1V, 340 (1. 13 – 16).

(٣) Urk 1V, 342 (1. 9 – 17).

وتنفيذا لما قيل وطبقا لأمر السيد وجلالة هذا المعبود المبجل وكما هى رغبة جلالتها تجاهها (أى بونت) التى تمارس إعطاء الحياة والاستقرار والقوة مثل رع ".[١]

٥٦- " اننى أهبك بونت بأكملها وأيضا (r mn n) أراضى المعبودات أو الأراضى المقدسة (T3w – ntrw) والبلد المقدس (T3 – ntr) فى أثرها (hnd . f) (وأيضا) مدرج المر (htyw cntyw) الذى يجهله الناس ".[٢]

٥٧- " وأرشدتها (البعثة) على الماء وعلى الأرض وفتحت لهم الطرق الغامضة ووطئت مدرجات المر (htyw cntyw) وهذا الشاطئ المقدس للبلد المقدس (idb pw dsr n T3 - ntr) المريح للقلب[٣] بالتأكيد ".[٤]

٥٨- " وما حققته هى لى لكى تنعش (skb) قلبى مع موت وحتحور سيدة تاج الوجه القبلى وبونت وسيدة السماء وورت حقا وسيدة كل المعبودات[٥] : ان حملوا المر الذى يفضلونه ، وحملوا السفن ليسعدوا قلوبهم بأشجار المر الطازج (nhwt nt cntyw w3d) ، وكل المنتجات الجميلة لهذا البلد (m3cw nb nfr n h3st tn) . والبونتيون الذين يجهلهم الناس (هم) خبستيو[٦] البلد

---

(١) Urk 1V, 343 (1. 1 – 3).

(٢) Urk 1V, 344 (1. 6 – 8).

(٣) تقرأ pw grt : وعن الاستخدام ، راجع : Meeks, op. cit., I, p. 406

(٤) Urk 1V, 345 (1. 1 – 5).

(٥) معبودات كانت تعبد مع آمون فى معبده . Naville, Deir el Bahari 111, pl. 84, 1. 15; Vercoutter, op. cit., p. 124 n. 3.

(٦) هذا الاسم مشتق أساسا من كلمة hbst بمعنى " منجم أو محجر " راجع : Aufrere, op. cit., p. 63, 66, 756 – 757; Meeks, Alex. I, p. 274; Wb 111, 255, 15 – 16 .

وعلى ذلك يمكن ترجمة التسمية hbstyw بـ " أهل المناجم أو المحاجر "

بينما يرى د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور --

المقدس (hbstyw nw T3 - ntr)[١] الذين أبدوا تجاهها حسن التصرف عن حب ".[٢]

٥٩- تحقيق أمنية آمون وأحضر المر وزرعت أشجاره في معبده :

" انتبه ، هم جاءوا فى سلام إلى الكرنك يحملون الثروات العظيمة (bj3wt c3t) وكل شئ طيب (أو جميل) للبلد المقدس (ht nbt nfrt nt T3 – ntr) وجلالتى أرسلتهم بخصوصها وهى : أكوام من صمغ المر الطازج (Kmjt nt cntyw) وأشجار صلبة محملة بالمر الطازج (nhwt mn hry cntyw w3d) فلتفتح صالة الأعياد لكى ترى كل المعبودات أن جلالتى سوف تزرعها بنفسها فى الحديقة على جانبى معبدى لكى يسر قلبى بهما .[٣] وشهرتهما (سوف تصبح) أمام المعبودات (كما هى) شهرتك أمام كل الأحياء أبديا . وسوف تغمر السماء والأرض بالرائحة المقدسة (sty ntr) وتشم فى حوت – سر[٤] وسأرتبها وأنظفها من الشوائب (Ksnt) الكبيرة لكى يستخرج الزيت (nwdwt)[٥] المعطر (mdt) الخاص بالأعضاء المقدسة .[٦]

-- القديمة ، ص ٤٠٤ حاشية (١١) أن الخبستيو هم قبائل ذات أصل عربى جنوبى كانت تسكن منطقة مهرة فى جنوب الجزيرة العربية ثم هاجرت إلى الساحل الأفريقى للبحر الأحمر واستقرت فى بلاد الحبشة .

(١) Wb V, 225, 7.

(٢) Urk 1V, 345 (1. 6 – 16).

(٣) Urk 1V, 346 (1. 10 – 16); 347 (1. 1 – 7).

(٤) قاعة العدالة فى ايونو وأيضا القاعة التى يولد فيها ملك المستقبل ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 233 .

(٥) Wb 11, 226, 8 – 9; Meeks, Alex. I, p. 187; Shimy, op. cit., p. 212, p. 233 n. 38, p. 235 n. 63

وتستخدم كلمة nwd كفعل بمعنى " يصحن ، يعد ، يطبخ " أو كاسم بمعنى " زيوت عطرية أو روائح " ، راجع : Id., op. cit., p. 233 n. 38

(٦) المقصود بها هنا أجزاء التمثال المقدس الموضوع فى قدس الأقداس ، الذى يفعل الطقوس سوف تدب فيه الحياة . فيقال مثلا لروح أوزير : " أدخلى فى هذه الأجساد من الخشب ، من الحجر ، من المعدن " راجع : ---

٦٠- أصل المرسوم الملكي والأمر بإرسال البعثة إلى بلاد بونت :

نرى الملكة جالسة على العرش وتخاطب رجال البلاط الملكـــي وأمامـــها ثلاثة من النبلاء من بينهم نحسى وسنموت . وهى تقول لهم :

" انظروا ، أمرت جلالى بأن تزاد قرابين من خلقنى ويزاد الزيت المعطـــر (mdt) للأعضاء المقدسة المقدرة له لكى تصبح أكثر وفرة عما كانت عليـــه فيما سبق .[١]

" وعلى ذلك أمرت جلالتى بأن يعطى أمرا[٢] بحملة إلى مدرجـــات المـــر (htyw cntyw) وتفتح طرقها من أجل مصلحتها ويعرف جوارها وتفتـــح مسالكها طبقا لأمر أبى آمون ... والزيوت المعطرة الثمينـــة لكـــى يســـتخرج الزيت المعطر للأعضاء المقدسة كما قدرت لكل المعبودات لكى تستمر قوانيـن معبده وتقتلع الأشجار فى البلد المقــدس (fdt nhwt m T3 – ntr) وتوضع فى الأرض ... فى حديقة ملك المعبودات ويحضرها حـــاملو المـــر هناك (hry (w) cntyw im) لكى يستخرج الزيت المعطـــر للأعضـــاء المقدسة[٣] كما قدرت لكل المعبودات .[٤]

٦١- " .. له وأعطيت أمرى لكى تقام له بونت فى عاصمته وأن توضع اشجار البلد المقدس على جانبى معبـــده فى حديقته (mnw nw T3 – ntr hr gswy)

-- Moret, la Mise `a mort du dieu en Egypte, p. 37.

(١) Urk 1V, 351 (1. 14 – 17).

(٢) تقرأ rdit (w) m hr ، راجع : Faulkner, op. cit., p. 175

(٣) Aufrere, op. cit., p. 249 – 250 n. 108.

(٤) Urk 1V, 352 (1. 2 – 14).

(hwt . f ntr).[١]

٦٢- " وصنعت له بونت فى حديقته كما أعطى أوامره لى فى طيبة ما أعظمها لـــه (عندما) يسير عليها ".[٢]

٦٣أ - " حتحور سيدة المر تفتح لك ذراعيها بالصمغ (Kmjt) (وكل) الأشـياء . وعندئذ صدر الأمر فى جلالة القصر الملكى فليعش فى رخاء وصحة إلى الأبد إلى النبيل ، حامل ختم الوجه البحرى ، السمير الوحيد ، المشرف على الختم ، " نحسى " لإرسال حملة إلى بونت ".[٣]

ب - وفى النص المصاحب لمنظر الميلاد المقدس للملكة حتشبسوت فى معبد الديـر البحرى ، يتحدث النص عن أمها الملكة أحمس حتب تمحو قائلا :

" أنها أيقظت بسبب عطر المعبود (آمون) الذى أخذت تستنشقه فى حضـــرة جلالته ... وكان حب المعبود يتخلل فى أجزاء جسدها ، وغمـــرت بواســطة عطر المعبود ، عطره القادم من بونت ".[٤]

---

(١) Urk 1V, 353 (1. 1 – 4) = Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 112 – 113.

(٢) Urk 1V, 353 (1. 15 – 16); 354 (1. 1 – 3)

وقد عثر رجال الآثار على بقايا هذه الأشجار على جانبى الشرفة الأولى لمعبـد الدير البحرى وكانت مغلفة بالطمى الذى جلب إلى هناك لكى يقــوى الجـذور ومضى عليها وقت طويل ولم تروى بمياه النيل لهذا جفت ومــاتت ، راجــع : Cottrell, op. cit., p. 59 ، بينما يذكر د. عبد المنعم عبد الحليم : (البحـــر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٥٧٤) أن عدم نمو أشجار المر فــى البر الغربى يرجع إلى عدم توافر البيئة والتربة المناسبة لأن البيئـــة المصريـة كانت تختلف عن بيئة بلاد بونت .

(٣) Urk 1V, 354 (1. 15 – 17).

(٤) Cottrell, op. cit., p. 52.

٦٤ أ - وعلى قاعدة المسلة الجنوبية المهشمة للملكة فى معبد الكرنـــك ، نجـد أن الملكة تؤكد فى نصوصها أن حدود بونت تمثل أقصــى الحـدود الجنوبيـة لسلطانها ، ونقرأ ما يلى :

" ان سلطانها يمتد من بلاد بونت التى أحضرت لها المر والبخور حتى حـدود آسيا ومنها يحضر لها الفيروز وان الليبيين أحضروا ٧٠٠ سن فيل وعـدد لا يحصى من جلود الفهود ". [١]

ب - ويحدثنا نص من عصر الملكة حتشبسوت عن وجود مخزن لحفظ البخـــور فى معبد الكرنك . فعلى كتلة من كتف باب أعيد استخدامها داخـل الصـرح الثالث للملك أمنحتب الثالث نقرأ أن الملكة شيدت لأبيـــها آمـون " مخـزن للبخور " (Pr – ḫd ˁntyw) ويقول النص " لعمل تعطير كل يوم ، لكــى يبقى هذا الحرم (أى هذا المعبد) دائما فى روائح تا – نثر ". [٢]

٦٥ - وعلى لوحة للملك تحوتمس الثالث كانت موجودة فى الأصل فى القاعة التــى تقع إلى الشمال الغربى من قدس الأقداس فى الكرنك ، وهى الآن بـــالمتحف المصرى وتحمل رقم CG 34010 ويذكر نصها حديثا للمعبود آمـــون رع إلى الملك ويذكر له ما حققه له من انتصارات فى الشرق والغرب والشـمال والجنوب .[٣]

ويقول له فيما يخص شعوب آسيا والشرق[٤] ما يلى :

---

(١) Barguet, le Temple d'Amon – Re a' Karnak, le Caire (1962), p. 99; Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 256 n. (4); Id., in Suppl. BIFAO 81, p. 111 n. (2).

(٢) Shimy, Memnonia X (1998), p. 228 n. 73.

(٣) Lalouette, op. cit., p. 317 – 319, 603 n. 74 = Urk 1V, 611 – 619; Saleh, BIFAO, p. 317.

(٤) لمثل هذه النوعية من النصوص التى تمثل نوعا من الدعاية لإنجازات الملـــك ، راجـــع: Grimal, les Termes de la Propogande Royale Egyptienne, Paris (1986), p. 450 – 463.

أ - " اننى أتيت وجعلتك تسحق شعوب آسيا وأن تضــــرب الرؤســاء الآســيويين لرتنو ... " .

ب - " اننى أتيت وجعلتك تسحق الأرض الشرقية ، وأن تسير (أو تطـــأ) علـى سكان مناطق بلاد تا - نثر[١] وعملت على أن يروا جلالتك كالنجمة[٢] التـــى تلقى بضوئها مثل الشعلة وتعطى ظلالها " .[٣]

٦٦ أ- وهناك أربع حجرات كانت تطل على فناء الصحيح السادس الذى شيده تحوتمس الثالث فى الكرنك ، ويوجد مدخـــل هـــذه الحجـــرات فـــى الحـــائط الشمالى ، ويقوم الملك أو تمثاله بالاشتراك فى تقديم القرابين المقدسة فى هـــذه الحجرات . وتحمل الحجرة الثانية (أو المقصورة الثانية) اسم :

" مخزن المر أو العطور " (Pr – ḥḏ n cntyw) . ونرى علـى جـدران الحائط الداخلية تمثيل لأكوام المر وشتلات أشجار المر ، ويقول النص :

" أنها اختيرت من أفضل ثروات بلاد بونت " (bj3wt Pwnt) .[٤]

ب - وعلى الكتف الشمالى نقرأ النص التالى :

" (الملك تحوتمس الثالث) شيد كأثر له من أجل أبيه آمون ، سيد عـــروش الأرضين ، تنفيذ تشييد مخزن المر (Pr – ḥḏ cnty) ... لإعداد العطـــور

---

(١) تقرأ حرفيا ww nw T3 - nṯr " ضواحى تا - نثر " وهذا يعنى أن تا - نثر كانت تشمل مناطق عديدة وأنها كانت تقع شـــرق مصـــر ، راجـــع : Saleh, BIFAO 72, p. 257; Id., in Suppl. BIFAO 81, p. 110; Wb V, 225, 6.

(٢) هل يشير ذلك إلى عبادة النجوم التى انتشرت فيما بعد فـــى جنـــوب اليمـــن ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 317

(٣) فى قصة سنوهى زوجة سنوسرت الأول لقبت بلقب " سيدة النجوم " ، راجـــع : Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens, p. 23 (B, 270).

(٤) Barguet, op. cit., p. 125 n. (2) = lacau, ASAE 52, p. 185 – 198.

الثمينة ، لكى يصبح هذا الحرم دائما فى روائح العطاء المقدس "[١] ويذكر د. شيمى أن هذا المكان أعد لـ irt nwdw špsw " لاستخراج العصير الثمين " أى عصير الروائح[٢] وقد سبق أن اشار لاكو فى مقال قيم إلى وجود مخزن للبخور فى معبد الكرنك من عصر حتشبسوت وتحوتمس الثالث .[٣] وتذكر ساوت أن مثل هذه المبانى كانت مقامة فى معبد الكرنك منذ عصر الدولة الوسطى .[٤] ويضيف د. شيمى أن مثل هذه المخازن كانت موجودة فى معبدى الرمسيوم ومدينة هابو وفى المعابد البطلمية .[٥]

٦٧ – وعلى جدران الحائط الذى شيده تحوتمس الثالث أمام قاعات الملكة حتشبسوت بالكرنك ، وعلى الجزء الشرقى منها نرى الملك تحوتمس ممثلا فى حضرة آمون رع وهو يستعرض قائمة الجزية التى تلقاها من البلاد الأجنبية وخاصة بونت وجنوب الجزيرة العربية[٦] ، ونقرأ فى هذا المكان ثلاثة نصوص هامة :

أ – ففى نص مؤرخ بالعامين ٣١ ، ٣٢ من عصر هذا الملك نقرأ أنه بعد حملته السابعة فى غرب آسيا جاء إليه مبعوثو جنوب الجزيرة العربية :

" وعندما وصل جلالته إلى مصر جاء مبعوثو الجنبتيو (Gnbtyw)[٧].

---

(١) Shimy, op. cit., p. 228 n. 74.

(٢) Id., op. cit., p. 228 n. 75.

(٣) Lacau, ASAE 52 (1952), p. 185 – 190.

(٤) Shimy, op. cit., p. 227 n. 71.

(٥) Id., op. cit., p. 226 – 230 n. 76 – 88.

(٦) Barguet, op. cit., p. 152.

(٧) عن هذه الشعوب راجع دراسة د. صالح فى : Saleh, BIFAO 72, p. 245-262. ، ويرى سيادته أن هذه الشعوب عاشت اما فى بلاد بونت أو فى جنوب الجزيرة العربية أو فى مكان ما فى جنوب مصر ، راجع :

يحملون هداياهم من المر (cntyw) وصمغ – K3j ".[١]

ب – ومن العام ٣٣ نقرأ النص التالى [٢] :

" ثروات أحضرت إلى جلالته من بلاد بونت فى هذا العام : المر (cntyw) (مقداره) ١٦٨٥ حقات[٣] ، وذهب (من بلاد العامو) " .

ج – ومن العام ٣٨ نقرأ النص التالى أيضا :

" ثروات أحضرت بسبب شهرة جلالته من بونت : المر (cntyw) (مقداره) ٢٤٠ حقات ".[٤]

٦٨ – وجاء ذكر اسم بونت من بين البلاد التى هزمها الملك تحوتمس الثالث فى الجنوب . علما بأن بونت لم تتعرض لأى غزو عسكرى من قبل أى ملك مصرى . ولكنه نوع من الدعاية العسكرية للدلالة على قوة الملك .[٥] ولكن

== Id., op. cit., p. 250 – 258.

يذكر د. صالح أن هذا النص يسجل وصول وفد من تجار " جنبتيين " بمتاجرهم من المر والبخور والكندر إلى مصر فى العام ٣٢ من عهد الملك تحوتمس الثالث (أى فى حوالى عام ١٤٥٨ ق. م) . وكان الجنبتيون عشائر نشطة من العرب القتبانيين فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، راجع : د. عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة (محاضرات مطبوعة) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٢ ، ص ٤١ .

(١) Wb V, 96, 14.

(٢) Saleh, op. cit., p. 257 n. (4) = Urk 1V, 702, 1. 4 – 7; Lalouette, op. cit., p. 307; Vercoutter, op. cit., p. 61 n. (4); Drioton-Vandier, op. cit., p. 404; Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 14.

(٣) أى ما يعادل ٧٤٨٢ لترا ، راجع : Lalouette, op. cit., p. 307

(٤) Saleh, op. cit., p. 255 n. (1) = Urk 1V, 720, (1. 6 – 7).

(٥) Vercoutter, op. cit., p. 74 n. (2) = Urk 1V, 798.

بلاد بونت لم تخضع للنفوذ المصرى مباشرة .[١]

٦٩ – وبجوار قاعات الأعياد للملك تحوتمس الثالث فى الكرنك فيما يسمى بصالة أو حجرة النباتات . وفى الجزء الغربى من الجدار الشمالى نقرأ نصا هاما ولكن بدايته مفقودة للأسف ونقرأ ما يلى :

" .... كل أنواع النباتات الأجنبية وكل أنواع الزهور الجميلة التى توجد فى تا – نثر[٢] (التى أحضرها) جلالته عندما كان ذاهبا إلى رتنو العليا لكى يسقط البلاد الشمالية ، طبقا لأمر أبيه آمون الذى وضع كل الأراضى تحت نعليه .... ".[٣]

وفى بعض مناظر مقابر الأشراف فى البر الغربى فى طيبة من عصر الدولة الحديثة نرى مناظر تمثل حملة الجزية من بلاد بونت .

٧٠ – ففى مقبرة رخمى رع (رقم ١٠٠) والذى كان حاكما فى طيبة ووزيرا فى عصر الملك تحوتمس الثالث نرى تمثيلا لكبار البلاد الأجنبية الذين حضروا إلى مصر محملين بهداياهم إلى الملك . فنرى الوزير رخمى رع يدخل قاعة الاجتماعات فى القصر الملكى لكى يتلقى باسم الملك الجزية من ممثلى البلاد الأجنبية ومن بينهم كبار بونت (Wrw nw Pwnt) وفوق رؤوسهم نقرأ النص التالى :

---

(١) Saleh, BIFAO 72, p. 255.

(٢) يذكر بارجيه ان كل النباتات الممثلة على جدران هذه القاعة هى التى كانت تنمو فى المناطق إلى الشرق من مصر وفى سوريا والجزيرة العربية ، راجع : Barguet, op. cit., p. 199.

ولكن فى رأينا أن المقصود بتا – نثر هنا هى مناطق فلسطين وسوريا ، راجع : فيما سبق ص ١٣ – ١٤ حاشية (٥) .

(٣) Barguet, op. cit., p. 198 – 199 (d).

" تلقى الهدايا من البلاد الأجنبية فى الجنوب ، وأيضا هدايا بونت ، وهدايا رتنو ، وهدايا الكفتيو ، وأيضا هدايا (أو جزية) كل البلاد الأجنبية (الأخرى) التى أحضرت (بفضل) قوة جلالته (أى تحوتمس الثالث) .[١]

٧١ - " المجئ فى سلام لكبار بلاد بونت ، منحنيين ومطاطئ الرأس ، أنهم يحملون هداياهم ، هناك حيث يوجد جلالته مع كل الأشياء الجميلة الثمينة من بلادهم حيث لم تطأ أى قدم (ملوك) آخرين (هذه المناطق) وذلك بسبب عظمة قوته عبر بلادهم " .[٢]

ويلاحظ أن الفنان فى تمثيله لشعوب الجنوب[٣] فى مقبرة رخمى رع وخاصة أهل بونت أو كبار بونت قد أعطى لهم نفس السمات والملامح والخصائص التى أعطاها لهم الفنان فى نقوش معبد الدير البحرى .[٤] ولكن يلاحظ أن أزياء بعضهم تشبه أزياء الأسيويين [٥] مما يجعلنا نعتقد أنهم من أصل

---

(١) Vercoutter, op. cit., p. 56 n. (5) = Urk 1V, 1094, (1. 6 – 11); Lalouette, op. cit., p. 304, 334, 603 n. 95; Saleh, BIFAO 72, p. 255 n. 2; Erman- Ranke, op. cit., p. 687.

(٢) Vercoutter, op. cit., p. 60 n. (3); Saleh, op. cit., p. 254 – 255 n. (1), 258 – 259 n. (1) .

ويرى فركوتيه فى هذا النص أن الملك تحوتمس الثالث قام بحملة إلى هذه البلاد وأنه وصل إلى أماكن لم يصلها الآخرون . وأن هدايا كبار هذه المناطق جاءت عقب حملة قام بها الملك إلى هناك ، راجع : Vercoutter, op. cit., p. 61 n. (4) ، وعن هذه الحملة لتحوتمس الثالث إلى بلاد بونت ، راجع أيضا :
Save – Soderbergh, The Navy of the 18th. Dynasty, p. 17.

(٣) بلغ مجموع حاملى الجزية فى عصر الملك امنحتب الثانى ٢,٦٥٧ ، منهم ٢٠٠ من حاملى النباتات العطرية من بلاد الجنوب ، راجع :
Lalouette, op. cit., p. 399 – 400 .

(٤) Vercoutter, op. cit., p. 39 n. (4).

(٥) Saleh, op. cit., p. 259 n. (2) .

سامى اختلط بالأصل الحامى .[١]

٧٢ - وفى مقبرة منخبر رع سنب (رقم ٨٦) من عصر تحوتمس الثالث أيضا وكان كبيرا لكهنة آمون ، نرى وفود رجال بونت ونقرأ فوق رؤوسهم النص التالى :

" انهم يحملون فوق ظهورهم كل منتج طيب من تا - نثر : الفضة ، الذهب ، الفيروز ، الدهنج ، وكل أنواع الأحجار الكريمة لكى يعطى لهم نسيم الحياة من خلال الرغبة فى الوفاء لجلالته لكى تحميهم قوته " .[٢]

٧٣ - وفى المقبرة رقم ١٤٣ (الاسم مفقود وكذلك اللقب) من عصر تحوتمس الثالث نرى أيضا تمثيلا لوفد من بلاد بونت .[٣]

٧٤ - وعلى بردية موجودة بالمتحف المصرى من عصر الملك امنحتب الثانى نقرأ نشيد طويل موجها إلى المعبود آمون - رع ، حيث يقال له :

" تحية لك يا آمون رع ، سيد عروش الأرضين ، الذى يترأس الكرنك ، ثور أمه ، الذى يترأس حقوله ، ذو الخطوة الكبيرة ، الذى يترأس الوجه القبلى ، سيد المجاو ، وحاكم بونت ، معبود السماء الكبير ، أزلى الأرض ، سيد كل

---

(١) Saleh, op. cit., p. 260 n. (1).

(٢) Vercoutter, op. cit., p. 13 n. (3), 65 n. (2); Urk 1V, 929; Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 255 n. (3 – 4) ، ولمثل هذه النوعية من النصوص ، راجع : Grimal, les Termes de la Propogande Royale Egyptienne, p. 238 – 239.

(٣) Kitchen, in LA IV, p. 1199 n. 15 – 16; Mokhtar, op. cit., p. 148. ، وأيضا د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٤٣ (١) ؛ د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٢٠٣ .

شئ " .(١)

٧٥ – وفى مقبرة قن آمون (رقم ٩٣) الذى كان كبيرا لاستقبالات الملك من عصـو الملك امنحتب الثانى ، صور شخص يقال انه " رجل بونت " .(٢)

٧٦ – وفى حجرة الدفن الخاصة بمقبرة الملك تحوتمس الرابع عثر على بقايـا آنيـة عليها نص يعبر عن نوعية المادة التى كانت تحفظ فى هذه الآنية منها أفضـل أنواع التوابل ti – šspsy (نفس الاسم نجده فى نقوش حتشبسوت مـن بيـن المواد التى أحضرتها بعثتها من بونت (راجع أيضـا ٤١) وأفضـل أنـواع الصمغ (Kmjt) الذى يأتى أصلا من بونت .(٣)

٧٧ – وعلى لوحة للملك امنحتب الثالث المحفوظة بالمتحف المصرى وهى تحمـل رقم CG 34025 يحدثنا نصها على أن المعبود آمون رع تحدث إلـى الملـك امنحتب الثالث وعدد له ما تحقق من معجزات . وأنه بفضل تدخل هذا المعبود

---

(١) Lalouette, op. cit., p. 494, 604 n. 135 = Urk 1V, 940 – 941.

(٢) Vercoutter, op. cit., p. 224 n. (3), 389 (c); Mokhtar, op. cit., p. 146 (2), 148; Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 15 – 16.
د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) Vercoutter, op. cit., p. 224 n. 4 – 5, 92 no. 13.
وعثر فى مقبرة توت عنخ آمون على آنية من المرمر خاصة بالعطور وهـى الآن بالمتحف المصرى . راجع : Saleh–Sourouzian, op. cit., no. 190
كما كان هناك من بين عناصر المتاع الجنائزى فى مقـبرة مرنبتـاح البخـور والزيوت العطرية ، راجع : Valbelle, les Ouvriers de la tombe, p. 77 n. (9) ، وكما نعلم أنه اثناء تشييع جنازة المتوفى إلى المقبرة كان يطلـق دخان البخور وتؤدى مراسم التطهير المرتبطة بطقوس فتح الفم التى يقوم بـها الكاهن " سم " ، راجع : Valbelle, op. cit., p. 303 n. 12 – 14

تحققت تلك المعجزات ألا وهى مجئ سكان الجهات الأصلية الأربع[١] : الجنوب والشمال والغرب والشرق محملين بخيرات ومنتجات بلادهم هدية للملك . فنقرأ ابتداء من السطر ٢٧ إلى ٣١ ما يلى :

أ - " واتجهت بوجهى نحو الجنوب (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى جعلت كبار (بلاد) كوش الخاسئين يعبرون (الحدود) إليك محملين بكل عطاياهم فوق ظهورهم .

ب - " واتجهت بوجهى نحو الشمال (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى سببت أن يأتى إليك (سكان) المناطق الجبلية من أطراف آسيا محملين بكل عطاياهم فوق ظهورهم يقدمونها إليك بأنفسهم مع أبنائهم متضرعين لعلك تهبهم نسيم الحياة .

ج - واتجهت بوجهى نحو الغرب (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى جعلتك تقبض على التحنو ولم يستطيعوا تدمير بناء هذا الحصن بسبب اسم جلالتى . والمحاط بسور عال على وشك أن يخترق السماء وعمر بأبناء عظماء رجال الأقواس من النوبة .

د - " واتجهت بوجهى نحو الشروق (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى سببت أن يأتى إليك (سكان) جبال بونت محملين بكل النباتات العطرية[٢] الأخاذة لجبالهم (ḫ3swt nw Pwnt ḥry ḫ3w nb nḏm ḫ3swt. sn) لكى يطلبوا السلام مصحوبا باستنشاق النسيم من عطائك ".[٣]

---

(١) لم يذكر كيتشن هذا النص الهام ضمن وثائق الأسرة الثامنة عشرة عن بلاد بونت ، راجع : Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 12 – 17

(٢) عن معنى كلمة ḫ3w راجع : Aufrere, op. cit., p. 330, 779

(٣) عن هذا النص الهام راجع : Lalouette, Thebes (1972), p. 426, 607 n. 26; Grimal, les Termes de la Propogande Royale Egyptienne, -- p. 460 – 462; Saleh, BIFAO 72 (1972), p.257 n. (2);

يفهم من هذا النص الهام بأن بلاد بونت تقع فى اتجاه الشرق وخاصة وأن كاتب النص يحدثنا فى السطرين ٢٧ – ٢٨ عن بلاد كوش فى الجنوب ولم يضع بونت معها فى الجنوب بل وضعها فى الشرق . وأن بيئتها جبلية بها مدرجات النباتات العطرية الأخاذة .(١) أضف إلى ذلك أن مخصص كلمة بونت هنا هو مخصص سلسلة الجبال . كما رأينا فى نصوص حتشبسوت (أرقام ٢٤ أ – ب ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦) أنه كان يوجد بها مدرجات المر التى تقع شاطئ البحر الأحمر .(٢) وكما يذكر د. صالح أنه كان يوجد باليمن مدرجات المر التى تنبت خير أنواعه .(٣)

٧٨ – وفى النص الذى يصاحب منظر عملية الوضع فى قصة الميلاد المقدس للملك امنحتب الثالث فى معبد الأقصر ، نقرأ النص التالى :

" (وكان) القصر مغمورا بعطر المعبود وكل روائحه من بلاد بونت (ḫnmw.f nb n Pwnt) ".(٤)

== Kitchen, RI 1V, p. 12 – 19; Urk 1V, 1656 – 1657; Breasted, AR 11 (892); PM 11, 49 (7) ، قام جريمال فى دراسته بتجميع ستة نصوص من هذه النوعية من عصور امنحتب الثالث، سيتى الأول ، أربعة من عصر رمسيس الثالث ، راجع : Id., op. cit., p. 454 – 463 (وراجع أرقام ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥) .

(١) فى نص حتشبسوت رقم ٣٩ أ نجد : ḫ3w nb nfr n T3 – nṯr وعند امنحتب الثالث نجد ḫ3w nb ndm ḫ3swt . sn وفى فيله نجد ḫ3w nb sty n Pwnt (انظر فيما بعد رقم ١٣٧) .

(٢) د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٤٩ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق : ص ٢٠٧ .

(٤) Daumas, les Mammisis des temples Egyptiens, Paris (1958), p. 397 n. (2) .

٧٩ - وعلى الجدار الشرقى للفناء الواقع بين الصرحين التاسع والعاشر ، يوجد نقش يمثل الملك حور محب ومعه مجلسه وهم يستقبلون رؤساء البلاد الأجنبية الذين جاءوا يحملون خيرات بلادهم كهدايا للمك . وهم رؤساء رتنو والحاونبو وبونت .[١] ويقول كبار بونت :

" تحية لك ملك مصر وشمس الأقواس التسعة ، لعل شخصك يكون دائم العطاء (أو التدفق) . اننا لا نعرف مصر ، آباؤنا لم يطأوا هذه الأرض . امنحنا النسيم الذى تهبه عادة ، ان كل البلاد تحت نعليك " .[٢]

٨٠ - وفى نص جاء على لوحة للملك سيتى الأول ، كانت موضوعة أمام الواجهة الجنوبية للصرح السابع بمعبد الكرنك ، وهى الآن بالمتحف المصرى وتحمل رقم CG. 34011 ، نقرأ أن المعبود آمون يؤكد لابنه سيتى الأول خضوع كل البلاد الأجنبية له فى الجهات الأصلية الأربع ، فيقول له فى موضعين :

أ - " أنا سببت أن يأتى إليك البلاد الأجنبية التى لا تعرف مصر ، يحملون هداياهم الثقيلة من الذهب والفضة والفيروز وكل أنواع الأحجار الثمينة من تا - نثر " .[٣]

ب - " واتجهت بوجهى نحو الشرق (فكانت) معجزتى لك (ألا وهى) اننى قيدتهم (سكان الشرق) لك عن آخرهم مجتمعين فى قبضة يدك وجمعت كل (سكان) جبال بونت (<u>ḫ3swt</u> <u>nbt</u> <u>nt</u> <u>Pwnt</u>) (مع) هداياهم

---

(١) Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 261 n. (2).

(٢) Lalouette, Thèbes, p. 582, 612 n. (12) = Urk 1V, 2128, 1. 3 – 8; Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. 17.
وأيضا د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٦٢ .

(٣) Grimal, op. cit., p. 458 – 459; Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 257 n. (3); Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. (18).

من الصمغ والمر الثمين " .[١] (Kmjt cntyw špss) .[٢]

٨١ - ويتحدث إلى الملك قائلا له فى موضع آخر[٣] : " اننى فتحت له (أى لسيتى) الطرق إلى بونت " .[٤]

٨٢ - وفى نص من عهد الملك رمسيس الثانى جاء ذكر المعبود تحوتى[٥] على أنه " سيد بونت " .[٦]

٨٣ - وفى معبد أبيدوس من عصر رمسيس الثانى نجد أنه صور من بين النوبيين أو أهل الجنوب واحدا من أهالى بونت كان يتفاخر بحدائق نباتات بونت .[٧]

وفى معبد رمسيس الثالث بمعبد الكرنك وفى معبد مدينة هابو أربعة نصوص تشير إلى انتصار الملك على الشعوب الأجنبية فى الجهات الأصلية الأربع . النص الأول مسجل على الكتف الشمالى للصرح الأول فى معبد مدينة هابو .

---

(١) عن هذا المعنى لكلمة špss ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 368

(٢) عن هذا النص ، راجع : Grimal, op. cit., p. 461

(٣) Saleh, op. cit., p. 257 n. (3) .

(٤) فى قصة ون آمون يخبرنا انه كان معه تمثالا لأمون فاتح الطرق ، راجع : Lefebvre, op. cit., p. 217 n. 65.

(٥) كان تحوتى مع حورس ومين وحتحور وأوزير من المعبودات التى لها صلة بالدورة القمرية الخيرة وارتباط منتجات المناجم والمحاجر بعين حورس المقدسة . كما كان شو وتحوتى مسئولان عن مناجم جنوبى أسوان ومين مسئول عن حماية الصحراء الشرقية وسوبد وشو عن شرق آسيا ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 81 – 82, 121.

(٦) Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. (19); Saleh, Suppl. BIFAO 81, p. 116 n. (5).

(٧) Kitchen, op. cit., p. 1199 n. (22).

وهو أكثر النصوص اكتمالا ، أما الثلاثة الآخرين فنجدهم فى معبد رمسيس الثالث بالكرنك .[١]

٨٤ - **نص معبد مدينة هابو :**

أ - " أنا سببت أن تأتى إليك البلاد الأجنبية التى لا تعرف مصر ، (مع) جزيتهم الثقيلة من الذهب والفضة والفيروز الخالص وكل أنواع الأحجار الثمينة المختارة من تا - نثر من أجل وجهك الجميل " .[٢]

ب - " واتجهت بوجهى نحو الشرق أثناء معجزتى لك فقيدتهم (أى سكان الشرق) لك عن آخرهم مجتمعين فى قبضة يدك وجمعت لك كل (سكان) جبل بونت (<u>ẖ3st</u> <u>nbt</u> <u>nw</u> <u>Pwnt</u>) (مع) هداياهم من الصمغ والمر الثمين [٣] (<u>Kmjt</u> <u>cntyw</u> <u>špssty</u>) .

٨٥ - **نص معبد رمسيس الثالث بالكرنك :**

أ - " واتجهت بوجهى ناحية الشرق (فكانت) معجزتى لك فقيدت بقوة كل (سكان) جبل بونت (<u>ẖ3st</u> <u>nbt</u> <u>nt</u> <u>Pwnt</u>) (مع) هداياهم من الصمغ والمر الثمين (<u>Kmjt</u> <u>cntyw</u> <u>špssy</u>) .[٤]

---

(١) Grimal, op. cit., p. 454 n. (85); Kitchen, IR V, p. 97, 1. 2, 98, 1.2 = PM 11, p. 489 ويعطى كيتشن خمس نسخ من هذه النوعية من النصوص .

(٢) Grimal, op. cit., p. 458 – 459 (I).

(٣) Id., op. cit., p. 463 (I).

(٤) Id., op. cit., p. 461 (2).

ب - " واتجهت بوجهى ناحية الشرق (فكانت) معجزتى لك وقيدتهم لـك ... (بقية النص مهشم جدا) .[١]

٨٦ - وفى معبد مدينة هابو من عصر الملك رمسيس الثالث يوجد منظر يمثل موكب الاحتفال بتكريم تماثيل الملوك الذين كانوا محل تقديس ، ومن وراء هذا الموكب يسير حملة الرموز والشارات المقدسة ويتبعهم مجموعة من الكهنة منهم رئيس الكهنة المرتلين ، ورئيس المغنيين ، وزنجى من أهل بونت ، كل منهم يوجه التحية إلى تمثال المعبود مين .[٢] وهذا ما سوف نقابله فى النصوص من العصر البطلمى التى تشير إلى مجئ بعض الشعوب الأجنبية للمشاركة فى الاحتفالات الدينية .

٨٧ - وعلى بردية هاريس (77,8F) من عصر رمسيس الثالث ، نجد نصا يصف لنا سفن البعثة التى أرسلها الملك إلى بلاد بونت ، فنقرأ[٣] :

" انه أرسل سفن كبيرة على البحر الكبير[٤] (الأحمر) إلى جبل بونت (h̬3st Pwnt) .

٨٨ - وعلى البردية السابقة فى موضع آخر (70b, 14) نقرأ بأنه من بين الهدايا التى منحت لمعبد إيونو حوالى :

---

(١) Grimal, op. cit., p. 461 (3).

(٢) Vandier, la Religion Egyptienne, Paris (1949), p. 185 n. (5).

(٣) Saleh, BIFAO 72, p. 261 n. (3); Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. (24); Mokhtar, op. cit., p. 145; Drioton – Vandier, op. cit., p. 357; Erman – Ranke, op. cit., p. 687.
د. عبد المنعم عبد الحليم : البحرالأحمر وظهيره ، ص ٢٠٤ .

(٤) اختلف العلماء فى التسمية : m kdw فهل يقصد بها " نهر الفرات أو البحر الأحمر أو الخليج العربى " ، راجع : Saleh, op. cit., p. 261; Wb 11, 52, 6 .

" ٣٠٠ دبن من الصمغ الأسود الخالص (mnn)[١] من بونت ".[٢] ويشير هذا النص إلى كمية الصمغ الخام الكبيرة التى كانت تستخدم فى الطقوس فى معبد واحد .

٨٩ – وعلى بردية تورين رقم ٢٢ من عصر الملك رمسيس السابع نجد أن الملك يخاطب بالألفاظ الآتية فى السطرين ٣ – ٤ :

" البحر يرفع نفسه من أجلك فرحا ، وبــاونت (P3wnt) تعطى عطرها (لك) ... ما بقيت (؟) السماء ".[٣]

٩٠ – وعلى بردية ليدن رقم ٣٤٧ من عصر الدولة الحديثة نقرأ عدة صيغ لحماية حورس خنتى ختى ، فنجد فى السطرين ٣ – ٤ ما يلى :

" سيد بلاد النوبة الذى من أجله خلقت بونت وإليه أعطى القطرين ".[٤]

٩١ – وعلى بردية ليدن السحرية رقم ١٣٤٥ من عصر الأسرة التاسعة عشرة نجد تعويذة ضد كل الأمراض ، حيث يقول المريض على لسان الكاهن الساحر[٥] :

" ان الأمر الذى صدر فى صالحى هو أمر من حعبى وقد صدر فى صالح أخيه رن – وى[٦] القادم من بونت ، وشفى من مرضه " .

---

(١) عن هذا النوع من الصمغ أو المر ، راجع : – Aufrere, op. cit., p. 639 641 .

(٢) Aufrere, op. cit., p. 340, 639 n. (145).

(٣) Grimal, op. cit., p. 256 n. (1188).

(٤) Vernus, Athribis, BdE 74 (1978), p. 318 (296).

(٥) Lexa, la Magie dans L'Egypte Antique, Paris (1925), p. 11, 55 (I).

(٦) عن اسم هذا المعبود ، راجع : Wb 11, 429, 10

٩٢ – وفى النصوص التى جمعها كيتشن من عصر الرعامسة نقرأ نص يشير إلى كمية " صمغ بونت " (Kmjt n Pwnt) .[١] ويذكر الـ (Wb) منتج آخر من بلاد بونت ظهر فى نص من عصر الأسرة التاسعة عشرة هو : اشـش – (išš) .[٢]

٩٣ – وعلى لوحة من الأسرة العشرين والموجودة الآن بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٩٤ نجد أن المعبودة نيت تحمل اللقب الآتى فى السطرين ٢٠- ٢١[٣] :

" نيت ... التى تترأس بلاد تا – نثر " .[٤]

يشير النص هنا إلى محاجر شبه جزيرة سيناء .

٩٤ – وعلى لوحة رع – مس فى مجموعة بانكس وتحمل رقم ٤ والتى عثر عليها فى دير المدينة وهى من عصر الرعامسة ، نجد نشيد لآمون رع حيث يقال له :

" حاكم بونت " (ḥk3 Pwnt) ، الأول فى أرض الجنوب ، سيد المجاو " .[٥]

العصر المتأخر :

---

٩٥ – هناك لوحة للملك بعنخى من الأسرة الخامسة والعشرين بالمتحف المصرى

---

(١) Aufrere, op. cit., p. 591 n. (3).

(٢) Wb I, 135, 13.

(٣) R. el Sayed, La Deésse Neith de Sais, p. 381 (doc. 399).

(٤) عن دور المعبودة نيت كحامية لمناطق المناجم والمحاجر وعن التشابه بينها فى هذا الدور وبين حتحور ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 135 – 137

(٥) Chadefaud, les Statues Porte – Enseignes, p. 175 n. (30).

وتحمل رقم J E. 48862 يحدثنا نصها فى النهاية فى السطرين ١٥٣ ـ ١٥٤ عن رجوع الملك إلى نباتا بعد حملته على مصر ومعه أساطيله المحملة بالفضة والذهب والنحاس وأنواع الأقمشة وكل خيرات الوجه البحرى وكل كنوز سوريا وكل النباتات العطرية من تا – نثر (h3w nb T3 - ntr).(١)

فى رأينا أن المقصود بتا – نثر هنا هى فلسطين وسوريا معا وخاصة وأن الملك نفسه قادم من كوش فى جنوب مصر .

٩٦ – وهناك لوحة الملك تانوت آمون من نفس الأسرة وهى بالمتحف المصرى أيضا وتحمل رقم J E. 48863 وتشير نصوصها إلى أنه بعد أن استولى الملك على منف ودخل معبد بتاح وقدم القرابين لأبيه بتاح – سوكر وسخمت أصدر أوامره لأحد رجاله للذهاب إلى النوبة العليا (نباتا) لكى يشيد بوابة من الحجر الجيرى لأبيه آمون رع اعترافا منه بالجميل ، وفى السطر ٢٠ نقرأ(٢) :

" ولونها الأحمر (tms) من زيت شجرة الأرز المعبق بالمر المجفف(٣) من بونت (cnty šw n Pwntt) وبواباتها مغطاة بالذهب الخالص " .

٩٧ – وهناك نص هام من عصر أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، فهل هو بسماتيك الأول أو الثالث (؟)(٤) وعثر على هذه اللوحة بترى فى حفائره فى دفنه . ويحدثنا نصها فى السطرين ٨ – ٩ عن :

---

(١) Grimal, la Stele Triomphale de Piankhy, la Caire (1981), p. 180 (27) .

(٢) Grimal, Quatre Steles Napateennes au Musée du Caire, le Caire (1981), p. 12, 104.

(٣) عن هذا المعنى ، راجع : Wb I, 206, 12; Meeks, Alex. I, p. 365

(٤) يرى فيكنتيف ان هذه اللوحة ترجع إلى عصر الملك بسماتيك الأول ، راجع : Vikentiev, la Haute Crue du Nil, le Caire (1930), p. 52.

" مطر السماء فى الشهر الرابع (؟) من فصل الشتاء اليوم ... بدرجة كبيرة على جبل بونت (dw n Pwnt) .

ويعتبر كاتب النص أن سقوط هذه الأمطار بغزارة على جبل بونت بمثابة معجزة كبرى فى موسم قلت فيه الأمطار فى المناطق الجنوبية والوجه البحرى . كما يشير النص إلى دور المعبودة نيت ، معبودة سايس وحامية الأسرة السادسة والعشرين ، فى جلب الفيضان السماوى (أى المطر) لكى تحيا قوات الملك .(١) ويبدو أن أفراد هذه القوات كانت فى مهمة فى بلاد بونت ربما لإحضار منتجاتها وتعرضت لخطر الموت ظمأ عند اجتيازها لمناطق جبلية وعرة يندر فيها سقوط الأمطار فى أواخر فصل الشتاء . ولكنهم نجوا بفضل هطول الأمطار بغزارة . وهكذا بفضل تدخل ومعجزات المعبود نيت تم إنقاذ أفراد جيش جلالة الملك .(٢)

ونقرأ فى الأسطر من ١٢ إلى ١٥ ما يلى :

(١٢) ... معجزة كبرى حدثت فى وقت جلالتك .

(١٣) ... (لم) ير هذا ولم يسمع هذا فقد أمطرت السماء (hy pt) على جبل بونت (dw n Pwnt) (فى وقت) قل (cndw) فيه المطر فى المناطق الجنوبية .

(١٤) ... وخلال هذا الشهر الذى أمطرت فيه لم يكن موسمها بالتأكيد على مدن أرض الشمال (الوجه البحرى) .

---

(١) هذا النص يذكرنا بما ورد عند هيرودوت بأن أمطار معجزة هطلت بغزارة على مدينة طيبة فى عهد الملك بسماتيك الثالث ولم يحدث مثل هذا من قبل ، راجع: Barguet, Herodote – Thucydide, Paris (1964), p. 222: (111, 10).

(٢) Mokhtar, op. cit., p. 147 n. (28); Montet, L'Egypte Eternelle, Paris (1970), 132; Vikentiev, op. cit., p. 51 – 52 n. (5).

(١٥) ... أمك نيت (من) سايس أحضرت لك الفيضان لكى تحيا قواتك " .[١]

ويضع نص هذه اللوحة بلاد بونت فى جنوب الحدود المصرية .

٩٨ – نعلم أن الملك نكاو ثانى ملك فى الأسرة السادسة والعشرين قد أرسل بعثة للاستكشاف البحرية حول الشواطئ الأفريقية .[٢] وربما أرسلت أيضا بغرض التجارة والتعرف على أسواق جديدة وموانى جديدة . وربما مرت أيضا ببلاد بونت (؟) وقد تمت هذه الرحلة بنجاح خلال ثلاثة أعوام . فقد رحلت المراكب من ميناء ساوو على البحر الأحمر وعادت عن طريق مضيق جبل طارق بعد أن قطعت فى رحلتها أكثر من ١٣ ألف كم . ويبدو أن هذا المشروع قد نفذ بمساعدة بعض البحارة الفينيقيين بما لهم من خبرة فى مجال البحارة والتجارة .[٣]

---

(١) Vikentiev, op. cit., p. 52 n. (2).
عن هذا النص ، راجع : Petrie, Nebsheh and Deffenneh (Tanis 11) (1888), p. 107 – 108 (103), pl. 42; R. el Sayed, la Deesse Neith de Sais, BdE 86/2 (1982), p. 408 (doc. 457); Vikentiev, op. cit., p. 52; Z. Topozada, les activités des rois de la XXVI eme dynastie en Egypte, p. 270 – 271 (doc. 341). رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة المنيا ، ١٩٨٣ . Gauthier, LR 1V, p. 77 n. (1); Kitchen, in LA 1V, p. 1199 n. (27) د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٤٠٣ حاشية (٨) .

(٢) بعد ذلك بفترة طويلة فى عامى ٥٤ ، ٦٨ ميلادية أرسل الإمبراطور الرومانى نيرون بعثتين لكشف منابع النيل ولكنهما رجعتا بعد وصولهما غالبا إلى منطقة السدود ، راجع : د. محمد رياض – د. كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة ، ص ٢٨ .

(٣) راجع : د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧ ، ص ٤٢٦ .

٩٩ – لوحة الملك نختنبو الثانى بالمتحف المصرى ، كان قد عثر عليها فى الأشمونين ، وهى مؤرخة بالعام الرابع من حكمه وتسجل زيارة الملك لمعبد الأشمونين وما قام به من أعمال معمارية هناك . ويحدثنا النص فى السطرين ١٦ ، ١٨ عن تشييده لمعبد للمعبودة نهمت عاوى وبعد إتمام البناء يقول النص .[١]

أ – " فإنه على الأرض مثل أفق آمون رع فى سماء بونت (Pwnt) وكالسيدة فى حسرت " .

ب – " (وعندما) دخله الأسياد (أى الملوك) لم ينقبض القلب[٢] تجاهه (وقدمت) الأشياء المختارة القادمة (؟) " (Pwnt) .

العصر البطلمى – الرومانى :

---

١٠٠ – أ – فى نقوش مقبرة بيتوزيريس (التى ترجع إلى عام ٣٠٠ ق. م. أى بداية العصر البطلمى) نجد منظرين فى قاعة المدخل ، الحائط الشمالى ففى هذا المنظر نرى أربعة أشخاص يقومون بصحن المواد العطرية فى أوانى .[٣] وفوق الأول فى أقصى اليمين نقرأ : shm ḫ3w[٤] " صحن النباتات العطرية " . وفوق الثانى نقرأ : nwdw ḫr ir cnty " العصارون يستخرجون المر " وفوق الاثنين الأخرين اللذين يقومان بصحن ودق المادة على حامل وضع أمامهم فنقرأ :

---

(١) Roeder, ASAE 52 (1954), p. 380.

(٢) تقرأ hcw – ib ، راجع : Piankoff, le Coeur dans les textes Egyptiens, Paris (1930), p. 116; Wb 111, 51, 15.

(٣) Shimy, Memnonia 1X (1998), p. 213 n. 34 Fig. 8 = Lefebvre, Petosiris 111, p. 58 pl. X1.

(٤) عن المعنى ، راجع : Wb 1V, 215, 12; Meeks, Alex. I, p. 337

'shm imyw nw Pwntt ' صحن (ما يأتى) من داخل بونت ' .

ب – وفى منظر آخر فى نفس المكان نرى أربعة أشخاص يقومون بإعداد وطبخ البخور . ونقرأ فوق الشخصين الأولين : nwdw ir cnty ndm sty ' العصارون يستخرجون المر والعطر الطيب ' وفوق الشخصين الآخرين الذى يقوم أحدهما بصحن أو تقليب العطر فى وعاء كبير بمساعدة عصا طويلة ويقوم الآخر بعمل فتحة أسفل الإناء لاستخراج المادة السائلة ونقرأ ما يلى : shm imyw nw Pwntt وصحن (ما يأتى) من داخل بونت ' .(١)

١٠١ – عثر فى منطقة سقارة على تابوت من الخشب يوجد الآن بالمتحف المصرى بالبدروم تحت رقم (SS 27 / B4) طوله ٢٠٠ سم وعرضه ٦٠ سم وارتفاعه ٣٩ سم وهو يحمل أقدم نقش عربى وجد فى مصر مدون بالخط العربى من جنوب الجزيرة العربية ، ويرجع هذا النقش إلى السنة الثانية والعشرين من عهد بطلميوس الثانى أى ما يوافق عام ٢٨٥ ق. م . تقريبا أو عهد بطلميوس السادس أى حوالى عام ١٧٢ ق. م .(٢)

ويخص أحد التجار من معين ' زيد – ايل '(٣) وفى هذا النقش يتحدث زيد – ايل عن معاملات بينه وبين كهنة المعابد المصرية ويشير إلى أنه

---

(١) Shimy, op. cit., p. 223 n. 54 Fig. 17 = Lefebvre, op. cit., p. 59 pl. X.

(٢) د. محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ٢٧ ، ١٨٠ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٢٢١ ؛ وبوجه خاص د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٠٨ – ٤٠٩ . وقام سيادته بنشر هذا النص فى مقال باللغة الإنجليزية فى المؤلف نفسه ، p. 193 – 199 .

(٣) ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم (ترجمة فؤاد حسنين وزكى محمد حسن) ، ص ٢٦٩ .

قدم إلى هذه المعابد مقادير من المر وقصب الطيب مقابل أقمشة مصرية . ويذكر أنه استخدم سفينة فى استيراد هذه المنتجات العربية . كما يشير إلى دين عليه يستحق الوفاء فى شهر حتحور . وفى موضع آخر فى النص يشير إلى أنه وفى بكل ديونه فى شهر كيهك .

ويختم زيد - ايل حديثه بنوع من الدعاء إلى المعبودات يبدو منه أنه يبتهل إليها لكى تضفى حمايتها على تابوته وهو يجمع فى هذا الدعاء بين المعبود المصرى أوزير - حعبى (وهو يورده فى النص بنطق معرب هو اثر حف) وبين معبودات موطنه الأصلى .[1]

ونستطيع أن نتعرف من خلال هذا النقش على عدة حقائق من بينها مدى العلاقة الوثيقة التى كانت تربط بين هذا التاجر المعينى وبين الكهنة المصريين . ويدل على انخراطه فى سلك رجال الدين المصريين الذين رأوا فى هذا ما ييسر عليهم الحصول على حاجتهم من البخور والطيوب اللازمة لأداء الشعائر والطقوس الدينية بشكل مباشر دون وساطة السوق التى ترفع وساطتها من ثمن هذه السلع بالضرورة . ويكشف لنا هذا النقش عن حقيقة هامة هى أن المواصلات فى هذه الفترة بين عرب شبه الجزيرة وبين مصر لم تكن قاصرة على الطريق البرى ، وإنما كانت تتم كذلك عن الطريق البحرى عبر البحر الأحمر ، فكانت هناك عدة موانئ فى مصر على شاطئ البحر الأحمر مثل موانئ : ساوو وميوس هرموس وبيرينيكى (رأس بناس حاليا) وميناء القصير . ويشير هذا النص أخيرا إلى اندماج

---

(١) د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٤٠٨ ؛ أمل بيومى مهران : دراسة تاريخية للعلاقة بين الجزيرة العربية وبلاد الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب -جامعة الإسكندرية ١٩٩٦ ، ص ٥٩ - ٧١ ؛ د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ١٥٣ ، ١٥٥ .

هذا التاجر المعينى فى الحياة المصرية وهو اندماج يمكن ان يكـــون واردا فى حالة عدد كبيز من سكان جنوب الجزيرة العربية النازحين إلى مصـــر فى تلك الفترة . فنحن نرى هذا التاجر يتقدم بدعائــــه وابتهالاتـــه لا إلـــى معبوداته فحسب ، بل كذلك إلى معبود مصرى . ثم هـــو لا يذكـــر هـــذا المعبود المصرى باسمه الذى كان شائعا بين اليونانيين المقيمين فى مصـــر وهو سرابيس ولكنه يذكره باسمه المصرى أوزير – حعبى بعد أن عربـــه إلى اثر حف مما يشير إلى أن اندماج هذا التاجر لم يكن مع اليونان وإنمـــا مع المصريين .

وإذا قمنا بفحص بعض النصوص فى المعابد البطلمية – الرومانيـــة والتى جاء فيها ذكر اسم بلاد بونت أو تا – نثر نجدهـــا عديـــدة وكثـــيرة وخاصة النصوص الدينية التى تتناول الطقوس المختلفة وبالتحديد طقـــوس تقديم القرابين اليومية فى المعابد .[١]

قدس الأقداس فى معبد الكرنك :

على الجدار الشمالى ، يوجد فى الجزء العلوى ، خمسة مناظر تبدأ مـن وسط الجدار الغربى ، وفى المنظر الخامس نرى الإسكندر مرتديا غطـــاء النمس وهو يقدم الزيت المعطر[٢] (mdt) إلى آمون رع ويـــقدم أيضـــا تمثال صغير لأبى الهول ، ومن خلفه قرين الملك وهو يحمل بخور بونـــت ويقول النص :

(١) لم تذكر أغلب المراجع التى تعرضت لبلاد بونت اية أمثلة من العصر البطلمى الرومانى ، مثال ذلك : Kitchen, LA IV, p. 1199 n. 28; Herzog, op. cit., p. 20 – 21; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 229.

(٢) وهو الخاص بالأعضاء المقدسة ، راجع نص ٢٤ أ وحاشية (٦) .

١٠٢ - " كلمات تقال بواسطة الكا الخاصة بك إلى آمون : اننـــى أحضـــرت لـــك بونت (Pwntt) اننى مخلص فى حبى لك ".[١]

معبد اسنا :

فى قاعة الأعمدة ، الباب الجنوبى الشرقى من العصر الرومانى ، نرى منظرا يمثل الإمبراطور دوميسيان يقدم البخور للمعبودة نيت قائلا :

١٠٣ - " خذى لنفسك المر من بونت[٢] والروائح العطرية[٣] (hdw)[٤] من تا - نثر ".

----

(١) Barguet, le Temple d'Amon – Rê a'Karnak, p. 197.

(٢) R. el Sayed, la Déesse Neith de Sais, I, p. 143; t. II, p. 626 (doc. 1010) = Sauneron, Esna 11, p. 138, texte 62.

(٣) نعلم من نصوص اسنا أنه كانت هناك صيغة مقدسة لتقديم آنية العطر ، راجع: Sauneron, op. cit., p. 141 (texte 293, 26)
وأنه كان هناك كاهنا فى نفس المعبد مسئولا عن المبخـــرة ويقـــوم بتطـــهير تماثيل المعبودات بالبخور ، راجع : Sauneron, op. cit., p. 134 (texte 284, 10) ونعلم أنه كان يوجد بمعبد الكرنك رئيس لحملة المباخر ، راجع : R. el Sayed, BIFAO 69 (1983), p. 219 – 239; Id., ASAE 70 (1984 – 1985), p. 323 – 349.

(٤) عن هذا النوع من الروائح ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 214 – 215 n. 11, 212, Wb 111, 337, (d), (C) ويرى البعــض أن hdw لـــها نفــس معنى h3w ، راجع : (Shimy, Memnonia 1X (1998), p. 233 n. 37).

وفى أربعة نصوص أخرى فى أماكن أخرى بمعبد أسنا ذكرت المعبودات نيت بالألقاب الآتية :

١٠٤ – " حاكمة بونت ".(١)

١٠٥ – " سيدة تا – نثر ".(٢)

١٠٦ – " سيدة بونت ".(٣)

١٠٧ – " ملكة بونت ".(٤)

١٠٨ – " ذات العطر الذى يفح ابتداء من بونت ورائحتها رائحة العطر الطبيعى ".(٥)

١٠٩ – ويقال لابن رع الكبير :

" الفنكس المقدس الذى يجوب بونت ".(٦)

معابد الميلاد المقدس :

فى مؤلف دوما عن هذه المعابد فى ادفو ودندرة نجد ثلاثة نصوص هى :

---

(١) R. el Sayed, op. cit., II, p. 91, 660 (doc. 1055b, 1086).

(٢) Id., op. cit., p. 91 (doc. 1049) = Sauneron, Esna V, p. 291 (texte 163, 23).

(٣) Id., op. cit., p. 91 (doc. 055 b) = Sauneron, op. cit., p. 113.

(٤) Id., op. cit., p. 91 (doc. 1049) = Sauneron, op. cit., p. 291 (texte 163, 23).

(٥) Sauneron, Esna V, p. 153 (texte 331, 18).

(٦) Sauneron, op. cit., p. 370 (texte 262, 23).

فى معبد دندرة (معبد الميلاد المقدس) :

يحدثنا نص عن القرابين والهدايا والعطايا التى تقدم للمعبودة حتحور من بينها :

١١٠ - " كل بخور تا - نثر وكل النباتات العطرية لبونت " (h3w nw Pwntt).[١]

وفى نصوص المناظر التى تصاحب عملية الميلاد المقدس فى دندرة نجد المعبود آمون رع يتحدث إلى المعبود حتحور قائلا :

١١١ - " عطرك من تا - نثر وروائح جسدك من بونت ".[٢]

فى معبد ادفو (معبد الميلاد المقدس) :

نقرأ ما يلى :

١١٢ - " كل النباتات العطرية من بونت " (h3w nw Pwntt)[٣]

معبد مدامود :

نرى على أحد الأعمدة منظرا يمثل أحد الملوك البطالمة وهو يقدم إلى إحدى المعبودات البخور ويقول :

١١٣ - " متع قلبه بالمر المستخرج من بونت (cntyw pr m Pwntt) ".[٤]

---

(١) Daumas, les Mammisis des Temples Egyptiens, p. 229.
(٢) Daumas, op. cit., p. 397 n. (2).
(٣) Daumas, op. cit., p. 229 n. (1).
(٤) Drioton, Rapport sur les Fouilles de Medamoud (1926), p. 36 (341).

١١٤ - وفى نص آخر فى معبد مدامود نجد إشارة على طقـوس الرقـص التـى تشارك فيه شعوب البلاد الأجنبية احتفالا بأعياد حتحور ، ونجد بينهم البـدو والآسيويين وأهل بونت من :

" الخبستيو (hbstyw)[١] يؤدون التحية لك " .[٢]

معبد دير الشلويط :

وهو معبد صغير مخصص لعبادة ايزيس من العصر الرومانى ويقـع على بعد ٣,٥ كم من معبد مدينة هابو .

فى الجزء الذى يقع أمام قدس الأقداس ، نقرأ النص التالى :

١١٥ - " فليعش المعبود الطيب سيد بونت " (Pwntt)[٣]

(اسم الملك البطلمى غير معروف)

١١٦ - " فليعش حورس الطيب سيد[٤] تا - نثر " .[٥]

معبد طود :

نصوص صالة الأعمدة :

---

(١) عن هؤلاء الأقوام الذين يعملون بالمناجم فى بونت ، راجع النص رقم ٥٨ .

(٢) Drioton, op. cit., p. 27 – 28 texte 328, 1. 8.

(٣) Chr. Zivie, le Temple de Deir Chelouit, t. 11, le Caire (1983), p. 52 (texte 78, 5).

(٤) لهذه العلامة ، راجع : Wb 11, 235

(٥) Chr. Zivie, op. cit., p. 58 (texte 80, 1).

ففى منظر نرى الملك البطلمى يتحدث إلى المعبودة سخمت قائلا [١] :

١١٧- " تلقى منى البخور (3 tf)[٢] من تا – نثر ومر[٣] بونت (ihm nw Pwntt) ... سيدة كبن وسيدة ثرت التى توجد فى معبد من استغل (حرفيا حطم) بونت " (hd. n. f Pwn)

وترد عليه المعبودة قائلة[٤] :

١١٨- " اننى أعطيك المر (mrš)[٥] أمام كل الناس مثلما ينتشر[٦] عطر بونـــت (mi phr cntyw Pwntt) .

وفى نص ثالث بنفس المعبد نقرأ :

١١٩- " بخور بونت (3tf n Pwn)[٧]

وفى نص رابع بنفس المعبد أيضا نقرأ :

١٢٠- " الروائح الطيبة (3hdw)[٨] من ثرواته من تا – نثر (bj3wt n T3 – ntr)[٩] (وهى) الغطاء لكل معبود ... " .[١٠]

---

(١) Grenier, Tod, publ. IFAO (1980), p. 196 (texte 132, 5).

(٢) Wb I, 23, 7.

(٣) Aufrere, op. cit., p. 333, 766 – 767; Wb I, 119, 2.

(٤) Grenier, op. cit., p. 198, 1. 10.

(٥) Wb. 11, 113, 1.

(٦) عن هذا المعنى لكلمة phr ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 137

(٧) Grenier, op. cit., p. 238, 1. 4.

(٨) كلمة مشتقة أساسا من كلمة iht أو ih ، وللمعنى راجع : Wb I, 120, 14

(٩) سجل جرنييه فى هذا المكان علامة sšt3 ولكنه أخطأ فالكلمة أقرب إلى كلمـــة bj3 وتقرأ bj3wt nt T3 – ntr وهى معادلة لكلمـــة bj3wt nt Pwnt راجع رقم ١٣٦ فيما بعد ، وأيضا : Wb I, 440, 4.

(١٠) Grenier, op. cit., p.238, 1. 5.

أى أن الروائح تعبق كل تمثال المعبود فى قدس الأقداس .

معبد ادفو :

ففى نصوص تكريس المعبد لسيده نقرأ :

١٢١ - " اسمه مكتوب على حائط معبد ادفو (msn)[١] كملــك لمصــر العليــا والوجه البحرى ، بطلميوس الحــادى عشــر ، الاســكندر الأول ، الــذى هرب[٢] إلى بلاد بونت (Pwnt) واستولى أخوه الأصغر علـــى مصــر وتوج ملكا من جديد " .[٣]

وفى أكثر من مكان وأكثر من نص نقرأ :

١٢٢ - " وجود ملك مصر العليا والوجه البحرى (بطلميوس الحادى عشر) فـوق عرشه كحاكم لتا - نثر " .[٤]

١٢٣ - " كلام يقال بواسطة حورس ادفو ، المعبود العظيــم للسـماء ، حــورس الذهبى ، ملك مصر العليا والوجــه البحــرى ، الصقــر (d̲rty) ســيد الصقور ، كبير[٥] تا - نثر وبونت (tnj T3 - ntr Pwntt) ... " .[٦]

----

(١) اسم معروف لادفو منذ عصر الدولة القديمة ، راجــع : Wb 11, 145, 2; Gauthier, DG 111, p. 60.

(٢) تقرأ Wcr r ، راجع : Wb I, 286, 10

(٣) Chassinat, Edf. V, p. 1X (avant propos).

(٤) Chassinat, op. cit., p. 78, 105.

(٥) Wb V, 374, 4.

(٦) Chassinat, op. cit., p. 78, 1. 8 – 9.

١٢٤ – " ... البخور طيب الرائحة ... انه معبود مبجل ، بحدتى سيد بونت (Pwntt) ، ملك مصر العليا والوجه البحرى ، العظيم الذى يحمى أرض مصر العليا ... ".(١)

١٢٥ – " حتحور سيدة دندرة ، عين رع ، سيدة السماء ، المعبودة المقدسة ، سيدة تا – نثر ".(٢)

وفى حديث للمعبودة موت موجها إلى الملك نقرأ :

١٢٦ – " تعال فى سلام ملك بونت (Pwntt) الكبير (tnj) الذى يترأس ما يحيط بالسماء ".(٣)

١٢٧ – " ملك مصر العليا والوجه البحرى ... سيد بونت (Pwn)(٤) ، العين المقدسة(٥) (ntrt ntrt) ، سيدة الضوء (hdwt) ... ".

ويقال للملك البطلمى :

١٢٨ – " المعبود الطيب الذى يحرق البخور (K3p)(٦) لأبيه (حور سماتاوى) ولكى يرضى المعبود برائحته الذى يجوب تاوى – نثرو(٧) (T3wy – ntrw) معتنيا بما فيها (nwy)(٨) ، سيد بونت (Pwntt) ، ابن رع

---

(١) Chassinat, op. cit., p. 78, 1. 1 – 13.

(٢) Id., op. cit., p. 391, 107.

(٣) Id., op. cit., p. 196, 1. 15.

(٤) Id., cit., p. 205, 107.

(٥) Wb 11, 366.

(٦) Wb V, 104, 1.

(٧) جاءت هنا بالمثنى مما يعنى انه كان يوجد أكثر من تا – نثر ، راجع :
Aufrere, op. cit., p. 215 (d), 220 (b); Wb V, 225, 1
ويعتقد اوفرر انها البديل عن المفرد. بينما يعتبرها مكس منطقة مختلفة، راجع:
Meeks, Alex. 11, p. 407.

(بطلميوس) ... " .[١]

ويرد عليه المعبود حور سماتاوى قائلا :

١٢٩ - " اننى أعطيك بونت (Pwntt) محملة بما فيها وتا - نثر محملة (بكل) ما يخرج منها " .[٢]

الحديث هنا يخص المعبودة حتحور :

١٣٠ - " الأم التى لا مثيل لها ، الحاكمة فى بونت (ḥk3t m Pwntt) والتى تترأس حنت - نفرت ، السيدة فى جبل المر (int cntyw) " .[٣]

هناك منظر يمثل تقديم البخور إلى المعبودة حتحور :

١٣١ - " ... على يد الأسد (m3j) ، حاكم بونت (Pwntt) ... " .[٤]

ونفس النص والمعنى نجدهما فى مكان آخر فى ادفو وفيلة :

١٣٢ - " احضر الإناء ذو الأرجل الأمامية للأسد ، حاكم بونت ، صديق شسمو " .[٥]

١٣٣ - " ... خذ لك بخور كل إنسان لأنفه من يد الأسد (m3j) ، حاكم بونت " .[٦]

---

(١) Chassinat, op. cit., p. 364, 1. 2.

(٢) Id., op. cit., p. 364, 1. 5.

(٣) Id., op. cit., p. 382, 1. 12.

(٤) Id., op. cit., p. 378, 1. 9.

(٥) Chassinat, Edf. 11, p. 378, 11 – 13 = Aufrere, op. cit., p. 214 (b).

(٦) Aufrere, op. cit., p. 213 (B) .

١٣٤ - " الملك المنتمى إلى المعبودتين ، عظيم القوة ، سيد تا - نتر ".[٢]

١٣٥ - " ... عمل ابتهالات إلى أمه (حتحور) ، عظيم الهيبة فى تاوى - نـــترو (T3wy – ntrw) ".[٢]

١٣٦ - " حتحور سيدة دندرة ... سيدة المنيت (mnjt)[٢] ، عين رع[٣] التى فـى قلب بحدت (ادفو) ، سيدة البخـــور (nbt cntyw) ، ســيدة تــا - نتر ".[٤]

١٣٧ - " حتحور العظيمة ، سيدة دندرة ، عين رع التى فى قلب ادفــو ، معبــودة ادفو التى تعطى تا - نتر محملة بما فيها إلى ابنها محبوبها ".[٥]

١٣٨ - وفى نص يعدد فيه الكاتب الهدايا التى يتلقاها معبود ادفو الرئيسى حــورس منها[٦] :

---

(١) Chassinat, Edf. V, p. 378, 1. 13 – 14.

(٢) Id., op. cit., p. 370, 1. 1-2.

(٣) نعلم من نصوص ادفو أن أفضل أنواع البخور تخــرج مــن عيــن رع . وأن قرابين البخور تحمل أسماء : " عين حورس ، عين رع ، عيـــن أوزيـــر " ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 215 (C) كما أشار اوفرر إلى أن تلاعــب الألفاظ بين لفظى cntyw الذى يعنى بخور ولفظ cndw فى بعض النصــوص البطلمية والذى يعنى " ضوء الفجر أو ضوء الشمس ، راجـــع : Aufrere, op. cit., p. 214 n. (a); Meeks, Alex. I, p. 67.

(٤) Chassinat, op. cit., p. 316, 1. 2.

(٥) Id., op. cit., p. 315, 1. 7 – 8.

(٦) Vercoutter, op. cit., p. 174 n. (3) = Chassinat, Edf. V1, p. 202.

" منتجات خنتى – ش[١] ، بونت ، الواحات الغربية ، وكفتيو " . نلاحظ أن النص يبدأ بمناطق الجنوب ثم الغرب ثم الشمال .

١٣٩ – " سوبدت ... ضع السلاح (ḫpš)[٢] أمامها ، عظيمة القوة عند المرور بالبحيرات[٣] التى تلى بونت " (Pwntt) .[٤]

١٤٠ – " (الملك البطلمى) مثل المعبود حاكم تا – نثر ، عظيم الهيبة فيما يخصه فى أرض بونت " (Pwntt) .[٥]

١٤١ – " (الملك البطلمى) سيد بونت " (Pwn) .[٦]

١٤٢ – " حتحور ... سيدة بونت " .[٧]

١٤٣ – الصمغ سنن (snn) من تا – نثر والخشب حو (cw) من بونت " .[٨]

نصوص معبد دندرة :

---

(١) منطقة محاجر بجوار اثيوبيا ، راجع : Vercoutter, op. cit., p. 103 (26); Aufrere, op. cit., p. 735 – 736, 746, 765, 767.

(٢) راجع : Wb 111, 270, 1.

يقرأ سنرون هذه العلامة " حقا " التى تعنى " الحكم أو السيطرة " وينطقها بمفردها K فى اسم المعبود hk3 ، راجع : Sauneron, Esna V111, p. 71 (H. 81), 209 (242, 22H; 46 – 47), 210 (242, 25H81), 211 (323, 27 H. 115).

(٣) تقرأ s3b sšw ، راجع : Wb 111, 420, 15

(٤) Chassinat, Edf. V, p. 174, 1. 17, 175, 1. 1.

(٥) Chassinat, op. cit., p. 166, 1. 3.

(٦) Id., op. cit., p. 58, 1. 9.

(٧) Id., op. cit., p. 174 (5) n. (58).

(٨) Aufrere, op. cit., p. 765 (k) n. (L – m).

١٤٤ - " نجد أن المعبود مين لقب بلقب " الباحث عن الثروة (الطبيعية) لبونت " (sr bj3 n Pwnt) .(١)

١٤٥ - ويقال أيضا أن " كل المسحوق الزجاجى (أو الفيانس) (thnt)(٢) من بلاد بونت " .(٣)

١٤٦ - " (الملك البطلمى) ... سيد بونت " .(٤)

١٤٧ - فى منظر يمثل الملك والملكة ومن خلفهما موكب للمعبودات وهم يتجهون نحو عرش حورس " سيد المعمل " فى وسط الجدار الشمالى لهذا المبنى . وفوق العتب نقرأ النص التالى :

" ابن حورس ، عظيم الانتصارات ، سيد المعمل ، وريث معبود ادفو ، سيد بونت (nb Pwntt) : اننى أتيت إلى بحدت محملا بمنتجات تا - نثر لكى ينعم حورس بعطرها ، فالمر (cnty) فى يده مع أشجار البخور (nnibw) وانا اعطر مسن (ادفو) بروائحها " .(٥)

---

(١) Aufrere, op. cit., p. 138, 438 n. (82).
يعتبر مين سيدا لوادى الحمامات وشاطئ البحر الأحمر وحاميا للطرق المؤدية إلى الجزيرة العربية كما يعد رئيسا لجبال تا - نثر ، راجع : Saleh, Suppl. BIFAO 81, p. 117 n. (111) n. (2) ( ); Erman – Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 677.

(٢) عن معنى هذه الكلمة كمنتج للمناجم ، راجع :- Aufrere, op. cit., p. 166 – 167, 179 – 181.

(٣) Chassinat, Mamm. De Dendara, p. 229 = Aufrere, op. cit., p. 521, 534 n. (5).

(٤) Aufrere, op. cit., p. 582 (2) (b)

(٥) Shimy, Memnonia 1V (1998), p. 229 n. 82 = Chassinat, Edf. 11, p. 190.

- مقصورة القارب المقدس فى دندرة :

بها عدة مناظر موزعة على جدرانها الأربعة . فعلى الواجهة الشـــرقية وعلى العتب الخارجى الجنوبى ، ترى منظرا يمثل الملك بطلميوس الثـــامن يورجيتيس الثانى وهو يقوم آنيتين من الذهب تحتويـــان علـــى المـــر إلـــى حتحور ، ويقول النص :

١٤٨ - " ملكة مصر العليا والوجه البحرى ، عين رع ، سيدة بونـــت (Pwnt)[١] التى تحضر ثروات بلد المناجم " .[٢]

وعلى الجدار الشمالى منظر تقديم المر من قبل الملك بطلميوس التاســع سوتر الثانى إلى المعبودة حتحور وحورس سماتاوى ، ويقول النص :

١٤٩ - " اننى أعطيك المر المستخرج من بونت (cntyw pr m Pwntt) الذى يدخل السرور بسبب رائحته " .[٣]

ويقال للملك أيضا :

١٥٠ - " فليعش حورس ، الشاب ، حاكم ودن ، الملك الذى يقطن بونـــت (Pwntt) المنتمى إلى السيدتين ، عظيم القوة ، غنى الروائح ، سيد المر " .[٤]

ويقال حتحور أيضا :

---

(١) Cauville, BIFAO 93 (1993), p. 95 tabl.7, 1. 2.

(٢) تنطق H h3t بلد مناجم ينتج الذهب ، راجع : Aufrere, op. cit., p. 173-174, 318, 324.

(٣) Cauville, op. cit., p. 119 tabl. 20, 1.

(٤) Id., op. cit., p. 119 tabl. 20, 1. 3.

١٥١ - " حتحور سيدة دندرة ، عين رع ، ... من النوبة ... وتا - نثر ".[١] وفى دندرة نجد نص مشابها فى مكان أخر :

١٥٢ - " حتحور ... سيدة دندرة ، عين رع ، سيدة بونت ، حاكمة تا - نثر ".[٢]

وعلى الواجهة الغربية ، وعلى العتب الجنوبى ، نقرأ ما يلى :

١٥٣ - " عملية حرق البخور وعملية التبخير بالمر بدون حدود ، انه تا - نثر فى روائحه ".[٣]

- **القبو الشرقى والجنوبى فى معبد دندرة :**

ففى القبو الشرقى رقم ١ ، الحجرة رقم ٢ ، نجد نقوش الإفريز وعليه النص التالى :

١٥٤ - " (حتحور) ... عين رع التى تأتى من بونت (Pwn) إلى هذا المعبد فى العيد الجميل ".[٤]

وفى القبو الجنوبى رقم ١ ، الحجرة رقم E ، نقرأ فى نقوش الإفريز نص يحدثنا عن الثروات الطبيعية التى تحضر إلى المعبودة حتحور [٥] :

١٥٥ - " (من) الصحراء وأرض الفيروز (t͟frrt)[٦] والفيانس (t͟ḥnt)[٧]

---

(١) Cauville, op. cit., p. 119 tabl. 20, 1. 4.

(٢) Aufrere, op. cit., p. 177, 186, n. (72) = Chassinat, Dendara 1V, p. 249, 5 – 13.

(٣) Cauville, op. cit., p. 133 tabl. 111, 1. 2.

(٤) Chassinat, Dendara V, pl. 339.

(٥) Id., Dendara V, pl. 449.

(٦) Aufrere, op. cit., p. 170, 172-173; Wb V, 300, 1.

(٧) Wb V, 390, 12; Aufrere, op. cit., p. 166- 167, 179-181.

تقـدم (m3c)[١] إلـى العادلـة[٢] مـع نباتـات العطـر[٣] الطويلـة[٤] لبونت (3w ḫ3w nw Pwntt) وأشجار العطر (nnibw)[٥] تحـت مسئوليته ... ".[٦]

- **وعلى بوابة الحائط الخارجى لمعبد موت بالكرنك (من العصر البطلمى) :**

فى نص يسير إلى طقوس الاحتفالات والرقص من قبل الشعوب الأجنبيـة[٧] التى جاءت للمشاركة فى احتفالات أعياد موت ، ومن بينهم النوبييـن والليبييـن والأسيويين الذين يجوبون الصحارى (البدو) وجامعى الصمغ (Kmjtw)[١٠] (وهم من أهل بونت) .

---

(١) Aufrere, 11, op. cit., p. 22 1; 23, 6.

(٢) لقب للمعبودة حتحور ، راجع : Wb 11, 20, 13

(٣) كتب الكاتب كلمة ḫ3w بمخصص غير معروف ولم يسجل من قبل فى : واتبع المخصص بعلامة الجمع : [hieroglyphs] Wb 111, 221, 8

(٤) تقرأ 3w، وعن المعنى ، راجع : Wb I, 4, 10

(٥) تقرأ أيضا njbw ، راجع : Wb 11, 276, 10- 14; Aufrere, op. cit., p. 331 – 333.

(٦) تقرأ r – ḫt عن المعنى ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 225
Meeks, le Grand texte des donations au temple d'Edfou, p. 106 – 107 n. 194. ربما تقع مسئولية تلقى هذه الثروات على عـاتق كبـير الكهنة .

(٧) Sauneron, la Porte Ptolemaique de l'enceinte de Mout `a Karnak, le Caire (1983), p. 20 n. 3, pl. 11 texte 11, 1. 21.

(٨) Wb V, 38, 5.

١٥٦ - " فليكن هناك سرح إلى أم المعبودات والناس التى تأتى إليها كبن (جبيل) من الأخضر العظيم محملة بثروة (ht) تا - نثر " .[١] وكما هو واضح هنا أن تا - نثر تشير إلى سوريا .

معبد فيله :

---

١٥٧ - فى المناظر التى تمثل مواكب النيل يقال لمعبود المعبد الرئيسى أن الملك " هو الذى يحضر لك بونت " بكل منتجاتها .[٢]

وعلى الجزء الشرقى خارج بوابة الصرح الثانى بمعبد فيله : نرى الملك بطلميوس الثامن (يورجيتيس الثانى) يقدم العطر إلى أمه المعبودة ساتيس ويقول :

١٥٨ - " اننى أعطيك تا - نثر مع كل ما فيها دون أى نقصان ، كلية "[٣] وتجيب المعبودة عليه قائلة[٤] :

١٥٩ - " اننى أعطيك كل النباتات العطرية ذات الرائحة[٥] لبونت " (h3w nb sty n Pwntt) .

كما اننا فى نقوش أخرى فى فيله عدة ألقاب لحورس منها :

١٦٠ - " الذى يقدر تا - نثر حاكم بونت " .

---

(١) Sauneron, op. cit., pl. X111, texte 17, 1. 12.

(٢) Aufrere, op. cit., p. 233 n. f.

(٣) Valbelle, Satis et Anoukis, publ. DAIK (1981), p. 58 (407 R), p. 139 (60) n. (1057).

(٤) Valbelle, op. cit., p. 58 n. (288) (407 R), 139 (60) n. (1058).

(٥) عن هذا المعنى ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 355

١٦١ - " الصقر المقدس الذى يأتى من بونت ".[١]

معبد كوم أمبو :

نجد فوق الأعتاب الثلاثة للمدخل ، نجد مجموعة من النصوص تصاحب روح المعبودات التى تأتى لتعطى هباتها إلى المعبود الرئيسى . وهى مقسمة إلى مجموعتين شمالية وجنوبية ، والنص يخاطب هذه الأرواح ففى الجـــزء الجنوبى نقرأ :

١٦٢ - " تعال (يا) روح حور - ..ا - ايزه (؟) آتوم (؟) من تا - نثر ، أنــه يطير نحو الأفق ، أنه يدخل قرص إمن - ور ، أنهم يعطون الحياة والقـــوة للملك ... ".[٢]

ومما سبق يتضح لنا ان بونت كانت من أكـــثر المنـــاطق ذكـرا فـــى النصوص المصرية مما يدل على أهمية منتجاتها بالنسبة للحياة اليومية فـــى مصر القديمة وبالنسبة لطقوسهم الدينية ومعتقداتهم الجنائزية .

وإذا استعرضنا ما جاء من معلومات فى الـــ ١٦٢ نصا أو أكثر[٣] منذ أقدم العصور أى عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمى - الرومانى فإننا نجد ما يلى :

---

(١) Saleh, Suppl. BIFAO 81, p. 116 n. (6), 117 n. (5).

(٢) Gutbub, Textes Fondamentaux de la theologie de Kom - Ombo, BdE 47 / 1 (1973), p. 387 (1).

(٣) على اعتبار أن هناك بعض الوثائق تشمل أ ، ب ، ج ، مثال ذلك أرقام ١٩ أ - ج ، ٢١أ - ج ، ٢٤أ - ب ، ٦٣ أ - ب ، ٦٤ أ - ب ، ٦٥ أ - ب ، ٦٦ أ - ب ، ٦٧ أ - ب، ٧٧ أ - د ، ٨٠ أ - ب، ٨٤ أ - ب ، ٨٥ أ - ب ، ٩٩ أ - ب ، ١٠٠ أ - ب . ومع الأخذ فى الاعتبار أن هناك بعض النصوص التى لـــم ننتبه إلى وجودها .

(١) ان نصوص عصر الدولة القديمة تذكر الاسم وتنطقه بونت (Pwnt) (٢، ٤، ٦، ٧، ٨) وتتبعه بمخصص سلسلة الجبال .

أما بالنسبة للموقع فبعضها يتحدث عن بونت بوجه عـــام دون تحديـــد مكان جغرافى معين (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ويفهم من بعض النصوص الأخـــرى ضمنا أنها كانت تقع فى جنوب الحدود المصريـــة (٦ ، ٧ ، ٨) . وكـــانت بعض الرحلات البحرية التى تذهب إليها عن طريق البحر الأحمر (٧) تحـت قيادة أحد القواد الكبار (٤) . كما أن بعض كبار رجال الدولة كانوا يذهبـــون إليها أكثر من مرة (٨) .

أما بالنسبة لكونها مصدرا للذهب والأخشاب الثمينة والأحجار الكريمة وثروات المناجم والأبنوس والصمغ والجلود وما تنتجه هذه البلاد فتؤكده عـــدة نصوص (٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨) .

أما عن تمثيل أهالى بونت فنجده على مصدر واحد (٣) أما عن ذكر أحد أهالى بونت فنجده على مصدر واحد أيضا (١) .

(٢) أما نصوص النصوص وعصر الدولة الوسطى ، فنجد أنها تذكر الاسم بونـــت (Pwnt) (٩ ، ١٠، ١١ ، ١١، ١٢، ١٣ ، ١٤، ١٥ ، ١٦، ١٧ ، ١٩ أ – ب) .

أما بالنسبة للموقع فيفهم من بعض النصوص أن بلاد بونت وتا – نـــثر كانتا مرتبطتان (١١) وهذه هى المرة الأولى التى نجد فيها ذكر تـــا – نـــثر قبل بونت . ويبدو أن بونت اصبحت جزءا من تا – نثر ابتداء مـــن عصـــر الدولة الوسطى أى أصبحت جزءا من جنوب شبه الجزيـــرة العربيـــة (١٤) وكانت بعض الرحلات تتم إليها اما برا عن طريق الصحراء (١٣) أو بحـــرا عن طريق البحر الأحمر . وكانت السفن تبحر من ميناء " ساوو " قـــرب وادى جواسيس على شاطئ البحـــر الأحمـــر (١٧ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣) . كمـــا أن بعض النصوص الأخرى لا تحدد موقعها وتذكرها بوجه عام (٩، ١٠ ، ١١، ١٢ ، ٢١ أ) .

أما بالنسبة لكونها مصدرا للمر والنباتات العطرية والمر الطازج ومنتجات المناجم فنجده فى أكثر من نص (٩ ، ١١ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ب ، ٢٣) ، ويخبرنا النص ٢١ ب بمعلومة هامة وهى أن إحدى الجزر فى مدخل البحر الأحمر كانت تقع فى بلاد بونت وكانت تنتج المر والبخور وعطر hknw وعطر iwdnbw والتوابل والبهارات ومنتج Šȝc – cḫ والكحل الأسود وذيول الزراف وسن الفيل وأنواع معينة من كلاب الصيد وأنواع من القرده والنسانيس وكل النفائس الطيبة .

كما كانت أرض تا – نثر مصدرا للبخور والمر ومنتجات المناجم (١٠ ، ١١ ، ١٧ ج) .

كما تخبرنا بعض النصوص أن السيادة الدينية فى بلاد بونت كانت لبعض المعبودات المصرية وعلى رأسها حتحور (٩ ، ١٨ ، ١٩) وتحوتى (١٥) وورت (١٦) وجب (١٠) . كما شبه المتوفى بونت بالجبانة التى كان يتمنى أن يكون له بها مقرا (١٢) كما كانت أمنيته أن يحضر له المر والبخور من بونت وتا – نثر (١٠ ، ١١) .

(٣) أما نصوص عصر الدولة الحديثة فنجدها (وخاصة نصوص الملكة حتشبسوت) أكثر حديثا وتفصيلا عن بلاد بونت . فجميع نصوص حتشبسوت تذكر الاسم بونت (Pwnt) (٢٤ – ٦٣ أ) .

أما بالنسبة للموقع فيفهم من المناظر المسجلة على جدران معبد الدير البحرى ومن النصوص المصاحبة لها أن هذه البلاد كانت تقع فى أقصى جنوب الحدود المصرية (٢٤ أ – ب ، ٤١ ، ٤٤) . ونعلم أن الملكة أمرت بإرسال هذه البعثة فى العام التاسع من حكمها (١٠) وكانت تحت إمرة نحسى (٦٣) واتخذت طريق البحر الأحمر (٢٨) حتى وصلت إلى الشاطئ الشرقى لأفريقيا بعد أن أرشدها إلى الطريق السليم وسهل لها مهمتها المعبود آمون (٢٥ ، ٥٥ ، ٥٧) وتحدثنا النصوص وتشير المناظر إلى وصول البعثة على شواطئ العظيم الأخضر (أى البحر الأحمر) (٢٨) . وعند وصولها نصبت الخيمة لإقامة

المبعوث المصرى مع قواته فى منطقة مدرجات المر على شاطئ الأخضر العظيم (٣٤) وجاء عظيم بونت وزوجته وبقية كبار بونت لاستقبال أعضاء البعثة (٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤) وتساءلوا عند مقابلتهم لأعضاء البعثة المصرية عن كيفية وصولهم إلى بونت هل تم ذلك بحرا أم برا ؛ (٣٢) ويقصد بذلك هل اتخذت البعثة طريق البر فى البداية ثم اتجهت بعدها إلى البحر . ويخبرنا النصين أرقام ٣٤ ، ٣٥ أن مدرجات المر فى بونت كانت تقع على شاطئ العظيم الأخضر ويلاحظ هنا أن الكاتب استخدم كلمة شاطئ بالمثنى مما يدل على أن المقصود بالشاطئين هما الشاطئ الأفريقى والآسيوى للبحر الأحمر .

أما بالنسبة للثروات الطبيعية والحيوانية التى أحضرتها البعثة من هذه البلاد فهى عديدة ومتنوعة ووفيرة على حد تعبير الملكة (٦٠) . وكما تذكر نصوص الملكة أنها أمرت بإرسال هذه البعثة لإحضار كميات من المر الخام والطازج لأعضاء التمثال المقدس لأمون (٦٠) . فالمر كان يؤتى به من مدرجات المر (٢٤ ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٥٦) . أو من المناطق الجبلية لبونت (٢٨ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢) وأن جذور شتلات شجر المر سوف تقتلع من على هذه المدرجات (٣٦) ليعاد زراعتها مرة أخرى فى حديقة معبد آمون (٣٧ ، ٥٩) لكى تصبح حديقة معبده فى البر الغربى أو فى عاصمته نموذجا آخر لبلاد بونت (٦٢) يتمتع بالسير فيها (أى تمثاله المحمول) وتذكر النصوص أن الذى سوف يحضر المر هم حملة المر الذين سوف يحضرونه ليعصر على التو لاستخراج الزيوت العطرية (٥٩ ، ٦٠) التى تستخدم فى الطقوس الدينية لتمثال المعبود (٥٩ ، ٦٠) .

أما تفاصيل هذه الثروات التى أحضرتها البعثة من جبال بونت فكانت تشمل : النباتات العطرية الجميلة للبلد المقدس ، أكوام من صمغ المر ، أشجار المر الأخضر (أو الطازج) ، ابنوس ، عاج نقى ، ذهب خام من عامو ، بهارات ، توابل ، مر ، بخور ، كحل أسود ، نسانيس ، قرده ، كلاب ، جلود فهود ، وخدم مع أولادهم هذا بالإضافة إلى ثيران وزرافة وفهدين (٣٩) وزيادة على أشجار المر الطازج كل المنتجات الطيبة لهذا البلد (٢٦) وأيضا

٣١ شجرة أو شتلة من أشجار المر الطازج (٤٥) أو أشجار صلبـــة محملــة بالمر الطازج (٥٩) . وذهب فى شكل حلقات وكحل وضع فى زكائب وأبنوس فى شكل عصى ضخمة وعاج من أنياب الفيلة ومـــادة K3j - Km للتلويــن ، وعصى البومارانج التى كان يستخدمها أهل بونت فـــى صيـــد الطيـــور وكـــان يستخدمها المصريون أنفسهم (٤٥) .

كما صور زعيم بونت وهو يحمل بنفسه كومة من المر (٣٣ ، ٣٥) كرمز لأفضل منتجات بلاده . ويذكر النص انه " المر المستخرج من وسط البلـد المقدس " (٣٧) . وكان أحد أبناء زعيم بونت يحمل إناءا يحتوى على كميـــة من التبر (٣٤) كرمز لأفضل ما تنتجه محاجر بلاده .

وتشير بعض النصوص إلى " نفائس البلد المقـدس " (٤٤ ، ٤٦) و " المنتجات الطيبة لهذا البلد " (٢٦) .

وكان المر يعصر بعد إحضاره إلى مصر بواســطة حملــة البخـــور لاستخراج الزيوت العطرية (٥٩ ، ٦٠) للأعضاء المقدسة للمعبود (٦٠) .

وعادت البعثة بكل هذه الثروات والنفائس بعـــد أن وضعـــت تمثـــالا للمعبود آمون والملكة على شواطئ بونت أمام مدرجات المر ذلك المكان المحبب إلى القلب (٢٤ أ – ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) وذلك لكى يراه الناس فى هذا البلـــد يوميا (٢٥) . وقد عثر على نسخة أصلية لهذا التمثال فى موقع الدير البحـــرى (٢٤ أ) .

وعادت البعثة ومعها أيضا كبار بونت جاءوا لتقديم هذه المنتجـــات بروح سمحة طالبين السلام مع الملكة (٤١ ، ٤٢) وكان من الطبيعى أن تزيـــد هذه المنتجات من ثروات خزائن معبد آمون بالكرنك (٤٤) . وقـــامت الملكـــة بنفسها والمعبودات معها بكيل أكوام المر بصاع خاص بالكيل والإشراف أيضـــا على وزن البخور الطازج وكياسه وتسجيله (٤٦ – ٥١) وذلك فـــى احتفـــال رسمى وشعبى . كما قامت الملكة بنفسها بتجربة دهن جسدها بأحســـن أنـــواع البخور من بونت (٥٣) . ولهذا لقبت الملكة بلقب " ســـيدة بونـــت " (٤٢) .

كما أمرت الملكة بزرع شتلات الـ ٣١ شجرة من المر على جانبى معبد آمـون فى حديقته وأرادت أن تصنع له نموذج أصلى لبونت فى حديقتـه (٣٧ ، ٥٩ ، ٦٢) وتعهدت الملكة برعاية هذه الأشجار حتى تغمر بروائحها عنـان السـماء والأرض (٥٩) ويتمتع المعبود بروائحها الطيبة فى حديقة معبده عندما يتجـول فيها (٦٢) .

ومما يؤكد وقوع بونت في جنوب مصر ما جـاء فـى نـص مسـلة حتشبسوت من أن " سلطانها يمتد من بلاد بونت التى أحضرت لها المر والبخور " جنوبا حتى " حدود آسيا ومنها يحضر لها الفيروز " شمالا " (٦٤) .

أما بقية النصوص الأخرى من عصر الدولة الحديثـة فتذكـر الاسـم بونت (Pwnt) (٦٤ – ٩٤) وكتبت مرة واحدة باونت (P3wnt) (٨٩) .

أما بالنسبة للموقع فنجد نص من عصر الملك تحوتمس الثالث تجعـل من تا – نثر تقع فى الشرق (٦٥) ونصوص أخرى تجعلها تقـع فـى شـمال الجزيرة العربية أو فى فلسطين وسوريا (٦٩ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٨٤ أ ، ٩٣) .

ويفهم من بعض النصوص الأخرى أن بونت كانت تقع فـى جنـوب الحدود المصرية (٦٧ ب – ج ، ٧٠) بينما تضعها نصـوص أخـرى جهـة الشرق (٧٧ د ، ٨٠ ب ، ٨٥ أ – ب) واستمر تدفق البخور والمر مـن بعـد عصر الملكة حتشبسوت وكان يحتار من أحسن الأنواع ويخـزن فـى مخـازن للبخور أو العطور بمعبد الكرنك (٦٦) كما أن جزية أهل أو زعمـاء بونـت كانت تحضر إلى ملك مصر فى شكل كميات كبيرة من المر أو الزيوت العطرية والهدايا أو العطايا (٦٧ أ – ب ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣) . واستمر تدفـق الصمـغ والمر الثمين فى عصرى سيتى الأول ورمسـيس الثـالث (٨٠ ب ، ٨٤ ب – ٨٥ أ) . كما وردت كميات كبيرة من الصمغ لعـدة معـابد (٦٧ أ ، ٩٢) . وكان من بين العطايا التى قدمت لمعبد ايونو فى عصر رمسيس الثالث كميـات من الصمغ السود الخام الواردة أيضا من بلاد بونت (٨٨) . كما كان يحتفـظ فى بعض مقابر بعض ملوك عصر الدولة الحديثة بـالصمغ والبـهارات (٧٦

حاشية (٣)) كما أحضر المنتج إششن من بلاد بونت فى عصر الأسرة التاسعة عشرة (٩٢ حاشية ٤) .

وفى النص المصاحب لمنظر الميلاد المقدس لحتشبسوت يخبرنا أن جسد أمها الملكة أحمس حتب تمحو غمر بواسطة عطر المعبود (آمون) ذلك العطر القادم من بونت (٤٣ ب) ونجد نفس الحدث فى المنظر الذى يقص علينا قصة الميلاد المقدس لامنحتب الثالث فى معبد الأقصر نجد أن القصر كان مغمورا بعطر المعبود آمون ، ذلك العطر الذى أحضر من بونت (٧٨) كما أحضرت نفس المنتجات من تا - نثر (٧٢ ، ٨٠ أ) .

كما أنه كثر تمثيل أهالي أو زعماء بونت فى مقابر النبلاء فى البر الغربى فى عصر الدولة الحديثة جاءوا ليعبروا عن ولائهم لملك مصر وكسب صداقته وحملوا معهم أفضل ما تنتجه أرض بونت (٦٧ ب - ج) وحرص الفنان على أن يصورهم بدقة متناهية بملامحهم الأصلية وخصائصهم الجسمانية وملابسهم (٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٩) كما صور فى معبد أبيدوس من عصر الملك رمسيس الثانى أحد أهالى بونت الذى كان يفتخر بجودة نباتات العطر فى حدائق بونت (٨٣) . كما صور أحد أهالى بونت وهو يشترك فى أحد الاحتفالات الدينية الخاصة بالمعبود مين فى معبد مدينة هابو من عصر الملك رمسيس الثالث (٨٦) . وكان الطريق المستخدم إلى بونت فى عصر الرعامسة هو البحر الأحمر (٨٧ ، ٨٩) .

وهناك نص يحدثنا عن أن بونت كانت ضمن البلاد التى هزمها تحوتمس الثالث فى الجنوب علماً بأن هذه البلاد لم تتعرض لأى غزو عسكرى من قبل أى ملك مصرى على مر العصور (٦٨) . ولكن إذا كان النص رقم ٧١ يحدثنا عن تواجد الملك تحوتمس الثالث هناك فهذه هى المرة الأولى التى ذكر فيها مثل هذا الحدث ، ولو أننا نرى فى هذا النص نوع من الدعاية العسكرية لإظهار أو الترويج لقوة الملك العسكرية . كما تحدثنا بعض النصوص

عن وجود " كخزن للمر " فى معبد الكرنك (٦٦ أ – ب) وكان يتم فـى هـذا المكان " استخراج عصير الروائح الثمين " (٦٦ ب) .

واستمرت السيادة الدينية لبعض المعبودات المصرية فى بـلاد بونـت فأقامت الملكة حتشبسوت تمثالا لأمون على شواطئ بونت أمام مدرجات المـر (٢٤ أ – ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) وأن المعبود آمون كان يحمل لقـب " حـاكم بونت " (٢٤ أ – ب ، ٢٥ ، ٧٤ ، ٩٤) . وأن حتحور كـانت سـيدة بونـت (٢٩ ، ٣١ ، ٣٨) أو حتحور سيدة المر (٦٣) . وكان تحوتى سيدا لبونـت (٨٢) وجاء رع إلى بونت (٣٢) وخلقت بونت من أجل حور خنتي خيتـي (٩٠) وقدم رن – وى من بونت (٩١) وكانت تترأس تا – نـثر (٩٣) . وكان هناك تاسوع كبير يعبد فى بونت ويوفر الحماية السحرية لتمثـال آمـون هناك (٢٤ أ – ب) .

(٤) أما نصوص العصر المتأخر فهى قليلة ، ولكن نخرج منها بأن اسم بونت كـان يكتب بونت Pwnt (٩٧ ، ٩٩) وأحيانـا بونتـت (Pwntt) (٩٦ ، ٩٩) ويشير نصان إلى أنها تقع فى جنوب الحدود المصرية (٩٦ ، ٩٧) ونص لـم يحدد موقعها (٧٨) وأنها كانت مصدرا للمر المجفف (cntyw šw) (٩٦) والأشياء المختارة (٩٩ ب) وأن أفق آمون يسطع فى سماء بونـت (٩٩ أ) أما تا – نثر فكانت تشمل فلسطين وسوريا (٩٥) .

(٥) أما بالنسبة لنصوص العصر البطلمي – الروماني فهى عديدة ومتنوعة فنجـد أن الاسم كان يكتب فى أغلب الأحوال بونتت (Pwntt) (١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٥) . وأحيانا كـان يكتب بوننت (Pwnnt) (١٠٢) وأحيانا يكتب بالطريقـة القديمـة بونـت (Pwnt) (١٤٨) وأحيانا بطريقة مختصرة بونى (Pwn) (١١٧، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٥٤) . وكان يتبع الاسم مخصص سلسلة الجبال . أما بالنسبة لاسـم

تا – نثر فكان يكتب فى أغلب النصوص البطلمية T3 - ntr فيما عدا نصين كتبا بالمثنى والجمع T3wy – ntrw (١٢٨ – ١٣٥) .

أما بالنسبة للموقع فنجد ثلاثة أنواع من النصوص ، النوع الأول لا يحدد الموقع الخاص ببونت أو تا – نثر بنوع من الدقة ولكن تذكره بوجه عام (١٠٢ ، ١٠٣، ١٠٤ ، ١٠٥، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩) .

أما النوع الثاني فيجعلنا نفهم أنها تقع فى جنوب مصر وذلك عندما يقال للملك البطلمى أنه ملكا أو حاكما أو سيدا لبونت أو تا – نثر على أساس أن هذه المناطق تمثل الامتداد الطبيعى لحدود مصر الجنوبية (١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨) . وهناك ثلاثة نصوص صريحة تضعها ضمن مناطق الجنوب (١٢١ ، ١٣٨ ، ١٣٩) . أما النوع الثالث فيربط بين تا – نثر وبونت أو بونت وتا – نثر (١٠٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣) .

كما أن المر والبخور والروائح العطرية كانت من مواد القرابين الأساسية التى تقدم للمعبودات فى المعابد الرئيسية من هذا العصر وخاصة فى معابد ادفو ودندرة واسنا وفيلة ومداموود وطود ودير الشلويط وغيرها .

فنجد أولا أن نص زيد – ايل ذلك التاجر المعينى الذى عاش فى عصر بطلميوس الثانى أو السادس يخبرنا بأنه كان يمد المعابد المصرية بمقادير من المر وقصب الطيب مقابل أقمشة مصرية (١٠١) .

أما بالنسبة لنصوص المعابد البطلمية – الرومانية فتحدثنا عن بونت وتا – نثر ومنتجاتهما بطريقة أو بأخرى . فعندما يقول الملك أنه أحضر بونت أو تا – نثر للمعبود أو عندما يجيب المعبود بأنه أعطى بونت أو تا– نثر للملك ،

فهذا يعنى أن اسم المكان يجسد كل ما ينتجه مـن ثـروات (١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٥٨) . فمن بلاد بونت كان يحضر المـو (ihm) (١٠٣ ، ١١٧) والمر أو العطـور (cntyw) (١١٣ ، ١١٨ ، ١٣٠ – ١٤٩) والبخـور – 3tf (١١٩) والنباتـات العطريـة (h3w) (١١٠ ، ١١٣ ، ١٥٩) منـها النباتـات العطرية الطويلـة h3w 3w (١٥٥) وأشـجار العطـر (nnibw) (١٥٥) والخشب – عو (١٤٣) والفيانس (١٤٥) ومنتجاتـها أو ثرواتـها بوجـه عـام (١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٧) أو " ما يأتى من داخلها " (١٠٠ أ – ب) .

أما تا – نثر فكان يحضر منـها المـر (cntyw) (١١٠) والبخـور – 3tf (١١٧) والروائح العطرية (hdw) (١٠٣ ، ١٢٠) والصمـغ – Snn (١٤٣) ومنتجاتها أو ثرواتها بوجه عام (١٣٧ ، ١٥٨) . وفى مقـبرة بيتوزيريـس نـرى مناظر تمثل صحن النباتات العطرية من بونت وعصرها لاستخراج العطـر (١٠٠ أ – ب) .

وكانت كل هذه المواد العطرية تقدم للمعبودات فى المعابد الرئيسية مـن هـذا العصر . كما أن تمثال المعبود فى قدس الأقداس كان معبقا بروائح البخـور الطيبـة التى تأتى من تا – نثر (١٢٠) .

كما أن السيادة على تا – نثر وبونت ظلت لبعض المعبودات المصرية وتـأتى فـى مقدمتـهم حتحـور ، التـى يقـال لـها أن عطرهـا وروائحـها مـن تا – نثر وبونت (١١١) المقصود هنا روائح تمثالها فى قدس الأقداس . وأنـها " سيدة – تا – نثر " (١٢٥ ، ١٣٦) ،حاكمة تا – نثر (١٥٢) .

" الحاكمة فى بونت " (١٣٠) " السيدة فى جبل بونت " (١٣٠) ، " سيدة بونـت " (١٤٢) ، " سيدة البخور " (١٣٦) " عين رع التى تأتى من بونت " (١٥٤) نيت " حاكمة بونت " (١٠٤) ، " سيدة بونت " (١٠٦) " ملكة بونت " (١٠٧) " سيدة تا – نثر " (١٠٥ ، حورس " بحدتى سيد بونت " (١٢٤ ، ١٤٧) " كبير تا – نـثر وبونت " (١٢٣) ، " الذى يقدر تا – نثر وحاكم بونت " (١٦٠)، " الصقر المقـدس الذى يأتى من بونت " (١٦١)، وآتوم من تا – نثر (١٦٢)، ميـن البـاحث عـن الثروة الطبيعية لبونت (١٤٤)، ثم ابن رع الفنكس الذى يجوب بونت (١٠٩) .

كما أننا نجد وفود بعض رجال بونت من أهل المناجم (الخبستيو) أو جامعو الصمغ الخام الذين جاءوا للمشاركة فى احتفـــالات بعــض المعبــودات المصرية مثل حتحور وموت فى معابد الكرنك ومداموود من هذا العصر (١١٤، ١٥٦) .

وبعد استعراض ما جاء فى نصوص كل عصر من معلومات تخص بــــلاد بونت وتا – نثر سوف نحاول الآن تصنيف هذه المعلومات فى أربعة محاور رئيسية هى :

الاسم ومعناه ، الموقع ومحاولة تحديده ، الأهمية كمصدر للبخور والمــواد الأخرى ، وتأثير الديانة المصرية فى هذه المناطق البعيدة نقول انه :

أولا – بالنسبة لكتابة الاسم فإن أغلب النصوص من عصر الدولة القديمــة حتى العصر البطلمى – الرومانى تكتبها بونت (Pwnt)[1] (٢، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ أ – ب ، – ٦٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٤ ب ، ٨٥ ب) . وفى نص واحد كتبت بـــــاونت (P3wnt) (٨٩) . وفى العصرين المتأخر والبطلمى – الرومانى كانت تكتـــب فــى أغلــب الأحوال بونتت (Pwntt)[2] (٩٦ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٩، ١٥٠ ، ١٥٥) ونادرا ما كتبت بوننت (Pwnnt) (٩٦ ، ١٠٢) وأحيانـــا تكتب باختصار بون (Pwn) (١١٧ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٥٤) .

ولذا فمن الأفضل نطقها وكتابتـــها بونـــت (Pwnt)[3] لأن هـــذا النطـــق

---

(١) Wb I, 506, 15.

(٢) Wb I, 506, 15.

(٣) ينطقها البعض بوانى ، بونى ، بوانيت ، بينه ، بونه ، طبقا لما هو معروف فـى لغة أهل السواحل والبانتو فى شرق أفريقيا ، راجـــع : Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 248 n. (4); Id., in Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 109 n. (2).

والكتابة هما الأكثر استخداما والأكثر شيوعا فى جميع النصوص . كما أن المخصص المصاحب لهذا الأسم كان دائما مخصص سلسلة الجبال .

أما عن تا – نثر فكانت تكتب فى أغلب النصوص تا – نثر (T3 – ntr)[1] وفى نص لحتشبسوت (٥٦) وفى نصين من العصر البطلمى – الرومانى كتبت تاوى – نثرو (T3wy – ntrw) (١٢٨ ، ١٣٥) .

أما بالنسبة لمعنى الاسم فنقول أن التعبير تا – نثر لا يمثل أية مشكلة بالنسبة لمعناه فمعناه واضح ويعنى " أرض المعبود " والمقصود بالمعبود هنا هو رع[2] الشمس التى تشرق من الشرق وتنشر أشعتها وضوئها على أكبر مساحة من الأرض . أما بالنسبة للتسمية تاوى – نثرو فربما قصد بها أراضى الوجهين القبلى والبحرى .

-- وينطقها د. صالح بوينة ، راجع : د. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ ، ١٣٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٦٥٠ ، ٥٩١ (الفهرس) ؛ وأيضا نفس النطق عند د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، ١٩٧٨ ، ص ٨٠ – ٨١ . أو بنت عند د. جمال مختار فى : تاريخ الحضارة المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ ، ص ٩٨ ؛ د. عاطف عبد السلام : موقع بنت وتجارة اللبان فى ظفار ، بحث قبل للنشر فى مجلة الجمعية السعودية للدراسات الأثرية ، ١٩٩٤ ، ص ٢ – ١٢ .

(١) راجع أيضا : Wb V, 225, 1 – 21; Saleh, BIFAO 72, p. 262 n. b
يذكر اوفرر أنها أحيانا تكتب تا – نثرو (T3 – ntrw) راجع : Aufrere, op. cit., p. 220 (IV) (A – B) .

(٢) Erman – Ranke, la Civilisation Egyptienne, Paris (1963), p. 676.

أما بالنسبة لبونت فلم يحاول العلماء أو الباحثين تفسير معنى هذا الاســم . وفى رأينا أنه تعبير جغرافى مكون من كلمتين P بمعنى " موضع ، مقر "(١) و wnt جاءت من فعل Wn بمعنى " يفتح أو يخترق " .(٢) ونجدها فى التعبير المستخدم فـى استغلال المناجم Wn dww " فتح الجبال أى استغلالها "(٣) ولهذا نقترح للاسم P – wnt معنى " مقر (أو موضع أو مكان) استغلال (المحاجر) " . ومما يؤكد هـذا المعنى ان مخصص الاسم فى أغلب النصوص إن لم يكن جميعها هـــو مخصــص سلسلة الجبال .

وبناء على ذلك يمكن ترجمة اسم البونتيين (Pwntyw) بمعنى : " مقــر (أو موضع) مستغلو (المحاجر) " (٤٤) وهم أيضا الخبســتيو (ḫbstyw) أى " أهل المناجم أو المحاجر " (٥٨) .

ونجد مفهوم استغلال المناجم أو المحاجر الموجودة في جبـــال بونــت أو استغلال المدرجات التى تنمو عليها النباتات العطرية وأشجار البخـــور فـــى عـدة نصوص :

أ – فنجد أن بعض النصوص تحدثنا عن " منجم (أو محجر) بونت " (١٧، ١٩، ٢٣) .

ب – والبعض الأخر يحدثنا عن " الثروات (الطبيعية) لبونت " (٤٤ ، ٤٥) .

ج – وهناك نوع ثالث من النصوص يحدثنا عن " ثروات كل الجبل " فـــى بونــت (٢٨) أو " الثروات (الطبيعية) لجبل أو جبال بونت " (٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ،

---

(١) Wb. I, 489, 3 = Meeks, Alex. I, p. 125.

(٢) Wb. I, 311, 2 = Meeks, Alex. I, p. 89; Aufrere, op. cit., p. 69.

(٣) Aufrere, op. cit., p. 69 n. (149 – 153).

كما يستخدم الفعل wn فى الحديث عن " فتح أو شـق الأرض أو الشــواطئ أو الطرق " ، راجع : Wb I, 312, 3; Meeks, Alex. I, p. 89

٥٢) أو بطريقة مختصرة " المناطق الجبلية " (٣٠) .

د - وهناك نوع رابع من النصوص يحدثنا عن " (سكان) جبال بونت " (٧٧) أو " كل (سكان) جبال بونت " (٨٠ ب ، ٨٤ ب) أو " كل سكان جبل بونت " (٨٥ أ) . أو بطريقة مختصرة " جبل بونت " (٨٧ ، ٩٧) .

هـ - وهناك نوع خامس من النصوص يحدثنا عن " مدرجات المر " التى تنمو عليها النباتات أو الأشجار العطرية أو المر (٢٤ ب، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٥٦) أو يقال أيضا " جبل المر " (١٣٠) ويحدثنا نص آخر عن " نباتات بونت " (٨٣) .

و - كما أطلقت نصوص الملكة حتشبسوت على بلاد بونت ست صفات هى :

- " البلد المقدس " (T3 – ntr) (٢٤ ب ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩) . وتتشابه بونت فى هذه الصفة مع اسم تا - نثر وتعبر عن ارتباطها بهذا المكان أو هذا التعريف الجغرافى .[١]

- " المكان المقدس " (St – dsrt) (٢٤ أ – ب) . وتتشابه بونت فى هذه الصفة مع اسم قدس الأقداس فى المعابد المصرية وتتشابه فى هذه الصفة مع اسم الجبانة[٢] . وتعبر هذه الصفة عن ارتباط منتجاتها بالأماكن المقدسة والمراسم الجنائزية وعالم الموتى . وكما رأينا سابقا فقد عثر فى بعض المقابر الملكية من عصر الدولة الحديثة على الصمغ والبهارات من بونت (٧٦) .

---

(١) وقد اشار جيمس أن بونت تسمى أيضا تا - نثر ، راجع : James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1979), p. 36.

(٢) Wb. V, 228, 9.

- " الأرض العظيمة " (T3 – wr) (٢٨) . وتتشابه بونت فى هذه الصفة مع اسم الجبانة أو الغرب . [١]

- " المحبوبة " (mryt) (٢٤ ب) وتتشابه بونت فى هذه الصفة مع اسم مصر " البلد المحبوب " (T3 – mry) (٣٢ ، ٣٤ ، ٤١) .

- " كم هو مخضر البلد المقدس " (W3dw T3 – ntr) (٣٢) .

- " الشاطئ المقدس للبلد المقدس " (idb pw dsr n T3 – ntr) (٥٧) .

ثانيا – وبالنسبة لمحاولة تحديد الموقع ، فاننا وجدنا أربعة أنواع من النصوص : نصوص تحدثنا عن بونت أو تا – نثر بوجه عام ، ونصوص أخرى تضعها جنوب الجزيرة العربية ، ونصوص ثالثة تضعها جنوب الحدود المصرية ، ونصوص رابعة تجعل بونت جزءا من تا – نثر .

أ - ففى نصوص عصر الدولة القديمة وجدنا أن هناك نصوص لا تحدد الموقع (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ويفهم من بعضها الآخر أن بلاد بونت تقع فى الجنوب (٦) وكانت بعض الرحلات البحرية تتجه إليها عن طريق البحر الأحمر (٧) .

ب – أما نصوص عصر الدولة الوسطى فنجد أن بعضها لم يحدد الموقع بالتحديد (٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢١) . ويفهم من بعضها الآخر أنها تقع جنوب الجزيرة العربية (١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣) وأن بونت ارتبطت بتا – نثر (١١) .

ج – أما نصوص عصر الدولة الحديثة وخاصة فى نصوص حتشبسوت فيفهم من أغلبها أن بلاد بونت تقع جنوب مصر وأن الجزء الأكبر منها يقع فى أفريقيا فتحدثنا نصوص حتشبسوت عن شواطئ بونت التى تطل على البحر الأحمر

---

(١) Meeks, Alex. I, p. 412.

(٢٤ أ - ب ، ٤١ ، ٤٤) أو مدرجات المر الجبلية التى تقع على شاطئ البحر الأحمر (٢٤ ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٥٦) وأن زعيم بونت جاء حاملا معه هداياه للمبعوث المصرى على شواطئ البحر الأحمر (٣٥) كما جاء كبار بونت لاستقبال أعضاء البعثة المصرية (٣٢) كما أن تمثال آمون والملكة وضع على شاطئ بونت أمام مدرجات البخور التى تطل على البحر الأحمر (٢٤ أ - ب ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) ومن بين هذه النصوص العديدة نجد أن بعضها يجعل تا - نثر جزءا من جنوب الجزيرة العربية (٦٥ ، ٧٢) وأنها بلاد كثيرة الخضرة (٣٢) . وهذا يذكر بالصفة التى أطلقت على اليمن فيما بعد " اليمن السعيد " . بينما تضعها أربعة نصوص أخرى ضمن مناطق الجنوب مع بلاد النوبة العليا وكوش والسودان (٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٤) وخمسة نصوص أخرى من عصر الدولة الحديثة تضعها فى الجنوب (٦٧ ب - ج ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤) . وهذا المفهوم نجده واضحا فى ثلاثة نصوص التى تجعل من المعبود آمون سيد القبائل المجاو فى الجنوب وحاكما لبونت (٢٤ أ - ب ، ٢٥ ، ٧٤ ، ٩٤) . كما أن نص بردية ليدن من عصر الدولة الحديثة يؤكد هذا الموقع لأن حورس اعتبر سيدا للنوبة والذى من أجله خلقت بلاد بونت (٩٠) أى أنه اعتبر سيدا للنوبة وما ورائها فى الجنوب .

وهناك نصوص أخرى من عصر الدولة الحديثة تضعها فى الشرق مثل نص من عصر تحوتمس الثالث الذى يضع تا - نثر فى الشرق (٦٥) وخاصة جنوب الجزيرة العربية حيث كانت تعبد النجوم .

أما نصوص امنحتب الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثالث فتضع بونت جهة الشرق صراحة (٧٧ ، ٨٠ ، ٨٤ أ - ب) .

ويفهم من نصوص عصر الدولة الحديثة أن بلاد بونت كانت تشمل المنطقتين جنوب الحدود المصرية على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وأقصى جنوب الجزيرة العربية فى الشرق على الساحل الأسيوى للبحر الأحمر .

د - أما نصوص العصر المتأخر ، فهناك نص لا يحدد الموقع (٩٨) ويفهم من نص بعنخي أن تا - نثر كانت تشمل سوريا وفلسطين (٩٥) وهناك نصان خر ن يجعلان بونت تقع فى الجنوب (٩٧ ، ٩٩) .

هـ - أما نصوص العصر البطلمى - الرومانى فنجد فيها الأربعة أنواع من النصوص نصوص لا تحدد الموقع ببونت أو تا - نثر (١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩) .

وهناك نوعية ثانية من النصوص تجعل الملك البطلمى ملكا أو حاكما أو سيدا على بونت أو تا - نثر فيفهم ضمنا أنه كان ملكا أو سيدا على بلاد تمثل أقصى الامتداد الطبيعى للحدود المصرية نحو الجنوب (١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠) .

وهناك نوعية ثالثة تضعها صراحة ضمن أقصى الحدود الجنوبية لمصر (١٢١ ، ١٣٨ ، ١٣٩) وأخيرا هناك نوعية رابعة تجعل من بونت جزءا من تا - نثر أى جزءا من جنوب الجزيرة العربية (١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣) .

ونخرج من كل هذا بالنسبة للموقع أن بلاد بونت وتا - نثر كانت تشملان المنطقتين بالشاطئ الأسيوى والأفريقى للبحر الأحمر أى شرق وجنوب الحدود المصرية . فالنصوص التى تضعها على الشاطئ الأسيوى فى الشرق هى أرقام (١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٧٧ ، ٨٤ ب ، ٨٥ أ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٤٣) .

أما النصوص التى تضعها على الشاطئ الشرقى لأفريقيا فى الجنوب هى أرقام (٦ ، ٢٤ أ - ب ، ٤١ ، ٤٢ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ،

١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ . ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٧) .

وهذا الرأى يؤكد الرأى الذى ذكره كل من د. أحمد فخرى مـر ن بلاد بونت هو اسم عام يطلق على المنطقة القريبة من باب المندب وتشمل كـلا من الشاطئين الأفريقى والأسيوى . أى أن هذه البلاد كانت تشمل ما نعرفـه الآن باسم جنوبى الجزيرة العربية والصومال وارتيريا " .[١]

وهذا ما ذكره د. صالح أيضا ورأى أن " بلاد بونـت تشـمل منطقـة الصومال وارتيريا وربما ضموا إليها ما يقابلها من الجنوب الغربى لبلاد اليمـن فى بعض العصور "[٢] وهو رأى صائب .

وينكر فى دراسة أخرى " انه بحكم موقع الجزيرة العربية شرق مصـر فإن ذلك يرجح أن تا - نثر كانت موجودة فى هـذا المكـان الشـرقى وذلـك لارتباطها بالبخور ومنتجاته .[٣] وان تا - نثر كانت تضم بونت الأفريقية .[٤]

---

(١)د. أحمد فخرى فى : تاريخ الحضارة المصرية ، مكتبة النهضـة المصريـة ، ١٩٦٢ ، ص ٦٠٥ ؛ نفس المؤلف : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، مكتبـة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ حاشية .

(٢)د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعـراق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، طبعـة ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ . ويـرى د. صـالح أن مناظر أكواخ بونت فى نقوش معبد الدير البحرى تشبه إلى حد كبـير الأكـواخ التى رآها الرحالة فى بحر الغزال فى الشكل والبناء ، راجع :

Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 249 n. (b).

(٣) Saleh, op. cit., p. 248 – 249 n. (1), 262 (a), Id., in Suppl. BIFAO 81 (1981), p. 107 – 115 .

(٤) Saleh, BIFAO 72, p. 256 n. (3), 257.

ويمكننا أن نضيف إلى رأى د. صالح أن المصريين القدماء ضموا إلى بونت ما يقابلها من الجنوب الغربى لبلاد اليمن فى بداية الأسرة الحادية عشرة (١٤) ومما يؤكد هذا الرأى أيضا أن لفظ بونت ذكر فى النصوص المصرية ابتداء من عصر الدولة القديمة[١] أما لفظ تا - نثر فلم يظهر إلا ابتداء من عصر الدولة الوسطى[٢] ولهذا لم ترتبط بونت بتا - نثر إلا ابتداء من عصر الدولة الوسطى أى أن بونت كانت تشمل الجزء الأكبر من الساحل الشرقى لأفريقيا وجزءا من الساحل الأسيوى للبحر الأحمر .[٣] ويخبرنا النصين أرقام ٣٤ و ٣٥ بأن مدرجات مر بونت كانت تقع على شاطئ العظيم الأخضر (gswy W3d wr) أى أن الكاتب استخدم كلمة شاطئ بالمثنى مما يدل على أن المقصود بالشاطئين هما الشاطئ الآسيوى والأفريقى للأخضر العظيم (البحر الأحمر) .

وهذا الرأى يؤكد ما ذكره لففر فى مؤلفه عن الأدب بأن " اسم بونت كان يشمل حتى نهاية الدولة الوسطى الساحل الغربى للبحر الأحمر من سواكن حتى مصوع وكذلك الجزر الموجودة فى مواجهة هذا الساحل . (وهذا ما يشير إليه النص رقم ٢١ أ - ج) وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة امتدت هذه التسمية حتى شملت بقية الساحل حتى خليج جرد فوى (بلاد الصومال على ساحل البحر الأحمر وخليج عدن) وليس من المستبعد أن هذه التسمية أصبحت تشمل فى عصر لاحق الساحل المقابل للجزيرة العربية وخاصة اليمن .[٤]

---

(١) Wb I, 506, 15.

(٢) Wb V, 225, 2.

(٣) يرى د. صالح ان اختلاط العنصر الآسيوى بالأفريقى نشاهده فى أشكال مبعوثى أراضى تا - نثر المصورين فى مقبرة بويمرع رقم ٢٩ بالبر الغربى من عصر تحوتمس الثالث ، راجع : Saleh, BIFAO 72, p. 260 n. (3)

(٤) Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens, Paris (1949), p. 30.

ثالثا – نظرا لأهمية المر والبخور والعطور ومنتجات المناجم فى حياتهم اليومية فإنهم اهتموا بإرسال البعثات إلى تلك البلاد البعيدة منذ عصر الدولة القديمة تارة بطريق البر وتارة أخرى بطريق البحر (٢ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ – ٦٣ ، ٨٧) فمنذ عصر الدولة القديمة وما تلاها من عصور كانت بلاد بونت مصدرا للذهب والأخشاب الثمينة والأحجار الكريمة وثروات المناجم والأبنوس والصمغ والجلود (٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨) وأيضا مصدرا للمر وللمر الطازج والنباتات العطرية[١] (٩ ، ١١ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ب ، ٢٣) اللازمة لطقوسهم اليومية .

---

(١) وهذا ما أكده لنا الكاتب الرومانى بلينى فيما بعد (أعوام ٢٣ – ٧٩ ميلادية) من أن " شبوه " عاصمة بلاد الحضارمة قد لعبت دورا هاما فى تجارة البخور . وان الإقبال على تلك السلعة حتى وقت بلينى بالذات كان كبيرا لارتباطها الوثيق بالطقوس الدينية فى معابد الإمبراطورية الرومانية القديمة (راجع : د. عبد القادر بافقيه : تاريخ اليمن القديم ، ص ١٧٤) . ولا يختلف اثنان على أن ظفار كانت إحدى المناطق الرئيسية لإنتاج اللبان . كما أن هناك أنواعا من أشجار اللبان لا تزال تنتشر فى تلال حضرموت ومنها ذلك الذى يسمى حاليا " لبان بدوى " والذى تجئ ، حتى وقتنا هذا ، محاصيل منه إلى البر الصومالى لقصده وجمعه فى مواسم معينة . كما حدثنا بلينى عن المر ونموه فى مناطق عديدة والذى نرى أشجاره فى بعض الشعاب والأودية القريبة من شبوه . ويرى بعض العلماء اعتمادا على بلينى ، أن المر ربما كان من محصولات بلاد الشاعر فى تهامة بالقرب من باب المندب (راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٥ – ١٧٦ ؛ وأيضا دراسته عن : " البخور عصب تجارة البحر الأحمر فى العصور القديمة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز ، جده ، المجلد الثانى ١٩٨٢ ، ص ١٤١ – ١٧٤ . وأعاد نشر هذا البحث مرة ثانية فى كتابه : " البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، ص ٥٦٤ – ٥٩٥ ؛ كما تعرض لتجارة البخور فى --

فمن عصر الدولة الوسطى لدينا النص رقم ٢١ أ – ب الذى يخبرنا بما أحضر من إحدى الجزر الموجودة فى مدخل البحر الأحمر وكانت جزءا من بلاد بونت وهو المر والبخور وعطر – ḫknw ، وعطر iwdnbw ، وتوابل وبهارات ومنتج الـ š3c – cḫ ، وكحل أسود ، وذيول زراف ، وزكائب ضخمة من البخور وسن فيل وكلاب صيد وقرده ونسانيس وكل النفائس الطيبة وأحيانا يقال " المنتجات (inw) (١٩ ج ، ٢١ ج) أو كل المنتجات الطيبة لهذا البلد " (m3cw nb nfr n ḫ3st tn) (٢٦ ، ٥٨) أو " نفائس البلد المقدس " (Špssw n T3 – nṯr) (٤٤ ، ٤٦) أو " ثروات من البلد المقدس " (bj3w m T3 – nṯr) (٥٥) أو " كل شئ طيب (أو جميل) للبلد المقدس " (ḫt nbt nfrt nt T3 – nṯr) (٥٩) أو " كل النباتات العطرية الجميلة للبلد المقدس " (ḫ3w nb nfr n T3 – nṯr) (٣٩) أو " ثروات بونت " (bj3w n Pwnt) (٤٤ ، ٤٥) أو " ثـروات

-- دراسة أخرى تحت عنوان " دراسة تاريخية للصلات ومؤثرات الحضارة بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات البحر الأحمر " وكان هذا موضوع رسالته للدكتوراه ، الغير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٧٣ . ونشر ملخصا لها فى مؤلفه : " البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة " ، ص ٢٣ – ٢٧ . وأشار فى هذا الملخص إلى التشابه بين بونت واوفير وخاصة فى تجارة سلعة البخور التى كانت تجلب من المنطقتين . وذكر أن اوفير كانت تقع فى منطقة أفريقية وليس فى منطقة آسيوية كما ذكر ورأى بعض الباحثين الآخرين . وحدد لنا موقعها على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر بالقرب من خليج تاجورة فى الصومال الفرنسى سابقا (جمهورية جيبوتى حاليا) (راجع : المرجع السابق ، ص ٢٢ – ٢٣) . كما تحدث عن تجارة المواد العطرية مع مصر د. مصطفى عبد الحليم فى بحث بعنوان : " تجارة الجزيرة العربية مع مصر فى المواد العطرية فى العصرين اليونانى والرومانى ، نشر هذا البحث فى مجلد " دراسات تاريخ الجزيرة العربية " ، الكتاب الثانى ، جامعة الرياض ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٠ – ١١٥ .

جبـل بونــت " (bj3wt h3st Pwnt) (٣٩ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢) أو " ثروات كل البلد " (أو الجبل) (bj3wt h3st nbt) (٢٨) .

ومن عصر الدولة الحديثة أحضرت بعثة الملكة حتشبسوت من بلاد بونــت نفس المنتجات السابقة وكانت تتكون من نباتات عطرية جميلة وأكوام من بذور المــر وأشجار من المر الأخضر (أو الطازج) وأبنوس وعاج نقى وذهب خام ، وبــهارات وتوابل ومر وبخور وكحل أسود ونسانيس وقرده وكلاب صيد وجلود فهود وثــيران وزرافة وفهدين (٣٩) . وأشجار صلبة محملة بالمر الطازج (٥٩) وأكــوام مــن صمغ المر الطازج (٥٩) . وأحيانا تحدثنا النصوص عن المر بأنــه مــن أفضــل الأنواع (h3t, tp cntyw) (٥٣ ، ٥٤) . هذا بالإضافة إلى ٣١ شتلة من شــجر المر وبومارانج وأبنوس وعاج ومــادة التلويــن K3j - km (٤٥) . وتخبرنــا نصوص أخرى من نفس الفترة باستمرار إحضار الصمغ والمــر الثميــن (٨٤ ب ، ٨٥ أ) وأنواع أخرى من الصمغ (٦٧ أ ، ٨٨) والمر المجفــف (٩٦) وأشــياء (أخرى) مختارة (٩٩) .

وفى العصر البطلمي استمر تدفق المر (١٠٣ ، ١١٧) والبخور (١١٣ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٠ ، ١٤٩) على مصر وأيضا أنواع أخــرى مثــل بخــور 3tf (١١٩) والنباتات العطرية (١١٠ ، ١١٢ ، ١٥٩) والنباتات العطريــة الطويلــة (١٥٥) وأشجار البخــور (nnibw) (١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٦٢) والخشــب عــو (١٤٣) والفيانس (١٤٥) والصمغ سنن (١٤٣) .

وقد أتاحت لنا هذه الدراسة أن نتعرف على شكل شجرة المر (٣٩) وشكل النباتات العطرية [illegible] (١٥٥ حاشية ٦) .[1]

---

(١) هناك ما يسمى حديثا ببخور مريم وهو نبات عشبى معمر ينبت فــى أوروبــا وغربى آسيا وشمال أفريقيا وفى المناطق الجبلية ، له درنات إلى الســواد فــى شكل اللفت ، وساقه قصيرة وأوراقه كبيرة على شكل القلب ---

ويخبرنا النصين رقمى ٥٩ ، ٦٠ أن النباتات العطرية كانت تحضر وتعصر على التو بمجرد وصولها إلى مصر للحصول على العطور الزيتية .

وكانت أفضل أنواع المر والبخور والمنتجات تقدم للمعبودات (١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥) . ونعلم على سبيل المثال أنه يوجد بمعبد ادفو حوالى ١٦٠٠ منظرا تمثل تقديم القرابين للمعبودات منها ١٥٠ فقط تمثل تقديم المر أو البخور وحرق البخور ، و ٢٥٠ تمثل مجموعة من القرابين من المواد العطرية أو الأواني العطرية وأنواع الأقمشة وأدوات الزينة اللازمة لضمان الطهارة الجسدية لتمثال المعبود .[١] كما أن البخور والمواد العطرية من أهم المواد الأكثر استخداما فى الطقوس الدينية .

ففى طقوس الصباح فى المعبد كان كبير الكهنة يقوم بتقديم القرابين أى الوجبة المادية من الأطعمة ويقوم بعد ذلك بأداء التراتيل اللازمة لفتح الناووس الذي يحتوى على تمثال المعبود فى قدس الأقداس ثم يقوم بعد ذلك بتنظيف التمثال وتبخيره وكسائه وتزينه ودهنه بالزيت المعطر[٢] حتى يستطيع بعد كل تلك المراسيم[٣] أن يواجه عالمه المظلم فى قدس الأقداس .[٤] وبعدها يقوم بتقديم البخور – رمز العدالة ماعت اللذين يجعلان من المعبود نفسه يجمع بين ما هو مادى وبين عالمه الخفى

= وأزهاره حمر لكل منها عنق طويل ، راجع : المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، ١٩٧٢ ، ص ٤١ ؛ المعجم الوجيز ، ١٩٩١ ، ص ٣٨ .

(١) Cauville, Edfou, publ. IFAO, le Caire (1984), p. 78.

(٢) ولهذا لنا أن نفهم جيدا معنى ما ذكرته حتشبسوت فى نصوصها بأنها أمرت بإحضار المر أو العطر لأعضاء الجسد المقدس أى لأعضاء التمثال المقدس لآمون (٥٩ ، ٦٠) .

(٣) Sauneron, les Prêtres de l'ancienne Egypte, Paris (1959), p. 82 – 85; Morenz, la Religion Egyptienne, Paris (1962), p. 123.

(٤) Sauneron, op. cit., p. 85.

الذى تسيطر عليه قوته .[١]

وفى طقوس الظهيرة التى تشمل أساسا نثر الماء المقدس وحرق البخور أمام تماثيل المعبودات المصاحبة للمعبود الرئيسى فى المعبد وكذلك تماثيل الملوك محل القداسة فى المعبد . وتتم هذه الطقوس أيضا حول كل قدس الأقداس وأمام كل القاعات الصغيرة المخصصة للطقوس المشتركة .[٢]

وفى طقوس المساء يتكرر ما حدث فى الصباح فيقوم كبير الكهنة بتنفيذ ما قام به من طقوس فى قدس الأقداس الرئيسى ، الذى يبقى مغلقا ، فى المقاصير التى تحيط بقدس الأقداس من تقديم القرابين المادية وتكريسها وتقديم الماء المطهر وحرق البخور وتقليص حجم الأغذية ، ثم أداء عملية التطهير النهائية .[٣]

وبالإضافة إلى هذه الطقوس اليومية فإنه أثناء الأعياد الدينية التي تقام في المعابد فإن تأدية الغناء والتحية أو الابتهالات وعملية التبخير هم الغذاء المعنوى لتمثال المعبود (١٤٧) .[٤] ونعلم من النصوص الأخرى أن العطر الطيب كان يخرج من المعبودات (٦٣ ب) وأن البخور كان يساهم فى فاعلية وقدرات هذه المعبودات (٩) .

ونعلم من النصوص الأخرى أن العطر الطيب كان يخرج من المعبودات . وأن البخور كان يساهم في فاعلية وقدرات هذه المعبودات .[٥] وكان يوجد ببعض المعابد أماكن مخصصة لحفظ أكوام المر[٦]

---

(١) Sauneron, op. cit., p. 82.

(٢) Id., op. cit., p. 87.

(٣) Id., op. cit., p. 87.

(٤) Morenz, op. cit., p. 126 n. (4).

(٥) Frankfort, la Royauté et les dieux, Paris (1951), p. 187.

(٦) سجل الـ Wb حوالى ٢٠ اسما لأنواع مختلفة من المر وهي : ---

والبخور الخام[١] من بلاد بونت ففى معبد الكرنك كان يوجد حجرة تسمى " مخـــزن المر أو العطور " (Pr ḥd n cntyw) (٦٦ أ – ب) وعلى جدران هذا المخزن صورت أكوام البخور وأشجار البخور من بونت (٦٦ أ) وفى هذا المخزن كان يتم أيضا استخراج العصير الثمين (٦٦ ب) . وكان يوجد مثل هذا المكان فـــى معـــابد أخرى مثل معابد الرمسيوم ومدينة هابوودندرة (١٥٥) وادفـــو (١٣٨) (راجـــع أيضا : نص ٦٦ ب حاشية ٩) .

= 3wt – ib (= Wb I, 1), ihmt (= I, 119, 2), C3y – nd (= I, 116, cntyw (= I, 206, 7)(مر وعطور وزيت ومرهم) cntyw – w3ḏ, (مر (طازج) 14), I,), nht nt cntyw (شجرة المر) (= Wb I, 207, 1) (= 11, 283, 1) – 14) ḥt n cntyw (عود المر) (= 111, 340, 6) ḥtyw nw cntyw (206, 13 مدرجات) (= 111, 349, 9) kmjt nt cntyw (صمغ المر) (= Wb I, 206, 14) (صفة للمر) (= Wb 11, 29, 3), mm3c (نوع من المر) (= 4, 59 11) (المر) (= 11, 291, 6; b3d mšc (اسم المر) (11, 156, 16), nḥ3s – cwy (نوع من المر), ḥ3 (Wb 111, 7, 13), ḫry (111, 323, 21), ḥs ḥs (111, 333, 3), ḥss (111, 333, 4), smswn (صفة لإناء المر) (Wb 1V, 143, 9). šns – r3 – ḥt (1V, 467, 1) grn (مر مجفف) (Wb V, 182, 2).

(١) سجل الـــ Wb حوالى ستة أنواع من البخور وهي :

ḥtp (Wb 111, 196, 4), ḥms (111, 367, 9), sntr (وهو النوع الأكثر شيوعا فى النصوص) (Wb 1V, 180, 18 – 22), srw (Wb 111, 463, 5 – 6) kdrt (نوع من البخور)(Wb V, 82, 3) (حبات البخور) (Wb 11, 283, 2) (شجرة البخور) nht sntr وكـــان نوع الـــ sntr يستورد من بونت (Wb 1V, 180, 19) ومن النوبـــة (1V, 180, 20) ومن آسيا (1V, 180, 21) .

ولا أدل على أهمية بونت كمصدر للمر ونباتات الطيب من مما جاء على تابوت زيد – ايل (١٠١) إذ يذكر هذا التاجر المعينى الذى عاش فى عصر بطلميوس الثانى أو السادس أنه كان يمد المعابد المصرية بمقادير من المر وقصب الطيب . كما كان الملوك والملكات يستخدمون أيضا البخور والمواد العطرية فى حياتهم اليومية (٥٣ ، ١٥٠) وكما أن العطر كان ينبعث من أجساد المعبودات فإن ذلك كان ينعكس على شخصية الملك نفسه فهو " الملك المقدس " إذن فهو " عطر المعبودات حتى في أثناء تتويجه كان لابد وأن يطهر جسده بالبخور .[1] حتى أن المتوفي كان يتمني أن تحضر له العطور من بونت (١٠) وفى نص آخر نجد تشبيه جميل بين بونت والجبانة حيث يجد فيها المتوفى مستقرا له ويشيد منزلا له فيها على تل مسطح (١٢) وكما رأينا فى بعض مقابر ملوك الدولة الحديثة أنه عثر على أوانى بها بقايا بخور وزيوت عطرية مثل مقابر تحوتمس الرابع (٧٦) وتوت عنخ آمون ومرنبتاح (راجع نص ٧٦ وحاشية ٣) .

وأيضا كانت المواد العطرية والزيوت من المواد الهامة لمقومات عالم الآخرة الذى كان المصريون القدماء يضعونه نصب أعينهم . فلذلك يلاحظ أنه أثناء عملية التحنيط كانوا يتركون تجويف البطن والتجويف الصدرى فارغين أو يحشونهما بالكتان المشبع بالمواد العطرية أو بالصمغ أو بالقار فنعرف أنهم استخدموا أكثر من ١٣ مادة عطرية لإتمام عملية التحنيط .[2] وأخيرا استخدم حرق البخور لتكريم

---

(١) Frankfort, op. cit., p. 187 – 188.

(٢) د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ ، ص ٢٥٧ – ٢٦٩ كما أوردت بسمه قوره فى رسالتها عن " الزيوت السبعة المقدسة " أسماء وأنواع الزيوت والدهون والمراهم التى استخدمها المصريون القدماء منذ العصر المبكر حتى بداية العصر البطلمى، وجمعت حوالى ٩٤ اسما منها ٣٨ اسما لزيوت من أصول نباتية، راجع: B. Koura, Die 7 – Heiligen Ole und andere Ol – und Fettnamen, Aachen 1999, p. 160-251

وعن استخدام المواد العطرية فى عملية التحنيط ، راجع : Shimy, Memnonia 1X (1998), p.219 – 225 Fig. 12 – 18 .

أرواح الملوك السابقين والأجداد . ففى الممر الذى يلى مقصورة المعبود بتاح - سوكر فى معبد أبيدوس حيث يوجد نقش يمثل ما عرف باسم " قائمة أبيدوس " . وأمام هذا النقش نرى منظرا يمثل الملك سيتى الأول ويصطحبه ابنه الأكبر رمسيس ، وهما يقومان بتقديم القرابين وحرق البخور إلى أسماء ستة وسبعين ملكا من أجدادهم ممثلين بخاناتهم الملكية .(١)

ونظرا لأهمية مادة المر - cntyw القادمة من بلاد بونت والمشتقات المستخرجة من النباتات العطرية فإنها كانت تصحن (٢) وتطبخ(٣) وتنقى(٤) فى أماكن معينة ثم توضع فى أوانى معدة لها خصيصا(٥) وتوضع بعد ختمها بمعرفة " كتبة المر "(٦) فى مخازن خاصة بها ملحقة بالمعابد (Sšw n cntyw) ويطلق عليها اسمها " مخزن المر "(٧) (Pr ḥḏ cntyw) .

رابعا - كان التبادل التجارى وسيلة من وسائل نشر الثقافة الدينية ولذا فمن المحتمل أن البعثات التى أرسلت إلى بونت كان الغرض منها بالإضافة إلى التجارة والتبادل التجارى هونشر الديانة والعبادات المصرية فى هذه البلاد البعيدة .

---

(١) PM V1, p. 25 (229 – 230).

(٢) Shimy, Memnonia 1X (1998), p. 233 n. 36.

(٣) Id., op. cit., p. 219 – 225 Fig. 12 – 18.

(٤) Id., op. cit., p. 214 – 219 Fig. 10 – 11.

(٥) Id., op. cit., p. 218 – 219.

(٦) Id., op. cit., p. 226, 233 n. 35, 236 n. 70.
عن ألقاب الموظفين الذين يقومون بالإشراف على استخراج الزيوت والدهون العطرية والأماكن التى تتم بها سواء أكان ذلك تحت إشراف إدارة المعبد أو تحت إشراف القصر الملكى مباشرة ، راجع: B.Koura, op. cit., p. 270 – 283.

(٧) Shimy, op. cit., p. 228 n. 75.

فقد أمرت الملكة حتشبسوت بأن ينحت للمعبود آمون ولها شخصيا تمثالين لكى يقاما هناك أمام مدرجات البخور لكى يبقيا فى مكانهما إلى وقت الأبدية (٢٤ ب ، ٢٦) لكى يراهما أهل البلاد يوميا (٢٥) ولا يقتصر الأمر على وجود تمثال لآمون فى بونت ، بل أن بعض المعبودات المصرية اتخذت ألقابا تربطها ببلاد بونت ، فنجد أن آمون هو الذى يطئ مناطق الجبال (فى بونت) (٣٢) وكان يلقب بلقب " حاكم بونت " (٢٤ أ - ب ، ٢٥ ، ٧٤ ، ٩٤) . وتخبرنا النصوص عن " أفق آمون فى سماء بونت " (٩٩) إلى جانب تمثال آمون كان للمعبودة حتحور وجود فى بونت ، فحين وصلت سرية الجنود المصاحبة لبعثة حتشبسوت إلى شواطئ بونت مع قائدهم نحسى ، نجد أنهم قدموا القرابين لحتحور فى بونت (٣١) وهذا يشير إلى وجود عبادة لها هناك . ولهذا السبب نجد أن بعض النصوص تلقبها بلقب " سيدة بونت " (٩ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٨ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥٢) وسيدة المر (٦٣) فهى عين رع القادمة من بونت (١٥٤) . ويجئ بعد حتحور حورس ، فهو حور خنتى الى من أجله خلقت بلاد بونت (٩٠) أو أنه " كبير تا - نثر وبونت " (١٢٣) وهو " بحدتى سيد بونت " (١٢٤) ، " حاكم بونت " (١٦٠) ، " الصقر المقدس القادم من بونت " (١٦١) . وتأتى بعده نيت التى تترأس تا - نثر (٩٣) أو " سيدة تا - نثر " (١٠٥) ، " سيدة بونت " (١٠٦) " ملكة بونت " (١٠٧) ، " حاكمة بونت " (١٠٤) وتحوتى كان له دور هام فهو " سيد بونت " (١٥ ، ٨٢) ، ووررت " سيدة بونت " (١٦) وجب هو الذى يحضر البخور من تا - نثر (١٠) ورن - وى قدم من بونت (٩١) و " الفنكس بن رع هو الذى يجوب بونت " (١٠٩) ومين هو " الباحث عن ثروة بونت " (١٤٤) ورع " وطئ أرض بونت " (٣٢) وآتوم من تا - نثر (١٦٢) كما كان هناك تاسوع كبير " يقطن فى بونت " (٢٤ أ - ب) وفى الواقع أننا فى حاجة إلى معرفة مدى تأثير هذه المعبودات المصرية فى عقيدة أهل بونت القدماء ، وهذا التساؤل يحتاج إلى دراسة متعمقة من قبل علماء دراسات علم المصريات القديمة أو حضارات الشرق الأدنى القديم .

وبفضل كل هذه النصوص وما أمدتنا به من معلومات نكون قد أوضحنا عدة أمور أولا بالنسبة للقراءة الصحيحة للاسم ومعناه المحتمل ، وحددنا موقع بونت التى كانت تشمل الشاطئين الأفريقى والأسيوى للبحر الأحمر .

ونكون بذلك قد وضعنا حدا للآراء المتباينة والتى اختلفت حول تحديد موقع بونت وتا - نثر ، اللتين ارتبطتا اسميا فى عصر الدولة الوسطى على أنهما الأراضى التي تنتج المر والبخور والمواد العطرية والأحجار الثمينة ومنتجات أخرى كانت هامة وضرورية للمعابد المصرية ولمقاصيرها ولطقوسها المختلفة ولملوكها ولملكاتها ولزينتهم ولقصورهم ولمنازلهم ولمتاع مقابرهم ولزينة وتحنيط موتاهم ولتكريم أرواح أجدادهم ولكافة مظاهر حياتهم اليومية والدينية .[١]

لهذا كانت بلاد بونت محل تقدير كبير من المصريين القدماء فقد ذكروها على أنها " البلد المقدس " (٢٤ ب ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩) أو " المكان المقدس " (٢٤ أ - ب) ، (ولهذا ارتبطت بعض المعبودات المصرية بأرض بونت) " الأرض العظيمة " (٢٨) ، " المحبوبة " (٢٤ ب) . وهذه الصفات كانت تعبر عما فى فكرهم عن هذه البلاد فهم لم ينظروا إليها بنفس النظرة التى نظروا بها إلى بعض البلاد الأخرى التى كانت بينها وبين مصر علاقات تجارية أو ثقافية سواء فى الجنوب أو فى الشرق أو الغرب ، وهذا مما دعي بعض العلماء إلي الاعتقاد بأن بلاد بونت هي بلد أو موطن الأجداد البعيدين للمصريين القدماء .[٢]

---

(١) Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 262; Erman – Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 687.

(٢) Cottrell, les Epouses des Pharaons, p. 55.

النقوش والآثار التي تبين التأثير المصري :

بعد أن استعرضنا كل ما جاء بالتفصيل في الدراسة التي قمنا بها عن " بلاد بونت وتا - نثر " اعتمادا على النصوص نعود إلى الحديث عن العثور عن نقوش عديدة اكتشفت في الصحراء الشرقية بين نهر النيل والبحر الأحمر تشير إلى نزوح عدد من سكان شبه الجزيرة العربية إلى المناطق الشرقية لمصر في عهد البطالمة .[١]

وذكر اسم مصر في نقش معيني محفور على سور مدينة براقش ، دونه رجلان هما " عم صدق بن هم عثت " و " سعد بن والج " وقد كانا كبيرين على المصرية " مصرن " وعلى " معين المصرية " (معين مصرن) وهو الاسم المعيني لمستوطنه معينية . وقد أمرا بتدوين هذا النقش شكرا لمعبودات معين لأنها أنقذت القافلة التجارية من الوقوع في أيدي الغزاه . ويرجع هذا النص إلى القرن الرابع ق. م . (٣٤٣ ق. م) .[٢] كما عثر على كتابات معينية على صخور وادي الحمامات ووادي عباد . وترجع بعض هذه النقوش إلى عهد قمبيز عندما غزا مصر .[٣] وبعضها الآخر يرجع إلى عصر البطالمة . كما عثر على نقوش سبئية ونبطية محفورة على صخور الصحراء الشرقية .[٤]

عثر في اليمن على قطع أثرية مصرية منها جعارين وتمائم وخرز في

---

(١) د. لطفي عبد الوهاب : المرجع السابق ١٥٤ ؛ راجع : مقال د. عبد المنعم عبد الحليم " الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام " نشر في مؤلفه " البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة " ، ص ٤١٨ - ٤٤٠ .

(٢) أمل بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٥ .

وبفضل كل هذه النصوص وما أمدتنا به من معلومات نكون قد أوضحنا عدة أمور أولا بالنسبة للقراءة الصحيحة للاسم ومعناه المحتمل ، وحددنا موقع بونت التى كانت تشمل الشاطئين الأفريقى والأسيوى للبحر الأحمر .

ونكون بذلك قد وضعنا حدا للأراء المتباينة والتى اختلفت حول تحديد موقع بونت وتا - نثر ، اللتين ارتبطتا اسميا فى عصر الدولة الوسطى على أنهما الأراضى التى تنتج المر والبخور والمواد العطرية والأحجار الثمينة ومنتجات أخرى كانت هامة وضرورية للمعابد المصرية ولمقاصيرها ولطقوسها المختلفة ولملوكها ولملكاتها ولزينتهم ولقصورهم ولمنازلهم ولمتاع مقابرهم ولزينة وتحنيط موتاهم ولتكريم أرواح أجدادهم ولكافة مظاهر حياتهم اليومية والدينية .[١]

لهذا كانت بلاد بونت محل تقدير كبير من المصريين القدماء فقد ذكروها على أنها " البلد المقدس " (٢٤ ب ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩) أو " المكان المقدس " (٢٤ أ - ب) ، (ولهذا ارتبطت بعض المعبودات المصرية بأرض بونت) " الأرض العظيمة " (٢٨) ، " المحبوبة " (٢٤ ب) . وهذه الصفات كانت تعبر عما فى فكرهم عن هذه البلاد فهم لم ينظروا إليها بنفس النظرة التى نظروا بها إلى بعض البلاد الأخرى التى كانت بينها وبين مصر علاقات تجارية أو ثقافية سواء فى الجنوب أو فى الشرق أو الغرب ، وهذا مما دعي بعض العلماء إلي الاعتقاد بأن بلاد بونت هي بلد أو موطن الأجداد البعيدين للمصريين القدماء .[٢]

---

(١) Saleh, BIFAO 72 (1972), p. 262; Erman – Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 687.

(٢) Cottrell, les Epouses des Pharaons, p. 55.

النقوش والآثار التى تبين التأثير المصرى :

بعد أن استعرضنا كل ما جاء بالتفصيل فى الدراسة التى قمنا بها عن " بلاد بونت وتا - نثر " اعتمادا على النصوص نعود إلى الحديث عن العثور عن نقوش عديدة اكتشفت فى الصحراء الشرقية بين نهر النيل والبحر الأحمر تشير إلى نزوح عدد من سكان شبه الجزيرة العربية إلى المناطق الشرقية لمصر فى عهد البطالمة .[١]

وذكر اسم مصر فى نقش معينى محفور على سور مدينة براقش ، دونه رجلان هما " عم صدق بن هم عثت " و " سعد بن والج " وقد كانا كبيرين على المصرية " مصرن " وعلى " معين المصرية " (معين مصرن) وهو الاسم المعينى لمستوطنه معينية . وقد أمرا بتدوين هذا النقش شكرا لمعبودات معين لأنها أنقذت القافلة التجارية من الوقوع فى أيدى الغزاه . ويرجع هذا النص إلى القرن الرابع ق. م . (٣٤٣ ق. م) .[٢] كما عثر على كتابات معينية على صخور وادى الحمامات ووادى عباد . وترجع بعض هذه النقوش إلى عهد قمبيز عندما غزا مصر .[٣] وبعضها الآخر يرجع إلى عصر البطالمة . كما عثر على نقوش سبئية ونبطية محفورة على صخور الصحراء الشرقية .[٤]

عثر فى اليمن على قطع أثرية مصرية منها جعارين وتمائم وخرز فى

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ١٥٤ ؛ راجع : مقال د. عبد المنعم عبد الحليم " الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية فى الجزيرة العربية قبل الإسلام " نشر فى مؤلفه " البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة " ، ص ٤١٨ - ٤٤٠ .

(٢) أمل بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٥ .

مأرب ، منها جعران يحمل اسم امنحتب الثالث ، وجعران آخر عليه نقش صقر وقرص الشمس ، ولوحة صغيرة ، وتميمة زرقاء للمعبود بس ترجع إلى الأسرة السادسة والعشرين والأسرة التاسعة والعشرين . كما عثر على عدد من المباخر عليها نقوش ورموز مصرية وكذلك مجموعة من التماثيل وموائد القرابين ولوحات تذكارية وأحواض للتطهير والاغتسال فى المعابد لها تأثير من الفن المصرى . كما أن هناك مجموعة أخرى من الآثار والتحف الصغيرة تحمل نفس التأثير وهى محفوظة بالمتحف الوطنى بصنعاء .(١)

نظرة لبعض المظاهر الحضارية فى اليمن القديم :

أولا بالنسبة لنظم الحكم والإدارة ذكرنا عند حديثنا عن دولة معين ، إن أصحاب الأملاك من رؤساء العشائر فى معين كانوا من كبار الموظفين . وكان الملك هو الذى يعين الموظفين ، خاصة أولئك الذين يقومون بجباية الضرائب وإدارة الإقليم مع موافقة مجلس أصحاب الأملاك . وفى معين أيضا لم يكن الملك مطلق التصرف فى الشئون السياسية إذ كان يوجد إلى جانبه مجلس يضم ممثلى الموظفين الذين كان لهم نفوذهم فى دوائر اختصاصاتهم . وشكل ملوك معين المجالس التى تدير شئون المدن فى السلم والحرب .

وفى مملكة حضرموت كان الملك يحكم مملكته حكما دستوريا فإلى جانبه يوجد مجلس عام كما أن المدن كانت تحكمها حكومات محلية تشبه حكام الأقاليم . وكان هؤلاء الحكام يعينون بالانتخاب ويعاونهم مجلس من شيوخ المدينة .

أما الشعب فى عهد مملكة حضرموت فكان يؤمن بنظام الطبقات ويعترف بالرق . وكان متسامحا يحترم المرأة ويقدس نظام الأسرة مخلصا لمليكه ووطنه .

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٦٩ .

وفى عصر مملكة قتبان ظهر عصر المكربين ، اهتم يدع اب ذبيان بإنشاء الطرق ليربط بين أطراف مملكته . واهتم بإقامة العديد من المبانى .

وفى عصر مملكة قتبان عرف النظام النيابى ، أى أنه كان هناك نظاما يتكون من مجالس تمثل الشعب تمثيلا نيابيا . فقد كان يوجد مجلس قبلى إلى جانب العرش . كما كانت تمثل القبائل المختلفة فى الهيئات التشريعية المتعددة . وكانت إدارة البلاد بيدها وربما كان المجمع القبلى يعقد جلساته فى العام وفى عاصمة الدولة كما يوجد ممثلون لأصحاب الأراضى الخصبة والقبائل وسكان المزارع والمراعى .

أما المجالس الاستشارية فقد كانت مكونة من سائر القبائل ولم يحرم من دخولها إلا الرقيق ، الذين كانوا يعملون فى الأرض . وكان هؤلاء العبيد طبقة فقيرة اجتماعيا واقتصاديا ، ولم يكن لها أية حقوق سياسية .

وكانت هذه المشاورات تنتهى عادة بالموافقة على المواضيع المعروضة . وكانت هذه القرارات التى تتخذ تبلغ عادة للقبائل . كما أن تلك القرارات كانت تستتبع بإصدار قوانين لتنظيم استثمار الأرض والعقار ودفع الضرائب وهذه القوانين الزراعية كانت الأساس الذى بنى عليه نظام الدولة . أما الاجتماع الآخر للقبائل فكان الغرض منه الموافقة على هذه القوانين .

أما اجتماع ممثلى القبائل فكان يقرره مرسوم ملكى لذلك فمن الأفضل تسمية هذا المجلس بالمجلس الاستشارى للدولة . وكان من حق هذا المجلس إلى جانب إصدار القوانين استغلال القوانين القديمة ومراعاة تنفيذها وتعلن باسم الملك .

وقد وصلتنا بعض المراسيم التى ترجع إلى عصر ملوك سبأ ، نعرف منها أن جباية الضرائب كانت موكولة إلى جماعة صغيرة تحت إشراف الملك . وهى تختلف باختلاف الإقليم . وهذه الجماعة تتكون من قبائل معينة وأفراد من طبقة الشعب تقابل مجلس الرأى فى مملكة قتبان وكان هذا المجلس يشرف على الأنظمة الإدارية فى حدود القوانين الموضوعة له . ونعرف من النقوش أن دولة سبأ استطاعت شراء بعض الإقطاعيات . وما عليها وضمها إلى أملاكها كأملاك

مأرب ، منها جعران يحمل اسم امنحتب الثالث ، وجعران آخر عليه نقش صقر وقرص الشمس ، ولوحة صغيرة ، وتميمة زرقاء للمعبود بس ترجع إلى الأسرة السادسة والعشرين والأسرة التاسعة والعشرين . كما عثر على عدد من المباخر عليها نقوش ورموز مصرية وكذلك مجموعة من التماثيل وموائد القرابين ولوحات تذكارية وأحواض للتطهير والاغتسال فى المعابد لها تأثير من الفن المصرى . كما أن هناك مجموعة أخرى من الآثار والتحف الصغيرة تحمل نفس التأثير وهى محفوظة بالمتحف الوطنى بصنعاء .[١]

نظرة لبعض المظاهر الحضارية فى اليمن القديم :

أولا بالنسبة لنظم الحكم والإدارة ذكرنا عند حديثنا عن دولة معين ، إن أصحاب الأملاك من رؤساء العشائر فى معين كانوا من كبار الموظفين . وكان الملك هو الذى يعين الموظفين ، خاصة أولئك الذين يقومون بجباية الضرائب وإدارة الإقليم مع موافقة مجلس أصحاب الأملاك . وفى معين أيضا لم يكن الملك مطلق التصرف فى الشئون السياسية إذ كان يوجد إلى جانبه مجلس يضم ممثلى الموظفين الذين كان لهم نفوذهم فى دوائر اختصاصاتهم . وشكل ملوك معين المجالس التى تدير شئون المدن فى السلم والحرب .

وفى مملكة حضرموت كان الملك يحكم مملكته حكما دستوريا فإلى جانبه يوجد مجلس عام كما أن المدن كانت تحكمها حكومات محلية تشبه حكّام الأقاليم . وكان هؤلاء الحكام يعينون بالانتخاب ويعاونهم مجلس من شيوخ المدينة .

أما الشعب فى عهد مملكة حضرموت فكان يؤمن بنظام الطبقات ويعترف بالرق . وكان متسامحا يحترم المرأة ويقدس نظام الأسرة مخلصا لمليكه ووطنه .

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٦٩ .

وفى عصر مملكة قتبان ظهر عصر المكربين ، اهتم يدع اب ذبيان بإنشاء الطرق ليربط بين أطراف مملكته . واهتم بإقامة العديد من المبانى .

وفى عصر مملكة قتبان عرف النظام النيابى ، أى أنه كان هناك نظاما يتكون من مجالس تمثل الشعب تمثيلا نيابيا . فقد كان يوجد مجلس قبلى إلى جانب العرش . كما كانت تمثل القبائل المختلفة فى الهيئات التشريعية المتعددة . وكانت إدارة البلاد بيدها وربما كان المجمع القبلى يعقد جلساته فى العام وفى عاصمة الدولة كما يوجد ممثلون لأصحاب الأراضى الخصبة والقبائل وسكان المزارع والمراعى .

أما المجالس الاستشارية فقد كانت مكونة من سائر القبائل ولم يحرم من دخولها إلا الرقيق ، الذين كانوا يعملون فى الأرض . وكان هؤلاء العبيد طبقة فقيرة اجتماعيا واقتصاديا ، ولم يكن لها أية حقوق سياسية .

وكانت هذه المشاورات تنتهى عادة بالموافقة على المواضيع المعروضة . وكانت هذه القرارات التى تتخذ تبلغ عادة للقبائل . كما أن تلك القرارات كانت تستتبع بإصدار قوانين لتنظيم استثمار الأرض والعقار ودفع الضرائب وهذه القوانين الزراعية كانت الأساس الذى بنى عليه نظام الدولة . أما الاجتماع الآخر للقبائل فكان الغرض منه الموافقة على هذه القوانين .

أما اجتماع ممثلى القبائل فكان يقرره مرسوم ملكى لذلك فمن الأفضل تسمية هذا المجلس بالمجلس الاستشارى للدولة . وكان من حق هذا المجلس إلى جانب إصدار القوانين استغلال القوانين القديمة ومراعاة تنفيذها وتعلن باسم الملك .

وقد وصلتنا بعض المراسيم التى ترجع إلى عصر ملوك سبأ ، نعرف منها أن جباية الضرائب كانت موكولة إلى جماعة صغيرة تحت إشراف الملك . وهى تختلف باختلاف الإقليم . وهذه الجماعة تتكون من قبائل معينة وأفراد من طبقة الشعب تقابل مجلس الرأى فى مملكة قتبان وكان هذا المجلس يشرف على الأنظمة الإدارية فى حدود القوانين الموضوعة له . ونعرف من النقوش أن دولة سبأ استطاعت شراء بعض الإقطاعيات . وما عليها وضمها إلى أملاكها كأملاك

حكومية ، فأصبح من حق الملك السبئ أن يدخل الزراعة الخاصة كالنخيل مثـــلا أو يضم الإقطاعية بمن عليها إلى قبيلته .

كانت الضرائب تحصل من محصول الأرض . ولضمـــان تحصيـل هــذه الضرائب كان للدولة الحق فى الاستيلاء على جــزء مــن المحصــول إذا اقتضــت الضرورة ذلك ، وتترك ما باقى للمزارع .

وقد استتبع هذا النوع من الحياة الاقتصادية قيام نظام اقتصـــادى حكومـــى دقيق . فكان لابد من توافر المخازن ورجال التجارة والمال لتقدير أثمان المحـاصيل ، وكانت الضرائب تقدر قبل جمع المحصول .

ونقرأ فى النقوش السبائية العديد من الأخبار التى تبين الحرص على تأديـــة العمل ، ومعاقبة المهملين الذين لا يصيبون أنفسهم بــأضرار البطالـــة فحســب بــل يؤثرون فى الاقتصاد القومى للبلاد .

وبالنسبة لأراضى المعبد فإن سادة العشائر كانوا يتعاونون فـــى اســتغلالها وكان عليهم مسئولية المعاهدات الخاصة باستغلال هذه الأراضى . ويبدو أن المعـــابد السبائية وكذلك القتبانية كانت مراكز تجارية هامة إذ أنـــها كـــانت تقــوم بالنفقــات الضرورية لمعيشة رجال الدين وكانت القبيلة مطالبة بدفع ضريبة المعبـــد وقدرهـــا عشر الدخل والميراث والمشتريات .

كما عرفت مملكة سبأ التمثيل النيابى . وفى أواخر عصر المملكة نجـــد أن طبقة الأشراف تزداد نفوذا وقوة وتكون نوعا من الإقطاع . وأخذ نظـــام الانتخابـــات النيابية يختفى تدريجيا . وأصبح هناك نوع من احتكار ملكية الأرض . وكانت تـــبرم بين الملك ورئيس القبيلة اتفاقية تحدد العطايا والضرائب التى يجب دفعها للملك .

وكان ملوك سبأ يمنحون كثيرا من الأملاك إلى طبقة الملاك وكانوا يمنحون أحفادهم دخلا خاصا . وكانت بعض الوظائف قاصرة على طائفة أو اسرة بعينــــها . وكانت وراثة المكانة الاجتماعية القبيلية من حق سائر أفرادها . وكان يتولى منحـــها شيخ القبيلة . وكان لكل مجموعة من الموظفين رئيس . وكانت طبقة الموظفين مـــن

الشعب والجمعيات الحكومية الكبرى ويظهر من ألقابهم منهم من يمثلون بطانة الملك في المدينة ومنهم من يعمل فى خدمة الأمراء والمعابد .

اهتم مكارب سبأ بالزراعة . ومنذ بداية القرن السابع ق. م . اهتم مكارب سبأ بالاصلاحات الزراعية . فقد وزع " كرب ايل بين " الأراضى على الفلاحين لاستصلاحها وزراعتها وسار ولده " دمر على ذريح " على نفس السياسة . أما ابن هذا الأخير " سنة على نيف " فقد شيد سدا عند مدخل وادى " زنة " بمأرب عرف باسم " سد مرحب " عام ٦٥٠ م ، فساعد على تنظيم الرى . وازاد ولده " يثعمر أمو بين " حجم السد طولا وعرضا وارتفاعا كم شيد سدا أعظم منه يعرف باسم " سد حبل بض " . وكان لهذين السدين بمأرب أعظم الأثر فى زيادة الرقعة الزراعية ويذكر آخر سلالة مكارب سبأ ، " كاريب – ايل – وتر " فى نص تركه لنا ما يشير إلى أعمال الرى المختلفة التى قام بها لتحقيق رخاء البلاد ، وقد أعطى أسماء خزانات المياه والسدود التى أمر بتشييدها أو قام بإصلاحها والقنوات والترع التى أمر بحفرها وحدائق النخيل التى أمر بغرسها ، وكان يستخدم عددا من الأسرى فى زرع الأراضى التى تخضع لملكية المعابد .

كان المعينون يشتغلون بالتجارة ويسيطرون على الطرق التجارية بين الشمال والجنوب . وأدى اشتغالهم بالتجارة إلى معرفتهم تدوين الحسابات التجارية . وعندما قضى ملوك سبأ على دولة معين وأقاموا دولتهم على أنقاضها نجد أنهم حلوا محلهم فى نقل التجارة بين الهند وبلاد النهرين والحبشة ومصر وبلاد الشام . واستطاعت دولة سبأ أن تزدهر وأن ينعم شعبها بالثراء نظرا لاشتغالهم بالتجارة حتى اتسعت مملكة سبأ وأصبح لها أسطول تجارى ضخم .

ويرجع ثواء اليمن القديم ، إلى مكانتها الرفيعة كأهم المراكز التجارية للشاطئ الفينيقى ، فكان الملك لحيرام ملك صور يرسل الأساطيل إلى الهند ، مارة بجنوب الجزيرة العربية ، التى كانت جزءا من هذا المحيط التجارى الهام ، وكانت هذه الأساطيل تعود بالذهب والبخور والأحجار الكريمة من الهند . وتشهد الوثائق الخاصة بالملك سليمان ، بتلك الشهرة التجارية لجنوب الجزيرة العربية ، لقد استفاد

أهل اليمن من مرور التجارة البحرية ببلادهم ، واستفادوا أيضا من التجارة العـــابرة عن طريق القوافل ، مما أدى إلى ثرائهم وعملوا من جانبهم على تصدير منتجاتـــهم من البخور والعطور . وظهر غنى هذا المصدر لأول مرة مع الملكة بلقيس فهى التى " أعطت للملك سليمان ١٢٠ وزنا من الذهب والتوابـــل بكميـــات كبـيرة وأحجـــار كريمة " .

ولم يكن هناك أى دولة فى العالم فى ثراء السبئيين كما قـــال اجاثارشـــيدس الذى عاش فى الإسكندرية عام ١٥٠ ق. م ، لأنهم كانوا يقطنون " وسط كل التجـــارة التى تمر بين آسيا وأفريقيا " وأخذ الرومان يتطلعون إلى السيطرة على تجارة اليمـــن القديم فى القرن الأول ق. م ، فقد أراد اليوس جاليوس الحاكم الرومانى فى مصـــر ، أن يغزو الجزيرة العربية ، مستعينا بالأنباط حلفاء الرومان ، واصطحبهم الجغرافـــى الرومانى الشهير سترابون الذى كان صديقا لقائد الحملة . وكان ذلك فـــى عـــام ٢٤ ق. م . وتعرض الرومان لمصاعب شديدة ، ولقى الكثير منهم حتفهم ، وقضوا أكـــثر من ستة شهور حتى وصلوا إلى نجران ، وأرادوا التقدم إلى مـــأرب وعندئـــذ أدرك الرومان فشلهم فعادوا أدراجهم .

وفى معين كانت العشائر تتعاون فى إقامة المبانى العامة ، وكـــان الأفـــراد يحشدون فى أعمال البناء هذه ، وكان عملهم يحتسب لهم كضرائب تسدد . وكـــانت الأبنية العامة كالمعابد والطرق والحصون والسدود وما إليها تدخل ضمـــن الأعمـــال الجماعية وتحتاج إلى مجموعة من الأفراد لإنجازها .

اعتمد ملوك معين على جباية الضرائب التى قسمت إلـــى ثلاثـــة أقسـام : ضرائب تعود لخزانة الملك ، والثانية تعود للمعابد والكهنة ، والثالثة للحكام والرؤساء فى المدن ، كما كان هناك نظام للضرائب خاص بالمعبد ويحتمل أنها كانت فـــى أول الأمر عبارة عن تبرعات ، ثم فرضت على الأراضى فرضا .

وكانت العبادة عند أهل اليمن القدماء (أهل معين وقتبان وحمـــير) يغلـــب عليها طابـــع النجوم . وكانت مجموعة المعبودات فى جنوب الجزيرة العربية تشمل

بوجه خاص : ثالوث مقدس مكون من معبود القمر الموقـــاه[1] ، معبـــودة للشـــمس كزوجة له ، ومعبود كوكب هو فينوس ، كابن لهما . ونعلـــم أيضـــا أن أهـــل ســـبأ استخدموا التوابيت فى دفن موتاهم ولابد أنهم اعتقدوا بالبعث لأن بعض المقابر التـــى اكتشفت بفعل السيول الجارفة كانت تحتوى على كثير من الأثاث الجنائزى .

دخلت الديانة اليهودية ، وربما فى القرن الأخير ق. م . بعد أن هاجر كثـــير من اليهود إلى اليمن بعد حصار القدس وبعد أن حطم الإمبراطور تيتوس هيكل (؟) أورشليم فى عام ٧٠ ميلادية . وبدأت الديانة اليهودية تنتشر فـــى جنـــوب الجزيـــرة العربية .

وبدأت المسيحية تأخذ طريقها إلى اليمن فى أوائل القرن الرابـــع الميـــلادى على الأرجح . وفى منتصف هذا القرن كانت هناك كنيسة فى عـــدن واثنتـــان فـــى حمير . ولم تصل المسيحية إلى داخل البلاد إلا فيما بعد إذ ظلت نجران وثنية حتـــى أواخر القرن الخامس ، وأخيرا نجح أحد دعاة المسيحية ، فى تأســـيس كنيســـة فـــى نجران .

---

(١) يرى أحمد شرف الدين (المدن والأماكن الأثرية فى شمال وجنـــوب الجزيـــرة العربية ، ص ١٠٥ ، ١٤٣) " أن معظم المستشرقون يفســـرون المقـــة بإلـــه القمر ، ولا يعرف مستندهم فى ذلك ، على أن المعروف بأن الديانـــة السبئية القديمة كانت ترتكز على عبادة الشمس كإله رئيسى . وكانت الشـــمس معبـــودة سبأ إلى قبل زيارة ملكتها لسيدنا سليمان عليه السلام (ســـورة النمـــل : الآيـــة ٢٤) . وقد أسلمت بعد ذلك مع سيدنا سليمان لله رب العالمين (سورة النمـــل : الآية ٤٤) . ومن ثمة بعد عودتها إلى مأرب معتنقة الإسلام بنيت فيها هيكلا لا يزال يعرف حتى الآن بهيكل سليمان. وليس ببعيد القول بأن (المقه) معنـــاه ال – مكه وهو الله . وبهذا نستطيع أن نلائم بين نصـــوص القـــرآن الكريـــم وبيـــن معلومات النقوش وفى هذا دليل صادق على أن توحيد الله كـــان موجـــودا فـــى الجزيرة العربية من أيام ملكة سبأ التى عاصرت سيدنا سليمان عليه السلام " .

وكان المسيحيون فى اليمن على علاقة طيبة مع مسيحى بيزنطة والحبشة . واحتلت الحبشة اليمن فى أعقاب ذلك القرن الرابع الميلادى . وسواء كان لهذا الغزو صلة بالدين أم لا فإن احتلال الحبشة لليمن لم يستمر طويلا فقد عثر على أحد النقوش فى مأرب ويرجع إلى عام ٣٨٧ ميلادية ، ويذكر فيه أن " ملك كريب يوها مين " قد طرد الأحباش واستعاد عرشه " .

كان من نتيجة طرد الأحباش من اليمن ، بداية لظهور أمر جديد وهو اعتناق العائلة المالكة فى اليمن للديانة اليهودية . وفى ذلك الوقت كان " ملك كريب يوها مين " يتعبد إلى المعبودات القديمة . ولكن أحد الذين خلفوه وهو " أب كريب اسعد " مال إلى اعتناق الديانة اليهودية . وأعلن أن تلك الديانة هى الديانة الرسمية له ولبلاده .

وكان آخر الملوك الذين اعتنقوا الديانة اليهودية فى اليمن هو الملك " ذو نواس " الذى قام باضطهاد المسيحيين فى نجران فى عام ٥٢٢ ميلادية . وقام بحرقهم مما أثار غضب العالم المسيحى ، ولهذا كلف إمبراطور بيزنطة ، ملك الحبشة ، بأن يذهب لمساعدة المسيحيين فى اليمن . فذهب الملك أبرهة وقضى على ذى نواس ، حوالى عام ٥٢٥ ميلادية . وعادت للمسيحية قوتها وشيدت الكنائس فى مختلف المدن وشهدت تلك الفترة صراعا كبيرا بين الفرس الوثنيين والروم المسيحيين . فقام أحد أمراء اليمن ، من نسل حمير ، سيف بن ذى يزن ، واستعان بالفرس لطرد الأحباش من البلاد .

ولكن حدث فى حوالى عام ٥٧٠ ميلادية أمر كان له تأثيره العميق فى تغيير أوضاع الديانة فى بلاد الشرق ، فقد ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكانت ولادته فى ذلك العام الذى أراد فيه أبرهة ، أن يقضى على مكة وعلى كعبتها الوثنية ليحول الناس إلى كنيسة صنعاء المسيحية ولكنه نهى بهزيمة نكراء وفتك به وباء .

وكانت الوثنية واليهودية والمسيحية ، فى صراع دائم فى بلاد العرب ولكن الأقدار هيأت أمرا أخرا ، وبشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام ، ووصلت

دعوته إلى اليمن فأسلم حاكمها الفارسى وكان يسمى باذان ودخل الإسلام اليمن فى عام ٦٢٨ ميلادية وشمل طائفتين السنية الشافعية والشيعية الزيدية .

اقتبس المعينيون الأبجدية الفينيقية واستخدموها فى كتاباتهم . وظلوا يستخدمونها حتى بعد زوال مملكتهم .

ومن البقايا الأثرية فى مأرب نستنتج أن أهل سبأ وصلوا إلى مرحلة متقدمة فى فن العمارة وبناء السدود ، التى تشهد لهم بالبراعة فى الرسم والتخطيط ومتانة البناء . وهى تكشف لا عن المهارة التى بلغتها سبأ وحمير فى فن العمارة وحدها ، بل تدل أيضا على معرفتهم التامة بنظام الرى . وقد تأثرت الأعمال المعمارية فى مملكة سبأ بالأبنية المصرية والبابلية .

فقد عثر فى اليمن على قطع أثرية مصرية قديمة منها جعارين وتمائم وخرز فى مأرب وجعارين . كما عثر على مباخر ولوحات تذكارية توحى بوجود تأثيرات فنية من الفن المصرى وخاصة فى التماثيل وتأثيرا من فنون بلاد النهرين وسورية واليونان .

ما بقى من آثار فى صرواح ومأرب :

اليمن ملأى بالمناطق الأثرية المختلفة ، ولا تكاد تخلو جهة فيها من بقايا الحضارات القديمة . وقد تمكن بعض من زاروا اليمن من ذكر بعضها ووصفه وصفا سطحيا مختصرا ، ولا شك أن عشرات منها ، لم تذكر حتى الآن فى أى مؤلف علمى وقام د. فخرى بزيارة أهمها فى صرواح ومأرب .

صرواح : وتوجد المناطق الأثرية فيها فى ثلاثة مناطق متقاربة واحدة منها هى منطقة البنا والثانية هى المنطقة المسماه القصر ، والثالثة فى منطقة الخريبة وكانت صرواح عاصمة مكربى " سبأ " قبل مدينة مأرب ، وظلت قرونا طويلة مدينة ذات أهمية ، وعنى كثير من حكام سبأ بتشييد المعابد الهامة فيها . وكثيرا ما تردد اسم صرواح فى أشعار العرب .

وأهم آثارها[١] :

معبد معبود القمر " الموقاه " وتحمل جدران هذا المعبد بعض النقوش الطويلة ، ويبلغ طول أحدها ١٢,٥٥ متر وارتفاع السطر ٢٦ سم ، وهو يذكر اسم " يدع – ايل – ذريح ابن " سمهو على " مكرب سبأ الذى بنى هذا الجدار . ولا يقتصر على ذكر المعبود الموقاه فقط بل يذكر المعبودة ذات حميم والمعبود عشتر ، ويكونون معا ثالوث المدينة القديمة ، وعلى راسهم المعبود الموقاه ، وربما كان معناه " ايل قوى " ، أى الله قوى ، ويرمز إليه بالقمر ، كما كان المعبودان الآخران يرمزان لنجم الزهراء وللشمس .

والنقش الآخر الهام الذى يغطى وجهى جدار مشيد من المرمر قائم فى بهو المعبد وهو يخص " كريب ايل وتار " الذى كان مكربا لسبأ ، والذى قام بغزوات كثيرة فى البلاد المجاورة ، ويذكر ما قام بعمله لأجل مدينته وآلهتها ، ويشير إلى مشروعات الرى المختلفة ، ويذكر أسماء خزانات المياه والجسور أو القنوات التى أمر بإنشائها ."ويطيل فى ذكر البلاد التى فتحها ودمرها ، ويذكر أنه فى حربه ضد اوزان قتل ١٦ ألف من أعدائه وأسر ٤٠ ألف آخرين ، ويقول أنه استمر فى فتوحه حتى وصل إلى البحر ودانت اوزان وملكها " مارتو " لسلطانه . واتفق العلماء على تسمية هذا النقش بنقش النصر .

---

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو ١٩٥٨ ، ص ١٦٩ – ١٧٥ . وأيضا أحمد شرف الدين : المدن والأماكن الأثرية فى شمال وجنوب الجزيرة العربية ، ص ٧٨ – ٨٣ ، ٩٢ – ١٢٢ . وعرض المؤلف صور لمعبد المقه بصرواح وبعض النقوش فى صرواح وآثار مأرب الموجودة بالموقع كالمعابد والسدود والمعروض منها فى متحف مأرب والمتحف البريطانى من تماثيل ولوحات ونقوش .

وعثر على أحد الأعمدة التى كانت أمام المدخل القديم للمعبد نفسه ، نـــرى عليه نقشا هاما آخر لملك يدعى " يكرب – ملك – وتار " الذى عـــاش فـــى القـرن السادس ق. م ، وترك عليه مرسوما بتنظيم البلاد والضرائب . وتحـدث فيـه عـن طبقات السكان فى بلاد سبأ ومن بين النقوش التى عثر عليها فى صرواح ذلك النقـش عند مدخل المعبد ، وهو يذكر اسمى ملكين هما : " نشأ كريب يهعمين يـــهرحب " و " يازيل بين " اللذين حكما فى أواخر القرن الثانى ق. م . ويذكران فيه ما منحاه مــن حقوق ، وما قاما بعمله لبعض القبائل والعائلات ، ويسجل هذا النقش تقديـــم " نشـــأ كرب يهعمين " لستة تماثيل من الذهب للمعبود الموقاه " سيد وعول صرواح " .

<u>مأرب</u> : يقول نسابو العرب أن " سبأ بن يشجب " هو الذى شيد مدينة مأرب . ولـــم توضح لنا النقوش التى كشف عنها فى مأرب اسم الملك الذى أسسها . وعندما يـــرى الإنسان مأرب يلاحظ أن هناك العديد من البقايا الأثرية المنتشرة فى أرجاء المدينـــة ، منها رؤوس تماثيل وتوابيت حجرية . وتدل هذه البقايا على تأثيرات واضحة من الفن المصرى وبخاصة فى التماثيل وزخارف بعض اللوحات ، ويرجع ذلك دون شك إلـى ما كان هناك من صلات بين اليمن وبين الحضارات الأخرى .

وكثيرا ما يتساءل البعض عن مكان الجبانات القديمة لملوك ســبأ ، وكبـــار رجال الدولة فى عصرهم ، ولحسن الحظ أنه على مقربة من سد مـــأرب ، كشـفت السيول عن بعض المقابر ومن النقوش التى تحملـــها البقايـــا الأثريـــة ، نعـرف أن المكرب " سمهو على ينوف " بنى حائطا حول مأرب وذلك بناء على أمـــر ومعونـــة المعبود عشتر ، ونعرف أيضا من النقش الشهير باسم جلازر ٤١٨ / ٤١٩ أن كريب ايل وتار (القرن السابع قبل الميلاد) أضاف بعض الأجزاء على سور مأرب وأنـــه بنى بوابتين وبعض الأبراج . ونجهل حتى الآن اسم أول من بنى مدينـــة مـــأرب ، ويذكر نسابو العرب أيضا أنه كان بمأرب ثلاثة قصور وهـــى " سـلحين والــهجر والقشيب " وأهم تلك القصور وأشهرها هو قصر سلحين الذى تردد اسمه كثيرا فـــى كتب الأدب العربى على أنه قصر الملكة بلقيس .

وأهم آثار مأرب ثلاثة : المعبد المعروف باسم محـرم بلقيس ، ومعبد العمايد ، وبقايا سد مأرب . وقد سبق وتحدثنا عن هذا السد فى شرقى اليمن . أما محرم بلقيس فهو أهم معابد مأرب وأشهرها ويقع على بعد نحو ٤ كم جنوب شرقى مأرب وهو بيضاوى الشكل ولكنه منبعج قليلا ، وأمام مدخله الرئيسى فى الناحية الشمالية البحرية بهو ذو أعمدة على جوانبه ، وعلى بعد عشرة أمتار من المدخل تقوم ثمانية أعمدة كبيرة فى صف واحد . وفى الجهة الشرقية من البناء ، نرى هيكلا صغيرا من الحجر ذا أعمدة أربعة كان يظن أنه ربما كان جوسقا ليجلس فيه الملك أثناء الاحتفالات الدينية ولكن من المعتقد الآن أنه كان على الأرجح هيكلا مقاما فوق بعض المقابر فى ذلك المكان وكان يحيط بالمعبد سور خارجى . وللمعبد باب جانبى آخر فى الناحية الغربية وهو مواجه للمدينة القديمة . وبناء على أقدم النقوش المسطرة على الجدار الخارجى لهذا المعبد ، فإن " يدع ايل ذريح " مكرب سبأ ، هو الذى بنى سور هذا المعبد المسمى معبد " اوام " وأنه خصصه لمعبود القمر المعبود الموقاه .(١)

ويدع ايل ذريح هو ثانى مكرب حكم سبأ ، وعاش فى القرن الثامن قبل الميلاد وهو الذى شيد المعبد الكبير فى صرواح للمعبود نفسه وشيد معبدا ثالثا يسمى معبد المساجد فى بلاد مراد على بعد ٢٧ كم من مأرب .

وفى الناحية الغربية من السور يوجد نقش آخر يسجل أن " ايل - شريح " ملك سبأ الذى حكم فى القرن السادس ق. م ، (حوالى ٥٧٠ ق. م) ويثع أمربين الذى حكم حوالى عام ٥٢٠ ق. م . قد أتما بناء المعبد . وهناك نقوش أخرى من عصور أحدث لملوك قاموا بأعمال خاصة فى ذلك المعبد أيضا .

أما الأثر الثالث وهو معبد العمايد فلم يتبق منه سوى خمس أعمدة قائمة وتحيط به الخرائب من كل ناحية ، ويبلغ ارتفاع كل عمود خمسة أمتار ونصف . وهو مخصص أيضا للمعبود القمر الموقاه . والأعمدة القائمة ، وما ظهر حولها من

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٧٥ - ٢٠١ .

نقوش ، لا تساعدنا على تحديد عصر ذلك المعبد بوجه عام ، أو تذكر فى عـــهد أى ملك من الملوك قد تم تشييده ، وعلينا أن ننتظر حتى تجرى الحفائر هناك .

وقام آرنو بعمل رسم تخطيطى للمدينة القديمة ، وذكر أنها كـــانت مدينــة مستديرة وأن سورها كانت به ثمانية أبواب مستطيلة وربما لم يكن فى أسوارها سوى أربعة أبواب . بوابة فى وسط كل سور . ولكن هناك أماكن كثيرة مهدمة فى الجدران عدها آرنو أبوابا .

ويعتبر جلازر هو أول من زار مأرب أعوام ١٨٨٢ - ١٨٨٨ ، ونقل أهــم نقوشها ووصف كل ما رآه وأعد خريطة للمنطقة حدد عليها معابدها القديمة .(١)

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

كشاف الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(س)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

محتويات الكتاب

تاريخ دول الخليج العربي القديم
وبعض المواقع والمراكز الحضارية القديمة المنتشرة بها
(الأطراف الشرقية والشمالية الشرقية من شبه الجزيرة العربية)

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تاريخ اليمن القديم وبعض مظاهره الحضارية القديمة
(المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة العربية)

صفحة



لعبت منطقة الشرق الأدنى القديم دوراً هاماً فى التاريخ القديم فهى المنطقة التى يتوافر فيها اقدم الاثار، والوثائق التاريخية التى تخص نشاط انسان الشرق الأدنى القديم واطولها بقاءا فى الزمن.

وانها منطقة نشوء الحضارات القديمة، فظهرت فيها اول واقدم الحضارات، وان انسان الشرق الادنى القديم خلف للاجيال التالية تراثا حضاريا غنياً بالنظم الادارية والاجتماعية والاقتصادية والافكار الدينية. والمعارف فى الحياة الثقافية والعلمية واساليب التربية والتعليم والابداع فى مجالات الحياة الفنية والتنوع فى مجال العلاقات الخارجية. وقد لا يعرف الكثيرون ان حضارات الشرق الأدنى القديم كانت مقدمة لنشأة الحضارة الاوروبية القديمة فكان لها تأثير واضح على حضارتى اليونان والرومان، وينفرد الشرق الأدنى القديم بأنه صاحب الاثر الدينى والروحى الذى لا يوجد له نظير فى مناطق أخرى من العالم القديم، واخيرا يجب أن نعلم أن تلك الثروة الأثرية الذى لا يزال معظمها قائما فى مكانه فى معظم بلدان الشرق الاوسط او عالمنا العربى تعد أدلة حقيقية وشواهد ثابتة على ما كان لأهل الشرق الأدنى القديم من سبق تاريخى وحضارى وهذا ما تحاول أن تظهره هذه السلسلة.

الناشر